



مجلة لسان القلم

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة نالوت



العدد الثاني - ديسمبر 2023م

مجلة لسان القلم

العدد الثاني - ديسمبر 2023م

JOURNAL OF LESAN ALKHLAM



A BIANNALY MULTI-DISCIPLINARY PEER
REVIEWED ACADEMIC JOURNAL FOR SCIENTIFIC
RESEARCH PUBLISHED BY UNIVERSITY OF NALUT



ISSUE NO :2
DECEMBER- 2023

مجلة لسان القلم

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة نالوت

تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية

العدد الثاني – ديسمبر 2023م

المشرف العام

أ.د. محمد مسعود قنان

مدير التحرير

د. عبدالعزيز زهمول الضاوي

رئيس التحرير

أ.د. حسين سالم غيث

الهيئة الاستشارية

د. عبد الرحمن بشير المرغني

د. لطفي محمد اشتاوة

أ. رمضان يوسف عسكر

أ. رياض سلميان جرناز

د. صالح سعيد العلوي

د. عادل سليمان عسكر

د. الياس أبوبكر الباروني

المراجعة اللغوية والتدقيق : د. الطاهر الدبار

دعوة

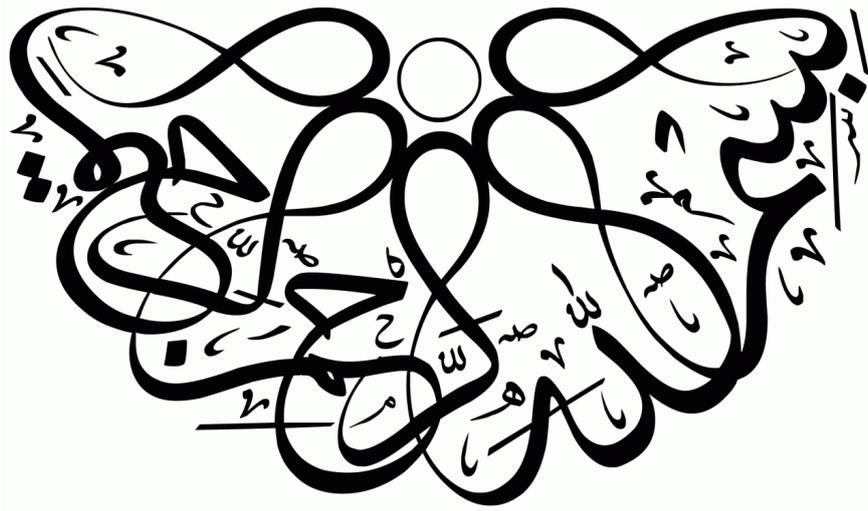
يسر هيئة تحرير مجلة لسان القلم المحكّمة الصادرة عن جامعة نالوت، أن تحييكم وتدعوكم إلى الكتابة فيها، والتواصل معها بأبحاثكم العلميّة القيّمة التي من شأنها إثراء مسيرة البحث العلمي في سائر العلوم وشتّى المجالات.

ترسل البحوث إلى رئيس تحرير المجلة علي العنوان التالي :-

ELHUSIN@YAHOO.COM

تمت الطباعة والإخراج الفني والمونتاج بدار رؤية للطباعة والدعاية والإعلان

الزاوية - ليبيا - 0925031603



رقم الإيداع 2019/339 م

دار الكتب الوطنية – بنغازي

جميع الحقوق محفوظة @

جامعة نالتوت

الافتتاحية

بسم الله و الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله ،
معلم البشرية نبينا محمد وعلي اله وصحبه أجمعين .

انطلاقاً من إحدى أهم وظائف التعليم العالي ومؤسساته المختلفة والمتمثلة في
الاهتمام بالبحث العلمي، حيث يعد البحث العلمي من أهم المظاهر لعصرنا
الحاضر، وباعتبار البحث العلمي مصدر القوة الحقيقية للدول، وان وجودها وتطورها
وقوتها مرتبط بما تنجزه في هذا المجال، وان الاستثمار في البحث العلمي هو من
اكثر أنواع الاستثمار مردودا للدول، وأن الاهتمام بالبحث العلمي كأحد روافد العلم
والمعرفة والتطوير في الجامعات الليبية، وباعتبار أن الجامعة هي همزة الوصل بين
المجتمع بمشكاله التي تعكس الحقائق والظواهر المختلفة في المجتمع، بالتالي فإن
توفير وسائل الاتصال والاعلام لنشر والبحث والترجمة لمختلف الأغراض، بحيث يتم
ربط بيئة الجامعة داخليا وخارجيا للنهوض برسالتها المتمثلة في توليد ونشر وتنقيح
المعرفة الفنية والعلمية في المجالات العلوم المختلفة.

يسر أسرة تحرير مجلة (لسان القلم المحكمة) أن تهديكم العدد الثاني (الجزء
الأول)، متضمناً العديد من البحوث العلمية من مختلف الجامعات الليبية في شتى
التخصصات.

كما نود أن نثمن دور الباحثين من مختلف الجامعات الليبية على دورهم الفعّال
في نشر العلم والمعرفة، وثقتهم غير المحدودة في التكرّم بنشر أبحاثهم في مجلتنا
الرائدة.

ولا يفوتنا أن نهنيء كافة البحاث والأساتذة الذين ساهموا في إثراء المجلة بأرائهم
ونقدهم الهادف، والزملاء الذين قاموا بتحكيم البحوث العلمية بصدور العدد الثاني.

نتمنى أن نكون قد وفقنا في عملنا، وما التوفيق إلا من عند الله.

أ.د. حسين سالم غيث

رئيس التحرير

أهداف المجلة: تهدف المجلة إلى:

- 1- أن تكون ميداناً فسيحاً للبحث والمناقشة في سائر العلوم، وفي شتى المجالات، فتكون منيراً لعلمائنا ومفكرينا يضيئون بواسطته طريق الحق وسبيل الرشاد.
- 2- إثراء المعرفة وتطويرها، وخدمة الباحثين والمهتمين بالمجال العلمي.
- 3- رصد الحركة العلمية، ومواكبة ما يستجد من قضايا، وبحوث.
- 4- إتاحة الفرصة لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات خاصة، وبالمتقنين عامة، لنشر بحوثهم العلمية، وتشجيعهم بتذليل العقبات البحثية، والمنشطات العلمية أمامهم.
- 5- الإسهام في النهوض بالمجتمع وتنميته في كافة المجالات، وذلك من خلال المعلومات والنتائج التي تتمخض عنها البحوث العلمية المطروحة في المجلة.

ضوابط النشر بمجلة لسان القلم

- 1- تنشر المجلة الأبحاث المبتكرة التي تتسم بالجدة والدقة والمنهجية ولم يسبق نشرها في أية مطبوعة أخرى، وليس جزء من رسالة الماجستير أو الدكتوراه للباحث .
- 2- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر الي التحكيم العلمي بشكل سري من قبل متخصصين، وتتحدد صلاحيتها للنشر بنا على رأي لجنة التحكيم.
- 3- يجب أن يتقيد البحث بالمنهجية، وأصول البحث العلمي.
- 4- يجب أن يكتب الباحث اسمه، وعنوان البحث، ومكان عمله، ودرجة العلمية في ورقة مستقلة، ورقم هاتفه.
- 5- لا يقل عدد صفحات البحث عن عشر صفحات، وألا يزيد عن خمس وعشرين صفحة.
- 6- يتم نشر الأبحاث باللغة الأجنبية، على أن يكون البحث مرفقاً بملخص باللغة العربية.
- 7- يُقدم البحث في نسخة ورقية بقياس 'A4 مع نسخة محفوظة على قرص مضغوط CD يتضمن البحث المطلوب نشره.
- 8 - يُشار للمصادر والمراجع التي تم الاستعانة بها في متن البحث بذكر لقب المؤلف وسنة النشر، ورقم الصفحة المقتبس منها، ويوضع كل ذلك بين قوسين (مثلاً) القرطبي، 1990، ص 50 وفي حالة وجود أكثر من مؤلف يكتب (القرطبي وآخرون، 1990، ص 50)، وعند وجود أكثر للمؤلف، ترتب المصادر بالحروف الابجدية أبجد هوز مثلاً: القرطبي أ، (1990، ص50).

المحتويات

	أهداف وقواعد النشر
	دعوة إلي أعضاء هيئة التدريس الجامعي
بحوث ودراسات باللغة العربية	
14-1	ابن شهيد وجهوده الأدبية -رسالة التوابع والزوابع أنموذجاً
	أ.ابتسام علي حمودة
	حُجبة القواعد الفقهية
26-15	د.عبد الروؤف شعبان حقوق
	كتاب اللع في العربية -ابن جني- دراسة في المنهج
37-27	أ.سعاد أحمد محمد صالح
51-38	الحكام الفقهية المستنبطة إرداف النبي صلى الله عليه وسلم، على الدابة
	د.ميلود بلعيد أحمد مقام
68-52	التقوى وأثرها في النهوض بالمجتمع
	أ.أحمد عمر خليفة
80-69	دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية السياسية
	أ.خولة أحمد علي القمودي
100-81	الأوضاع السياسية لأهل الذمة خلال العصر العباسي الأول
	د.وليد عامر عون
119-101	آراء الأخفش 215 هـ في كتاب مجيب الندا وموقف الفاكهي 792 هـ منها
	د.الطاهر عمار الدبار
138-120	المؤسس الحقيقي للدولة العباسية (أبوجعفر المنصور 136-158هـ/755-777م)
	أ.سناء ضو علي كريم

152-139	الشخصية الهستيرية (التشخيص والعلاج) د.وليد كريم المتصر فرفر
164-153	آفاق مستقبل التعليم والتدريب وعلاقتها بالتنمية البشرية أ.طارق محمد سالم ضو
185-165	أثر الاستثمار في الموارد البشرية على النمو الاقتصادي د.آمال عمران عبدالسلام التكروري
210-186	مبادئ التعلم النفسي: النظريات والتطبيقات أ.رمضان سالم غيث
238-211	تطوير التنظيم الإداري في ظل أبعاد التنمية المستدامة د.صلاح محمد المختار سويسي
262-239	أهمية الإرشاد العقلاني الانفعالي للأخصائي النفسي أ.خيري علي القمودي الأحرش
283-263	حق الدولة المضيفة في حماية أمنها من التجسس الدبلوماسي أ.محمد علي المبروك الفرجاني
315-284	منظمة الأمم المتحدة وازدواجية المعايير في التدخل الإنساني د.نصر امحمد نصر الغول
345-316	إثبات القصد الجنائي في جريمة القتل العمد واستظهاره د.أحمد مصباح الحراري
375-346	الهجرة إلى أوروبا عبر ليبيا د.محمد العماري الفيتوري
	مقارنة التغييرات المناخية خلال الفترة (1970 - 2010) في ليبيا باستخدام معامل الجفاف (ديمارتون)
397-376	د.ربيعة فرج سالم المرغني

بحوث ودراسات باللغة الإنجليزية:

17-1	Histopathological and biochemical change evaluation of metronidazole-induced hepatotoxicity in male albino mice
	Awatif S. Elgabaroni Nairuz Aboubaker Elsherif Walid Awgie
36-18	Development of speaking skills through task-based language teaching to Libyan students: A case study of Mosab Ben Omer Secondary School (Assaba area)
	أ.وليد الضاوي المشرقي
46-37	Economic freedom and public investment nexuss: empirical evidence from Libya during the period 1962-2007
	رشيد مفتاح سالم
64-47	Seismic Interpretation of Uper Beda Formation Saggut Oil Field - Sirt Basin
	Omar Emhemed Omar
77-65	Code-Switching from Libyan to Saudi Dialects
	Burnia Hussain Ahmed Hana Abdusslam Almadani

ابن شهيد وجهوده الأدبية، رسالة التوابع والزوابع أنموذجاً.

أ. ابتسام علي حمودة

كلية التربية نالوت - جامعة نالوت

الملخص:

ابن شهيد الأندلسي ابن قرطبة كان نادرة عصره، استطاع بفضل ثقافته وآرائه أن يتفوق على أدباء ونقاد عصره، ويخلق لنفسه منهجاً جديداً، ورسالته (التوابع والزوابع) تُعدُّ مسرحاً يقدم فيه صورة للأدب والأدباء في عصره، فالرسالة هي ردّ عملي على حسّاده وخصومه، ويعبر فيها عن عبقريته ونبوغه، وفيها الكثير من الخيال، واصطبأها بالطابع القصصي.

Summary:

Ibn shahid Al-Andalusi, ibn cordoba, was arity in his time. Tanks to his culture and opinions, he was adle to surpass... Writers and critics of his time, and he creates a new approach for himself, and his message (The Aftermaths and WhirlWinds) is a theater in Which he presents An image of literature and Writers of his time. The message is a practical response to his enviers and opponents, and in it he expresses. His genius and brilliance, and it contains a lot of imagination, and is imbued With character FolloW the story emachines

مقدمة:

لا شك أنّ ابن شهيد يُعدُّ من أبرز أعلام الشعر الأندلسي، فقد كان من أكثرهم توقّداً في القريحة الشعرية، حيث أبدع الكثير من الأعمال الشعرية والنثرية والنقدية، وقد أبدع الكثير من القصائد الشعرية الرصينة والجزلة، ولم يكن شعره مقتصرًا على موضوع بعينه، بل تطرّق لموضوعات عدّة.

وقد كان عنوان بحثي (ابن شهيد وجهوده الأدبية، رسالة التوابع والزوابع أنموذجاً) وقد تناولت فيه حياة ابن شهيد، حيث قسمته إلى مدخل يتحدّث عن حياة الأديب وجهوده الأدبية متمثلاً في مولده، نسبه ونشأته، ابن شهيد الشاعر، آثاره الأدبية، مرضه ووفاته، ثمّ المبحث

الأول: أهداف رسالة التوابع والزوابع وفيها، تُعرّف لغةً واصطلاحاً، والهدف منها وأقسامها، التي كانت موضوعاً للدراسة، والتي تُعدُّ أنموذجاً فريداً من النماذج النثرية في الأدب العربي بشكل عام، والأدب الأندلسي بشكل خاص، فهي فريدة في بابها، لأنها جاءت بصورة غير مسبوقة في طريقة تناولها لقضايا النقد العربي، وتعكس معرفة واسعة لابن شهيد الأندلسي بالأدب العربي، فقد عبّر فيها ابن شهيد عن معرفته وفكره الأدبي والنقدي، بأسلوب قصصي وخيال ممتع، ومن ثمّ الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

وتتمثل إشكالية البحث في أسئلة مفادها: من هو ابن شهيد الأندلسي؟ وكيف كانت حياته بين الترف والزهدي؟ وما هو الدافع وراء رسالته التوابع والزوابع؟ وكيف انتقل من عالمنا إلى العالم الآخر؟

وتأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تسعى إلى البحث عن الجانب الخرافي والخيالي الذي احتوت عليه رسالة التوابع والزوابع، إضافة إلى شخصية ابن شهيد الجانحة إلى الخرافة أحياناً والرافضة للواقع أحياناً أخرى.

وقد توقفت على دراسات سابقة تناولت ابن شهيد الأندلسي، ورسالته التوابع والزوابع، ومن أهمها:

1- ابن شهيد الأندلسي، سيرته ومكانته الأدبية، الأستاذة: فاطمة الزهراء عطية، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

2- ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، إعداد: عبد الله سالم المعطاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، من جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة الإسلامية بمكة المكرمة.

وقد اتجهت إلى المنهج الوصفي في هذه الدراسة، واعتمدت في بحثي على مجموعة من المصادر والمراجع، أهمها الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتري، وديوان ابن شهيد ليعقوب زكي، وجذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس للحميدي، ورسالة التوابع والزوابع لبطرس البستاني.

وأسأل الله عز وجل التوفيق والهداية إلى ما فيه الخير والصلاح.

مدخل - حياة الأديب وجهوده:

مولده ونسبه ونشأته:

هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر ابن محمد بن عيسى بن شهيد، أشجعي النسب، من مضر، من ولد الوضاح بن زراح، الذي كان مع الضحاك يوم مرج راهط. (الحميدي عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، 2008ف، ص134)

أسرته شامية، لجأت أيام الداخل، حيث وصل شهيد هاربًا من بطش العباسيين، فقد كانت ولادته سنة اثنتين وثمانين وثلاث مائة، في خلافة هشام بن الحكم بن عبد الناصر بقرطبة.

ولد بقرطبة وتقلّب منذ حدثته في أحضان النعمة بين قوم لهم مكانة عالية عند الخلفاء والأمراء، واكب على العلم فحصل منه ما استطاع تحصيله، ولبث في قرطبة. (الفاخوري حنا، الموجز في الأدب العربي وتاريخه الأدب في الأندلس والمغرب أدب انحطاط، 2003، ص68) وهو سليل الحسب والنسب، من نسل أسرة عرفت بالمجد، وتدرّجت في سلّم الوزارة، فجده كان وزيرًا في بلاط الدولة الأموية، ووالده وزير عند المنصور بن أبي عامر في هذا الجو المفعم بالمحبة والمودة، يظللّه النعيم وكثرة المال، وتوفّر الجاه والسلطة.

نشأ ابن شهيد الطفل الصغير، فوضع حبّ الترف والبذخ، والتعلّق بالمال والحرص على إنفاقه. (د. خضر حازم، ابن شهيد حياته وأدبه، 1984، ص20)

كان طفلاً شديد الحساسية، فانطبعت في ذاكرته منذ الصغر ذكريات لم تتطمس من بعد، نلمس فيها الثورة الخبيثة على أبيه، والتشوّف إلى الثراء وحبّ الظهور، واستشعار السيادة في ذلك الدور المبكر من حياته.

فقد ظلّ يذكر كيف دخل وهو في الخامسة من عمره على المنصور بن أبي عامر، فرأى بين يديه تفاعحة كبيرة، فأخذ يتأملها تأمل الشّره، فأمره المنصور أن يأخذها ويأكلها، فلمّا أطبق على بعضها فمه لم يستطع أن يقطع منها شيئاً، بل إنّ يده ضاقت عنها، فتناولها المنصور منه، وأخذ يقطع له بفيه ويطعمه وكأنّ هذا العطف كان يندكره بأنه حُرّم شيئاً كثيراً

من عطف أبيه الذي كان مشغولاً بمجالسه وبأمور الدولة أكثر من أولاده. (عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة 1969، ص272)

وقد نال رعاية واهتماماً من لدن الحكام منذ نعومة أظفاره، عندما كان في الخامسة من عمره. (الشتنرني أبي الحسن، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 1997، ص164)

وقد مرض أبوه وهو في حدود العاشرة من عمره، وعندما شفي الوالد من مرضه عاف ملذات الدنيا، وأثر طريق النسك والزهد في الحياة، وأراد أن يتبعه ولده الصغير في ذلك، فحلّق له لمتّه وخلع عنه ثياب الحرير وألبسه مدارع الكتان، وحمله على التقشّف وشظف العيش، فضاق الصبي ذرعاً بخطة أبيه، ووصف ذلك بأنه (أفدح نازلة نزلت بصبوته، وأقلق حادثة سلبت رونق بهجته). (د. العاني سامي، دراسات في الأدب الأندلسي، 1978، ص317).

واستوزر في الدولة العامرية التي زال ملكها سنة (399) هـ، ولكنه لم يبلغ منزلة الكتابة في الديوان، ولم يلقّب بالوزير الكاتب، وهو ما كان يسعى إليه ويتمناه.

إن نشأته المترفة لم تؤهله للكفاح أو المغامرة؛ ولم تمكّنه من اتخاذ موقف محدّد قد يجرّ عليه الحساب أو العقاب، واكتفى بالمراقبة، مع أنّه كان في ريعان شبابه، وأوج فتوته، فهو لم يتجاوز العشرين إلّا قليلاً. (د.العاني سامي، دراسات في الأدب الأندلسي، 1978، ص318)

ولكن هذه الفتنة العمياء لم تمرّ عليه دون أن تترك أثراً، فقد حرّكت كوامن نفسه، ودكرته قرطبة أيام كانت زاهية بقصورها، هائلة بسلامها وخيراتها، فعادت عجوز شمطاء ساقطة الأسنان. (الشتنرني أبي الحسن، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 1997، ص175)

قال:

عَجُوزٌ لَعْمُرُ الصَّبَا فَانِيَةٌ لَهَا فِي الْحَشَا صُورَةُ الْغَانِيَةِ
زَنَتْ بِالرِّجَالِ عَلَى سِنِّهَا فَيَا حَبِّدًا هِيَ مِنْ زَانِيَةٍ
تُرْبِكُ الْعُقُولَ عَلَى صَعْفِهَا تُدَارُ كَمَا دَارَتِ السَّانِيَةِ

وقد عرف ابن شهيد بين أقرانه بكرم ذات اليد، وبسط اليمين في الجود والبذل، ولعل ذلك من تداعيات الحياة المترفة، والعيش الرغد في بطالة، فقد روي عنه أنه كان جواداً لا

يبقى شيئاً، ولا يبأس على فانت، عزيز النفس مانلاً إلى الهزل، وكان له من علم الطب نصيباً وفيراً). (الحميدي عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. 2008، ص126)

ابن شهيد الشاعر:

الشعر في بيت أبي عامر عريق النجار، متلاحق الآثار، فأبوه عبد الملك شاعرًا، وكذلك جده مروان، وجدُّ أبيه أحمد بن عبد الملك، ثم عمه وأخوه شاعران، وهو أجودهم شاعرية، وأخصبهم قريحة، وأطولهم نفسًا، وأوسعهم شهرة، ولكن لم يجمع شعره في ديوان ليحفظ من الضياع، أو جُمع ولم يصل إلينا، وإنما بلغنا منه ما رواه ابن بسام في الذخيرة، والشعالبي في يتيمة الدهر، والفتح بن خاقان في مطمح الأنفس، والمقري في نفح الطيب، وابن خلكان في وفيات الأعيان. (البستاني بطرس، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، 1951، ص50)

ولم يتوكأ ابن شهيد على القدماء وحدهم، بل تساند إلى المحدثين أيضًا؛ فشعره مزيج من جاهلي إسلامي، وعباسي أندلسي، كسائر الشعراء المولدين في الشرق والغرب، ولئن عداه الطابع الخاص في أسلوبه المشترك ليعرف به كغيره من ذوي الطوابع الشخصية، لما يغدو النفس الشعري، والحس المرهف، وبراعة الوصف، وحسن التراكيب.

ولغته مختارة الألفاظ، متينة التراكيب، على غير صلابة أو خشونة، وتغلب الصنعة على صياغته، فيكثر من الجناس والارصاد والتصريع، والتشابه والإشارات والأمثال، واستخدام معاني أسماء النجوم. (البستاني بطرس، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، 1951، ص58)

آثاره الأدبية:

وقفت دراسات كثيرة عند شاعريته ونثره، وعلى الرغم من كونه من شعراء عصره المتميزين الذين شهد لهم النقاد بالبراعة والتفوق ومنهم ابن بسام الشنتريني فإن ديوانه لم يجمع في حياته، ولم ترد الإشارة إلى جمعه بعد وفاته كذلك، حتى نهض باحثون محدثون لهذه المهمة وما بقي من أشعاره يمثل جزءًا مما نظمته وقد بلغت (853) بيتًا. (الحميدي عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، 2008، ص222)

ويلاحظ أن ابن شهيد كان واحداً ممن كتب لهم وهم قلائل التقوق والإبداع في ميادين الشعر والنثر والنقد وتبدو براعته في النثر والنقد وفي آثاره الأدبية التي تركها ومنها:

1- كتاب كشف الدك وإيضاح الشك.

2- رسالة التوابع والزوابع، ولكن لم يصل منها إلا فصول أثبتتها ابن بسام في ذخيرته.

3- الرسائل النقدية : وتعدُّ أهم عمل قام به "ابن شهيد" لأن فيها آراء جديدة، كاستنتاجات مبتكرة يرجع الفضل فيها إلى "ابن شهيد" والقسم الأكبر منها في كتاب الذخيرة ل "ابن بسام"

4- الرسائل الأدبية: وهي رسائل أخرى لابن شهيد يصف فيها البرد والنار، ويصف الحلوى والبرغوث، والماء، والتغلب، والبعوضة، وغير ذلك.

مرضه ووفاته:

أصيب في أواخر أيامه بمرض الفالج، حيث عرض له في مستهل ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة، وتزايد عليه هذا السقم مع ما به من ضيق النفس، ولكن ذلك كله لم يقعه أو يفقده الحركة، وظل يمشي إلى حاجته على عصا مرة، واعتماداً على إنسان مرة، إلى ما قبل وفاته بعشرين يوماً، وبعدها صار حجراً لا يبرح ، ولا يتحرك، ولا يتقلب، ولا يتحمل أن يحرك لعظيم الأوجاع، مع شدة ضغط الأنفاس، وعدم الصبر، حتى هم يقتل نفسه، وفي ذلك يقول:

أَنُوحُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْدُبُ نُبُلَهَا إِذَا أَنَا فِي الصَّرَاءِ أَزْمَعْتُ قَتْلَهَا
رَضِيْتُ قَضَاءَ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ عَلَيَّ وَأَحْكَامًا تَيَقَّنْتُ عَدْلَهَا
أَظَلُّ قَعِيدِ الدَّارِ تَجَنُّبِي العَصَا عَلَى ضَعْفِ سَاقٍ أَوْهَنِ السُّقْمِ رِجْلَهَا

ومع هذه اللحظات البائسة، ظل مقتنع الذهن، متوقد القريحة، ينظم الشعر ويتابع الصلة بإخوانه وخلأنه، يكتب إليهم، ويقرأ رسائلهم، وقد حفظت الذخيرة مجموعة طيبة من تلك الأشعار والمراسلات.

وقبل مفارقتة الحياة أوصى أن يدفن بجوار صديقه أبي الوليد الرجالي، وكان كثيراً ما يخشى صعوبة الموت، وشدة السوق، فيسر الله عليه، وفارق الحياة ضحى يوم الجمعة آخر يوم من جمادي الأول سنة ست وعشرين وأربعمائة، ودفن يوم السبت ثاني يوم وفاته في مقبرة (أم سلمة) وصلى عليه أبو الحزم جهور بن محمد، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، فقد

علا البكاء والنشيج على قبره .(د. العاني سامي، دراسات في الأدب الأندلسي، 1978، ص314).

المبحث الأول- أهداف رسالة التوابع والزوابع التوابع والزوابع لغةً:

التوابع جمع تابع وتابعة ومعناها في المعاجم، الجني أو الجنية اللذان يكونان مع الإنسان يتبعانه حيثما ذهب.(الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، 2005ف، مادة (تبع)، ص706)

والزوابع جمع زوبعة، اسم شيطان ويكنى الإعصار أبا زوبعة حين يدوم ثم يرتفع إلى السماء ساطعاً، يقال فيه: شيطاناً مارداً ، كذلك يطلق على رئيس الجن.(الخليل الفراهيدي، كتاب العين، 2003ف، مادة (زيع)، ص173)

اصطلاحاً:

أطلقت تسمية الزوابع والتوابع على رسالة خيالية كتبها ابن شهيد الأندلسي متصوراً نفسه في رحلة مع جني يسميه (زهير بن نمير) يرحل به إلى أرض الجن، حيث يلتقي هناك بتوابع الشعراء وزوابعهم، وواضح من تسمية الرسالة صلتها بالمعنى اللغوي، مما وصل إلينا من هذه الرسالة، وهي مجموعة فصول يدرجها الباحثون المحدثون ضمن الإطار القصصي، ونستطيع أن نكون فكرة عنها مفادها أن الشاعر افترض هذه الرحلة إلى عالم الجن ليقابل الشعراء والكتّاب العرب ممن سبقوه.

ويجري المحاورات والمناظرات الأدبية على لسان توابعهم فينتزع إعجابهم بعد أن يسمعون أمثلة من أشعاره.(د.السيوفي مصطفى، ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، 1985، ص67)

لم يشر ابن شهيد إلى تاريخ تأليف هذه الرسالة، إلا أن النصوص التي وردت فيها تؤرخها في حدود سنة (414). (البستاني بطرس، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، 1951، ص67)

ولم يعثر إلى الآن على نص كامل لهذه الرسالة، ولكن الفضل الأكبر في حفظ ما تبقى من هذه الرسالة يعود إلى ابن بسام الذي حفظ كثيراً من نصوصها في كتابه (الذخيرة

في محاسن أهل الجزيرة) وأعاد نشر تلك النصوص مستقلة، مستخرجة من الذخيرة (بطرس البستاني) فحصها وحقق ما فيها، وشرحها، وبوبها، وصدرها بدراسة تاريخية أدبية في بيروت سنة (1967)، وقد قسم ما تبقى منها بحسب أغراضها إلى مدخل وأربعة فصول، وجعل عنوان الفصل الأول: توابع الشعراء، والثاني: توابع الكتاب، والثالث: نقاد الجن، والرابع: حيوان الجن. (د. العاني سامي، دراسات في الأدب الأندلسي، 1978، ص333)

الهدف منها: حضى ابن شهيد بمكانة أدبية رفيعة، أجاد فيها الشعر والنثر، إضافة إلى آرائه النقدية الجريئة رغم أن ثقافته كانت محدودة، لأنه لم يكن يؤمن بالمطالعة، وهذه النقطة استغلها خصومه، فقال بعضهم: إن شعره لا يحترم قواعد النحو، وقال البعض الآخر إن شعره ما هو إلا تقليد لأهل المشرق، أما الصنف الثالث اتهموه بأن له " شيطاناً يهديه، وشيصباناً يأتيه"، وأن ما قاله من شعر إنما هو فعل " تابعة تُتجده، وزوابع تؤيده ".(الشنتريبي أبي الحسن، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1997ف، ص244)

لذلك فهو غير مشكور في شعره، وكل هذه الاتهامات كان لها أثرها في نفسية ابن شهيد فاهتدى إلى كتابة رسالته التوابع والزوابع ليسخر منهم، فقد عرض لمغتابيه عند المستعين، مندداً بضعفهم وعجزهم عند لحاقه؛ وألح بالإزرار على أبي القاسم الإفريقي، فنفس عليه بعلمه ومعرفته، ودعاه إلى مباراته شعراً ونثراً، وسخر بأدباء بلده، ونسب الغباوة إلى أهل زمانه، وعزاهم من صحة اللغة، وحسن البيان.(البستاني بطرس، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، 1951، ص96)

فكيفما سرنا في رسالة التوابع والزوابع، نجد أبا عامر شديد الإنحاء على خصمائه، شديد المباهاة بأدبه ونبوغه، يناقش الشرق والغرب، والقديم والمحدث، ويدفع حملات النقد والمتعنتين، ولا يرضى أن يجاز إلا شاعراً وخطيباً على السواء. (البستاني بطرس، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، 1951، ص97)

وهكذا يتضح لنا أن دوافع ابن شهيد هي دوافع شخصية، فقد عرف عنه أنه شاعر جياش العواطف، وعندما عرض به معاصروه من الأدباء واتهموه بقلّة الإطلاع، ثارت ثائرتة وأحس بأنه طعن في كبريائه، عندها اصطنع هذه الرحلة الخيالية، التي ينتقل من خلالها إلى العالم الآخر (عالم الجن والشياطين)، وفيه يلتقي أصنافاً من أشهر شعراء العرب وكتابها

ونقاد الأندلس، بعد أن نفخ الحياة فيهم عن طريق توابعهم، فيسخر من توابع خصومه، ويبرز فساد أدواقهم.

وأخيرًا يتلقى اعتراف الجميع له بالبراعة والتفوق في مجالي الشعر والنثر على السواء. ومن هنا يتضح أن هدف الرسالة لم يكن وظيفيًا مباشرًا، وإنما هو هدف أدبي ينطلق فيه ابن شهيد من الواقع، ولكنه يمتطي الخيال ليتجاوز الواقع وليخلق الظروف الملائمة للتعبير عن آرائه في خصومه بطريقة غير مباشرة.

أقسامها: قسمنا رسالة التوابع والزواجع إلى مدخل وأربعة فصول.

المدخل - زهير بن نمير: يتحدث أبو عامر في مدخل رسالته إلى أبي بكر بن حزم، فيذكر له كيف تعلم ونبض له عرق الفهم، بقليل من المطالعة، ثم ينتقل إلى خبر حبيب له مات، فأخذ في رثائه، فارتجع عليه، وإذا بجنتي اسمه زهير بن نمير يتصور له، ويلقي إليه بتتمة الشعر، رغبة في اصطفائه، كما تصطفي التوابع خلانها، فتتأكد بينهما الصحبة، فأصبح كلما سُدَّت بوجهه مذاهب الكلام، يدعو تابعه بأبيات لقنها عنه، فيمثل له، ويوجي إليه. (البستاني بطرس، رسالة التوابع والزواجع لابن شهيد الأندلسي، 1951، ص72)

الفصل الأول - توابع الشعراء:

يبدأ هذا الفصل بتذكر أبي عامر، وصديقه لأخبار الخطباء والشعراء، ويسأل صديقه، إذا كانت هناك حيلة يستطيع من خلالها، أن يلتقي مع من يود رؤيته، فيخبره صاحبه، أن عليه أن يسأل شيخ الجن، فيغيب عنه فترة من الزمن، ثم يعود ويأخذه، على متن جواد، حتى يصل إلى أرض يصفها ابن شهيد في رسالته " التمتحت أرضًا لا كأرضنا، و شارفت جوا لا كجونا متفرع الشجر، عطر الزهر). (الشنتريني أبي الحسن، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1997، ص248)

فيسأل صديقه فيجيب بأنه حلّ بأرض الجن ويسأله بمن يريد أن يلتقي؟ فيجيب ابن شهيد: (الخطباء أولى عندي بالتقديم، لكني إلى الشعراء أتشوق).

وبهذا تبدأ رحلة أبي عامر الخيالية، مع توابع الشعراء، فيطلب من زهير، أن يمكّنه من مقابلة صاحب إمريء القيس، وطرفة بن العبد، فيذهب به إلى وادي الأرواح، هناك يجد عتبة بن نوفل شيطان امرئ القيس، فيصيح به زهير قائلاً: "يا عتبة بن نوفل، بسقط اللوى

فحومل، ويوم جارةً جُلجل، إلا ما عَرَضت علينا وجهك وأنشدتنا من شعرك، وسمعت من الإنسي". (الشنتريني أبي الحسن الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 1997، ص 249) فأشدهم عتبة بن نوفل قصيدته التي مطلعها:

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا.

وبعد ما أكمل عتبة قصيدته طلب من ابن شهيد أن ينشده فقال:

شَجَّتْهُ مَعَانٍ مِنْ سُلَيْمَى وَ أَدْوَرُ.

وما إن أكمل قصيدته حتى قال له عتبة بن نوفل اذهب فقد أجزتكَ. (الشنتريني أبي

الحسن، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 1997، ص 250)

ثم يصير إلى توابع الطائيين وشاعر الخمرة، وينتهي به المطاف عند "خاتمة القوم" صاحب أبي الطيب المتنبي، وفي زيارته هذه يساجل الشعراء ويعارضهم ويذاكرهم، ويأخذ الإجازة منهم. (البستاني بطرس، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، 1951، ص 72)

الفصل الثاني - توابع الكتاب:

سأل ابن شهيد زهيراً بعد لقائه بالمتنبي أن يلقاه بتوابع الكتاب ويسميهم الخطباء وركضا الجواد طاعنين في مطلع الشمس، ومالا إلى توابعهم بمرج دهمان، وإذا بناد عظيم جمعهم، والكل منهم ناظر إلى شيخ أضلع جاحظ العين اليمنى على رأسه قلنسوة بيضاء طويلة، فسأل ابن شهيد زهيراً عنه فقال: عتبة بن أرقم صاحب الجاحظ، وكنيته أبو عتبية، فقال ابن شهيد: بأبي هو ليس رغبتني سواه وغير صاحب عبد الحميد الكاتب فقال له : إنه ذلك الشيخ الذي إلى جنبه، وعرف عتبة بابن شهيد، فقال له: إنك حائك للكلام مجيد، لولا أنك مغري بالسجع، فكلامك نظم لا نثر فاعتذر له قائلاً: إنه يعرف فضل الازدواج والمماثلة (خاصة أسلوب الجاحظ وعبد الحميد الكاتب) غير أنه عدم في بلده فرسان الكلام. (د.ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (الأندلس)، 1995، ص 454)

ثم يقرأ عليهما رسالة الحلواء، فيضحكان منها، ويستحسنانها، ويشكو إليهما أمر حساده عند المستعين، وفيهم أبو قاسم الإفريقي، فيتصدى له تابعه بالنقد والتجريح، فيرد عليه، وينعته بأوصافه وإذا بصاحب بديع الزمان يدخل بينهما، فيعارضه أبو عامر في وصف

الماء، حتى يخجله، ثم يجيزه صاحبها الجاحظ، وعبد الحميد شاعرًا وخطيبًا. (البستاني بطرس، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، 1951، ص73)

الفصل الثالث - نقاد الجن:

يحضر أبو عامر وتابعه مجلس أدب من مجالس الجنّ، فيدور الكلام في بيت للنابغة تداول الشعراء معناه من بعده، ولم يلحقوه، وينشد بعض الجنّ أبياتاً في هذا المعنى، يتسامى بها على النابغة، وإنما هي من نظم أبي عامر، ثم يبحث الجنّي في الطريقة التي تحسن بها سرقة الشعر دون أن يفتضح صاحبها؛ ويسأل أبا عامر أن يسمعه كلاماً يرعى تلاح الفصاحة ككلام أبي الطيب، فينشد أمثلة من قصائده، ويدلّ بأشعار أجداده، وأبيه وعمه. (البستاني بطرس، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، 1951، ص73)

الفصل الرابع - حيوان الجن:

وفي هذا المشهد الأخير في رسالته يزور ابن شهيد، حيوان الجنّ، يقول فيه أبو عامر: "ومشيت يوماً أنا وزهير بأرض الجنّ أيضاً نتقرى الفوائد، ونعتمد أندية أهل الآداب منهم، إذ أشرفنا على فراره غناء، تقتر عن بركة ماء، وفيها عانة من حمر الجن وبغالهم، قد أصابها أولق فهي تصطك بالحوافز، وتنفخ من المناخر، وقد اشتد ضراطها، وعلا شحيجها ونهاقها، فلما بصرت بنا أجفلت إلينا وهي تقول: جاءكم على رجليه، فارتعت لذلك، فتبسم زهير وقد عرف القصد وقال لي: تهباً للحكم فلما لحقت بنا بدأتني بالتفدية، وحيّتني بالتكنية، فقلت: ما الخطب، حمى حماك أيتها العانة، وأخصب مرعاك؟ قالت شعران لحمار وبغل من عشاقنا اختلفنا فيهما، وقد رضيناك حكماً". (الشتنريني أبي الحسن، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 1997، ص297)

ويعرف من بينهن بغلة أبي عيسى، فيتحدّث إليها، ويتذاكران دار الإنس ثم تعترضه إوزة في بركة ماء، وهي تابعة لبعض الشيوخ، تريد مناظرة في النحو والغريب، فيردها، ويكرها بسخفها وحمقها، وينتهي عندها ما بلغ إلينا من رسالة التوابع والزوابع. (البستاني بطرس، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، 1951، ص73)

الخاتمة: من خلال دراستي "لابن شهيد الأندلسي ورسالته التوابع والزوابع" تبين لي أنّ ابن شهيد شخصية نظرية وأدبية، تتمتع بمكانة مرموقة في مسار النثر الأندلسي، ممّا أضفى على

هذا النثر لمسات طريفة، إنه نادرة، و كنز ثمين في التراث الأندلسي له آراء في الأدب والنثر، والنقد ساهمت في بلورة الشخصية الأندلسية، سعى إلى خلق أدب أصيل، يكون أندلسي الموطن والروح، فهو ذلك الكوكب الساطع والقمر المنير، الذي سطع بنوره و تجديده في النثر الأندلسي ونرجو أن نكون قد ساهمنا في إلقاء الضوء على جانب مهم في الأدب الأندلسي المتمثل في النثر، وهاته الدراسة ما هي إلا جزء من دراسات سابقة أخرى لاحقة- إن شاء الله .

النتائج المتوصل إليها:

- 1- من الدوافع الأساسية التي دفعت ابن شهيد إلى تأليف رسالته هي شعوره بالخنق والضيق من تجاهل أبناء عصره لمكانته الأدبية، فأراد إثبات تفوقه وموهبته، والنيل من خصومه، والتقليل من شأنهم، من خلال هذه الرحلة، فكان له ذلك.
- 2- اختار لرسالته اسم (التوابع والزوابع) لأنه جعل مسرحها عالم الجن واتخذ كل أبطالها من الشياطين أو الجن لذلك يتطابق اسمها مع مضمونها.
- 3- استطاع ابن شهيد، برسالته تحقيق ذاته، وحصوله على المكانة التي يستحقها.
- 4- أكسب الخيال قيمة وأهمية وقدرة على التأثير في نفس المتلقي، وإثارة خياله.
- 5- لقد نجح " ابن شهيد" - في أن يثأر لنفسه من معاصريه بعد أن نجح في أن يحظى بإجازة كبار الشعراء الخطباء، لقد ثأر لنفسه بالحملة عليهم السخرية منهم في أكثر من موضع وبخاصة من خصمه " أبي القاسم الإفريقي" الذي بالغ في السخرية من شيطانه " أنف الناقة " بل إنه ازداد غلواً في التعريض بهم في مجال حديثه مع " بغلة أبي عيسى ، فجعلهم - وهم الذين يشبهون البغال غباوة - وزراء أو أمراء
- 6- كان ابن شهيد يسعى إلى أن يختار الشعراء والكتاب البارزين، فيحاول النيل من مقدرتهم وأنه متميز عنهم.

المراجع:

- 1 - أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس دار العرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، 2008ف.

- 2- حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه الأدب العربي في الأندلس والمغرب أدب انحطاط، دار الجبل، بيروت، الطبعة الثالثة، 2003ف.
- 3- د. حازم عبد الله خضر، ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1984.
- 4- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1969ف.
- 5- أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، المجلد الأول، 1997ف.
- 6- د. سامي مكي العاني، دراسات في الأدب الأندلسي، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره، 1978ف.
- 7- نفس المرجع السابق.
- 8- أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، مرجع سابق ذكره.
- 9- أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، مرجع سابق ذكره.
- 10- بطرس البستاني، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، مكتبة صادر بيروت، 1951ف.
- 11- نفس المرجع السابق.
- 12- أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، مرجع سابق ذكره.
- 13- د. سامي مكي العاني، دراسات في الأدب الأندلسي، مرجع سابق ذكره.
- 14- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 2005ف.
- 15- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2003ف.
- 16- د. مصطفى محمد السيوفي، ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، عالم الكتب بيروت، 1985ف.
- 17- بطرس البستاني، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، مرجع سابق ذكره.

- 18- د. سامي مكّي العاني، دراسات في الأدب الأندلسي، مرجع سابق ذكره.
- 19- أبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني، مرجع سابق ذكره.
- 20- بطرس البستاني، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، مرجع سابق ذكره.
- 21- نفس المرجع السابق.
- 22- نفس المرجع السابق.
- 23- أبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني، مرجع سابق ذكره.
- 24- نفس المرجع السابق.
- 25- نفس المرجع السابق.
- 26- بطرس البستاني، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، مرجع سابق ذكره.
- 27- د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في عصر الدول والإمارات (الأندلس)، دار المعارف القاهرة، 1995ف.
- 28- بطرس البستاني، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، مرجع سابق ذكره.
- 29- نفس المرجع السابق.
- 30- أبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني، مرجع سابق ذكره.
- 31- بطرس البستاني، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، مرجع سابق ذكره.

حجية القواعد الفقهية

د. عبدالرؤف شعبان حقوق

كلية التربية غريان

ملخص:

يعد علم القواعد الفقهية من أجلِّ العلوم الشرعية قدراً، باعتباره علماً جامعاً لشتات المسائل المتفرعة، ومحتوياً على أحكام الحوادث المتولدة مع تغير الأمكنة والأزمنة، واختلاف العوائد والأحوال، ولهذا شدة اهتمام بها، وهذا يعود لكونه أداة لضبط المسائل الفقهية، وجمع شتاتها، وبمثابة الميزان الذي يزن به الفقيه والقاضي المسائل التي تعرض عليهما، كما أنه بواسطته يمكن الوقوف على المسائل الفقهية الواقعة والمتوقعة، ويعطيها حكم القاعدة الكلية، ولهذا كان لزاماً البحث في حجية القواعد الفقهية ومعرفة مدى صحة الاستدلال بها، ومعرفة أقوال العلماء فيها وترجيح ما يمكن ترجيحه، وتوظيفها على المسائل الفقهية المتجددة.

Summary:

The science of jurisprudential rules is considered valuable for the sake of the Sharia sciences, as it is a science that brings together diverse, branching issues, and contains rulings on events that arise with the change of places and times, and the differences in customs and circumstances, and this is why there is so much interest in it, and this is due to it being a tool for controlling jurisprudential issues and bringing together their fragments. It is like a scale with which the jurist and the judge weigh the issues that are presented to them. It is also by means of it that one determines the actual and expected jurisprudential issues, and gives them the ruling of the general rule.

For this reason, it was necessary to research the validity of the jurisprudential rules and know the extent of the correctness of inferring them, and know the scholars' sayings regarding them and give preference to what is possible. Its preference, and its use on renewed jurisprudential issues.

تقديم:

تبقى الحاجة ماسة إلى البحث في حُجِيَّة القواعد الفقهية، لكنه رغم ذلك لم يَخْطْ باهتمام الباحثين في علم القواعد الفقهية، يقول محمد بن الحاج الهاشمي:

"ورغم أهمية هذه المسألة - حُجِيَّة القواعد الفقهية - وحساسيتها في موارد الشرع ومجاري الأحكام، فإنها مع الأسف لم تتلَّ ما تستحق من الاهتمام، ولم تُعْطَ من الدراسة والبحث ما يليق بدور القواعد ومكانتها في التشريع". (ابن الحاج الهاشمي، 1427هـ، 206)

ويقول يعقوب الباحثين في هذا الصدد⁽¹⁾ (الباحسين، 1998، 171)

"ومن المؤسف أن العلماء على كثرة ما ألفوا في القواعد الفقهية، لم يعطوا هذا الجانب حقه من الدراسة، بل إن غالبهم أهملوه، ولم يتحدثوا عنه، والكثيرون ممن أشاروا في مقدمات كتبهم إلى أهمية القواعد، كانت عباراتهم إنشائية وغير واضحة المعالم في الدليلية، وربما أفصح بعضها بشيء من ذلك، كقول السيوطي (ت: 911 هـ):

"اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم به يطلع على حقائق الفقه ومداركه، ومآخذه وأسراره، ويتمهر في فهمه واستحضاره، ويقندر على الإلحاق والتخريج ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على مر الزمان"⁽²⁾.

(السيوطي، 1424هـ، 51) مقدمة.

وبالجملة فإن الحديث عن حُجِيَّة القواعد الفقهية له جانب كبير من الأهمية، إذ يتعلق بأمر عظيم ألا وهو مصادر الأحكام وأدلتها، وهل تعتبر تلك القواعد أحد أدلة الأحكام فيستند إليها عند عدم وجود نص أو إجماع أو قياس في المسألة؟.

وهل الحكم الذي يستند إليه القاضي عن طريق القواعد ملزم أو مساعد فقط؟
أو بعبارة آخر هل يجوز أن تجعل القاعدة الفقهية - القضائية - دليلاً شرعياً يستنبط
منه حكم شرعي؟ أم أن تلك القواعد ليست بدليل يحتج به؟
الجواب عن هذا السؤال يستدعي من الباحث عرض أقوال العلماء في المسألة، ثم
ترجيح المذهب المختار وبسط الدليل الذي بني عليه
المنهج المعتمد في الدراسة:

وقد انتهجت في هذه الدراسة المنهج الوصفي الذي يعني بسرد المعلومة، ثم المنهج
التحليلي الذي يسبر أغوارها، ثم المقارن من خلال جرد أقوال العلماء في المسألة سواء من
يقول بحجية القواعد أو من ينفي عنها الحجية، ثم انتقلت بعد العرض والجرد والتحليل إلى
الترجيح بين الأقوال.

الإشكال العلمي:

انطلقت في هذه الدراسة من إشكال مهم وهو: ما الغاية من دراسة القواعد الفقهية؟ وهل
الأحكام المستنبطة من تلك القواعد ملزمة وحجة في بناء الأحكام؟
هذا التساؤل سوف أحاول الإجابة عنه في ثنايا هذا البحث.

خطة البحث:

هذا وقد جاءت خطة البحث كالآتي:

المبحث الأول: مذاهب العلماء في حُجِّية القاعدة:

المطلب الأول: مذهب المالكية ومن وافقهم في الاحتجاج بالقاعدة الفقهية.

المطلب الثاني: مذهب القائلين بعدم حُجِّية القاعدة الفقهية:

المبحث الثاني: المذهب المختار في الاحتجاج بالقاعدة الفقهية:

الخاتمة، وفيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

التوصيات

المبحث الأول - مذاهب العلماء في حُجِّية القاعدة:

اتفق فقهاء المالكية وغيرهم على أن القاعدة الفقهية التي مصدرها نص شرعي حجة؛

لأن الاحتجاج بها في الواقع من الاحتجاج بأصلها.

ولكن حدثت الخلاف بينهم في القاعدة الفقهية التي استنبطها الفقهاء من استقراءهم للفروع الفقهية، وذلك على رأيين:

المطلب الأول- مذهب المالكية ومن وافقهم في الاحتجاج بالقاعدة الفقهية.

نقلت مجموعة من الأقوال الصريحة وغير الصريحة عن مجموعة من العلماء القدامى والباحثين المعاصرين، تفيد أن القاعدة الفقهية حجة يستند إليها في تقرير الأحكام. ومن أوضح هذه الأقوال دلالة على حُجِّيَّة القاعدة قول القرافي المالكي (ت: 684 هـ) في فروقه:

"كل شيء أفتى به المجتهد فخرجت فتياه فيه على خلاف الإجماع أو القواعد أو النص الجلي السالم عن المعارض الراجح لا يجوز لمقلده أن ينقله للناس ولا يفتي به في دين الله تعالى، فإن هذا الحكم لو حكم به حاكم لنقضته". (القرافي، 1418هـ، 109/2) وقال في موضع آخر:

"إذا حكم على خلاف الإجماع ينقض قضاؤه أو خلاف النص السالم عن المعارض أو القياس الجلي السالم عن المعارض، أو قاعدة من القواعد السالمة عن المعارض"⁽³⁾. (القرافي، 1418هـ، 40/4)

يقول ابن الحاج الهاشمي معلقاً على كلام الإمام القرافي:

"وإذا عرفنا أن استقراء مؤلفات القرافي وعلى رأسها "الفروق"، وهو كتاب قواعد الفقه تقييداً واستدلالاً- قد أثبت قطعاً أنه لا يعني بالقواعد في هذا النص وأمثاله إلا القواعد الفقهية، عرفنا مدى ما فيه من اعتبار لِحُجِّيَّة القواعد الفقهية وصلاحيتها للاستدلال". (ابن الحاج الهاشمي، 1427هـ، 213، 214)

ومن الفقهاء المالكية الذين ينسب إليهم القول بحُجِّيَّة القاعدة الفقهية كذلك، ابن عرفة (ت: 803 هـ) صاحب المختصر الفقهي الشهير وصاحب الحدود، فقد نقل عنه الحطاب (ت: 954هـ) في شرح مواهب الجليل، أنه سئل عن جواز نسبة القول إلى المذهب استنباطاً من القاعدة الفقهية فأجاب:

"بأن من له معرفة بقواعد المذهب ومشهور أقواله والترجيح والقياس يجوز له ذلك، بعد بذل وسعه في تذكره قواعد المذهب، ومن لم يكن كذلك لا يجوز له ذلك".
(الخطاب، 1992، 1/ 38)

يقول أحمد بن حميد محقق كتاب قواعد المقرئ، معلقاً على جواب ابن عرفة: "وهذا يدل على أن ابن عرفة يرى صحة الحكم استناداً إلى القاعدة الفقهية، فإذا جاز نسبة القول إلى المذهب بناء على القاعدة جاز الحكم بها. (المقرئ، د.ن، 1/ 118)

إن قولي القرافي (ت: 684هـ) وابن عرفة (ت: 803هـ) صريحان في جواز الاستناد إلى القاعدة، وجعلها حكماً يستند إليه في الحكم على المسائل والحوادث الفقهية.
وقد ذكر ذلك - جواز الاحتجاج بالقاعدة الفقهية القضائية - ابن فرحون المالكي (799هـ) في تبصرة الحكام بقوله: "وقد نص العلماء على أن حكم الحاكم لا يستقر في أربع مواضع وينقض ذلك إذا وقع على خلاف الإجماع أو القواعد أو النص الجلي أو القياس" 4. (ابن فرحون، 1986، 1/ 62)

ومثل لمخالفة بعض الأحكام القواعد بقوله:

ومثال مخالفة القواعد: المسألة السريجية. متى حكم حاكم بتقرير النكاح في حق من قال: إن وقع عليك طلاق فأنت طالق قبله ثلاثاً، فطلقها ثلاثاً أو أقل، فالصحيح لزوم الطلاق الثلاث له، فإذا ماتت أو مات وحكم حاكم بالتوراث بينهما، نقضنا حكمه لأنه على خلاف القواعد، لأن من قواعد الشرع صحة اجتماع الشرط مع المشروط، لأن حكمته إنما تظهر فيه، فإذا كان الشرط لا يصح اجتماعه مع شروطه فلا يصح أن يكون في الشرع شرطاً، فذلك ينقض حكم الحاكم في المسألة السريجية وهي التي وقع التمثيل بها⁵. (ابن فرحون، 1986، 1/ 62)

هذا وقد نبه ابن فرحون إلى شرط نقض حكم الحاكم إذا خالف القواعد بقوله:

"قال القرافي (684هـ) في معنى قول العلماء: إن حكم الحاكم ينقض إذا خالف القواعد أو القياس أو النص، فالمراد: إن لم يكن لها معارض راجح عليها، أما إذا كان لها معارض، فلا ينقض الحكم إذا كان وفق معارضها إجماعاً، كالتضاء بصحة القراض والمساقاة والسلم

والحوالة ونحوها، فإنها على خلاف القواعد والنصوص والأقيسة، ولكن الأدلة خاصة مقدمة على القواعد والنصوص والأقيسة". (ابن فرحون، 1986، 62/1)

وما صرح به القرافي (ت: 684 هـ) وابن عرفة (ت: 803 هـ) ونص عليه ابن فرحون (799 هـ) ذهب إليه مجموعة من العلماء خارج المذهب منهم ابن نجيم الحنفي (ت: 970 هـ) في الأشباه، والزركشي الشافعي (ت: 794 هـ) في المنثور.

كما أن هناك نصوصاً أخرى نقلت عن مجموعة من الأعلام، تضمنت قولاً غير صريح يُجَوِّز الاستناد للقاعدة وجعلها دليلاً، يقول ابن الحاج الهاشمي:

"هناك في حُجِّية القواعد آراء أقل صراحة ولكنها لا تعدم دلالة ولو في تلميح أو إشارة إلى صلاحية هذه القواعد للاستدلال بها، واستنباط الأحكام منها". (ابن الحاج الهاشمي، 1427، 228)

ومن النصوص غير الصريحة المفيدة لجواز الاحتجاج بالقاعدة قول ابن السبكي الشافعي (ت: 771 هـ) في معرض حديثه عن أهمية القواعد الفقهية:

"حق على طالب التحقيق، ومن يتشوق إلى المقام الأعلى في التصور والتصديق، أن يحكم قواعد الأحكام، ليرجع إليها عند الغموض، وينهض بعبء الاجتهاد أتم نهوض، ثم يؤكد بالاستكثار من حفظ الفروع، لترسخ في الذهن ثمرة عليه بفوائد غير مقطوع فضلها ولا ممنوع". (السبكي، 1411، 10/1)

إن كلام ابن السبكي (ت: 771 هـ) وإن لم يكن صريحاً في القول بدليلية القاعدة وحجيتها، فإنه يلمح من خلال بيان أهميتها في الاستنباط والاجتهاد، وجعلها مرجعاً عند الغموض والالتباس.

يقول ابن الحاج الهاشمي معلقاً على كلام ابن السبكي:

"فالذي يظهر من هذا الكلام رغم كونه غير صريح ولا مباشر في حُجِّية القواعد، أنه لا ينفي تلك الحُجِّية في أدنى دلالاته، إن لم يكن في جعله إياها وسيلة لمعرفة الأحكام، وكونها وسيلة للاجتهاد، وتأكيد ضرورة ارتباط الفروع بها، ونفي العلم بالكلية عن عزل عنها، إن لم يكن في كل ذلك ما يؤكد هذه الحُجِّية، فلا أقل من أنه يدنو بها إلى هذا المستوى". (ابن الحاج الهاشمي، 1427 هـ، 237، 238)

ومن الأقوال غير الصريحة المفيدة لجواز الاحتجاج بالقاعدة كذلك، ما جاء عند السيوطي الشافعي (ت: 911 هـ) عند حديثه عن وظيفة القواعد الفقهية وأهميتها: "اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم به يطلع على حقائق الفقه ومداركه، ومآخذه وأسواره، ويتمهر في فهمه واستحضاره، ويقندر على الإلحاق والتخريج ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة، والحوادث والوقائع التي لا تتقضي على ممر الزمان". (السيوطي، 1424، 1/ 51)

فتصريح السيوطي بأن مهمة القواعد الفقهية، التعريف بأحكام المسائل النازلة والحوادث المشكلة، دليل على أن السيوطي يذهب مذهب القائلين بحجية القاعدة الفقهية.

المطلب الثاني: مذهب القائلين بعدم حجية القاعدة الفقهية:

في مقابل الفريق الأول من العلماء القائلين بحجية القاعدة الفقهية القضائية، ذهب ثلثة من العلماء إلى نفي حجيتها، وقالوا بأن القاعدة الفقهية لا تنهض دليلاً ولا حجة يُستند عليها في بناء الأحكام، كما لا يجوز للقاضي الحكم بما تضمنته تلك القواعد.

ومن أشهر مَنْ نُقِلَ عنه هذا المذهب ما ذكره أغلب الباحثين في علم القواعد الفقهية، من أن أول نص يفيد نفي الدليلية عن القاعدة قول أبي المعالي الجويني الشافعي (ت: 478 هـ) في كتابه (غياث الأمم):

"وأنا أضرب من قاعدة الشرع مَثَلَيْنِ يقضي الفطن العجب منهما، وغرضي بإيرادهما تنبيه القرائح لدرك المسلك الذي جهده في الزمن الخالي، ولست أقصد الاستدلال بهما، فإن الزمان إذا فرض خالياً عن التقاريع والتفاصيل، لم يستند أهل الزمان إلا إلى مقطوع به، فالذي أذكر من أساليب الكلام في تفاصيل الظنون". (الجويني، 1979، 360)

فمن تأمل هذا الكلام يتضح له جلياً أن الجويني يذهب إلى عدم ارتقاء القاعدة إلى مرتبة الحجية، وعلته في ذلك أنها من باب الظنون، والظن لا يرتقي عنده إلى الدليلية، بل الدليل عنده ما قطع به.

ومن النصوص الصريحة المؤكدة على عدم حجية القاعدة الفقهية ما جاء في تقرير المقالة الثانية من مقدمة مجلة الأحكام العدلية: "إن المقالة الثانية من المقدمة عبارة عن القواعد التي جمعها ابن نجيم (ت 970 هـ) ومن سلك مسلكه من الفقهاء رحمهم الله تعالى،

فحكام الشرع ما لم يقفوا على نقل صريح لا يحكمون بمجرد الاستناد إلى واحدة من هذه القواعد⁽⁶⁾. (الأفندي، دن 10/1)

إن تقرير واضع المجلة صريح في عدم جواز الاستناد إلى القواعد الفقهية عند الحكم. فما المذهب الراجح؟ وما الدليل على ترجيحه؟

المبحث الثاني - المذهب المختار في الاحتجاج بالقاعدة الفقهية:

بعد تأمل نصوص القائلين بحجية القواعد، والنافين لحجيتها، تبين أن المذهب الراجح هو المذهب القائل بحجية القاعدة وحاكمتها، وهو مذهب المالكية ومن وافقهم من الشافعية والأحناف، وقد بنينا هذا الترجيح على ما يأتي:

أولاً - إذا كان الغرض من صياغة القواعد هو احتواء الفروع التي تتفق في حكم واحد، فما المانع في أن تكون القاعدة الجامعة لتلك الفروع حجةً وحكماً ومستنداً يرجع إليه في الحكم على تلك الفروع، فالذي يجمع تلك الفروع صورة واحدة وعلّة واحدة أدّى إلى حكمٍ واحدٍ هو الذي تضمنته القاعدة.

ثانياً - أن جواز الاحتجاج بالقاعدة التي أصلها نص شرعي، كقاعدة: "البينة على المدعي واليمين على من أنكر"، لا ينبغي أن يقتصر على القواعد التي صرح بدليلها صراحة، بل هناك قواعد يظهر منها أنها قواعد اجتهادية، لكن عند إمعان النظر في مباحثها، يجد لها الباحث أصلاً ومستنداً من الشرع.

ثالثاً - إن اتفاق العلماء على جواز الاحتجاج بدليل القياس والعرف والمصلحة، يوجب جواز الاستدلال بالقواعد المبنية على العرف والقياس والمصلحة الشرعية؛ لأن جواز الاحتجاج بالقياس وغيره من الأدلة العقلية، يوجب الاحتجاج بالقواعد التي بنيت عليه.

رابعاً - أنه إذا لم تنهض القاعدة دليلاً، فما الحاجة إلى دراستها والبحث فيها؟ وما الحاجة إلى الرجوع إلى تلك المؤلفات الغزيرة التي ألفها العلماء في علم القواعد بأنواعها؟ هل ألفوها من باب الترف الفكري؟ أو لقلّة شغلهم فاشتغلوا بعلم القواعد؟

كلا بل كثرة هذه المؤلفات في علم القواعد الفقهية، توحى بأن العلماء أدركوا أهميتها في احتواء النوازل والحكم عليها، فبادروا إلى التأليف فيها تنظييراً وتطبيقاً. **خامساً-** إنَّ من شروط ولاية القضاء أن يكون القاضي مُلمّاً بقواعد الفقه والأصول، فلو لم تكن تلك القواعد دليلاً ما اشترط العلماء توافرها في القاضي.

الخاتمة:

بعد عرض أغلب الأقوال الخاصة بحجية القواعد الفقهية إثباتاً ونفيًا، خلص الباحث إلى النتائج التالية:

1. جواز الاحتجاج بالقاعدة التي أصلها نص شرعي، كقاعدة: "البينة على المدعي واليمين على من أنكر" و " لا ضرر ولا ضرار" وجرح العجماء جبار".....
2. هناك قواعد يظهر منها أنها قواعد اجتهادية، لكن عند تعميق النظر في مباحثها، يجد لها الباحث أصلاً ومستنداً من الشرع وهذه كذلك يجوز الاستناد عليها في بناء الأحكام والتفريع.
3. إن اتفاق العلماء على جواز الاحتجاج بدليل القياس والعرف والمصلحة، يوجب جواز الاستدلال بالقواعد المبنية على العرف والقياس والمصلحة الشرعية؛ لأن جواز الاحتجاج بالقياس وغيره من الأدلة العقلية، يوجب الاحتجاج بالقواعد التي بنيت عليه.
4. إن المؤلفات الغزيرة التي ألفها العلماء في علم القواعد بأنواعها، دليل قاطع على مكانة القواعد الفقهية في بناء الأحكام وصيانة الفقه من انحراف المبطلين والغلاة.
5. إنَّ اشتراط العلماء على القاضي أن يكون مُلمّاً بقواعد الفقه والأصول، بني على كون قواعد الفقه أصل من أصول التشريع الفقهي القضائي، خاصة وأنها تجمع ما يتعذر حفظه وضبطه من النوازل والفروع اللامتناهية.

التوصيات:

- ضرورة زيادة الاهتمام بدراسة القواعد الفقهية، لأن ذلك يبرز مكانة الفقه الإسلامي وقدرته على مواكبة المستجدات والنوازل عامة، والنوازل القضائية خاصة.

- اقترح أن تنصب جهود الباحثين في مجال التقييد، في جمع القواعد الفقهية وجردها من أمهات كتب الفقه والأحكام والقضاء والتوثيق، بقصد إنشاء موسوعة فقهية وقضائية، تصيح مرجعا ومعتمدا للقضاة والموثقين والموكليين.
- ينبغي على الجامعات المختصة في الشريعة الإسلامية والدراسات الإسلامية، أن تنشئ مسالك خاصة بدراسة القواعد الفقهية، مع التركيز على الدراسات التطبيقية، قصد إيجاد الجواب الشرعي لكثير من النوازل والمشكلات المعاصرة.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون برهان الدين اليعمري ، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى 1406 هـ - 1986م.
2. أبي المعالي الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: مصطفى حلمي، وفؤاد عبدالمنعم، دار الدعوة الاسكندرية بدون طبعة، 1979م.
3. أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري، القواعد، تحقيق الدكتور أحمد بن عبد الله بن حميد، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، دون رقم الطبعة وتاريخها.
4. أحمد آل سعد الغامدي، القواعد الفقهية عند الامام ابن حزم من خلال كتابه المحلى من كتاب الطهارة إلى نهاية كتاب الجهاد، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة النشر 1427 هـ.
5. أحمد المنجور، شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، تحقيق محمد الشيخ محمد الأمين، دار عبد الله الشنقيطي للطباعة والنشر والتوزيع، دون رقم الطبعة وتاريخها.
6. أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي، إعداد المهج للاستفادة من المنهج في قواعد الفقه المالكي، تحقيق الأستاذ إبراهيم عبد الله الأنصاري، منشورات إدارة إحياء التراث الاسلامي بدولة قطر، سنة النشر 1403 هـ.
7. أحمد بن يحيى الونشريسي، إيضاح المسالك إلى قواعد الامام أبي عبد الله مالك، تحقيق الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، الطبعة الأولى سنة 1427 هـ.

8. تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي، الأشباه والنظائر، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة 1411 هـ.
9. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، تحقيق الأستاذ محمد محمد تامر، و الأستاذ حافظ عاشور حافظ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة 1424 هـ.
10. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب الرعيني المالكي، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر للطباعة الثالثة 1412 هـ - 1992 م.
11. شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي، ومعه إدرار الشروق على أنواع الفروق، للإمام أبي القاسم بن الشاط، وبهامشي الكتابين تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، للشيخ محمد علي بن حسين المكي المالكي، تحقيق خليل المنصف، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة 1418 هـ.
12. شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي، أنواع البروق في أنواع الفروق، دراسة وتحقيق الدكتور: محمد أحمد سراج، والدكتور: علي جمعة محمد، دار السلام، الطبعة الأولى 1421 هـ.
13. عبد المجيد جمعة الجزائري، القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين للعلامة ابن القيم الجوزية، دار ابن القيم، ودار ابن عفان، دون سنة الطبع ورقم الطبعة.
14. علي أحمد الندوي، القواعد الفقهية، دار القلم، الطبعة الثانية 1416 هـ - 1991 م.
15. علي حيدر، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، ترجمة وتعريب الأستاذ: فهمي الحسيني، نشر مكتبة النهضة، توزيع دار العلم للملايين، بيروت لبنان.
16. علي حيدر، درر الحكام، طبع دار الكتب العلمية ببيروت. بدون تاريخ ولا رقم الطبعة.
17. محمد بكر اسماعيل، القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجه، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1997 م.

18. محمد بن عبد الله بن الحاج التمبكتي الهاشمي، القواعد والضوابط الفقهية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في الأيمان والنذور، المكتبة المكية، الطبعة الأولى سنة 1427 هـ.
19. محمد عثمان شبير، القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية، دار النفائس للنشر والتوزيع بالأردن، الطبعة الثانية سنة 1428 هـ.
20. مصطفى السبيطري، القواعد والضوابط الفقهية من خلال تبصرة الحكام لابن فرحون، دراسة في (التقعيد والتوظيف)، دار الكلمة للنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة 2015م.
21. ناصر بن عبد الله الميمان، القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في كتابي الطهارة والصلاة، إصدار مركز بحوث الدراسات الإسلامية التابع لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الثانية سنة 1426 هـ.
22. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، القواعد الفقهية للدكتور مكتبة الرشيد بالرياض، وشركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1998م.

كتاب اللمع في العربية _ ابن جني _ دراسة في المنهج

أ.سعاد أحمد محمد صالح
كلية الهندسة جادو جامعة نالوت

الخلاصة:

الهدف من الدراسة هو بيان أهمية كتاب اللمع في العربية للشيخ أبي الفتح عثمان بن جني (392 هـ) الذي يُعدُّ كتاباً تعليمياً؛ يهدف إلى تيسير القواعد اللغوية وتوضيحها بأسلوب سلس، ويتسم بالاختصار والشمول، والذي كان موضع اهتمام النحويين الذين أقبلوا عليه بالشرح والتفسير.

ويُعدُّ البحث في العلوم اللغوية ومحاولة إتقان قواعدها أمراً شاقاً لكثير من المتعلمين؛ الأمر الذي جعل النحاة يذهبون إلى تيسير هذه العلوم وشرح قواعدها بأساليب مبسطة، وهذا ما دفعني إلى دراسة منهجية هذا الكتاب؛ الذي يُعدُّ من أشهر الكتب التعليمية في التيسير والتوضيح لهذه القواعد الغامضة، فجاءت هذه الدراسة تبيين منهجيته السلسلة التي اتبعها ابن جني.

ويتكون هذا البحث من مقدمة ذكرت فيها: أسباب الدراسة، وأهدافها، ومنهج البحث، ومشكلته، وحدوده، وهيكله، ثم ترجمة للمؤلف وذكر لشيوعه وتلاميذه وأشهر مؤلفاته، وشرح كتاب اللمع ومنهجه، وشواهد القرآنية والشعرية واللغوية، ثم خاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج. الكلمات الدالة المفتاحية: اللمع، العربية، ابن جني، دراسة، المنهج.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمدك اللهم حمداً كثيراً، ونستعين بك، ونشكرك على جميل فضلك، ونصلي ونسلم على رسولك الصادق الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد: لقد ترك لنا أسلافنا من أهل العربية إرثاً ضخماً، جديراً بالإجلال، يفخر به كل باحث وتتعاقب الأجيال على دراسته، حيث قدموا لنا كتباً قيّمة تخدم اللغة، وتكشف أسرارها، ومن هذه الكتب القيّمة كتاب (اللمع في العربية) لابن جني، الذي نافس كتاب جمل الزجاجي

وكتاب الإيضاح في التيسير والتوضيح، وأقبل العلماء على شرحه وتفسيره وتوضيحه .
يُعدُّ (ابن جني) من العلماء الذين حظوا من بين علماء عصرهم بشهرة واسعة؛ وذلك لأفضاله الكبيرة على العربية، التي تكمن في تثبيت قواعدها، والحرص على نشرها بين المتعلمين، فهو يُعدُّ من العلماء الكبار الذين تزخر المكتبات العربية بمؤلفاتهم، التي يُشهد لها بين دارسي اللغة، حيث تناول فيه جميع أبواب النحو والصرف، والأصوات والحروف، في ترتيب منظم، وأسلوب مبسط، مع تحليل للمسائل النحوية، وشرح ألبازها .
ولقد بلغ مكانة عالية بشهادة المتقدمين والمتأخرين على حد سواء، ومن أشهر مؤلفاته كتاب (اللمع في العربية)، الذي يُعدُّ موسوعة علمية للمتعلمين، فهو يتسم بالاختصار والوضوح والشمول، والارتباط بالعربية، ودقة مصطلحاته .

وفي هذه الدراسة المتواضعة سأحاول أن أقف على المنهج الذي اعتمده ابن جني في كتابه (اللمع في العربية)، والأسلوب الذي اتبعه في التأليف، مستشهدة ببعض المسائل التي تخدم البحث، فإن أصبْتُ فهو ما أصبو إليه وأتمناه، وإن لم أحقق الهدف المرجو فإن الكمال لله وحده رب العالمين.

أسباب الدراسة:

1_ الوقوف على تراث أسلافنا الضخم الذي لازلنا نجهل الكثير منه .
2_ أهمية كتاب اللمع في العربية التي تكمن في كونه كتاباً تعليمياً، ينافس كتاب الجمل للزجاجي، وكتاب أستاذه أبي علي الفارسي؛ حيث حظي بإقبال المتعلمين عليه وكثرة شروحه.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن المنهج الذي سلكه ابن جني في كتابه (اللمع في العربية) والوقوف على ما دونه فيه من بعض الشواهد القرآنية والنحوية واللغوية.

منهج البحث:

منهج الدراسة هو المنهج الوصفي؛ فهو يصف المنهج والأسلوب المتبع في كتاب اللمع

مشكلة البحث:

إن البحث في العلوم اللغوية ومحاولة إتقان قواعدها نطقاً وكتابةً يعد أمراً شاقاً لكثير

من المتعلمين؛ الأمر الذي جعل العديد من النحاة يسعون إلى تيسير هذه العلوم وتبسيط قواعدها بأساليب سهلة تساعدهم على التعلم، وهذا هو السبب الذي دفعني إلى دراسة منهجية كتاب اللمع في العربية لابن جني الذي يُعدُّ من أشهر الكتب التعليمية في التيسير والتوضيح لهذه القواعد الغامضة .

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة على قراءة المنهج الذي اتبعه ابن جني في كتاب اللمع، والأسلوب الذي سلكه فيه .

ترجمة المؤلف:

هو أبو الفتح عثمان بن جني النحوي الأزدي، كان أبوه رومياً وهو مملوك لسليمان بن فهد الأزدي ويعد من أعيان الموصل ولد سنة 334 هـ (الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، 1405، ص 224).

وهو من كبار علماء المذهب البصري، ولد في الموصل، وتلقى تعليمه فيها، ولازم أبا علي الفارسي أربعين عاماً، فنهل منه وأخذ عنه، ولما تُوفِّي أبو علي تصدر مجلسه ابن جني فأخذ عنه أبو الحسن السمسري والثمانيني، كما أخذ أيضاً عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش، وأبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم، وروى عن أبي العباس المبرد، وعن صاحب كتاب الأغاني أبي الفرج الأصفهاني وعن أبي حاتم السجستاني، وكان نحوياً بارعاً، واسع المعرفة في اللغة، لا تستعصي عليه علل النحو العربي (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1421، 1 / 7، و الحموي ياقوت، معجم الأدباء، 1414، 4 / 1586).

شيوخه:

ذكر ابن جني في كتبه رجالاً كثيرين درس على أيديهم أشهرهم :

- 1_ أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي الفسوي .
- 2_ أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم .
- 3_ علي بن الحسين بن الهيثم القرشي المعروف بـ(أبو الفرج الأصفهاني) .
- 4_ أحمد بن محمد أبو العباس الموصلي النحوي، المشهور بالأخفش .

تلاميذه: من أشهر من تتلمذ على ابن جني:

- 1_ أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الشاعر المشهور بالشريف الرضي .
- 2_ أبو القاسم عمر بن ثابت النحوي الضرير المعروف بالثمانيني .
- 3_ أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد البصري .
- 4_ أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السسمي اللغوي .
- 5_ أبو الفتوح الجرجاني الأندلسي النحوي .

أشهر مؤلفاته:

صنف ابن جني مؤلفات كثيرة فهو رجل يمتاز بعمق الثقافة وسعة الاطلاع وغزارة المعرفة ولقد جاءت كتبه متنوعة في موضوعاتها منها ما يختص بالقواعد واللغة، ومنها ما يختص بالشعر والشعراء ومنها ما يتعلق بالقراءات (السامرائي فاضل، ابن جني النحوي 1389، ص 27) .

كما شرح ديوان المتنبي، ثم قرأه على صاحبه الذي قال: "ابن جني أعرف بشعري مني" (الزركلي خير الدين، الأعلام، 2002، 204/4) .

ومن أشهر هذه الكتب:

- 1_ الخصائص في النحو .
- 2_ سر الصناعة وشرحه .
- 3_ الكافي في شرح القوافي للأخفش .
- 4_ اللمع في النحو .
- 5_ محاسن العربية .
- 6_ مختار تذكرة أبي علي الفارسي .
- 7_ المنصف في شرح التصريف للمازني .
- 8_ في اشتقاق أسماء الحماسة .
- 9_ المقتضب من كلام العرب .
- 10_ المحتسب في شواذ القراءات .

شروح كتاب (اللمع في العربية):

كتاب (اللمع في العربية) يحتوي على قيمة علمية عالية وكنوز ثمينة، في المجال النحوي والصرفي تناوله المؤلفون بشروح متنوعة لتوضيحه، وصلت إلى أكثر من عشرين شرحًا ومن أشهر هذه الشروح :

- 1_ شرح أبي القاسم عمر بن ثابت الثمانيني النحوي الضريير المتوفى سنة 442 هـ، (السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 2/217).
- 2_ شرح أبي نصر الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي المتوفى سنة (482 هـ).
- 3_ شرح أبي بكر الحسن بن علي بن عبد العزيز الطائي .
- 4_ شرح أبي نصر القاسم بن محمد بن مناذر الواسطي النحوي الضريير .
- 5_ شرح أبي القاسم ناصر بن أحمد النحوي المتوفى سنة (507 هـ)
- 6_ شرح أبي البركات عمر بن إبراهيم العلوي الزيدي الكوفي المتوفى (593 هـ)
- 7_ شرح أبي السعادات المعروف بابن الشجري البغدادي المتوفى سنة (542 هـ).
- 8_ شرح أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد الحلي المعروف بابن حميدة .

وفاته:

توفي - رحمه الله - ببغداد سنة "392 هـ"، (الحموي ياقوت، معجم الأدياء، 1414، 1589/4).

منهجه في كتاب اللمع:

يعد كتاب (اللمع في العربية) من الكتب التعليمية التي امتازت بوضوح العبارة، اعتمد فيه ابن جني على التيسير لقواعد النحو، وذلك من خلال عرضه لمادة الكتاب التي تتسم بالسهولة والتيسير، حيث نجده ينوع في عرضه للأراء في المسائل النحوية والصرفية المختلفة ويذكر الوجوه الإعرابية للمسائل بأسلوب مبسط لغرض تعليمي .

وقد سار ابن جني على نهج النحاة القدامى في عرضه لمادة كتابه، الذي يخلو من المقدمة حيث دخل مباشرة في عرضه للمواضيع التي تتنوع بين القواعد النحوية والصرفية، ولقد قسمه قسمين :

_الجزء الأول: تضمن أهم الأبواب النحوية، التي قسمها إلى ثلاثة عشر باباً: ابتدأها بأقسام الكلام والمعرب والمبني، والمرفوعات، والمنصوبات، والمجرورات، والتوابع، والنكرة والمعرفة،

والنداء، وإعراب الأفعال، والتعجب والمدح والذم، وعسى وكم، والممنوع من الصرف، والعدد. ولقد قام بتقسيم كل باب من الأبواب السابقة إلى أبواب أخرى ترتبط بالباب الرئيس. _الجزء الثاني: تضمن الأبواب الصرفية والقضايا اللغوية ولقد قسمه إلى تسعة أبواب : باب الجمع، باب القسم، باب الموصول والصلة، باب النونين، باب النسب، باب التصغير، باب ألفات القطع وألفات الوصل، باب الاستفهام، باب ما يدخل على الكلام فلا يغيره . ولقد نال النحو القسم الأكبر من العناية في بداية كتابه، بينما جاءت أبواب الصرف في نهاية الكتاب على نهج النحاة، إلا أنها جاءت متداخلة مع بعض الأبواب النحوية، يقول ابن جني: " لا نجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره " (ابن جني، المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، 1373، 4 / 354) .

ويوضح ابن جني السبب في ذلك بقوله: " فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتقلبة، ألا ترى أنك إذا قلت... وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتقلبة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصاً صعباً بدئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد ليكون الارتياض في النحو موطئاً للدخول فيه ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيه " (ابن الخباز، توجيه اللع، 1428، ص 12، و ابن جني، المصنف، 1373، 5/1) .

شواهد:

جاءت شواهد كتاب (اللع) متنوعة، قرآنية وشعرية

أولاً _ الشواهد القرآنية:

استشهد ابن جني في كتاب اللع ب(اثنتين وأربعين آية)، لم يسندها إلى سورها، بل اكتفى بنسبتها إلى الله تعالى وهذا أسلوب أغلبية القدامى، ولقد جاءت أساليبه متنوعة في خمس صيغ هي :

1_ (قال الله تعالى)، ومن ذلك استشهاده بالآية مائتين وسبع وثلاثين من سورة البقرة : ﴿إلا أن يعفون﴾، (ابن جني، اللع في العربية، ص 125) .

2_ (قال الله عز وجل)، ومن ذلك استشهاده بالآية التاسعة عشرة في سورة البقرة : ﴿يجعلون

- أصابهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ﴿﴾، (ابن جنبي، اللمع في العربية، ص 58) .
- 3_ (قوله سبحانه)، ومن ذلك استشهاده بالآية السابعة والتسعين من سورة آل عمران : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، (ابن جنبي، اللمع في العربية، ص 89) .
- 4_ (قال الله سبحانه)، ومن ذلك قوله في الآية الأولى من سورة الحج : ﴿إِنْ زَلَزَلَتْ السَّاعَةُ شَيْئًا عَظِيمًا﴾، (ابن جنبي، اللمع في العربية، ص 98) .
- 5_ (قول الله تَعَالَى)، ومن ذلك قوله في الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأنفال : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، (ابن جنبي، اللمع في العربية، ص 131) .
- وهو يعد من الذين يقتصرون في الآية على موضع الشاهد فقط، فلا يذكرها كاملة، إذ يقول : " بجواز الاحتجاج بمتواتر القرآن وشأده"، (ابن الخباز، توجيه اللمع، 1428، ص12) .

ثانياً_ الشواهد الشعرية:

- أما الشواهد الشعرية التي استشهد بها فلقد بلغت (اثنتين وثمانين) شاهداً، بعضها منسوب وبعضها لم ينسب، فمن الأبيات المنسوبة قوله:
- _ قال القطامي:
- قفي قبل التفرق يا ضباعا ولا يك موقف منك الوداعا .
(ابن جنبي، اللمع في العربية، ص 37) .
- _ وقال حاتم الطائي:
- وأغفر عوراء الكريم أدخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكزماً .
(ابن جنبي، اللمع في العربية، ص 59) .
- _ وقال النابغة:
- وقفت فيها أصيلاً أسائلها أعيت جواباً وما بالريع من أحد
إلا أوري لأيا ما أبينها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد .
(ابن جنبي، اللمع في العربية، ص 67) .
- أما الأبيات التي لم ينسبها فجاءت على خمس صيغ هي :
- 1 قوله: " قال الشاعر":

- يا ناق سيرى عنقاً فسيحا
إلى سُلَيْمَانَ فنستريحا
(ابن جنى، اللمع في العربية، ص 128) .
2_ وقوله: " قال الراجز":
- أنتك عير تحمل الأراكا
إلَيْكَ حَنَّى بلغت إياكا
(ابن جنى، اللمع في العربية، ص 103) .
3_ و قوله: " قال الآخر":
- أزِيدَ أَخَا وَرَقَاءِ إِنْ كُنْتَ ثَائِرًا
فقد عرضت أحناء حق فخاصم
(ابن جنى، اللمع في العربية، ص 108) .
4_ وقوله: " على أنهم قد أنشدوه":
- فاليوم قريت تهجوننا وتشتمنا
فأذهبُ فَمَا بكِ وَالْأَيَّامِ من عجب .
(ابن جنى، اللمع في العربية، ص 67) .
5_ وقوله: " كما قال":
- وَالشعر لَا يسطيعه من يظلمه
إذا ارتقى فِيهِ الَّذِي لَا يُعلمهُ
زلت بِهِ إِلَى الحضيض قدمه
يُرِيدُ أَنْ يعرِبَهُ فيعجمه
(ابن جنى، اللمع في العربية، ص 195/194) .
1_ قال الأعشى:
وَلَا تعبد الشَّيْطَانَ وَالله فاعبدا ...
(ابن جنى، اللمع في العربية، ص 198) .
2_ قال العجاج:
يَا حكم الوارثَ عَن عبد الملك ...
(ابن جنى، اللمع في العربية، ص 109) .
3_ قال الراجز:
فَهَيَّ ترثى بأبا وبناما ...
(ابن جنى، اللمع في العربية، ص 112) .

ولقد جاءت جل أبياته من بحر الطويل حيث بلغ عددها خمسة وعشرون بيتاً، يليه بحر البسيط الذي بلغت أبياته حوالي تسعة عشر بيتاً، ثم الرجز الذي بلغت أبياته حوالي ثلاثة عشر بيتاً، ثم الوافر حيث بلغت أبياته اثني عشر بيتاً، يليه الكامل الذي جاءت منه عشرة أبيات، وأخيراً السريع والخفيف والمنسرح الذي جاء من كل منهم بيتاً واحداً.

كما جاء بأحد الشواهد مركباً من شطري بيتين، وهو قوله:

حاشا أبي ثوبان إن به ضنا على الملحاة والشتم .

(ابن جني، اللمع في العربية، ص 70) .

ولقد تنبه ابن الخباز لهذا الخطأ فقال : " والبيت الذي أنشده أبو الفتح _ رحمه الله _ أنشده المفضل، وقد حرفه فجعل صدر غيره له، والصواب ما أذكره لك " فقال :

حاشا أبي ثوبان أن أبا عمرو بن عبد الله أن به
ثوبان ليس بزمل قدم ضناً على الملحاة والشتم

(ابن جني، اللمع في العربية، ص 13) .

ثالثاً_ الشواهد اللغوية:

تحدث ابن جني في كتاب اللمع أيضاً عن لغات العرب فقال :

"والبناء أُرْبَعَةٌ أَضْرِبُ ضَمَّ وَفَتْحٌ وَكَسْرٌ وَوَقْفٌ:

فالضم يكون في الإسم نَحْوَ حَيْثُ وَمَنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ وَفِي الْحَرْفِ فِي مُنْذُ فِي لُغَةٍ مِنْ

جر بها، ولا ضم في الفعل... " (ابن جني، اللمع في العربية، ص 10) .

وذكر لغة الحجاز في موضع واحد في باب ما الحجازية وهو قوله : " وتشبه ما ب لَيْسَ

فِي لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ فَيَقُولُونَ مَا زَيْدٌ قَائِماً وَمَا عَمْرُو جَالِيساً وَأَمَا بَنُو تَمِيمٍ فَيَجْرُونَهَا مَجْرَى

هَلْ "، (ابن جني، اللمع في العربية، ص 39) .

أما لغة تميم فنكرها في موضعين هما :

1_ قوله في باب ما الحجازية : " وتشبه ما ب لَيْسَ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ فَيَقُولُونَ مَا زَيْدٌ قَائِماً

وَمَا عَمْرُو جَالِيساً وَأَمَا بَنُو تَمِيمٍ فَيَجْرُونَهَا مَجْرَى هَلْ "، (ابن جني، اللمع في العربية، ص

39) .

2_ قوله في باب الاستثناء : " وَقَدْ يَجُوزُ الْبَدَلُ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الثَّانِي مِنْ جِنْسِ الْأَوَّلِ فَتَقُولُ مَا

بِالذَّارِ أَحَدٍ إِلَّا وَتَدَّ وَذَلِكَ فِي لُغَةِ بَنِي تَمِيمٍ وَيُنشِدُونَ قَوْلَ النَّابِغَةِ إِلَّا أَوَارِي بِالرُّفْعِ" ، (ابن جني، اللمع في العربية، ص 67) .

كما تحدث في باب الترخيم عن لغة من ينتظر، ولغة من لا ينتظر، فقال في لغة من ينتظر:

_ "الأول مِنْهُمَا نَحْوُ قَوْلِكَ فِي حَارِثٍ يَا حَارِثُ وَفِي مَالِكٍ يَا مَالٍ وَفِي جَعْفَرٍ يَا جَعْفَرُ وَفِي بَرِثَنٍ يَا بَرِثَنُ وَفِي قَمَطَرٍ يَا قَمَطُ" ، (ابن جني، اللمع في العربية، ص 114) .

_ وقال في لغة من لا ينتظر : " الثَّانِي نَحْوُ قَوْلِكَ فِي حَارِثٍ يَا حَارُ وَفِي جَعْفَرٍ يَا جَعْفُ وَفِي أَحْمَدٍ يَا أَحْمُ" ، (ابن جني، اللمع في العربية، ص 115) .

الخاتمة:

بفضل الله وتوفيق ومنه توصلت الدراسة إلى بعض النتائج أوجزها في الآتي:

1_ اتبع ابن جني في كتابه (اللمع) الأسلوب التعليمي الذي يتسم بطابع الإيجاز والاختصار وهذا الأسلوب لم يتبعه في كتبه السابقة .

2_ تصدّر الشاهد الشعري لديه في المرتبة الأولى إذ بلغ عدد الأبيات التي استشهد بها اثنين وثمانين بيتاً، بعضها منسوب وبعضها الآخر غير منسوب، وبعضها كاملة وبعضها الآخر اكتفى منها بعرض الشطر فقط .

3_ جاءت الشواهد القرآنية في المرتبة الثانية من حيث الاستشهاد في كتاب اللمع، إذ بلغ عدد الآيات التي استشهد بها حوالي اثنين وأربعين آية غير مسندة لسورها .

4_ لم يستشهد بالأمثال في دعم آرائه .

5_ أغلب الأبيات التي استشهد بها جاءت من بحر الطويل، وأقلها من السريع والخفيف والمنسرح .

وحسبي أن هذا جهدي فلقد بذلت فيه ما بوسعي لإتمامه، فإن وفقك فذلك فضلٌ من الله وإن بدا فيه شيء من التقصير فإن ذلك لضيق الوقت، وأتمنى من أستاذتي الفاضلة أن تغفر لي زلاته وقصوره .

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم .

- 1_ ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط3، 1405 هـ .
- 2- ابن جني، اللع في العربية، تحقيق فايز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- 3_ ابن جني، المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، دار احياء التراث القديم، ط1، 1373 هـ .
- 4_ ابن الخباز، توجيه اللع، تحقيق فايز زكي، دار السلام للطباعة، مصر، ط2، 1428
- 5_ أبو الفتح ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421.
- 6_ خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، مايو 2002 م .
- 7_ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، لبنان.
- 8_ فاضل السامرائي، ابن جني النحوي ، دار النذير للطباعة والنشر، بغداد، 1389 هـ .
- 9_ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414 هـ .

الأحكام الفقهية المستنبطة من إرداف النبي صلى الله عليه وسلم على الدابة

د. ميلود بلعيد أحمد مقام

كلية التربية مزدة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وعلى أتباعه الصادقين إلى يوم الدين، وبعد:

فإن المتقرر عند الأصوليين والفقهاء أن كل حديث جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم يتضمن أحكاما فقهية يجب النظر فيها واستنباطها وفق القواعد الشرعية والضوابط الأصولية، ويكون هذا بعد التحقق من صحة تلك الأحاديث، وهذا هو المنهج الصحيح الذي سار عليه المحدثون والمحققون قديما وحديثا، وقصر فيه بعض الفقهاء.

وفي هذا المنهج إذا ثبت صحة الحديث يلزم النظر في أحكامه، وقد نجد الحديث الواحد يتضمن عدة أحكام وهذا يتوقف على قوة استنباط الفقيه، كما حصل لابن القاص في حديث النبي صلى الله عليه وسلم (يا عمير ماذا فعل النغير). (أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب انبساط إلى الناس، رح 5778).

فقال: إن تأملت هذا الحديث فقد استخرجت منه وما فيه من وجوه الفقه، والسنة، وفنون الفائدة والحكمة، فوصلت فوائده ستين فائدة. (ابن القاص، ص13).

وهذا يدل على قوة فهمه واجتهاده في استنباط الأحكام الفقهية، ومن خلال هذا البحث حاولت جاهدا أن أجمع الأحكام الفقهية المستنبطة من إرداف النبي صلى الله عليه وسلم ومن خلفه على الدابة، وما ترتب على ذلك من أحكام فقهية، وما كان منه صلى الله عليه وسلم من تواضعه.

وقد قسمت هذا البحث إلى عدة مسائل فقهية تناولت فيها ما يتعلق ببعض المسائل التي جاءت عنه صلى الله عليه وسلم، فما وجدت إلا أربع مسائل: المسألة الأولى: الأحكام المستنبطة في كتاب الطهارة، وفيه حديثان، والمسألة الثانية: في كتاب الصلاة وفيه حديث واحد، والمسألة الثالثة: الأحكام المستنبطة في كتاب الحج وفيه ثلاثة أحاديث، والمسألة الرابعة: الأحكام المستنبطة في أبواب مختلفة، وفيه ثلاثة أحاديث، ثم نبئت ذلك بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على الأحكام الفقهية المستنبطة من الأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في إرداف من خلفه على الدابة، وبين تواضعه صلى الله عليه وسلم وتواضع أصحابه رضي الله عنهم، وكذلك ما أخذوا منه من أحكام فقهية، فجاءت على هذا أربع مسائل: المسألة الأولى: في كتاب الطهارة ويحتوي على حديثين في بيان وضوئه صلى الله عليه وسلم وحرصه على الصلاة، وجاء الحديث الثاني في بيان تطهير المكان الذي أصابه الحيض، والمسألة الثانية: كانت في الأحكام المستنبطة من حديث الصلاة وبيان المكان الذي تجوز فيه الصلاة، والمسألة الثالثة: في كتاب الحج وفيه ثلاثة أحاديث: الحديث الأول في أركان الحج وأن الحج عرفة وما يتعلق به من أحكام، والثاني جاء في بيان المبيت بالمزدلفة ورمي الجمرات، والحديث الثالث يتحدث عن قضاء الحج، والحج على من لا يقدر ولا يستطيع الحج من ناحية بدنية، وذكرت في المسألة الرابعة الأحكام في الأحاديث المتنوعة، كما اقتصرنا فيه على ذكر الأحكام الفقهية دون الأحكام العقائدية مراعاة لعنوان البحث .

المسألة الأولى - الأحكام المستنبطة من أحاديث الطهارة:

الحديث الأول: عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفات فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب الأيسر الذي دون المزدلفة أناخ فبال، ثم جاء فصببت عليه الوضوء فتوضأ وضوءاً خفيفاً، فقلت الصلاة يا رسول الله؟ قال: (الصلاة أمامك). فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى ثم

ردف الفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع . (أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب النزول من عرفة وجمع، رح 1586).

يفهم من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وضوءاً خفيفاً، أي: لم يسرف في صب الماء، وهذا فيه بيان أن الماء كان عندهم قليل وهم بحاجة إليه، فعلى المسلم إذا كان في سفر أو غيره أن يتوضأ وضوءاً خفيفاً، أي: مرة واحدة لكل عضو، وهذا الذي يفهم من قوله: " وضوءاً خفيفاً "، قال الشيخ العباد: يحتمل أن يكون وضوءاً لغوياً وهو كونه غسل يديه، ويحتمل أن يكون وضوءاً شرعياً الذي هو غسل أعضاء الوضوء، ولكن ليس فيه تكرار وليس فيه إسباغ، لكن الصحيح أنه وضوء شرعي؛ لأنه مرتبط بالصلاة.

وفهم منه كذلك تأخير صلاة المغرب إلى العشاء لجمع بينهما في قوله " الصلاة أمامك " قال النووي: أن أسامة ذكره بصلاة المغرب وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نسيها حيث أخرها عن العادة المعروفة في غير هذه الليلة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة أمامك أي: إن الصلاة في هذه الليلة مشروعة فيما بين يديك أي: في المزدلفة بين المغرب والعشاء جمعاً. (النووي، 26/9).

الحديث الثاني: عن أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار قد سماها لي قالت: أردفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله، قالت: فوالله لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح، فأناخ، ونزلت عن حقيبة رحله، فإذا بها دم مني فكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم قال: " ما لك ؟ لعلك نفست "، قلت: نعم، قال: " فأصلي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك "، قالت: فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر رضخ لنا من الفيء، قالت: وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت في طهورها ملحا وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت. (أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، المستحاضة يغشاها زوجها، رح 313).

وهذا الحديث ضعفه الألباني وقال: في إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه، وكذلك فيه أمية بنت أبي الصلت بن سحيم لا يعرف حاله، وتقردها سليمان بن سحيم. (الألباني، 134/1).

ويؤخذ من الحديث أنه يجوز الكناية على الحيض بالنفاس في قوله: " لعلك نفست"، وجاء ما يعضد هذا في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة رضي الله عنها فوجدها تبكي فقال لها: مالك نفست. (أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب كيف كان بدء الحيض، رح 290).

أي: أصابك الحيض، فكان يعبر به عن الحيض.

ويؤخذ منه كذلك تطهير المكان بالماء والملح، ولم يقتصر على الماء مع أن الماء يكون به الطهارة فزاد الملح لكي يرفع رائحة الدم، وتتبع على هذا حتى ماتت.

المسألة الثانية- الأحكام المستنبطة من أحاديث الصلاة:

الحديث الأول: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعرف ونبي الله شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير، فالتقت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتقت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: (اللهم اصصره).

فصرعه الفرس ثم قامت تحمم فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال (فقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا). (أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، رح 369).

وجاءت رواية أخرى عن أبي التياح يزيد بن حميد الضبي قال: حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملاء بني النجار، قال: فجاءوا متلقدي سيوفهم، قال: وكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه وملاء بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب، قال: فكان

يصلني حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم، قال: ثم أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملأ بني النجار فجاؤوا، فقال: (يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا). فقالوا: لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، قال فكان فيه ما أقول لكم كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، قال: فصفوا النخل قبلة المسجد، قال: وجعلوا عضاديته حجارة، قال: جعلوا ينقلون ذاك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون: (اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة). (أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم، رح 3717).

قال البخاري: (مردف أبا بكر) مركبه خلفه على نفس الراحلة أو على راحلة غيرها. وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم، كما أن الحال في البداية غير ما كان عليه بعد الهجرة واستقراره في المدينة، ومن هنا يؤخذ من هذا الحديث أنه يجوز الإيماء عن الشيء بحيث يريد شيئاً، ويحسبه الناس يريد شيئاً آخر، ولهذا جاء في رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: أله الناس عني، فكان إذا سئل: من أنت؟ قال: باغي حاجة، فإذا قيل: من هذا؟ قال: هاد يهديني، يريد الهداية في الدين، ويحسبه الآخر دليلاً. (ينظر: البخاري، 53/17).

قال القاضي عياض: يهديني السبيل أي: يدلني على غرضي بطريق الأرض، والمراد طريق الآخرة وهداية الجنة، وجاء في القرآن والحديث بهذا المعنى. (القاضي عياض، 534/2).

ومن الأحكام المستنبطة أن الهداية هدايتان، هداية إرشاد وهذه الهداية التي عنها أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قوله: يهديني السبيل، أي: يرشدني إلى طريق الحق والمستقيم الذي فيه النجاح والفلاح والنجاة، وجاء نكرها في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (سورة الشورى الآية 52).

والهداية الثانية هداية توفيق وهذه من الله سبحانه وتعالى أن يهديك ويوفقك إلى طريق الخير والنجاة، بعدما عرفت سبيلها قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. (سورة القصص الآية 56).

وأما رواية البخاري الثانية فقد اشتملت على بعض الأحكام، من ذلك الصلاة أين حل وقتها في قوله: " فكان يصلي حيث أدركته الصلاة "؛ لأن الله جعل لنا الأرض مسجدا وظهرها قال صلى الله عليه وسلم: (وجعلت لي الأرض مسجدا وظهرها فأبما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل). (أخرجه البخاري، كتاب التيمم، رح 328).

وهذه نعمة عظيمة من الله بها على هذه الأمة، وهي أين أدركتهم الصلاة فليصلوا حتى وإن لم يجدوا إلا مرايض الغنم وهذا باتفاق الفقهاء .

وكذلك يستفاد منها أن قبور المشركين لا حرمة لها، وأنها تتبش ويؤخذ مكانها، ويفهم ذلك من قوله: " كانت فيه قبور المشركين "، قال ابن حجر: (وأما الكفرة فإنه لا حرج في نبش قبورهم إذ لا حرج في إهانتهم). (ابن حجر، 524/1).

وبه قال غيره من الفقهاء، إلا أن مالكا كره، وقد يكون مالك كره ذلك سدا للذريعة. (ينظر: ابن بطال 95/3).

المسألة الثالثة- الأحكام المستنبطة من أحاديث الحج:

الحديث الأول: عن بكير بن عطاء، قال: سمعت عبد الرحمن بن يعمر الديلي، قال: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة، وأتاه ناس من نجد، فأمروا رجلا فسأله عن الحج، فقال: (الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل صلاة الصبح فقد أدرك، حجه أيام منى ثلاثة أيام، من تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه، ثم أردف رجلا، فجعل ينادي بها في الناس). (أخرجه النسائي، كتاب المناسك، باب في من لم يدرك صلاة الصبح، رح 4036). قال سفيان بن عيينة: قلت : لسفيان الثوري : ليس عندكم بالكوفة حديث أشرف ولا أحسن من هذا، قال محمد بن يحيى: ما أرى للثوري حديثا أشرف منه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني. (الألباني، 256/4).

ويفهم من الحديث أن الحج عرفة، وأن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج، ولا يقبل الله الحج إلا به وهذا باتفاق الفقهاء، وحكى هذا الاتفاق النووي فقال: إلا أن الشافعي وأصحابه ذهبوا إلى أن المعتبر فيه الحضور في جزء من عرفات ولو في لحظة لطيفة بشرط كونه أهلا للعبادة. (النووي 103/8).

ويصح الوقوف في أي أرض منها وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (وعرفة كلها موقف ووقفت ههنا وجمع كلها موقف). (أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف، رح 1218).

ويؤخذ منه أنه من جاء ليلاً إلى الجمع قبل الصبح فقد أدرك الوقوف، ومن جاء بعد الصبح من يوم النحر فقد فاتته الحج بالإجماع، قال النووي: يلزمه أن يتحلل بأعمال عمرة وهي الطواف والسعي والحلق. (المجموع للنووي 286/8).

وكذلك يؤخذ منه أن أيام منى ثلاثة أيام، وهي الأيام المعدودات، قال السندي: أيام منى ثلاثة سوى يوم النحر، وإنما لم يعد يوم النحر من أيام منى لأنه ليس مخصوصاً بمنى؛ بل فيه مناسك كثير. (أبو الحسن السندي 265/5).

الحديث الثاني: عن ابن عباس عن الفضل بن عباس قال: (أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جمع إلى منى فلم يزل يلبي حتى رمى الجمرة). (أخرجه الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في متى تقطع التلبية في الحج، رح 918).

وفي رواية للبخاري أنه قال: حتى أتى المزدلفة فصلى، ثم ردف الفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع. (أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب النزول بين عرفة وجمع، رح 1586).

وزاد النسائي في رواية: "فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة". (أخرجه النسائي، كتاب المناسك، باب التكبير مع كل حصاة، رح 4071). وهذه الرواية إسنادها صحيح كما ذكر ذلك الألباني في الإرواء. (ينظر: الألباني، 296/4).

ويستنبط من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبي على دابته، ولم يقطع التلبية حتى رمى الجمرة، ومنهم من قال حتى انتهى منها قال ابن عبد البر: (ظاهر الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة ولم يقل أحد ممن روى الحديث حتى رمى بعضها، وقال بعضهم فيه ثم قطع التلبية في آخر حصاة). (ابن عبد البر، 4/74).

وقال النووي: وهذا فيه دليل على استدامة التلبية وبه قال جمهور الفقهاء، قال الحسن البصري: يلبي حتى يصلي الصبح يوم عرفة ثم يقطع، وحكى عن علي وابن عمر وعائشة ومالك وجمهور فقهاء المدينة أنه يلبي حتى تزول الشمس يوم عرفة. (النووي، 27/9).
ويؤخذ من الحديث أن الرمي يكون بسبع حصيات يكبر عن كل واحدة، وجاءت في رواية أن الحصى مثل حصى الحذف، قال الصنعاني: أي بقدر الباقلاء. (الصنعاني، 633/1)،
الحديث الثالث: عن عبدالله بن عباس أنه قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها وتنتظر إليه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، قالت يا رسول الله: إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال نعم وذلك في حجة الوداع. (أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب الحج عن العاجز، رح 1334).

ومن هذا الحديث يؤخذ عدة أحكام، الحكم الأول أنه يجوز للمفتي أن يفتي وهو على الدابة، ويفهم من ذلك: " فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه"، ومنه جواز سماع صوت الأجنبية عند الحاجة، ولهذا قال النووي: يجوز سماع صوت الأجنبية عند حاجة في الاستفتاء، وقال: يحرم النظر إلى الأجنبية. (النووي، 98/9).

وهذا يؤخذ من قوله: " ينظر إليها وتنتظر إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر "

قال ابن عبد البر: وفي الحديث أنه يجب على الإمام أن يحول بين الرجال والنساء اللواتي لا يؤمن عليهن ولا منهن الفتنة، ومن الخروج والمشى منهن في الحواضر والأسواق وحيث ينظرن إلى الرجال وينظروا إليهن. (ابن عبد البر 164/4).

ولو تكلمنا لا ندري على ماذا نتكلم في هذا العصر من السفور والتبرج في الأسواق، وخروج المرأة متعطرة وهي التي تشتري وتماكس، وتخاطب البائع بهذا انتشار الفساد فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ومن الأحكام أنه يجوز النيابة في الحج لمن لا يقدر على الحج ولا يستطيع إليه سبيلا، إلا أن الفقهاء اختلفوا في المرأة إن لم يكن معها محرم، هل يجوز لها أن تتوب في الحج أم لا؟.

القول الأول: ذهبوا إلى أنه يجوز لها أن تتوب في الحج واحتجوا بحديث الخثعمية حيث قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: " نعم " ولم يقل لها إن وجد المحرم، وهذا قول المالكية حكاه ابن عبد البر ثم قال: وهذا ليس بالقوي من الدليل؛ لأن العلم ما نطق به لا ما سكت عنه. (ابن عبد البر، 164/4). وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم). (أخرجه البخاري، أبواب تقصير الصلاة، باب في كم تقصر الصلاة، رح 1036).

القول الثاني: أنه لا يجوز أن تسافر إلا مع ذي محرم، وأن لا تحج إلا مع ذي محرم، وإن لم تجد محرما سقط عنها الحج، واحتجوا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم). (سبق تخريجه).
والراجح أن المرأة لا تسافر مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم.

المسألة الرابعة- الأحكام المستنبطة من أحاديث متنوعة:

الحديث الأول: عن عبدالله بن جعفر قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسر إليّ حديثا لا أحدث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف أو حائش نخل. (أخرجه مسلم، كتاب الحيض، باب ما يستتر به لقضاء الحاجة، رح 342).

يؤخذ من الحديث أن من أراد قضاء حاجته فليستتر من الناس وبيتعد عن الأنظار، وهكذا كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد قضاء حاجته يستتر بهدف، والهدف هو المرتفع من الأرض، أو حائش نخل وهو النخل المجتمع، هذا إذا كان في بادية أو أرض مفتوحة وليس هنالك كنف كما هو اليوم عندنا، وهذا من فضل الله علينا أن يسر لنا هذه الكنف التي هي أريح وأستر بكثير مما كانوا عليه من قبل.

أما قوله: "فأسر إليّ حديثا لا أحدث به أحدا من الناس"، فهذا ليس من قبيل الأحكام الشرعية التي فيها مصلحة للناس، قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله: وقريب من هذا

ما حدث مع أنس بن مالك رضي الله عنه حين قال لأمه: إن النبي صلى الله عليه وسلم أسر إلي في حاجة، فقالت: وما حاجته؟ قال: إنها سر، قالت: لا تقش سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني: هذا لا يقال إنه من قبيل التشريع أو من قبيل الأحكام الشرعية التي يحتاج الناس إليها، وإنما هو من قبيل شيء خاص لا علاقة له بالتشريع، كالذي حصل لأنس بن مالك في الحديث السابق. (عبد المحسن العباد البدر 477/13).

الحديث الثاني: ما رواه عمر بن الشريد عن أبيه قال: ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئاً؟ قلت نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت. (أخرجه مسلم، كتاب الشعر، رح 2255).

ويؤخذ من هذا الحديث أنه يجوز الاستماع إلى الشعر إن لم يكن فيه ما يخل بالمروءة، أو فيه ما يحذر منه كالغواية أو التغزل، أو ما يبعث في النفس العصبية والحمية، أو التفاخر، أو غير ذلك، قال النووي: ويجوز الاستماع لنشيد الأعرابي. (النووي 231/20).

ولكن هنا ثمة مسألة، وهي كيف نجمع بين هذا الحديث والحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم: (لأن يمتليء جوف أحدكم قيحا خيراً له من أن يمتليء شعراً). (أخرجه البخاري، كتاب البر والصلة، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان، رح 5802).

قال ابن بطلان: يمكن الجمع بينهما أن ذلك جاء فيمن يهجو النبي صلى الله عليه وسلم، وقد خالفه أبو عبيد في ذلك حيث قال: والذي عندي في هذا الحديث غير هذا القول؛ لأن الذي هجا به النبي صلى الله عليه وسلم لو كان شطراً لكان كفراً، فكأنه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه أنه قد رخص في القليل منه، ولكن وجهه عندي أن يمتليء قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله فيكون الغالب عليه، فأما إذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوفه ممتلئاً من الشعر. (أبو العلاء المباركفوري، 116/8).

والذي ذهب إليه أبو عبيدة هو الراجح للجمع بين الحديثين؛ لأن الجمع بينهما أولى من الترجيح، وذلك للعمل بالحديثين.

الحديث الثالث: عن أبي المليح عن رجل قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فعثرت دابته فقلت تعس الشيطان، فقال: " لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت ذلك تعظم حتى يكون مثل البيت ويقول: بقوتي، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصغر حتى يكون مثل الذباب ".

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وعلق عليه الذهبي بأنه صحيح. (الحاكم، 324/4)، وصححه الألباني في الترغيب. (الألباني، 118/3).

ويؤخذ من الحديث أن الإنسان إذا عثرت به دابته فإن السنة أن يذكر الله، وهذا فيه إرجاع الأمور كلها إلى الله سبحانه وتعالى فهو المتصرف في هذا الكون وما يحدث فيه، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول: " تعس الشيطان "؛ لأنه يتوهم أن هذا الفعل حصل منه فيتعاضم في نفسه حتى يصبح كالبيت، ولكن بذكر الله يصبح ذليلاً كالذباب، وهذا فيه أن الشيطان يخنس من ذكر الله، ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بالاستعاذة منه ومن شره في غير هذا الموطن، وهو أفضل من لعنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الشيطان، وتعودوا بالله من شره). (أخرجه ابن أبي طاهر المقدسي في المخلصيات رح 1572 ، 292 /2)

ولكن هنا ثمة مسألة يجدر التنبيه عليها وهي ما ذهب إليه البعض من أن هذا الحديث يعارض حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بالله منك، ثم قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً). (أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، رح 542).

فأقول: ليس ثمة تعارض بين الحديثين، لأن الحديث الثاني إنما أراد بذلك الدعاء بطرده من رحمة الله، وليس سباً؛ لأن السب هو الشتم، وذكر ذلك الأصفهاني. (أبو القاسم الأصفهاني، 391 /1).

الحديث الرابع: عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة: (التمس غلاماً من

غلمانكم يخدمني)، فخرج أبو طلحة يردفني وراهه فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل فكنت أسمعه يكثر أن يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال). فلم أزل أخدمه حتى أقبلنا من خيبر وأقبل بصفية بنت حبي قد حازها، فكنت أراه يحوي لها وراهه بعباءة أو بكساء ثم يردفها وراهه، حتى إذا كنا بالصهباء صنع حيسا في نطع ثم أرسلني فدعوت رجالا فأكلوا، وكان ذلك بناؤه بها، ثم أقبل حتى إذا بدا له أحد قال: (هذا جبل يحبنا ونحبه). فلما أشرف على المدينة قال: اللهم إني أحرم ما بين جبلها مثل ما حرم به إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم). (أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الحبس، رح 5109).

يؤخذ من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء، وهذا الدعاء جاء جامعا مانعا لكل خير، ينبغي للمرء تعلمه وحفظه ليستعين به على حوادث الدنيا.

ثم بعد ذلك فتح الله عليه خيبر، وكان في رجوعه إلى المدينة تزوج صفية بنت حبي وبنى بها وأولم، وكانت الوليمة بعد البناء، وهذا هي السنة التي دل عليها الحديث، وصنع لهم الطعام بما هو موجود، واجتمعوا عليه رضي الله عنهم، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن: (أولم ولو بشاة). (أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب قول الرجل لأخيه انظر أي زوجتي شئت حتى أنزل لك عنها، رح 4785).

ومن ذلك يجوز الزواج في السفر:

وكذلك يؤخذ منه قوله: "أحد يحبنا ونحبه"، وهذا اختلف العلماء فيه منهم من يرى أنه على سبيل المجاز كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾، (سورة يوسف الآية 82). أي: يراد منه أهل القرية، قال ابن عبد البر: أكثر أهل العلم يرون أنه على المجاز، ويراد من هذا المعنى أن الأنصار الساكنين قربه وكانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبهم؛ لأنهم آووه ونصروه وأعانوه على إقامة دينه صلى الله عليه وسلم. (ابن عبد البر 231/8).

وذهب آخرون إلى أنه على الحقيقة كما جاء في تسبيح الحصى، وحنين الجذع إليه، قال ابن عبد البر: وقيل إن محبته حقيقية كما يسبح كل شيء حقيقة؛ ولكن لا يفهم الناس

ذلك، وغير نكير أن يصنع الله محبة رسوله في الجماد وفيما لا يعقل كعقل الأدميين كما وضع الله خشبته في الحجارة فأخبر في محكم كتابه. (ينظر: المصدر نفسه 231/8).

والذي يراه الباحث أن المعنى في قوله صلى الله عليه وسلم: "أحد جبل يحبنا ونحبه" على حقيقته كما جاء في تسبيح الحصى، وحنين الجذع وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع لذلك، هذا أمر.

والأمر الثاني: أن الله على كل شيء قدير، ومن قدرته أن يجعل في الجماد ما يحس به ويصدر منه.

من الأحكام المستنبطة تحريم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كحرمة مكة، ويفهم ذلك من قوله: "اللهم إني أحرم ما بين جبلها مثل ما حرم به إبراهيم مكة"، فهي حرام إلى يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم: (فلا يقطع عِضَاهُهَا وَلَا يَصَاد صَيْدُهَا) . (أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب فصل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها، رح 1362).

قال النووي: فالحاصل أنه حرم المدينة ما بين جبلها طولاً وما بين لابتها عرضاً (النووي، 489/7).

الخاتمة: ومن خلال البحث توصلت إلى أهم النتائج من أهمها:

- 1 . إن المسائل الفقهية المستنبطة من إرداف النبي صلى الله عليه وسلم هي في الحقيقة معظمها محل اتفاق بين الفقهاء، وقل فيها الخلاف.
- 2 . من خلال البحث يظهر لنا جلياً تواضعه صلى الله عليه وسلم حيث إنه لم يترفع عن أصحابه رضي الله عنهم، وكان يركب الحمار والبغل والبعير، وكان يردف من شاء من أصحابه.
- 3 . إنه يجوز للمفتي أن يفتي وهو على دابته، كما معلوم عندنا اليوم السيارات والطائرة، وكذلك في حالة السفر.
- 4 . حرصه صلى الله عليه وسلم في بيان الحق ونشر العلم حتى في ترحاله وركوبه، وإخصاص من شاء بذلك.

قائمة المصادر والمراجع

- 1 . إرواء الغليل للألباني ، مكتب الإسلامي، ط2/1405هـ.

- 2 . الاستذكار لابن عبد البر، دار الكتب العلمية، ط1/1421هـ.
- 3 . تحفة الأحوزي شرح الترمذي، لأبي العلاء المباركفوري، دار الكتب العلمية .
- 4 . الترغيب والترهيب للألباني، مكتبة المعارف الرياض.حاشية السندي على النسائي، لأبي الحسن السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ط2/ 1406هـ.
- 5 . سبل السلام للصنعاني ، دار الحديث.
- 6 . شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد البدر، موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>.
- 7 . ضعيف أبي داود للألباني ، مؤسسة غراس ط!/1423هـ.
- 8 . عمدة القاري شرح البخاري، لأبي محمد بدر الدين العيني، دار إحياء التراث.
- 9 . فوائد حديث أبي عمير لابن القاص ، لأبي العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري الشافعي، مكتبة السنة، ط1/ 1992م.
- 10 . المجموع للنووي ، دار الفكر.
- 11 . المخلصيات لابن أبي طاهر المقدسي، وزارة الأوقاف القطرية، ط1/1429هـ.
- 12 . المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار الكتب العلمية، ط1/ 1411هـ.
- 13 . مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- 14 . مفردات غريب القرآن لأبي القاسم الاصفهاني، دار اللم ط1/1412هـ.
- 15 . المنهاج شرح صحيح للنووي، دار إحياء التراث، ط2/1392هـ.

التقوى وأثرها في النهوض بالمجتمع

أ. أحمد عمر أحمد خليفة

كلية الآداب والعلوم الشقيقة

المقدمة:

التقوى: من كلمات القرآن العظيم، ترددت فيه عشرات المرات، وهي صفة سامية من صفات المؤمنين، وخلق رفيع للعباد الأبرار، التزمها العارفون بالله تعالى، وعشقها المسلمون الصادقون، وتمثلها السلف الصالح ومدح الله بها أوليائه وخاصته، وجعل التقوى في قمة الإيمان المرتبط بالعمل والسلوك، والاعتقاد والفكر والحياة للفرد والمجتمع والأمة، وهي خير الزاد إلى يوم المعاد.

والتقوى هي الأمل الذي يتطلع إليه المصلحون، ويسعى إليه الدعاة، ويبحث عنه العارفون، يلتزمه المقربون، وهي في أدنى درجاتها واجب وفرض على كل مسلم، وفي أعلى درجاتها صفاء ورفع، وورع والتزام، ونجاح وفوز في الدارين وترقي بصاحبها إلى عليين .
والتقوى منهج الرسول الكريم، لذلك كان إمام المتقين . ولذلك خصصنا هذا البحث عن (التقوى) وهي إحدى قيم الإسلام للتذكير بها، والحث عليها والالتزام بها، واتخاذها طريقاً ومنهجاً في إصلاح الفرد والمجتمع والأمة، واستنهاض الهمم لإقامة المجتمع الإسلامي الفاضل، وتطبيق أحكام الإسلام الخالد، وذلك بتتبع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال العلماء وآرائهم .

خطة البحث: قسمت البحث على النحو الآتي:

* المقدمة .

* **المطلب الأول:** تعريف التقوى .

* **المطلب الثاني:** أوجه التقوى وعناصرها .

* **المطلب الثالث:** منازل التقوى وحكمها .

* **المطلب الرابع:** ثمرات التقوى وأثارها .

الخاتمة: الوصية بالتقوى .

المطلب الأول- تعريف التقوى:

الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وهذا يقتضي بيان تعريف التقوى لكشف حقيقتها، ومعرفة مضمونها، وتحديد عناصرها، وتجليه حكمها، ونبدأ بالتعريف اللغوي، ثم بالتعريف الشرعي الاصطلاحي .

تعريف التقوى لغة:

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم باستعمالات متعددة فعلاً، واسماً ووصفاً، ومصدراً، ولذلك نبين المعنى اللغوي لكلٍ منها :

1. أصل التقوى: وَتَقَى، أبدلت الواو تاء، كما أبدلت في تراث، وتخمة، وتجاه، وكذلك اتقى، يتقي، أصله: أوتقى، يوتقي، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وأبدلت منها التاء وأدغمت، فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء من نفس الكلمة فجعلوه: اتقى، يتقي، بفتح التاء فيهما، ثم لم يجدوا له مثلاً، فقالوا: تقى يتقي، مثل : قضى يقضي(الفيروز أبادي، 1385هـ : 256/5 - 257) .

2. التقوى لغة: من اتقى يتقي، وتقى يتقي، والتقوى والتقي واحد، ومنها الوقاية وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال : وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ﴾ (الإنسان 1)، وقاه حفظه (الرازي 1950: 733 - الفيومي 1926: 992/2، الفيروز أبادي: 300/2).

قال الفيروز أبادي: "وقاه، وقياً، ووقاية، ووقاية : صانه... واتقيت الشيء ... حذرته، والاسم التقوى" (الفيروز أبادي: 1913: 410/4).

وقال الزمخشري: "وقاه الله كل سوءٍ، وقاية، ووقاه توقيه (الزمخشري 1960: ص1038). ومنه الاتقاء الذي هو افتعال من التقوى، وهو جعل الشيء في وقاية مما يخاف منه (الفيروز أبادي : 115/2).

3. اتقى الشيء استقبله، وجعل بينه وبينه حاجزاً، تقول: اتقى الفارس السيف بالترس، ويقاه: اتقاه: تحفظ منه، وتصون، وعمل على ألا يصحبه ضرر منه، ومن ذلك اتقاه الله، فهو تجنب عذابه، وذلك بالعمل بما أمر الله، والانتهاز عما نهى عنه، وقد اشتهر هذا

المعنى في " الكتاب " وفي لسان الشرع حتى صار هو المراد عند الإطلاق، واتقى فلان بكذا، إذا جعله وقاية لنفسه (الأصفهاني1992: ص88، النجار1389هـ - 1969: 275/6).

4. **التقوى**: مشتقة من الوقاية، وهي حفظ الشيء مما يؤديه ويضره، يقال: وقاه، وقياً، ووقاية، وواقية: صانه، والتوقية الكلاءة والحفظ، والنقاة: التقية، يقال: اتقى، وتقاه، وقال تعالى: ﴿لَا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ آل عمران(28)، وورد أن الله أهل التقوى، أي أهل أن يتقى ويخاف (النجار: 277/6)

5. **النقاة**: التقوى، وأصل النقاة: وقية، فقلبت الواو تاء، والياء ألفاً، فالتقاة اتقاء الله عز وجل، واتقاء عذابه، وقد تطلق على اتقاء المكروه على الناس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ آل عمران (28)، أي إلا أن تتقوا ما تخافون من جهنم، أو تتقوا شرهم اتقاء.

6. **التقي**: وصف على فعيل للمبالغة، وقد روعي أخذه من اتقى، فالتاء فيه مبدلة من واو، وهو الذي يلزم الطاعة، ولا يقع في المعصية، فيتقي موارد السوء (المصدر السابق: 178/6).

والتقي: المتقي، وهو من جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها، من قوة عزمه على تركها، وتوطين قلبه على ذلك، فلذلك يقال له: مُتَّقٍ (الفيروز أبادي: 300/2).

7. **الأتقى**: اسم تفضيل من التقي، فهو الأكثر اتقاء، وهو عند الإطلاق في اتقاء الله وعذابه (النجار: 178/2).

فالتقوى لغة: هي الحفظ والصيانة، والاحتراز، والعمل على تجنب الضرر ليكون الإنسان في منجاة وسلامة.

تعريف التقوى اصطلاحاً:

ذكر علماء الشرع تعريفات كثيرة للتقوى، وكل منها يدل على طرف من التقوى، ويمثل جانباً منها، ويبين المراد من التقوى (كعكو، 1990: 84/2).

وسأذكر تعريفات متعددة للتقوى لبيان الجوانب العملية المختلفة لهذه الصفة العظيمة، وكل ذلك صحيح ومطلوب، وورد به الشرع عامة، والنصوص خاصة، ويغطي العقيدة والفكر، والسلوك والأحكام، والآداب والأخلاق .

1. قال الإمام علي رضي الله عنه: "التقوى الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل" (المصدر نفسه).
- وقال علي رضي الله عنه: "التقوى أن يجدهك الله حيث أمرك، وأن يفقدك حيث نهاك".
2. قال أبو بكر الكلاباذي: "التقوى مشاهدة الأحوال على قدر الانفراد، معناه أن يتقي مما سوى الله سكوناً إليه، واستجلاء له، وفي قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ الثغابن (16)، أي بجميع استطاعتكم (الكلاباذي 1986: ص 98).
3. قال أبو عبد الله التونسي: " حقيقة التقوى عبارة عن امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات" (الفيروز أبادي: 257/5).
4. قال طلق بن حبيب: " التقوى عمل بطاعة الله، على نور من الله، مخافة عقاب الله".
5. قال أبو عبد الله الروذباري: " التقوى مجانية ما يبعدك عن الله (الفيروز ابادي، ص52).
6. قال أبو القاسم القشيري: "وحقيقة الانقاء: التحرز بطاعة الله من عقوبته (ابن عبدالسلام 1995، ص 243)".
7. قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام: "التقوى: فعل الواجبات، وترك المحرمات، وهي وصية الله في الأولين والآخرين"، ثم قال: "الاستقامة والتمسك بالكتاب، وحفظ الحدود يععم المنهيات، وفعل المأمورات (المرجع نفسه، ص 244).
8. قال السيد الشريف الجرجاني: "التقوى في الطاعة: يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر، وقيل أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، وقيل: محافظة على آداب الشريعة، وقيل: مجانية كل ما يبعدك عن الله تعالى، وقيل: حظوظ النفس ومبايعة النهي، وقيل: أن لا ترى في نفسك شيئاً سوى الله، وقيل: أن لا ترى نفسك خيراً من أحد، وقيل: ترك ما دون الله، والمتبع - عندهم - هو الذي اتقى متابعة الهوى، وقيل: الاقتداء بالنبي - عليه السلام - قولاً وفعلًا" (الجرجاني 1971م، ص: 35).
9. قال الفيروز أبادي: "التقوى في عرف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بتجنب المحذور، ويتم ذلك بترك كثير من المباحات" وقال أيضاً: "التقوى البالغة الجامعة: اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين" (الفيروز أيادي، 115/2).

10. جاء في " معجم ألفاظ القرآن الكريم": "التقوى في لسان الشرع: اتقاء عذاب الله، وذلك بامتثال أوامره، واجتتاب نواهيه"(النجار، 277/6).

معاني التقوى:

ومن تعريفات التقوى اللغوية والاصطلاحية استنتج العلماء معاني التقوى، فقال الفيروز آبادي: "فإن التقوى تطلق في القرآن الكريم على ثلاثة أشياء ".
أحدها: بمعنى الخشية والهيبة، قال تعالى: ﴿وَأَيُّهَا فَاتَّقُونَ﴾ البقرة (41)، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ البقرة (281).

الثاني: بمعنى الطاعة والعبادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ آل عمران (102)، قال ابن عباس: أطيعوا الله حق طاعته، وقال مجاهد: هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر (الفيروز آبادي، 257/5).

الثالث: بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب، وهذه هي الحقيقة في التقوى، والأقرب إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ النور (52)، ذكر الطاعة والخشية، ثم ذكر التقوى، فعلمت أن حقيقة التقوى بمعنى غير الطاعة والخشية، وهي تنزيه القلب عما ذكرناه (الفيروز آبادي، 258/5، كعكو، 83/2).

المطلب الثاني - أوجه التقوى وعناصرها:

تتمثل التقوى - نظرياً وعملياً - على أوجه كثيرة، وتتكون من عناصر رئيسة لا محيد عنها، وهو ما يجب بيانه .

أوجه التقوى:

تأتي التقوى من الآيات الكريمة، والنصوص الكثيرة على أوجه منها:

1. الخوف والخشية من الله تعالى، قال عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴿النساء(1)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة (210)، وقال تعالى في آخر آيات الصيام: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ البقرة (187).

2. التحذير والتخويف من وعيد الله تعالى وعقابه وناره، قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ النحل (2) .

3. الاحتراز عن المعاصي والذنوب، ومخالفة أحكام الشرع الحنيف، قال تعالى: ﴿وَأْتُوا النُّبُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة (189) أي اتركوا خلاف أمره .
4. وجوب التوحيد والشهادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ الاحزاب (70)، أي وحدوا الله تعالى .
5. طلب الإخلاص واليقين (انظر مؤسسة ابن باز الخيرية 2022، عناصر التقوى).
قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج (32)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخُصُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ الحجرات (3) .
6. وجوب الطاعة والعبادة لله تعالى قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ النحل (52).
عناصر التقوى:

ويؤخذ من التعريفات السابقة، والنصوص الكثيرة، أن التقوى تعتمد على عنصرين رئيسين:

العنصر الأول: نفسي روحي قلبي ذاتي، وهو صفاء القلب، وإخلاص العمل لله تعالى، بعد رسوخ الإيمان، والنطق بالشهادتين، والاعتراف بحق الألوهية والربوبية لله رب العالمين (الفيروز أياي، 2-116-300).

لذلك كان الإيمان والتقوى متلازمين، فالله سبحانه وتعالى أمر بالإيمان كما أمر بالتقوى، في آيات كثيرة، وقرن بين الأمرين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء(1)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الحج (1).

بينما وجهت آيات أخرى الأمر بالتقوى للمؤمنين خاصة، وذكرتهم بالإيمان، وربطت بين الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الحديد (28).

وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة (35)، وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران (102)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الحشر (18)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ الاحزاب (70).

وربط القرآن الكريم بين التقوى والأعمال الصالحة، فقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ المائدة (93) إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة (93).

فالتقوى ثمرة من ثمار الإيمان، لأن الإيمان الصادق لا بد أن يدفع صاحبه إلى تقوى الله، والخوف من عذابه، ومراقبته في الطاعة، واجتناب المعاصي، قال تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة (57)، وقال تعالى: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ المائدة (88).

كما أن التقوى تغذي الإيمان، وتمده بمعين فياض، وترفع درجته، وتجعل صاحبه في المقام العالي، كما سنرى في ثمرات التقوى وآثارها .

وقد حدد رسول الله (ﷺ) هذا العنصر الأول، والمهم، والأساسي في التقوى، بقوله: "التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا (القشيري مسلم بن الحاج لات، 120/16، الترمذي 1964، 54/6، ابن حنبل 1978، 2/277-360).

ويشير إلى صدره الشريف ثلاث مرات، كما سنذكره في العنصر الثاني.

العنصر الثاني للتقوى: عملي سلوكي ظاهري، وهو الالتزام بالشرع الحنيف، وتطبيق جميع أحكام الشرع، وخاصة أداء الواجبات وتنفيذ الأمور، وترك المحرمات، واجتناب المنهيات، وهو ما تكرر في تعريفات التقوى السابقة .

وكل صورة للتقوى تجانب هذه الصفة الجوهرية فهي ادعاء ودجل وتمويه وكذب وافتراء، لأن الشرع هو الأصل في ميزان الأعمال وقبولها، وحسن السلوك والفلاح .

يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام: "كم من عمل يعتمد عليه المرئي، هو وبال عليه، وكم من طاعة يهلك بها المتسمع مردودة إليه، والشرع ميزان يوزن به الرجال، وبه

يتبين الربح والخسران، فمن ربح في ميزان الشرع كان من أولياء الله . ثم قال العز رحمه الله تعالى: "ومن نقص في ميزان الشرع فأولئك أهل الخسران" إلى قوله: "فإذا رأيت إنسانا يطير في الهواء أو يمشي على الماء أو يخبر عن المغيبات ثم يخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب ويترك الواجبات بغير سبب مجوز فاعلم أنه شيطان نصبه الله فتنة للجهلة وليس ذلك ببعيد من الأسباب التي وضعها الله للضلال (ابن عبدالسلام:22).

ونكرر ما سبق ذكره، قال طلق بن حبيب: "التقوى عمل بطاعة الله، على نور الله، ومخافة عقاب الله". قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ آل عمران (102)، قال مجاهد: معناه أن يُطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يكفر. والمتقي حقيقة - على هذا - هو المتمسك بحبل الله المتين، والملتزم بشرعه الحكيم، والمتجنب للمحرمات، والمبتعد عن المعاصي، مع الخوف من الله تعالى . ولذلك قال سهل: "من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها" وقال أبو عبد الله الروذباري: "التقوى مجانية ما يبعدك عن الله".

وجمع ابن عطاء بين العنصرين السابقين للتقوى، فقال: "للتقوى ظاهر وباطن، فظاهرها محافظة الحدود (الأحكام) وباطنها النية والإخلاص (الفشيري، 52، كعكو، 83/2-84) . وهذا العنصر الثاني يوجب علينا أن نشير باختصار إلى الوسيلة الموصلة للتقوى. وسيلة التقوى:

إن الوسائل الموصلة للتقوى تتحدد بالمنهج الشرعي الصحيح الثابت في القرآن والسنة، وليس بالابتداع، واستيراد الطرق، وتقليد الأفكار والمذاهب المفتراة والمدسوسة . ولكن التقوى لا تنحصر بوسيلة معينة، بل وسائلها عديدة ضمن إطار الشرع، فكل عمل صالح وسيلة للتقوى، واجتناب كل محرم وسيلة للتقوى، وتطبيق كل حكم شرعي يساهم في غداء التقوى، وهذا ما بينه رسول الله (ﷺ) في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: "لا تحاسدوا، ولا تتاجشوا، ولا تباغضوا، ولا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره" ثم كشف الرسول (ﷺ) السر الكامن في التقوى، فقال: "التقوى هاهنا"، - وأشار إلى صدره ثلاث مرات -، بحسب امرئ من الشر أن اخاه المسلم، كل

المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه (مسلم: 120/16، الترمذي: 6-54، ابن حنبل: 2-7-360).

وقال رسول الله (ﷺ): "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" (رواه أحمد والترمذي، والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي ذرٍّ - النبهازي 33/1-1932).

وقال عليه الصلاة والسلام: "اتق الله فيما تعلم" (رواه الترمذي، والبخاري في التاريخ عن زيد ابن سلمه الجعدي- نفس المرجع 1-33).

وقال: "اتق الله في عسرك ويسرك" (رواه أبو قره الزبيدي في سننه عن طليب بن عرفة المرجع نفسه 33/1).

وقال رسول الله (ﷺ): "اتق الله، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وحج البيت واعتمر، وسر والديك، وصل رحمك، وأقر الضيف، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر، وزل مع الحق حيثما زال" (رواه الطبراني عن مخول السلمي: المرجع نفسه: 33/1).

وقال (ﷺ): "اتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئاً... ولو أن تلقى أخاك، ووجهك إليه منبسط" (رواه الطيالسي وابن حبان في صحيحه عن جابر ابن سليم الهجيمي: المرجع نفسه: 33/1).

وقال رسول الله (ﷺ) في حجة الوداع: "اتقوا الله، وصلوا خمسكم، وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم، تدخلوا جنة ربكم" (رواه الترمذي في آخر كتاب الصلاة، وقال حديث حسن صحيح النووي، ص 97).

وقال عليه الصلاة والسلام: "اتقوا الله ولو بشق ثمرة" (رواه البخاري: 1417، ومسلم: 1016، الترمذي والنسائي عن عدي بن حاتم، وأحمد عن عائشة، (النبهازي: 35/1)، (سنن الترمذي: 99/7).

وهذا يذكر بكلام العلماء في الوقوف على حدود الشرع، وأنه الميزان الذي توزن به الأعمال، وهو ما قرره القرآن الكريم أصلاً بقوله تعالى: ﴿لَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ... ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس: 62)، (63)، (64)، وهو ما أكده العلماء بتعريف آخر للتقوى، وهي "أن يجتنب الله حيث أمرك، وأن يفقدك حيث نهاك".

قال الغزالي: "فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال وبه تكون حياتهم، وعيشتهم، إذ فيه يرون تجارتهم وريحهم (الغزالي: 798/5). وهكذا تتعدد وسائل التقوى، وترد في مناهج التربية الإسلامية عامة في الإيمان والعقيدة، والعبادة والمعاملة، وتهذيب النفس في الآداب والأخلاق، والتقرب من الله تعالى نية وقولاً وفعلاً، وحسن الصلة به، والعمل فيما يحبه ويرضاه (انظر الغزالي: 799/5).

المطلب الثالث - منازل التقوى وحكمها:

إن الإيمان على درجات ومنازل، وإن الأعمال تتفاوت من إنسان إلى آخر، ونتيجة لذلك كانت التقوى على درجات ومنازل تختلف بحسب أحوال الناس المتفاوتة، وبناء على هذه الدرجات يختلف الحكم الشرعي لكل درجة .

منازل التقوى:

إن التقوى على أربعة منازل رئيسية وهي:

1. التقوى عن الشرك .

2. التقوى عن البدعة .

3. التقوى عن المعاصي الفرعية .

وقد ذكر الله تعالى هذه المنازل الثلاث في آية واحدة (الفيروز آبادي: 5-258، 115/2، القرطبي: 77/2) فقال عز وجل : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة (93).

فالتقوى الأولى عن الشرك، والإيمان في مقابلة : التوحيد، والتقوى الثانية عن البدعة والإيمان المذكور معها : السنة والجماعة، والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية، والإقرار فيها قابلها بالإحسان، وهو الطاعة والاستقامة عليها (القرطبي : 2/ 76-77).

4. التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال، وهي ما رجحها الغزالي من الخبر المشهور عن النبي (ﷺ) قال: "إنما سُمي المتقون متقين لتركهم ما لا بأس به حذراً عما به بأس" وفي رواية: "لا يبلغ الرجل أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس (ابن ماجه 1952، 2/ 1409-4210).

والتقوى اجتناب ما تخاف ضرراً في دينك، وذلك قسماً: محض الحرام، وفضول الحلال، لأن استعمال فضول الحلال قد يخرج صاحبه إلى الحرام ومحض العصيان، وذلك لشره النفس وطغيانها، فمن أراد أن يأمن الضرر في دينه اجتنب المحذور، وامتنع عن فضول الحلال حذراً أن يجره إلى محض الحرام" (الفيروز أبادي: 258/5-259).

وأيد ذلك الفيروز أبادي فقال: ويتم ذلك بترك كثير من المباحات، كما في الحديث "الحلال بين، والحرم بين، ... ومن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه (البخاري: 28/1 - 52، ومسلم: 28/11-1099) .

إلى آخر كلامه (انظر الاصبهاني: 881، الفيروز أبادي: 110/2).

ووصف الغزالي ورع المتقين، فقال: "وهو ما لا تحرمه الفتوى، ولا شبهة في حله، ولكن يخاف من أدائه إلى محرم، وهو ترك ما لا بأس به، مخافة مما به بأس، وهذا ورع المتقين"، وساق الحديث السابق (الغزالي: 814/5).

حكم التقوى:

وبناء على هذا البيان والشرح والتصور والتقسيم لمنازل المتقين يتبين أن حكم التقوى على درجتين:

1. الفرض والواجب: فالتقوى فرض وواجب في التوقي عن الشرك، والتوقي عن البدعة، والتوقي عن المحظورات والمحرمات، وتنزيه القلب عن كل شر لم يسبق عنك مثله، لقوة العزم على تركه، حتى يصير وقاية بين الشخص وكل شره . ويلزم على فقد هذه الدرجة من التقوى العقاب والإثم والعذاب في الدنيا والآخرة .

أما من اتصف بهذه الدرجة فهو في المنزلة الأولى من التقوى ودخل حظيرة الإيمان والإسلام، ويقف في أول الطريق للسير على منازل السالكين، وعباد الله المتقين، ومنهج الأنبياء والمرسلين.

2. الندب والنقل: وهو التقوى عما نهى عنه تأديباً، من فضول الحلال، وما يترخص فيه من المباحات، فإذا انتاب المباح شبهة فالأولى تركه، وهو خير وأدب، وإذا لم يلتزم المؤمن بذلك استحق اللوم، ومن اتصف بها فهو في الدرجات العليا من التقوى (الفيروز أبادي: 259).

ويبين رسول الله (ﷺ) دليل الحكيم معاً في الحديث القدسي الذي رواه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ): "إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعادني لا عذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته (البخاري: 6137-2385/5).

وهكذا يترقى المؤمن في درجات الفلاح، ومنازل التقوى، حتى يقتدي بإمام المتقين، ويلج نعيم المتقين الفائزين، ويحشر في زمرة أولياء الله الصالحين، كما نرى ذلك في آثار التقوى ونتائجها وثمارها .

المطلب الرابع - ثمرات التقوى وآثارها:

1. الثناء على المتقين لملازماتهم الصدق (القرطبي 2001، 190/1).
قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة (177) .
2. النجاة من النار والعقوبة في الآخرة (الأشقر - لات7).
قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧٦﴾ ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ مريم (71-72)
3. الكرامة والإكرامية عند الله تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب (انظر القرطبي: 4-156).
- قال عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ الْحَجَرَات (13)﴾، وهذا ما أكده رسول الله (ﷺ) فيما رواه جابر بن عبد الله، قال : خطبنا رسول الله (ﷺ) في أواسط أيام التشريق خطبة الوداع، فقال : " يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم (رواه البيهقي عن جابر مرفوعاً في شعب الايمان(5137)).
4. وبالتقوى يحبنا الله، ويتقبل أعمالنا (الأشقر، 7).
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المائدة (27)

5. كمال العبودية لله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ آل عمران (102).
6. وبالتقوى ننال بشرى ربنا في الحياة الدنيا والآخرة (الاشقر، 7).
- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾
يونس (63-64).
7. كفارة الذنوب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ الطلاق (5).
8. من يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً في توفيقه للطاعة (القرطبي:
338/4). ((قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ الطلاق(4)).
9. الهداية والفلاح (الاشقر، 17).
- قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة (5)
10. ومن ثمرات التقوى وآثارها: الخروج من الغم والمحنة، وانسراح الصدور (انظر المرجع
السابق، 7) ((قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ الطلاق (2)).
11. ومن ثمرات التقوى رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة (انظر القرطبي: 238/2).
- حيث قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الاعراف (156)
12. حصن الخائف وأمانه من كل ما يخاف ويحذر، وهي العدة عند كل هول وشدة
(السعدى 2002، 700) ((قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الزمر (61)).
13. من ثمرات التقوى تكبح الشهوة، لأن الشهوى زمام الشيطان، فمن أخذ بزمامه كان عبده
فالتقوى تعطى العبد قوة لغلبة الشيطان (القشيري لات، 53) ((قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا
إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الاعراف(201)).
14. إقامة الشعائر الدينية: الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، وسائر الطاعات (انظر
الكيلاني 2009، 93-103).
15. الخوف والرجاء يمنعان العبد من سوء الأدب (القشيري، 47).
16. تبعث في القلب النور وتقوي بصيرته فيميز بين ما ينفعه وما يضره (السعدى، 805).
- ((قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ
لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الحديد (28)).

17. من ثمار التقوى وآثارها : ذم البدع والتفكير منها ومن أصحابها وعدم مجالستهم (انظر ابن السعدي: 219/1) ((قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام (153).
18. النصر على الأعداء والنجاة من شرهم (انظر القرطبي: 401/1) ((قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران (125)).
19. انقاء كبائر وصغائر الذنوب (الاشقر، 31-32).
20. التوسعة في الرزق وفتح مزيد الخيرات (انظر السعدي، 277).
- قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الاعراف(96)
21. كل علاقات الأخلاء تنتهي يوم القيامة، إلا علاقة المتقين: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف (67).
- وأكد ذلك ابن عبد السلام، فقال: "مراتب المعونة على الخيرات مأخوذة من تلك الخيرات، فالمعونة على أفضل الخيور أفضل المعونات (انظر ابن عبدالسلام، 218-219).
- الخاتمة:
- الوصية بالتقوى:

ونختم هذا البحث بتقديم الوصية بالتقوى لكل مسلم ومؤمن تنفيذاً لما ورد في الآيات الكثيرة والأحاديث الشريفة وسير المتقين وأخبارهم في كل زمان ومكان وهي:

* الذكر الدائم، ليكون المسلم رطب اللسان بذكر الله تعالى في جميع الأوقات والأزمان، ويكون في صلة دائمة بالله عز وجل، ومراقباً لجلال الله تعالى ولعظمته، وموقناً بعينه التي لا تضام، ومعتزلاً بفضلته وأثره في جميع الكون والمخلوقات .

* التربية الذاتية للفرد ذات الأثر السلوكي التي تنعكس على المجتمع نحو الفضيلة وما يرضي الله تعالى وأبعادها عن كل ما يشينها، أو يحرفها قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿ الشمس (9-10)، وعلينا أن نقاوم ما نحب ونتحمل ما نكره، والانتصار في المعركة بالانتصار على النفس .

- * والجهاد في سبيل الله تعالى بالرباط والمرابطة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ الدعوة الإسلامية بالحوار الهادف، وإنقاذ الناس من الضلال والفساد، والظلم والطغيان، ومحاربة البدع، والتيارات الغربية المزروعة في المجتمع، واستنهاض الهمم لإقامة المجتمع الإسلامي الفاضل، وتطبيق أحكام الإسلام الخالد .
- تأسيس الأعمال على التقوى، وليس من التقوى الغلو في العبادة.
 - اعتماد اسلوب النبي ﷺ في تربية إخوانه .
 - اعتماد منهج التلقي المبني على الدليل والتعليل.
 - دفع التلاميذ إلى العلم وإعمار الأرض.
 - التقوى حصن منيع عن الانحرافات العقائدية، والفرق الضالة.

قائمة المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم برواية حفص.
1. أحوال الناس وذكر الخاسرين والرابحين منهم، العز بن عبدالسلام (660 هـ)، دار الصحابة للتراث، القاهرة 145 هـ / 1995 م.
 2. أساس البلاغة، جاد الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538 هـ)، كتاب الشعب، القاهرة 1960 م.
 3. بصائر ذوي التميز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (817 هـ) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة (1385 هـ).
 4. التعرف لمذهب أهل التصرف، أبوبكر محمد الكلاباذي (380 هـ). دار الإيمان، دمشق (1407 هـ / 1986 م).
 5. التعريفات للشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني (816 هـ)، دار التونسية، تونس (1971 م).
 6. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف عبدالرحمن بن ناصر السعدي (1307 هـ-1376 م)، مكتبة الصفاء، طبعه الأولى، 2002 م.
 7. التقوى تعريفها وفضلها ومحذوراتها وقصص من أحوالها، عمر سليمان عبدالله الأشقر، دار النفائس، ط- الأولى، 1433 هـ-2012 م.

8. روضة الطالبين وعمدة السالكين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (505هـ)، دار النهضة الحديثة، بيروت.
9. رياض الصالحين، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (676هـ)، دار الفكر، دمشق، ط1، 1408هـ-1987م.
10. الرسالة القشيرية، أبي القاسم عبدالكريم القشيري (450 هـ)، دار الكتاب العربي، 2001م.
11. سنن الترمذي مع تحفة الأهوازي، عيسى بن سورة الترمذي (279هـ)، دار الفكر، مط المدني، القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964م.
12. سنن ابن ماجه، أبو عبدالله، محمد بن يزيد القزويني (256هـ)، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1372هـ، 1952م.
13. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد إسماعيل البخاري (256هـ)، دار القلم، دمشق، ط1، 1401هـ-1981م.
14. صحيح مسلم بشرح النووي، مسلم بن الحاج القشيري (261هـ)، مطبعة المصيرية، القاهرة، ط1، د- ت .
15. شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام (660هـ)، دار الطباع، دمشق، ط1، 1410هـ-1989م.
16. الفتح الكبير، ترتيب يوسف النبهاني (1350هـ-1932م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1350هـ.
17. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (817هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1332هـ- 1913م.
18. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (666هـ)، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1370هـ-1950م.
19. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (241هـ)، تصوير المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1398هـ-1978م.

20. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي(770هـ)، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط6، 1926م.
21. معجم ألفاظ القرآن، محمد علي النجار، نشر بمجمع اللغة العربية، القاهرة، 1389هـ- 1969م.
22. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (حوالي 425 هـ او 502هـ)، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ-1992م.
23. مقاصد الشريعة عند أبي حامد الغزالي، رسالة ماجستير، الكيلاني أحمد صالح إشراف حسن الطوير، جامعة الجبل الغربي، 1430هـ-2009م.
24. مؤسسة ابن باز الخيرية، 29-9-2022م.
25. هكذا تكلم الأولياء والصالحون، أحمد حسن كعكو، دار الايمان، دمشق، ط1، 1410هـ-1990م.

"دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية السياسية"

أ.خولة أحمد علي القمودي

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة نالوت

المستخلص

مؤسسات المجتمع المدني عرّفها البنك الدولي " مجموعة من المنظمات التطوعية التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة التي تعمل لتحقيق المصالح المادية والمعنوية لأفرادها وذلك في إطار الالتزام وقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والقبول بالتعددية والإدارة السليمة للخلافات والنزاعات"

إذا يتضمن المجتمع المدني مثلا الأحزاب السياسية، والمؤسسات الإنتاجية، والمؤسسات التعليمية والدينية، والاتحادات المهنية، والنقابات العمالية، والنوادي الثقافية والاجتماعية، حيث إن مؤسسات المجتمع المدني تعمل باستقلالية عن أجهزة الدولة تساهم في المجالات السياسية والقانونية والاجتماعية.

ما مرّت به ليبيا من تغيرات داخلية سياسيا اتخذت مؤسسات المجتمع المدني دورا كبيرا لسد الفجوة السياسية والاتجاه نحو المصالحة الوطنية، بالرغم من وجود فجوة ثقافية في تقبل التغيير، واختلاف الغير وأن يكون دورها الوصول إلى الفئات الأكثر تهميشاً في الدولة، ولا يقتصر على المدن الرئيسية بل السعي للوصول إلى جميع المدن، ونشر ثقافة التسامح، وترسيخ مفاهيم الوطنية والمصالح العليا للوطن، والسلام والأمن للمواطن، ونشر ثقافة حقوق الإنسان.

وتتوصل لأهم التوصيات: الوجود الفعلي لمؤسسات المجتمع المدني في كل منطقة، وتوفير علاقات وثيقة بين مؤسسات المجتمع المدني ووزارة الثقافة والإعلام، والمؤسسات التعليمية لدعم التنمية السياسية.

وبهذا العرض الموجز نصل لأهم النتائج أن دور مؤسسات المجتمع المدني لم تضع خطة لسد الفجوة الثقافية من ناحية السياسية والقانونية والاجتماعية بسبب التغيرات السياسية.

Summary:

Civil society institutions are defined by the World Bank as “a group of voluntary organizations that fill the public sphere between the family and the state and that work to achieve the material and moral interests of their members within the framework of commitment, values and standards of respect, compromise, tolerance, acceptance of pluralism, and sound management of differences and conflicts”.

So civil society includes, for example, political parties, productive institutions, educational and religious institutions, professional federations, trade unions, cultural and social clubs, as civil society institutions operate independently of state agencies and contribute to the political, legal and social fields.

The internal political changes that Libya has gone through, civil society institutions have taken a major role to bridge the political gap and move towards national reconciliation, despite the existence of a cultural gap in accepting change and the differences of others. Their role should be to reach the most marginalized groups in the country and not be limited to the main cities, but rather strive to reach all cities, spread the culture of tolerance, consolidate the concepts of patriotism, the highest interests of the nation, peace and security for the citizen, and spread the culture of human rights.

The most important recommendations are the actual presence of civil society institutions in each region, and the provision of close relationships between civil society institutions, the Ministry of Culture and Information, and educational institutions to support political development.

With this brief presentation, we arrive at the most important results that the role of civil society institutions did not develop a plan to bridge the cultural gap in political, legal and social terms due to political changes.

المقدمة:

مرور الدولة بمرحلة انتقالية نتيجة لتغير النظام السياسي مع عدم وجود ثقافة سياسية لتقبل الاختلاف والتغيير، لهذا يكمن دور مؤسسات المجتمع المدني في مساعدة التغيير رغم عدم وجود ثقافة واسعة بكيفية تعامل مؤسسات المجتمع المدني مع بعضها البعض، أو تعاملها مع الدولة، أو كيفية ترتيب أولويات الاهتمام من حيث الناحية السياسية ثقافياً، والدفع إلى طريق الديمقراطية.

الإشكالية:

تسأل- لماذا لا يزال المجتمع المدني بطيء مقارنة بالتغيرات السياسية ؟

-هل جغرافية الدولة تعيق سير عمل مؤسسات المجتمع المدني؟

-ماهي معوقات المجتمع المدني؟

أهمية الدراسة:

- فعالية مؤسسات المجتمع المدني في التغيرات والتطورات السياسية داخل الدولة.

الفرضيات:

-استقلالية المجتمع المدني ومواكبته التطور تساهم في ارتفاع التنمية السياسية.

- نجاح مؤسسات المجتمع المدني يعتمد على نشر الثقافة السياسية.

-لتحقيق الديمقراطية ووجود علاقة وثيقة بين دور مؤسسات المجتمع المدني والتنمية السياسية.

الخطة المنهجية:

اتباع المنهج الوصفي بالاعتماد على تحديد مفهوم المجتمع المدني وتأثير منظمات المجتمع بالتنمية السياسية والوصول إلى الديمقراطية.

حيث نعرض البحث في مبحثين:

المبحث الأول: المجتمع المدني.

المبحث الثاني: التنمية السياسية.

المبحث الأول - المجتمع المدني:

المجتمع المدني مصطلح استخدم في فترات مختلفة إلا أنه عاد إلى الظهور بمفهومه الجديد في القرنين السابع عشر، والثامن عشر ميلادي على يد عدد من العلماء والباحثين المتخصصين في علم الاجتماع مثل: توماس هوبز، مونتسكيو، هيغل، ورسو، وماركس. بعد فترة السبعينات من القرن العشرين انتشرت مؤلفات عن المجتمع المدني سنتكلم في هذا البحث عن دورها في التنمية السياسية في ليبيا، ونعرض المطلب الأول: ماهية المجتمع المدني. والمطلب الثاني: علاقة المجتمع المدني بالديمقراطية.

المطلب الأول - ماهية المجتمع المدني:

ثمة اتجاهات متنوعة لتعريف المجتمع المدني تتعدد بتعدد الباحثين يفرق البعض بين المفاهيم القديمة والمفاهيم الحديثة نعرض أهم تلك المفاهيم:

أولاً- تعريف المجتمع المدني:

أ-التعريف اللغوي:

المجتمع المدني يتألف من لفظين مجتمع وهو صيغة ترد في اللغة العربية إما اسم زمان أو اسم مكان أو مصدر ميمي بمعنى أنه إذا حدث دون زمان (اجتماع)، إما مكان أو

زمان (مجتمع القوم، اجتماعهم أو مكانته أو زمانه) المصدر الأخير (مدني) يميل في اللغة العربية إلى ساكني المدينة والحاضرة (حضر، بادية، مدينة) (اصر وآخرون، 2016، ص60)
ب_ التعريف الاصطلاحي:

يعرف هيغل (يحتل المجتمع مكانة وسطاً بين الدولة والأسرة، وهو يعني عنده مجموع الروابط القانونية والاقتصادية التي تنظم علاقات الناس فيما بينهم وتضمن تعاونهم واعتماد بعضهم على بعض، وذلك لا يعني أنه كيان مستقل تماماً عن الدولة، فهو متكون من أفراد لا يرون إلا مصلحتهم الخاصة، ويسعون إلى تحقيق حاجياتهم المادية، وهو ما يستدعي المراقبة الدائمة من قبل الدولة لضبط جموح المجتمع المدني) (ناصر وآخرون، 2016، ص60).
يعرف مازن غرابية (مجموعة من المؤسسات والتنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها ملتزمة بذلك بقيم الاحترام ومعاييرهِ والتراضي والتسامح والإرادة السلمية للتنوع والاختلاف) (نايف، 2012، ص35)
تعرف أماني قنديل (هو مجموعة من التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والإرادة السلمية للتنوع والاختلاف) (قنديل، 2000، ص47).
نصل إلى مقومات المجتمع المدني يرتكز على مبدأ الفصل بين السلطات وعدم السعي للوصول إلى السلطة وتتواجد في شكل منظمات نقل التنوع والاختلاف بين الذات والآخرين) (الأنصار، مجلة المستقبل، ع 272 سنة 2001، ص20).

حيث إن المجتمع المدني يرتكز على أسس جوهرية لتكوينه نتطرق إليها كآلاتي: -

أ/ الأساس الاقتصادي:

يقصد به تحقيق درجة من التطور الاقتصادي والاجتماعي باستقلالية بعيدة عن الدولة يسمح لإشباع الأفراد لحاجاتهم الأساسية من خلال المبادرات الفردية والنشاط الخاص.

ب/ الأساس السياسي:

نعمد الصفة السياسية على مبدأها حرية التعبير من الآراء والمصالح لمختلف القوة الاجتماعية بطريقة سلمية منظمة.

ج/ الأساس الأيديولوجي:

يشمل مجموعة القيم والأفكار الأيديولوجية التي تؤمن بها القوة الاجتماعية، سواء أكانت متوافقة مع أيديولوجية الدولة أو متعارضة معها.

د/ الأساس القانوني:

يراد به النظام القانوني للدولة القائم على أساس المساواة بين المواطنين في الحقوق والحريات بغض النظر عن انتمائهم العرقي أو الديني أو المذهبي. (أبو ذهب، الشؤون الخليجية العدد 67، سنة 2001، ص 29).

ثالثاً - وظائف المجتمع المدني:

- هناك العديد من الوظائف التي يقوم بها المجتمع المدني من بين هذه الوظائف الآتي:
1. تجميع المصالح تقصد تمارس هذه الوظيفة النقابات العمالية والمهنية والغرف التجارية والصناعية لمواجهة قضايا والتحديات تعترض مصالحهم.
 2. زيادة الثروة وتحسين الأوضاع من ضمنها مشاريع لزيادة الدخل أو مشاريع التدريب المهني.
 3. حسم النزاعات الداخلية وحلها بوسائل ودية دون اللجوء للدولة.
 4. تحقيق الانضباط والنظام داخل المجتمع تعتبر مؤسسات المجتمع المدني ورقابة على الجهات الحكومية وضبط سلوك الأفراد والجماعات.
 5. التنشئة الاجتماعية والسياسية والإسهام في بناء المجتمع بمبادئ التعاون وتحمل المسؤولية والمشاركة السياسية ومراقبة الحراك السياسي والاجتماعي.
 6. ملء الفراغ حال غياب الدولة عند حدوث غزو احتلال أجنبي أو حرب أهلية ويحدث انسحاب من عدة أدوار ووظائف (خشخوشة، 2019، ص94).
- رابعاً - معوقات المجتمع المدني: تعاني مؤسسات المجتمع المدني من مشكل التمويل إلى جانب ضعف البناء المؤسسي، وعدم توافر الكوادر، ونقص الخبرة، وتفتقر إلى نظرة استباقية مبكرة للأزمات مع ضغوط خارجية تعيق سير عمل المؤسسات. (نايف، 2012، ص70).

اهتمام المجتمع المدني وخاصة منظمات حقوق الإنسان بالحقوق المدنية والسياسية وإهمال الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. (شهادة، 2015، ص37)

نرى أن معوقات المجتمع المدني في عمل منظمات المجتمع المدني، وبطء نجاحها لأن الدولة تركيبتها الاجتماعية تعتمد على القبلية بشكل واسع، والذي يعيق دورها عدم تقبل التغيير والاختلاف للغير، بالإضافة إلى المساحة الجغرافية الواسعة للدولة، وعدم تواجد بعض المؤسسات المجتمع المدني في مناطق كثيرة لتقوم بواجبها بسبب الإهمال للجانب العملي في المؤسسات التعليمية والدينية بشكل مباشر خاصة في المناطق البعيدة، مواكبة سرعة التغيير، والوصول إلى الديمقراطية.

المطلب الثاني - علاقة المجتمع المدني بالديمقراطية:

إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمده الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1948، ننظر إليه من ناحية الديمقراطية يؤكد على أن الشعب مصدر لسلطة الحكومة (مادة 21 فقرة 3) والمجتمع المدني يلعب دوراً حاسماً في الديمقراطية، ويساهم من ناحيتين: الناحية الأولى: تسيير حركة المجتمع المدني للديمقراطية ومؤسساتها.

الناحية الثانية: وقاية المجتمع المدني للنظام الديمقراطي والعمل على تحقيق الرفاهية والتقدم والبحث في تغيرات المجتمع ودراسة للقضايا الاجتماعية ويدعو لتطور بشكل فعال خاصة عند حدوث تغيير سياسي مفاجئ داخل الدولة لها دور فاعل في تطوير المجتمع سياسياً واجتماعياً بنشر التوعية وثقافة حقوق الإنسان ونشر ثقافة التسامح وقبول الغير خاصة في المرحلة الانتقالية للدولة من الناحية السياسية للسعي للوصول إلى حياة داخلية بممارسة الديمقراطية بتعبير عن حرية الرأي والوصول إلى أهداف مشتركة وتحقيقها لصالح الجميع. (الطيب، 2007م، ص149).

المبحث الثاني - التنمية السياسية:

التنمية الشاملة هي تنمية على كل الأصعدة التي تكون الحياة المادية والاجتماعية للإنسان في المجتمع من نواحي اقتصادية وثقافية وصحية وسياسية وتعليمية أي تتضمن

الحاجات الأساسية المادية، وغير المادية للإنسان بهذا نوضح في هذا المبحث المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم التنمية السياسي

المطلب الثاني: آليات التنمية السياسية

المطلب الثالث: دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية السياسية

المطلب الأول- مفهوم التنمية السياسية:

يقصد بالتنمية السياسية أو التنمية الوطنية " النهوض " الشامل للمجتمع بأسره بما في ذلك قدرات الإنسان المادية والعقلية، فتح أكبر عدد من الخيارات أمامه بما يسمح بتحقيق طموحاته في شتى المجالات ويساعده على تقوية اعتماده على الذات والمشاركة في إبداء الرأي بالحرية والإسهام في أخذ القرارات التي تهتمه كمواطن. (الكردي، 1977، ص68). يعرف لوسيان باي " التنمية السياسية هي تحقيق المشاركة" ويعرفها تعريف آخر التنمية السياسية هي بناء الديمقراطية" (د. أحمد وهبان، مقال على شبكة المعلومات الدولية قوقل)

ثانياً- غايات التنمية السياسية وأهدافها: تحدد الصياغات النظرية في مستويات هي:

أ-المستوى السياسي:

الوصول إلى تحقيق الحرية ومشاركة المواطن في السلطة السياسية، وتحقيق المساواة والتوازن بين فئات المجتمع، وتحقيق المشاركة السياسية. (د.سعد طه علام، مكتبة المدبولي، القاهرة 2007 ص25)

ب- المستوى الاقتصادي:

التنمية السياسية غايتها تحقيق أعلى درجات الاستهلاك والإشباع المادي تتمثل في الاستهلاك في السلع والخدمات من خلاله يقيس مدى تقدم مجتمع ما أو تأخره توفير الخدمات الأساسية والثانوية والترفيهية. (د.علام، 2007، ص25).

أهداف التنمية السياسية:

تستهدف التنمية السياسية تنمية المؤسسات الإدارية والقانونية وإقامة مؤسسات سياسية لبناء الدولة وتحقيق الديمقراطية والمشاركة السياسية وتطوير الثقافة السياسية للمجتمع.

(علام، 2007م، ص25)

نرى يمثل استخدام التنمية السياسية لحل المشاكل والأزمات النظامي السياسي في ليبيا واستعمال اليات متعددة تتمثل بالأيديولوجية السياسية والتنشئة السياسية والثقافة السياسية والأحزاب السياسية والحلول لمواجهة الأزمات المتجددة سياسياً وتجنب تصبح أزمات مستديمة وصعبة الحل.

المطلب الثاني - أليات التنمية السياسية:

تقوم السلطة بتنظيم العلاقة بين عوامل متباينة عرفية وجغرافية وتاريخية واقتصادية وتكنولوجية لتكوين البيئة السياسية تدرج تحت النظام بحيث يحددها "دافيد اسيتوف" بثلاث تراكيب جوهرية المجموعة (أعضاء النظام) النظام (قواعد العلاقات والقوانين) السلطات (توزيع المهام) علاقة بين النظام السياسي والمجموعات (د. فيصل 1993، ص 55).

فالأحزاب السياسية مفهومًا عامًا عبارة عن تنظيم سياسي يسعى إلى وضع ممثليه في مناصب الحكم أو السلطة.

وتتمثل تنظيمات سياسية طوعية تلعب دورا هائلا في عملية التربية الثقافية والسياسية لأبناء المجتمع تساهم في نشر الوعي السياسي والاهتمام بقضايا الإصلاح الاقتصادي. (الأنصار، 2001، ص97).

والحث على المشاركة السياسية تعتبر الديمقراطية المؤشر الأساسي للمشاركة السياسية بالتعبير العلني واتخاذ القرارات.

حيث تشمل كافة شرائح المجتمع يقوم بها الأفراد ضمن إطار القانون كالتصويت أو العصيان المدني أو الاضطرابات العامة. (نايف، 2012م، ص94).

المطلب الثالث- دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية السياسية:

منظمات المجتمع المدني تعتبر مدارس للتنشئة السياسية على الديمقراطية وتحقيق المشاركة بمعناها الشامل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

إن الاستقلال النسبي المطلوب لمؤسسات المجتمع المدني وحرية التعبير لا يعني غياب المساءلة والرقابة على المجتمع المدني، بل مساءلة سواء من جانب أعضائها والرأي العام، إما من جانب الإدارة الحكومية إعمالاً لمبدأ الشفافية خاصة في مصادر التمويل. لمؤسسات المجتمع المدني فرصة مراقبة كافة البنى الاجتماعية بما فيها مؤسسات الدولة ذاتها وضبطها وتحديد وتصحيح مسارها.

ومن جانب آخر الدور التطوعي الذي لا يرتبط بتحقيق نفع مادي يتمثل في أرباح أو مكافآت وغير ملزم بل إرادي يزيد العمل التطوعي في أوقات الأزمات والكوارث والحروب، ويتشكل العمل التطوعي من جهد يدوي وعضلي ومالي ومعنوي في جميع حاجات ومتطلبات المجتمع بشكل منظم وتشجيع على ثقافة التطوع من خلال الإعلام والاسرة والمدرسة والجامعة والنوادي الاجتماعية والرياضية. (د. غضبان د. عبد العزوي، 2016، ص60)

الخاتمة:

الحرص من مؤسسات المجتمع المدني، على الاهتمام بكافة طبقات المجتمع سواء عن طريق التعليم بمراحله أو الإعلام، لمساعدة الحكومة على الانتقال السياسي في وقت أقل فليس هناك دعم للدولة، أفضل من مؤسسات المجتمع المدني بحيث تهتم، بجميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

النتائج:

1. مؤسسات المجتمع المدني لم تضع خطة لسد الفجوة الثقافية من جوانب (سياسية، قانونية، اجتماعية) بسبب التغيرات السياسية في داخل الدولة.
2. دور المؤسسات التعليمية والدينية ضيق لا يرتقي لدرجة نشر الثقافة السياسية والتنمية السياسية.

3. عدم استطاعة مؤسسات المجتمع المدني دعم الانتخابات والتحول الديمقراطي بسبب طبيعة الدولة القبلية.

التوصيات:

- 1- توفير علاقات وثيقة بين مؤسسات المجتمع المدني ووزارة الثقافة والإعلام لمعالجة بعض القضايا.
- 2- توجد منظمات المجتمع المدني في كل منطقة وتدرس الوضع من الجانب الاجتماعي والثقافي وتأثيره على السياسة.
- 3- تهتم منظمات المجتمع المدني بالكادر ويكون بها جميع التخصصات للنظر لأبعاد الإشكالية من جميع الجوانب.
- 4- تعاون متبادل بين الدولة ومؤسسات المجتمع المدني لمواكبة التغيرات السياسية.
- 5- تعاون مع مؤسسات التعليمية والجامعية لنشر ثقافة السياسية.

قائمة المراجع:

- 1- أبو طيب ناصر، هبة العوادي، المجتمع المدني المفهوم والأبعاد، دار الرياسة للنشر، عمان 2016م.
- 2- أماني قنديل، المجتمع المدني في مصر مطلع الألفية الجديدة، الناشر مركز الدراسات السياسية، القاهرة، 1993م.
- 3- أماني قنديل، المجتمع المدني في العالم العربي، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1994م.
- 4- د. حميد قاسم غضبان، د. شجن عبد العزوي، دور منظمات المجتمع المدني في العمل التطوعي، الناشر جامعة بغداد، 2016م.
- 5- محمد أحمد نايف، مؤسسات المجتمع المدني والتحول الديمقراطي، دار الحامد، الأردن، الطبعة الأولى، 2007م.
- 6- مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابع من ابريل، ليبيا، الطبعة الأولى، 2007م.

- 7- محمود الكردي، التخطيط للتنمية الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، 1977م.
- 8- سعد طه علام، التنمية والمجتمع، مكتبة المدبولي، القاهرة، 2007م.
- 9- د. غازي فيصل، التنمية السياسية في بلدان العالم الثالث، وزارة التعليم والبحث العلمي، بغداد، 1993م.
- 10- محمد أحمد نايف، مؤسسات المجتمع المدني والتحول الديمقراطي (الأردن أنموذجاً) 1999-2005، دار الحامد، الطبعة الأولى، سنة 2012م.
- ثانياً: المقالات والبحوث: -
- 1- أحمد وهبان، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية، www.ahmedwahdan.com
- 2- د. سامي صادق خشخوشة، نشأة وتطور المجتمع المدني في ظل واقع الأزمات، الناشر جامعة طرابلس، العدد 16، سنة 2019م.
- 3- عبد الحميد الأنصار، نحو مفهوم عربي إسلامي للمجتمع المدني، مجلة المستقبل العربي، سنة 2001م.
- 4- د. نفين أبو الذهب، علاقة الجولة بالمجتمع المدني، الشؤون الخليجية، العدد 67، سنة 2001م.

الأوضاع السياسية لأهل الذمة خلال العصر العباسي الأول

د. وليد عامر عون

كلية الآداب الأصابعة- جامعة الجبل الغربي

المستخلص

يدرس هذا البحث الأوضاع السياسية لأهل الذمة خلال العصر العباسي الأول والدور الذي كان يلعبه أهل الذمة في ذلك الوقت.

فقد منح الإسلام الحرية الدينية لأهل الذمة، يمارسون شعائهم وطقوسهم بدون تدخل من الإدارة الإسلامية وترجم ذلك ويشكل علمي منذ عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين.

وخلال العصر العباسي الأول نهج الخلفاء سياسة اللين والرفق بأهل الذمة التي كانت لها انعكاساتها وآثارها، تجلت بوضوح في الأدوار السياسية والأنشطة الاقتصادية والعلمية التي تميزت بها هذه الفئة، إلى جانب ذلك منحت لهم كافة الحقوق الدينية والاجتماعية، مما ساعدت هذه السياسة في خلق جو من التعايش والاندماج مع باقي الفئات في المجتمع الإسلامي في العصر العباسي.

ويهدف هذا البحث إلى توضيح نتائج المعاملة الحسنة التي كانت لأهل الذمة منذ عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى العصر العباسي.

الكلمات المفتاحية: الخلفاء العباسيين. الموالي. أهل الذمة. المعارضة. المؤرخون. الكتاب. النفقات. الثغور.

المقدمة:

شهدت الدولة الإسلامية عبر فتوحاتها للبلدان والأمصار خليطاً من الأجناس والأعراق، تعددت طوائفهم وأديانهم، منهم من دخل في رحاب الإسلام، وآخرون ظلوا على

ملتهم مقابل حقوق وواجبات منحها الإسلام إليهم ألا وهم أهل الذمة. فقد شكل أهل الذمة عنصراً أو فئةً من فئات المجتمع الإسلامي، حيث اعتبر الرسول - عليه الصلاة والسلام - ومن جاء بعده من الخلفاء أن اليهود والنصارى "أهل الكتاب" هم أهل الذمة ممن اعترف الإسلام بهم وعقد الذمة معهم مقابل دفع الجزية جاءت في إحدى آيات الكتاب المبين، وقد أُدخل بعد ذلك كلُّ من المجوس والصابئة في كنف الذمة أيضاً استناداً لما روى عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قوله: "سنوا بهم سنة أهل الكتاب".

فقد منح الإسلام الحرية الدينية لأهل الذمة، يمارسون شعائهم وطقوسهم بدون تدخل من الإدارة الإسلامية وفق القاعدة الأساسية في قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾، وتُرجم ذلك بشكل علمي منذ عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين.

وخلال العصر العباسي الأول، نهج الخلفاء سياسة اللين والرفق بأهل الذمة التي كانت لها انعكاساتها وأثارها، تجلت بوضوح في الأدوار السياسية والأنشطة الاقتصادية والعلمية التي تميزت بها هذه الفئة، إلى جانب ذلك، منحت لهم كافة الحقوق الدينية والاجتماعية مثل بناء الكنائس والأديرة، وحرية العبادة، والشعائر التي ساعدت في خلق جو من التعايش والاندماج مع باقي الفئات في المجتمع الإسلامي في العصر العباسي.

أهمية الموضوع:

بالرغم من وجود بعض الدراسات العلمية التي لها صلة بالأوضاع السياسية لأهل الذمة في العصر العباسي الأول، إلا أنها مازالت بحاجة إلى دراسة وتحليل للكشف عن حقائق الروايات التاريخية من حولها، ولفهم حقيقة هذه المرحلة وأسبابها وطبيعتها ونتائجها، وما ترتب عن وجودها في الدولة العباسية والتي أثرت على الوحدة السياسية والدينية في الدولة العباسية، وأعطت الفرصة لظهور الكثير من المعارضين الطامحين في الحكم والسلطة.

وعلى هذا الأساس تظل مسألة دراسة الأوضاع السياسية لعهود العصر الإسلامي الوسيط قائمة لتقديم أبحاث جادة وموضوعية قد تسهم في فهم طبيعة تلك المرحلة وحقائقها.

سبب الدراسة:

ستركز الدراسة على تقديم قراءة جديدة لمشكلة أهل الذمة وأثرها على الدولة العباسية في الفترة الزمنية المحددة العصر العباسي الأول، ومن هذا المنطلق تكمن أهمية اختيار الموضوع وسببه من أجل كشف الغموض والالتباس الذي حملته في طياتها الروايات التاريخية، وأخذ به الباحثون دون أي تحليل أو تمحيص، فالمصادر الإسلامية على الرغم من أهميتها حسب علم الباحثين إلا أنها لم تستغل الأمثل، فضلا عن أن أغلب المراجع التي تطرقت لموضوع أهل الذمة اقتصررت بصورة واضحة على إبراز الجوانب الفقهية والنظم المالية المسهبة في حين أهملت بقية الجوانب الأخرى، الأمر الذي جعل الباحث مدفوعا لطرق هذا الموضوع ودراسته.

أما من حيث الزمن فقد حددت الدراسة العصر العباسي الأول.

أما ما يخص المنهج المتبع في هذا البحث سيتبع الباحث المنهج التاريخي الذي يقوم على جمع المادة العلمية والمنهج التحليلي لمحاولة استنتاج بعض الحقائق من خلال عدد من النصوص التاريخية التي يعود تاريخها للفترة الزمنية لموضوع الدراسة، والالتزام بحدود الموضوع دون التقيد بالتسلسل الزمني، أو الإشارة إلى ذكر التواريخ.

ولإزاحة الغموض الذي أثير في ذهن الباحث بصدد الموضوع، رأيت طرح جملة من التساؤلات لاشك أن معالجتها ستوضح الأمور وتعطي الإجابة المنطقية عنها أهمها :
من هم أهل الذمة ؟ وما موقف الرسول والخلفاء الراشدين والأمويين تجاه أهل الذمة ؟
لماذا كان الخلفاء العباسيون أكثر اهتماما وتسامحا معهم ؟ ما الأسباب والمنطلقات التي تصوغ الموقف العباسي من الذميين ؟

هل لعب أهل الذمة دورا سياسيا إيجابيا في الحياة السياسية للدولة العباسية ؟ أم كان عبارة عن سلسلة من الثورات والحركات المناهضة للدولة التي ترمي للقضاء على الدولة الإسلامية والطعن في الإسلام الذي هو سر بقائها ؟
ولكي تغطي الدراسة الحقبة التاريخية المستهدفة سيتم تقسيمها إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بأسماء المصادر والمراجع.

المبحث الأول: موقف خلفاء بني العباس من أهل الذمة خلال العصر العباسي الأول.

المبحث الثاني- الدور السياسي لأهل الذمة في العصر العباسي الأول:
المبحث الأول- موقف خلفاء بني العباس من أهل الذمة خلال العصر العباسي
الأول:

خلال العصر العباسي الأول نهج الخلفاء سياسة اللين والرفق بأهل الذمة والتي كانت لها انعكاساتها وآثارها، تجلت بوضوح في الأدوار السياسية والأنشطة الاقتصادية والعلمية التي تميزت بها هذه الفئة، إلى جانب ذلك، منحت لهم كافة الحقوق الدينية والاجتماعية مثل بناء الكنائس والأديرة، وحرية العبادة، والشعائر التي ساعدت في خلق جو من التعايش والاندماج مع باقي الفئات في المجتمع الإسلامي في العصر العباسي، واستفادت الدولة العباسية واستغلت معظم الأخطاء والعوامل التي كانت سبباً في انهيار الدولة الأموية وسقوطها (ابن الاثير، 1987، ج3، ص368)، وبهذا كسبت وضمنت مبدئياً بعض الفئات المعارضة للدولة الأموية، أو بمعنى أدق ليس ضدها، ولما بقي وتسنى لها أن تستمر أكثر من خمسة قرون، إذا ما قورنت بالسقف الزمني للدولة الأموية (الطبري، دت، ج8، ص89). وإذا ما عقدنا مقارنة ما بين العهدين المنصوري والعباسي حول هذه المراكز لتبين لنا ضمناً ماهية الاختلاف.

ففي حين فرض معاوية أخذ البيعة بالترهيب والترغيب معتمداً في توطيد السلطان وفرض الطاعة بالوسائل الدنيوية - السياسة العصبية، السيف - مثيراً بهذا في صنع المعارضين استفاد واستغل العباسيون مسألة الشرعية وأحقية الخلافة إلى أبعد مدى ممكن حين أسبغوا على مفهوم الخلافة الرداء أو المظهر الديني (اليقوبي، ج2، د ت، ص360)، ومثلاً واضح قول أبو جعفر المنصور: "إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه أعمل بمشيئته فارغبوا الى الله أيها الناس" (شاكر: دت، ص5) وبقرابتهم للرسول الكريم، فهي المفتاح الأول لشرعية الخلافة، ولأنهم أصحاب الحق الشرعي فكان عليهم جعل كتاب الله تعالى وسنة نبيه دستوراً لدولتهم وتعهدوا بالتمسك بهذا في خطابهم الرسمي، وبذلك أغلق الباب إلى حد كبير على المعارضين من جميع فئات المجتمع (ابن الاثير: ج5، صص231.232).

والجدير بالذكر أن تمسك الخلفاء بمبدأ الكتاب والسنة، كان يسير في اتجاه خلق نظام مركزي يصهر كافة الفئات الاجتماعية المختلفة دون تمييز بين فئة وأخرى أو جنسا ولونا في

كف الدولة، فأصبحت على أثرها فئات المجتمع من عرب وموالي وأهل الذمة متساوين وعلى مسافة واحدة من البعد والقرب السياسي من الخلفاء (الصادق:2006،ص31) ومن مظاهر سياسية مركزية الدولة، أن الخلفاء العباسيين كانوا كثيري التولية والعزل، فالمنصور مثلا كان كثيراً ما يعزل ويعين آخر لنفس الإقليم، والمهدي والوائق أيضا (الشناوي:دت، ص78) ونتج عنه "أن أصبح الخليفة في مواجهة مباشرة مع الرعاية ولزم عليه بناء دولة يتمتع فيها الرعاية بأفضل الخدمات وسعة المعاش وغيرها، فأى خلل قد يقع في نظام الدولة سيفسر أنه تقصير من الخليفة نفسه فقد سحبت سياسة مركزية الدولة جميع الصلاحيات السياسية والإدارية من الولاة ومعاوني الخليفة" (الصادق:2006،ص37) وفتحت الباب أمام الجميع لأهل الكفاءات والخبرة في أجهزة وشؤون الدولة وعلى جميع الأصعدة، واللافت للنظر إذا ما تطرقنا للمعالم الاقتصادية للدولة والمنطلقات الأساسية، لتبين لنا أيضا ماهية الاختلاف ما بين العهدين، ففي حين اعتمد الأمويون على الخراج والجزية مصدراً أول لخزانة الدولة وموارد بيت المال استفاد ولجوء العباسيين إلى الاهتمام بالزراعة والتجارة والصناعة كمصدر أساسي لإقامة اقتصاد سلم محل اقتصاد حرب ، فعملت على تخفيض الجزية والخراج وإعفائها في بعض الفترات انحناءً للظروف (القاضي: 1999، ص167).

وخلاصة الحديث: أن التحول والاختلاف الذي حدث في ظل خلافة بني العباس سوف تتغير بموجبه نواحي الحياة السياسية والاقتصادية ومعالمها وحتى الثقافية للدولة، فهل كانت هذه المتغيرات تنصب في مصلحة أهل الذمة؟ أم كانت على العكس من ذلك؟ عند أهم الملامح السياسية والاقتصادية للدولة العباسية في عصرها الأول موضحاً أهم المستجدات والمتغيرات التي طرأت على هذا العصر، وفي هذا سيتم التطرق إلى إبراز أثر هذه السياسات على واقع أهل ذمة من خلال معاملة الخلفاء. من الطبيعي أن تكون معاملة الخلفاء متأثرة إلى حد بعيد بالمرتكزات السياسية وأبعادها المالية والاقتصادية للدولة، ولعل أبرزها جعل الكتاب والسنة دستوراً لدولتهم، والاستعانة بالفقهاء والعلماء، وانتهاج سياسة مركزية الدولة، وما نتج عنها باستخدام أهل الخبرة والكفاءات في أجهزة الدولة (البلاذري:1978،ص167). إضافة إلى الاهتمام بالزراعة والتجارة مصدراً أول لخزانة الدولة وبطبيعة الحال أن تبيّن الخلفاء العباسيين للخطاب الديني والاستعانة بالفقهاء والعلماء كان

يسير في مصلحة أهل الذمة فقد أشادت المصادر على أن العصر العباسي حفل بمواقف الأئمة والفقهاء مدافعين فيها عن أهل الذمة (ابويوسف: ج2، 1999، ص138)، فعلى سبيل الاستدلال، وفي بلاد الشام عارض الإمام تجاوزات الخلفاء والولاة، حينما أصدر الوالي العباسي كتاباً بإجلاء تام لنصارى جبل لبنان بسبب تمرد بعض العناصر الذمية، فوقف الأوزاعي مدافعاً قائلاً: " قد كان إجلاء أهل الذمة في جبل لبنان فكيف تأخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم فإنهم ليسوا عبيداً ولكنهم أحرار أهل ذمة " (اليقوي: دت، ج2، ص52)، كما عمل تقديم النصح للخلفاء بإسقاط الجزية والخراج على أهل الذمة في بعض الفترات الحرجة مراعاة لحالة الفرد والأرض. وفي سياق هذا الموضوع وفي بلاد العراق حدد القاضي أبو يوسف في كتابه الخراج (فرسخ: دت، ص67) هذا الموقف الفقهي إذ قال للرشيد: "ينبغي أن تتقدم بالرفق بأهل الذمة والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤدوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم"، وتكرر الأمر أيضاً في مصر من قبل الفقهاء وحرصهم الكبير على الأخذ بمبادئ الكتاب والسنة في سبل التعامل مع غير المسلمين والأقباط بوجه خاص (شاكرا: دت، ج2، ص52)، ولهذا يتساءل أغلب الباحثين عن سر التدخل الإيجابي للفقهاء في هذا العصر مقارنة بما كان منهم في العهد الأموي متعللاً البعض بأن نظام أهل الذمة من حقوق وواجبات قد استقر وتحددت أبعاده ومعالمه، وصار الخروج عليه تجاوزاً لإحكام الدين، الأمر الذي يعارضه الفقهاء والعلماء وحتى عامة الناس (الطبري: دت، ج8، صص 71.72)، ويرى الباحث السبب من وراء ذلك راجعاً إلى تمسك الخلفاء بالسياسة الدينية دستورا للدولة وكان لا يتم بطبيعة الحال إلا على أيدي الفقهاء فكان تقريب الخلفاء لهم بصمة مؤثرة إلى حد كبير في القرار السياسي للعباسيين، وعليه يمكن القول، بأن موقف الخلفاء تجاه أهل الذمة كان ممزوجاً ومقروناً بأراء الفقهاء والعلماء وإرشاداتهم الحاضرة والمتكررة ما بين الحين والحين، وفي ذلك يقول المستشرق (الشابستي: 1966، ص258) جب أن الخلفاء العباسيين على خلاف الأمويين أدركوا بوضوح أهمية الدور الذي كان الفقهاء قد لعبوه في مصر الدولة فجعلوا بين دولتهم الجديدة وبين الفقهاء ركناً ركينا في سياستهم، وبهذا كان تطبيق الخلفاء السياسة نقطة إيجابية انصبت إلى حد كبير في مصلحة أهل الذمة. ومما يحدو على تطبيق الخلفاء الكتاب

والسنة هو إظهار سياسة التسامح والعدل ورد المظالم عن أهل الذمة.

فالروايات التاريخية تؤكد التزام العباسيين بهذه السيرة، والأدلة على ذلك كثيرة ومتعددة وقد لا يتسنى لنا ذكرها جميعها وحصرها في هذا المقام، وأصدق تلك الأدلة وأكثرها تعبيراً عن مبدأ التسامح هو ما وصى به الخليفة أبو جعفر المنصور ولي العهد من بعده بالرفق بأهل الذمة وألا يكلفوا فوق طاقتهم مطلباً أساسياً من متطلبات التسامح الديني للدولة، ونادراً ما كانت تحدث هذه الوصايا من قبل الخلفاء في العصر الأموي، وهذا أصدق دليل على حسن نية الخلفاء وتسامحهم تجاه أهل الذمة منذ اللحظة الأولى بتوطيد دعائم الملك والخلافة (الشابستي: دت، ص73).

وإلى جانب هذا الدليل نضيف عدداً من الأدلة التاريخية الأخرى، ومنها أن الخلفاء قد تركوا لأهل الذمة حق ممارسة شعائرهم الدينية والدليل على ذلك استمرار بناء الأديرة والكنائس المسيحية في قرع أجراسها ونواقيسها على ما كانت تسببه من إزعاج للمسلمين (البلاذري: دت، ص194)، إضافة إلى حضور وتوافد الخلفاء والشعراء وحتى عامة الناس لأعياد ومهرجانات المجوس والنصارى المقامة داخل وخارج الأديرة والكنائس. (الجهشياري: دت، صص224.226)

وبما رواه لنا البلاذري باعتراف الرهبان ورجال الدين أنفسهم في ذلك العصر برسم صور بعض الولاة المسلمين ونحتها داخل جدران كنائسهم، دليلاً على التسامح الديني للخلفاء العباسيين (الأصفهاني: 1973، ص451). وما دنا بصدد ذكر الأدلة انفراداً من الجهشياري والأصفهاني بذكر روايتين مختلفتين دلتا على عدل العباسيين في رد المظالم على أهل الذمة، فالأول أشار إلى تظلم أحد رجال الذمة من المجوس إلى يحيى بن خالد البرمكي في زمن الرشيد يشكوه من أحد الرجال المسلمين، قتل أخاه وسرق ماله، فاقصص القاضي له وأقر المال إلى المجوسي الذي أسلم على أثر ذلك (الصادق: 2006، ص31) والأصفهاني يذكر لنا من خلال روايته إلى سبب آخر في ظل تحميل المصادر التاريخية الذي أخذ به الباحثون الجدد حول هروب الشاعر دعبل الخزاعي وهجرته من الكوفة إلى باقي الأمصار الإسلامية البعيدة من قلب العاصمة أو الدولة فراراً من بطش الخلفاء العباسيين بسبب مدحه للعلويين وهجائه لهم، إلا أن المتأمل والمتمعن في خلفية العلاقة ما

بين الشاعر والخلفاء المعاصرين له، يستشف بأن ثمة سبب آخر من وراء ذلك، والمتمثل على ما رواه لنا الأصفهاني بمطالبة الخليفة والاقتصاص منه بقتله لأحد الصيارفة اليهود (ابن الاثيرد، ج5، ص222) ولا أريد الإطالة في استعراض الأدلة التي تؤكد تسامح الخلفاء وعدلهم في رد المظالم عن هذه الفئة، وهي كثيرة ومتنوعة، غير أنه يمكن الخروج من هذا الموضوع بذكر واقعة تعكس حرص المسلمين وتجنبهم إلقاء الضرر بأهل الذمة، ودليلنا على ذلك بما رواه لنا خليفة بن الخياط (ابن الاثير: دت ، ص 222) في كتابة عن القافلة المتجهة من البصرة إلى كور الجزيرة والمكونة من تجار مسلمين ونصارى، وإلى اعتراض طريقهم بعض الروادف من المسلمين وقتل وسلب أموالهم مستثنين بذلك تجار النصارى، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على تطبيق الخلفاء وتشدهم في رد المظالم عن أهل الذمة و بناء على ما ذكر، نستشف من خلال ما أفاضت به المصادر التاريخية عن مدى عدل الخلفاء العباسيين وتسامحهم مع أهل الذمة، وهذا التسامح نابع من التمسك بالكتاب والسنة دستوراً لدولتهم، وهذا ما كان ينصب أو يكون ذا أثر كبير وإيجابي على واقع أهل الذمة.

المبحث الثاني-الدور السياسي لأهل الذمة في العصر العباسي الأول:

لولا التوجهات السياسية للخلافة العباسية المتمثلة في قبضة الخليفة لمختلف شؤون الحياة في يده، بمعنى آخر المضي على سيرة الخلفاء الراشدين فيما يسمى بالسلطة المركزية أو مركزية الدولة.

ومن مظاهر هذه السياسة، واستكمالاً للعهد الراشدي، أن الخليفة أصبح على حد قول أحد الباحثين في " مواجهة مباشرة مع الرعية، ولزم عليه بناء دولة يتمتع فيها الرعية بأفضل الخدمات من جودة المرفق وسعة المعاش، فأى خلل قد يقع في نظام الدولة سيفسر بأنه تقصير من الخليفة نفسه، فقد سحبت سياسة مركزية الدولة جميع الصلاحيات السياسية والإدارية من العمال ومعاوني الخليفة" (ابن الاثير دت ، ج5، ص231)، وأصبحت في قبضة الخليفة ولذا توجّب على الخلفاء العباسيين حمل بناء دولة كثيرة المحاسن والمزايا على عاتقهم وهو ما كانوا يسعون إليه فعلاً، فيروى أن المنصور كان شغله صدر نهاره الأمر والنهي، وتعيين الولاة وعزلهم، وشحن الثغور والأطراف والنظر في الخراج والنفقات، وآخر

نهاره النظر فيما ورد من كتب الأقاليم والآفاق (ترثون: دت، ص85)، ومصداقاً لذلك فقد أجمعت المصادر على أن الخلفاء كانوا كثيري التولية وكثيري العزل، فالمنصور على سبيل المثال كان كثيراً ما يعزل عاملاً ويعين آخر في نفس الإقليم في السنة الواحدة، وكان المهدي ومن جاء بعده كثيري التولية والعزل للعمال في بعض الأقاليم الإسلامية (توماس: دت، ص87).

إن إسهاب المصادر في ذكر عزل الولاة المسلمين في الأقاليم دون أن تعطي تفسيراً ومبرراً مقنعاً لهذه الظاهرة، قد تعداه المؤرخون المحدثون - مستشرقون وعرب على حد سواء - فيذهب كلٌّ من ترثون وأرنولد (الجهشياري: دت، ص254) السبب من وراء عزلهم راجع بالدرجة الأولى إلى تجزير العمال والولاة في تحصيل الجزية والخراج على أهل الذمة، مما يتعارض مع المرتكزات الأساسية للدولة العباسية، وأورد كلٌّ من فيليب حتى وجرجي زيدان (الطبري: دت، ج8، صص 631.638) على المذهب نفسه وإذا اقتصر المستشرقون ومن تبعهم في الرأي من بعض المؤرخين العرب في تفسير الظاهرة للسبب المشار إليه فحسب، فإن الدراسات العربية الحديثة رأَت ذلك من زاوية مختلفة أو من منظور سياسي صرف فيرى أنور الصادق سبب الظاهرة راجع إلى تبصر الخلفاء بخفايا الولاة ومكائدهم وما كان منهم في العهد الأموي، فعزلهم يعني استئصال أو عدمية بناء مراكز نفوذ لهم في هذه الأقاليم على حساب المتأمرين والخارجين، ويضيف الباحث ومن خلال الاطلاع على المصادر المتعلقة بهذا الموضوع، إلى وجود بعض حالات عزل العمال الناجمة عن الأحداث والمتغيرات السياسية للدولة، فقد عزل الخليفة الرشيد معظم الأتباع والموالين للبرامكة بعد أحداث النكبة، ومما يؤكد ذلك قوله: "أريد أن استهل قوماً لم يعملوا معهم، فقيل له، لا تجد أحداً لم يكن يخدمهم" (القلقشندي: دت، ج1، صص 172.173)، كما فعل أو تكرر الحال في عهد المأمون وعزله وتعذيبه حتى الفقهاء والقضاة ممن لا يؤمن بمخلوقية القرآن أو أن القرآن مخلوق (القلقشندي: دت، ج1، ص173).

هذه الأسباب إن صحَّ القول في رأي الباحث كانت وراء خلفية عزل الخلفاء للولاة والعمال في الأمصار والأقاليم، كما انكشف لنا من خلالها مدى معاملة الخلفاء لأهل الذمة، فكيف ذلك؟

بشيء من المنطق وبساطة التفسير، أن عزل العمال بدافع رفع الأذى عن أهل الذمة، كان مؤشراً يتجه نحو حسن الظن بنية الخلفاء، كما بينت الدراسة كمطلب من متطلبات السياسة الدينية للدولة، فالقارئ لرواية القلقشندي عند مقارنته لعزل العمال وتوليتهم لإقليمي بلاد الشام ومصر خلال العصر العباسي الأول، يستشف أو يلاحظ بأنه تمت مفارقة في عدد الولاة وبشكل ملحوظ ولاقت في مصر عن بلاد الشام، فمثلا في عهد الخليفة السفاح الذي استمرت فترة حكمه سنتين أو يزيد عزل أكثر من أربعة أو خمسة ولاة وعمال في البلاد المصرية، علي العكس مما يحدث في بلاد الشام الذي كان المسمى عبدالله بن العباس منذ تولى السفاح الخلافة واليا على هذا الإقليم، واستمر الحال على ما هو عليه حتى عهد المأمون (ابن الجوزية:1994، ج2، ص215) وإذا ما القينا نظرة على وضع الأقباط في مصر، لوجدناه مليئا بثورات الأقباط الناقمة إلى حد كبير من تعسف الولاة في جبي الجزية والخراج (ابن الجوزية:1994، ج2، ص216)، وهذا يعني لنا مرة أخرى التسليم بما ذهب إليه المستشرقون في تفسير ظاهرة العزل، كما ينكشف لنا أيضا من هذه الزاوية أو المنظور بأن وضع الذميين في بلاد الشام أحسن حالا ويسرا من الأقباط في مصر، وما دما بصدد الإجابة، بينت الدراسة كيف أن العديد من الباحثين قد أولوا سبب عزل العمال كان بقصد حرص الخلفاء من بناء الولاة مراكز نفوذ لهم في الدولة لحساب المتأمرين والخارجين، كما رأت الدراسة أسباب العزل ناجمة أو ماطراً - على الدولة من أحداث ومستجدات سياسية ككتابة البرامكة ومسألة أن القرآن مخلوق وغيرها.

على أي حال هذه الأسباب المجتمعة وأبعادها كان لها الأثر الكبير والإيجابي على واقع أهل الذمة. ومصدقا لذلك، وحتى تكون الرواية أكثر وضوحا ودقة ضرورة التعرّيج والوقوف عند بعض النصوص والروايات التاريخية والتي أفاضت وتحفظت أيضا على هذا العصر، وذلك من حيث إفراط الخلفاء العباسيين وتوسعهم في استخدام أهل الذمة والاستعانة بهم في شتى النواحي والمجالات لدرجة كثرت معها شكاوى المسلمين بتظلمهم من أعمال أهل الذمة وطيلة العهد العباسي الأول.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه الحوار الذي دار بين الخليفة أبو جعفر المنصور وأحد الرجال المقربين إليه طالبا الأخير رفع المظالم عن المسلمين وعدم تمكين النصارى من ظلمهم

وعفسهم في ضياعهم، وانتهاك لحرمتهم، وما ورد في ذلك الحوار: "يا أمير المؤمنين، سلطت الذمة على المسلمين، ظلموهم وعفسوهم وأخذوا ضياعهم وغبوا أموالهم وجاروا عليهم واتخذوك سلماً لشهواتهم".

وابن القيم (ابن القيم 1994، ج2، ص219) يخبرنا بأنه قويت شوكتهم وكثر استخدامهم والاستعانة بهم في عهد الخليفة المهدي، الذي استخدم بنفسه كاتباً نصرانياً في قصره، فاجتمع المسلمون إلى أحد الرجال النقاة المقربين إلى الخليفة، وسأله بمخاطبته أن لا يفرط أو يستعن بأحد على غير دين الإسلام في شيء من شؤون المسلمين وما جاء في النص هو أصدق دليل: "يا أمير المؤمنين إنك تحملت أمانة هذه الأمة، وقد عرضت على السماوات والأرض والجال فأبين أن يحملنها، ثم سلمت الأمانة التي خصك الله بها إلى أهل الذمة دون المسلمين"، وفي عهد الخليفة الرشيد والمأمون أشادت المصادر والمراجع بأنه تم عزلهم بإعداد كبيرة وصل عددهم مثلاً في عهد الخليفة الأخير قرابة ألفين وثمانمائة، فضلاً عن قطعة لأسماء اليهود من ديوان الجيش والخراج (موريس: 1990، ص97)، والواضح من خلال ما تبين بأنه كان لهم دور كبير وواضح في شؤون الدولة بجميع مرافقها على الرغم من إشارات العزل، والدليل على ذلك أنه تم الاستعانة بهم واستخدامهم بشكل كبير أيضاً في عهدي الواثق والمعتمد وحتى المتوكل (شاعر ج2، ص102)، وفي ذلك يقول المستشرق جان موريس إذ كان على الخلفاء تحمل مكائد وتصرفات أهل الذمة لصعوبة الاستغناء عن خدماتهم، كما يتبين لنا بأنهم يمثلون في العصر العباسي الأول - على حد قول شاعر مصطفى. أكثر من نصف سكان الدولة وخصوصاً في أقاليم الدراسة مصر والعراق وبلاد الشام (فرسخ: ص97).

وبطبيعة الحال، إن إسهاب المصادر في ذكر استعانة الخلفاء العباسيين وتوسعهم في استخدام أهل الذمة دون استغلالهم أو أن تعطي لنا سبباً أو العلة من استخدامهم على الرغم من أنه مرفوض شرعاً (ابن القيم: ج1، ص152)، وفي ظل شح المعلومات والنصوص المتعلقة بواقع الحال إلى الاستناد على بعض استنتاجات الكتابات الحديثة أملاً في إعطاء القارئ صورة أقرب للواقع، حيث يقول مصدر: "كتاب الصفوة الحاكمة تدرك حاجتها إلى موظفين أكفاء من أهل الذمة، وتدرك في الوقت نفسه أن هؤلاء لا يمتلكون طموحاً يهدد

نفوذها، وليس في المجتمع عصبية تخشى عواقبها، ولأنهم موظفون مأمون جانبهم فقد عملت على أثر ذلك على الاستعانة بهم واستخدامهم في شتى المجالات والنواحي" (ابويوسف: دت، ج8، ص234).

وهذا إذا ما أمعنا النظر من خلال النص السابق يتضح لنا حقيقتان أساسيتان أولهما، أن الدولة إن صح القول وجدت نفسها مضطرة للاستعانة والاعتماد على أهل الذمة، ولأنه تتوفر لديهم على حد قول صاحب المقدمة (الطبري: دت، ج8، ص234) صفات وشروط أهل الخبرة والكفاءات، فلم يهتم الخلفاء على الرغم من ذلك بأصولهم العرقية أو مذاهبهم الدينية طالما تتوفر فيهم الشروط المناسبة. ومن البديهي في ظل عزل العمال المسلمين سواء بدافع حرص الخلفاء من بنائهم مراكز نفوذ لهم في الدولة، أو لأسباب وأحداث سياسية أخرى - كنكبة البرامكة وغيرها - مؤشرا انصب لحساب تعيين رجال من أهل الذمة، كما أشار صاحب النص، لأنهم بطبيعة الحال مأمون جانبهم ولا يمتلكون طموحا يهدد نفوذ الدولة على العكس ما كان من الولاة والعمال المسلمين، إضافة إلى عزل الخليفة الرشيد لجميع الأتباع والموالين للبرامكة، نقطة إيجابية انصبت في مصلحتهم، فالمتمعن في أحداث ما بعد النكبة يلحظ بوضوح تزايد أعداد أهل الذمة في أجهزة وشؤون الدولة الأمر الذي ترك عزلهم وبأعداد كبيرة (ابن كثير: دت، ج10، ص206).

ومن خلال ما سبق، تكون الدراسة قد بينت جانباً مهماً، المتمثل في الموقف الإيجابي للخلفاء من خلال أثر المرتكزات السياسية على واقع أهل الذمة، غير أنه لا يتضح الملامح الرئيسية لهذه الدراسة دون أن تقدم أو تعطي بعض المقارنات لأوضاع هذه الفئة في تلك الأقاليم، وهذا لا يتم إلا بتسليط الضوء على الظروف أو سلبيات هذا العصر والمآخذ التي عليه في نظر المؤرخين ضد أهل الذمة.

من أهم الأسباب التي دفعت الباحث لخوض غمار هذا المحور في أن كثيرا من الباحثين العرب وإن شادوا وأبرزوا بكل موضوعية الجانب المشرق والمضيء حول موقف الخلفاء العباسيين اتجاه أهل الذمة، إلا أنه في نفس الوقت واجه هذا العصر العديد من التهم، وهؤلاء بنظرتهم وكتاباتهم تلك يشوهون الصورة الحقيقية وراء موقف الخلفاء لأهل الذمة في تلك الأقاليم.

ولعل أبرز ما لجأ إليه بعض المؤرخين في تقديم للتاريخ العباسي خلال عصره الأول، يدور حول نوعين من المضايقات، دينية اقتصرت فقط في هدم الكنائس واجتماعية متمثلة في فرض الزي واللباس.

ففي حين تجمع أغلب المصادر التاريخية وتتفق على أن هدم الكنائس وفرض الزي واللباس، اقتصر بوجه خاص على عهدي الرشيد والأمين في بعض الأقاليم، ولأسباب ومبررات كانت في جزء منها مصلحة أهل الذمة، وفي الجزء الآخر المتك للكتاب والسنة، نلاحظ ونكشف في الوجه الآخر من وجود مفارقات من خلال كتابات بعض المؤرخين العرب الواقعة تحت تأثير المدرسة الاستشراقية* باستنتاجات ومواضيع عنونت تحت مسميات التضيق والمضايقات والاضطهاد التي يشوبها المبالغة والتعميم وتتقصها الموضوعية، دون أن يتم التدقيق في نقلها من قبل هؤلاء وتمحيصها برؤية شاملة وبالقدر الكافي.

وحتى تكون الرؤية أكثر دقة، فمن المعروف بين الفقهاء والعلماء بأن بناء الكنائس والأديرة مرفوض شرعا وفقا للشروط للعهد المبرمة في العهود الأولى التي لا تجيز ذلك، فإن هدمها في بعض الأحيان جائز وفقا أيضا لتلك الشروط (المسعودي: دت، ص 357) فهل يعني لمؤرخي العرب أمثال جرجي زيدان والبيوزيكي، هدم تلك الكنائس في الثغور التي كانت تأوي الأعداء ومنبرا للجاسوسية لحساب الدولة الرومانية نوعا وشكلا من أشكال الظلم والاضطهاد، آخذين بعين الاعتبار بأنه نقض عهدهم وحل دمهم بما أقدم عليه هؤلاء الذمة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل من بين هؤلاء المؤرخين من يجزم بتعميم قرار الرشيد وتطبيقه في جميع الأقاليم الإسلامية، في الوقت الذي تخبرنا المصادر باقتضاره على بغداد دون غيرها، متناسين القاعدة التاريخية التي تقول أن لا تحمل النص ما ليس فيه.

فالقاري لروايتي الطبري وابن كثير (ابن الاثير: دت، ج 5، ص 204) يدحض ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون، والمتمعن في سير الأحداث ومجرياتها خلال السنة 191 هـ / 807 م، يلتمس تزامن كتاب الخليفة الرشيد إلى السند بن شاهك الذي يطلب فيه من أحد أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم ببعض الأحداث السياسية وخروج أحد الخارجين والمعارضين يقال له شروان بن سيف عن طاعته متنقلا بسواد العراق

سافكاً لدماء العامة ممن اعترض طريقة (ابن الاثير:دت، ج5، ص348)، مما يجعلنا أمام أمرين بأنه جاء الكتاب لحرص الخليفة في أن لا يقع أهل الذمة ضحية لتلك المجازر والطحنات ما بين المسلمين، أو صدر إثر تضررهم من تلك الأحداث، ومصداقاً لذلك وما إذا ما استبقنا الأحداث، فقد أشارت بعض المصادر وبدون

تقديم السبب من وراء ذلك الحدث، لحالات تعرض فيها الذميون والأقباط بوجه خاص لسوء المعاملة وتخريب الكنائس والحرب الأهلية ما بين الأخوين الأمين والمأمون (الجهشياري: دت، ص21).

ومهما يكن من الأمر، فإنه يمكن الخروج من هذا الموضوع بذكر ظاهرة سادت خلال عهدي المنصور والمهدي، نستشف منها بأن قرار إلزام أهل الذمة بلباس خاص يميزهم عن المسلمين، لم يكن مقتصرًا عليهم بل شمل في بعض العهود كافة فئات المجتمع، فقد أمر الخليفة المنصور رعيته بلبس القلائس الطوال المصنوعة من القصب والورق، كما ألزم المهدي أهل مصر الأشراف منهم والفقهاء بلبس القلائس، وأن يدخلوا بها عليه في يوم الاثنين والخميس (ابن خلدون:دت، ج1، ص676).

ومن خلال ما تبين، فإنه من الصعب إعطاء صورة شاملة وواضحة عن الوضعية الحقيقية لأهل الذمة خلال العصر العباسي الأول وإلى أي مدى كان موقف الخلفاء مختلفاً ومتشابهًا في تلك الأقاليم في ظل شح المعلومات وندرتها المتباينة من بلد إلى بلد.

ولكن مع هذا وذاك نستخلص مما سبق أن جميع الإجراءات السالفة الذكر التي من خلالها تبين لنا ولو مبدئيًا مدى تباين سياسة الخلفاء تجاه أهل الذمة انصبت على النصارى واليهود دون غيرهم وتصيبهم في إقليمي مصر والعراق دون باقي أنحاء الدولة، ونذر ما كان يتم تعميمها أو حتى تطبيقها على أهل الذمة.

والشواهد التي تؤكد في حقيقة الأمر ما ذهبت إليه في هذا الشأن فهي على الآتي:

إذا اقتصر عزل الموظفين على اليهود والنصارى فإنه شمل في نفس الوقت هذا الإجراء كافة أنحاء الدولة، وإن لم تشر وتصرح المصادر لهذا، فإنها انفتحت في أسباب عزلهم الناجمة من تجبرهم وسلبهم لأموال المسلمين، وإذا كانت كنائس النصارى بوجه خاص قد تعرضت في بعض الأحيان لهدم أو تخريب، فهذا أمر مرتبط بظروف سياسية داخلية

وخارجية، سرعان ما أعيد ترميمها وبنائها.

فعلى سبيل الاستدلال في مصر وفي عهد المأمون أعيد بناء وترميم الكنائس التي تعرضت للتخريب، وبدون قصد أثناء الحرب الأهلية في عهد الخليفة الأمين، ويقصد ولأسباب خارجية هدمت بعض الكنائس المتاخمة للدولة البيزنطية التي جاءت ردة فعل إثر نقضهم لعهود الذمة (المقدسي:1990،ص103).

أضف إلى ذلك اقتصر قرار الرشيد على بغداد دون باقي الأقاليم حينما ألزم أهل الذمة بلباس خاص يميزهم عن باقي الفئات الاجتماعية الأخرى ولأسباب أشرنا إليها، مما يعني لنا بأنه لم يتم تطبيقها على العهود التي سبقت عهد الرشيد.

اللافت للنظر من خلال ما سبق ذكره هو اقتصار هذا الأثر على اليهود والنصارى دون غيرهم، وشذرات ما كانت المصادر الإسلامية تسهب في ذكر حادثة أو واقعة للمجوس والصابئة وحتى اليهود في أحيان أخرى وإن أشارت فإن ذلك كان في جمل قصيرة وعبارات متناثرة هنا وهناك، من حيث تسنى لأحد العناصر الأعجمية رئاسة المنجمين وقيادتهم في عهد الخليفة الهادي، أما فيما يخص سياسة الخلفاء اتجاههم من حرية دينية وبناء المعابد أو ما هو موقف الخلفاء منهم، فلم تشر المصادر لا من قريب ولا من بعيد لهذه الفئتين مثلما أفاضت في ذكر النصارى واليهود، وكأنه لم يكن لهما وجود جغرافي في أقاليم الدراسة، فما السر أو السبب في ذلك؟

هل تمكن الإجابة في الظن المشار إليه في أنهم لم يكن لهم أي وجود يذكر في تلك الأقاليم، أم كان ناتجا من اختلاف المؤرخين القدامى والمحدثين وخطهم على حد سواء بسبب تعدد المسميات والمصطلحات التي دلت على الموالي وأهل الذمة معاً، فالجهشياري (الجهشياري:دت،ص 206) على سبيل المثال يستعمل لفظ الأعجمي في رواياته للدلالة على رجال موالي المسلمين، وابن خلدون (المقدسي:دت،183) يوظفه للكناية عن الرجل المسلم والذمي معاً، ولنا في ذلك أدلة كثيرة وروايات عديدة، مما أوقعت الباحثين في مأزق أو فخ صعوبة التفرقة ما بين هذا وذلك، وفي واقع الأمر وبدراسة بعض المصادر الجغرافية المتعلقة بهذا الموضوع تكاد تجمع على أن النصارى أو المسيحيين هم الأكثرية الواضحة تضاهي في ذلك حتى عدد المسلمين في كلٍ من بلاد العراق ومصر وبلاد الشام (ابن النديم : دت، ص 445)، أمّا

اليهود فإنهم أقلية قليلة موزعون في أنحاء تلك الأقاليم (ابن النديم: دت، ص445)، وقلّ وندر ما أشارت المصادر كما أسلفت إلى وجود عناصر المجوس والصابئة، وإن وجدوا فإنهم بأعداد قليلة وبالبحث عن أوضاعهم وما هو موقف الخلفاء منهم.

فالمقدسي (المقدسي: دت، ص183) مثلاً بعدما تعرج ووقف عند كل إقليم من الأقاليم التابعة للدولة العباسية، مبيناً لنا عدمية وجود أثر للمجوس بأعداد تذكر في كلٍ من بلاد العراق و مصر، منتقلاً بعد ذلك لإقليم الشام مسترسلاً فيه حتى يختمه مؤكداً في وصفه لهذا الإقليم: "متوسط الهواء كثير الذمة والمجذومين ولا تجد فيه مجوسياً ولا صابئاً"، وابن النديم⁽⁵⁴⁾ في حديثه عن صابئة حران، يكشف لنا أماكن وجودهم وما حل بهم في عهد الخليفة المأمون، وإجبارهم على الدخول في الإسلام أو حتى التنصر.

وختاماً فإن القارئ بإمكانه استيعاب ما سبقت الإشارة إليه سواء بإيضاح المزيد للأثر الإيجابي للمنطقات السياسية على واقع أهل الذمة أو ما يدعم من موقفنا ويدحض بما ذهب إليه البعض من الباحثين، إضافةً لما ذكره كلٌّ من ابن النديم والمقدسي بشأن المجوس والصابئة.

الخاتمة:

لقد توصلت الدراسة الى مجموعة من النقاط، كشفت الدراسة النقاب عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية لأهل الذمة خلال العصر العباسي الأول، مع محاولة عقد بعض المقارنات والمقاربات - ربما تُعد الأولى - للسياسة العباسية تجاه أهل الذمة في كل من إقليم العراق وبلاد الشام ومصر، بحسب ما توفرت لنا من معلومات أفادت طبيعة الموضوع:-

1-مزاولة أهل الذمة والخلفاء كافة أنواع الأنشطة الإدارية والاقتصادية خلال العصر العباسي الأول حتى تأذى المسلمون من ذلك، بل تضيف الدراسة أن معظم المشتغلين في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية هم من اليهود والنصارى، وبذلك صدقت رواية صاحب المقدمة بأن المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين وما بعده لا يحسنون الكتابة والحساب لذا كان لزاماً الاستعانة بالموالي وأهل الذمة في تنظيم شؤون الدولة.

2-تمتع أهل الذمة يهود ونصارى خلال العصر العباسي الأول بدءاً بالسفاح وانتهاء بالوائق

- بحرية دينية كاملة تمثلت في إقامة الطقوس والشعائر الدينية وبناء الكنائس والمعابد لليهود، كما سمحوا لهم بالاحتفال بأعيادهم الدينية ويدق النواقيس
- 3- تؤكد الدراسة مدى تأثير أهل الذمة النصارى خاصة واندماجهم في المجتمع العباسي حتى تسموا بأسماء المسلمين الحسن والحسين وعلي، وتشبه كثير منهم بالمسلمين في الزي والملبس، أمّا اليهود على الرغم من أنهم استطاعوا إلى حد كبير الانسجام والتكيف في المجتمع العباسي سواء من خلال المهن والأنشطة التي امتهنوها، إلا أنهم كانوا حريصين كل الحرص على عدم الاحتكاك والاندماج مع باقي فئات المجتمع حرصاً على عاداتهم وتقاليدهم لذا فلم تعلن لنا المصادر عن مصاهرات نسب وتزاوج تمت ما بين اليهود والمسلمين.
- 4- أسهم أهل الذمة في الساحة الثقافية، فاشتهرت أسماء كثيرة في ميادين الطب والترجمة والأدب وغيرهما، مما يؤكد تمتع هذه الفئة بحرياتهم بحيث تمكنوا من استخدام مواهبهم في خدمة المجتمع الذي عاشوا فيه.
- 5- يمكن القول بأن المجوس والصابئة من خلال هذا التتبع في بطون المصادر والمراجع، لم يكن لهم وجود يذكر في الأقاليم التي حددتها الدراسة على الرغم من آراء البعض التي ترى العكس من ذلك، وأن وجودهم كان بكثرة خصوصاً المجوس في بلاد خراسان وفارس، أما الصابئة فقد خيروا بأمر من الخليفة المأمون بالالتصر أو اعتناق الإسلام كما جاء في رواية ابن النديم، ولهذا اقتصر تتبع أوضاع أهل الذمة على اليهود والنصارى دون غيرهم.
- 6- وأخيراً فإن القرارات التي فرضت على أهل الذمة من قبل الخلفاء لم تكن من جهة إلا دفاعية، كما لم تطبق ويتم تعميمها على جميع أنحاء وأقاليم الدولة العباسية، بل في معظم الأحيان اقتصرت على إقليم دون إقليم وعلى شريحة النصارى مثلاً دون اليهود كمسألة فرض اللباس والزي الخاص في عهد الرشيد على نصارى بغداد وهدم الكنائس المتاخمة للدولة.

قائمة بأسماء المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

1. أبي الحسن علي بن أبي محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الكامل في التاريخ راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق مج 3 دار الكتب العلمية بيروت 1987.
2. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار سويدان، بيروت، د.ت.
3. أحمد بن أبي يعقوب جعفر بن وهب اليعقوبي تاريخ اليعقوبي مج 2 دار صادر بيروت د.ت.
4. الحافظ جلال الدين السيوطي تاريخ الخلفاء دار الفكر بيروت (د-ت)
5. ابن الأثير: أبي الحسن على بن محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، د.ت.
6. أبو يوسف يعقوب القاضي: تح طه عبد الرؤوف وآخرون، المكتبة الأزهرية للتراث، 1999.
7. البلاذري: أبي الحسن أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، تح، رضوان محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.
8. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1960.
9. أبي الحسن بن محمد الشاذلي، الديارات تحقيق كوريس عواد منشور المكتبة المثني، بغداد، ط2، 1966
10. الجهشياري أبي عبيد محمد بن عبدوس: الوزراء والكتاب، تح مصطفى السقا وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
11. الأصفهاني أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
12. أبي عمرو خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، بيروت، ط2 1973.
13. القلقشندي أحمد بن عبدالله بن الشهاب: مآثر الأناقة في معالم الصحابة، تح عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، 1980.
14. ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبيد الله: أحكام أهل الذمة، تح صبحي الصالح، دار

- العلم للملايين، بيروت، 1994.
15. ابن خلدون عبدالرحمن بن خلدون المغربي: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1976.
16. أبو يوسف يعقوبي القاضي: الخراج، تح طه عبد الرؤوف وآخرون، المكتبة الأزهرية للتراث، 1999.
17. ابن كثير الحافظ إسماعيل الدمشقي: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، دمشق، 1977.
18. المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين: التنبيه والإشراف، مكتبة الخياط، بيروت، 1965.
19. جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج2 دار الكتب المصرية، القاهرة، 1939
20. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع في مدينة لندن، ط 2 1909.
21. الكرخي، المسالك والممالك، راجعه محمد شقيق غربال، دار القلم بيروت.
- ثانياً: المراجع العربية**
1. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
2. شاكر مصطفى دولة بني العباس ج 2 وكالة مطبوعات الكويت (د-ت)
3. عوني فرسخ: الأقليات في التاريخ العربي منذ الجاهلية وإلى اليوم، دار القلم، بيروت، د.ت.
4. أحمد الأبيش وآخرون دمشق الشام في نصوص الرحالة الجغرافيين العرب المسلمين القرن 3 إلى 13 هجري ج1، دار صادر، بيروت، د.ت.
5. شاكر مصطفى: دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت.
6. عوني فرسخ الأقليات في التاريخ العربي منذ الجاهلية وإلى اليوم دار القلم، بيروت (د-ت)
7. محمد أيوب الشناوي، الفكر السياسي الإسلامي، مركز القاهرة، (د-ت)
8. جلال مظهر: حضارة الإسلام وأثرها في الترقى العالمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

القاهرة، 1970

9. محمود أحمد أبو صوة: في التاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، منشورات مركز الجهاد الليبي، طرابلس، 1996.

10. توفيق الطويل: العرب والعلم في عصر السلام الذهبي، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.

ثالثا المراجع الأجنبية المترجمة

(1) جان موريس فييه، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة حسني زينة، دار المشرق، لبنان، 1990.

(2) ترتون: أهل الذمة في الإسلام: تح عبدون و أحمد فؤاد، الديار المصرية للتأليف، القاهرة، د.ت.

(3) أرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام، تح حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957.

(4) لويس معلوف: المنجد، المطبعة الكاثوليكية لليسوعيين، بيروت، 1949.

رابعا: الرسائل العلمية

(1) أنور الصادق: أثر الحركات الشعبية والزندقة على الحياة الفكرية في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، 2006.

آراء الأخفش 215هـ في كتاب مجيب النداء وموقف الفاكهي 792هـ منها

جمعاً ودراسةً

د. الطاهر عمار الدبار

كلية الآداب/الأصابعة - جامعة غريان

مقدمة:

يُعَدُّ كتاب مجيب النِّداء إلى شرح قطر النَّدى وبل الصدى للفاكهي 972هـ من أجود شروح القطر لابن هشام الأنصاري 761هـ وأحسنها تصنيفاً ومعالجةً، حيث تناول المسائل التي وردت في القطر وعالجها معالجة واضحة، فعرض آراء العلماء في المسألة الواحدة ونسبها لأصحابها، مرجحاً ما يرى ترجيحه ومؤيداً ذلك بالدليل والحجة القاطعة . ومن العلماء الذين نقل عنهم الفاكهي 972هـ الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة 215هـ حيث نقل عنه عدداً من المسائل وافقه في بعضها ومن ذلك: أنّ لعلّ تأتي للتعليل فقال: (...أو للتعليل على رأي "الكسائي"، و"الأخفش") وقوله: (وحكى الأخفش أنّ ناساً من العرب يرفعون بـ "نعم" النكرة مفردةً ومضافةً) (الفاكهي، 2007، ص85)، وخالفه في البعض الآخر، وقد وقع اختياري على تلك المسائل التي خالف فيها الفاكهي الأخفش لتكون ميداناً لهذه الدراسة فكان عنوانها (آراء الأخفش 215هـ في كتاب مجيب النداء وموقف الفاكهي 972هـ منها)، واقتضت ضرورة البحث أن يقسم إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع، وانتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد الاستقراء سبيلاً له.

المبحث الأول - ترجمة الأخفش والفاكهي:

المطلب الأول - الأخفش:

اسمه سعيد بن مسعدة، وأجمعت كتب الطبقات والتراجم على أنّ كنيته "أبو الحسن"، وقد لُقِّب بالأخفش (ابن الأنباري، 1985، 133)، وبالأخفش المجاشعي، وكان يقال له الأخفش الراوية (الزبيدي، 1973، 72-73). ولُقِّب بالأخفش الأوسط فهو أحد الأخافش الثلاثة المشورين (السيوطي، 1964، 590/1)، وقد غلب لقب الأخفش على أبي الحسن سعيد بن مسعدة، فحيثما يذكر لقب

الأخفش مجرداً من الكنية والاسم ينصرف الذهن مباشرة إلى الأخفش الأوسط، وكثيراً ما تنسب إليه الآراء بكنيته "أبي الحسن" التي اشتهر بها.

شيوخه:

لم تذكر لنا كتب التراجم الشيوخ الذين أخذ عنهم الأخفش، لكن الأنباري قال: (وكان أبو الحسن قد أخذ عمّن أخذ عنه سيويه... وهو الطريق إلى كتاب سيويه) (ابن الأنباري، 1985، ص107)، ولذا فإنّ شيوخ الأخفش هم شيوخ سيويه، ومنهم:

- 1 - حماد بن سلمة بن دينار البصري 167هـ (ابن الأنباري، 1985، ص40، 41) .
- 2 - الأخفش الأكبر أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وطبقته، وأخذ عنه سيويه اللغة وشيئاً من النحو (مقدمة كتاب سيويه، ص9) .
- 3 - يعقوب بن إسحاق بن زيد بن أبي إسحاق الحضرمي البصري القاري 250هـ (السيوطي، 1964، 348/2) .
- 4 - عيسى بن عمر النخعي البصري 149هـ (ابن الأنباري، 1985، ص22) .
- 5 - يونس بن حبيب الضبي (الزبيدي، 1973، ص51) .
- 6 - الخليل بن أحمد الفراهيدي 175هـ (القفطي، 1986، 341/1) .
- 7 - أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري 215هـ (ياقوت الحموي، 1993، 212/11) .
- 8 - أبو عمرو بن العلاء، قارئ أهل البصرة 154هـ، ولم يأخذ عنه سيويه إلا من طريق الرواية عمّن روى عنه (مقدمة كتاب سيويه ص13) .

تلاميذه:

- 1 - أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي 225هـ (ابن الأنباري، 1985، ص143 - 145) .
- 2 - أبو عثمان بكر بن محمد المازني 248هـ (السيوطي، 1964، 463/1 - 466) .
- 3 - أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني 255هـ (الزبيدي، 1973، ص4) .
- 4 - العباس بن الفرّج أبو الفضل الرياشي 257هـ (الزبيدي، 1973، ص97 - 99) .
- 5 - أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزياتي (الزبيدي، 1973، ص122) .
- 6 - أبو محمد عبد الله بن محمد التوزي 230هـ (السيوطي، 1964، 64/2) .
- 7 - عبد الله بن محمد بن هاني أبو عبد الرحمن 236هـ (السيوطي، 1964، 284/1) .

وفاته : توفي سنة 215هـ (الزركلي، 2002، 101/3) .

المطلب الثاني - الفاكهي:

اسمه: جمال الدين عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن عمر بن أبي بكر الفاكهي المكي الشافعي النحوي .

ولد بمكة سنة 899هـ وكان مشاركاً في جميع العلوم، قال عنه ابن العماد الحنبلي: (لم يكن له نظير في زمانه في علم النحو، فإنه كان فيه آية من آيات الله تعالى) (ابن العماد الحنبلي، 1986، 536/10) .

آثاره العلمية:

- 1 - الحدود النحوية.
- 2 - شرح الأجرومية لابن أجروم الصنهاجي.
- 3 - شرح الحدود النحوية.
- 4 - شرح شذور الذهب.
- 5 - الفواكه الجنية شرح متممة الأجرومية لحطاب الرعيني.
- 6 - كشف النقاب عن مخدرات ملحّة الإعراب للحريري .
- 7 - مجيب النداء إلى شرح قطر الندى. (الفاكهي، 2007، ص13، 14) .

المبحث الثاني - آراء الأخفش 215هـ وموقف الفاكهي 792هـ منها:

القضية الأولى - أقسام الفعل:

قال الفاكهي: (...وأما الفعل فثلاثة أقسام عند جمهور البصريين، وقسمان عند الكوفيين والأخفش... وإنما كانت الأفعال ثلاثة لانحصار الزمان في ذلك، لأنّ الفعل الذي هو الحدث، إما متقدّم على زمن الإخبار، أو مقارن له، أو متأخّر عنه، الأول هو الماضي، والثاني الحال، والثالث الاستقبال) (الفاكهي، 2007، ص200، 201) .

الدراسة:

اختلف النحاة في حدّ الفعل وأقسامه، ولعلّ أقدم تعريف للفعل وصل إلينا هو تعريف سيبويه، حيث يقول في كتابه: (وأما الفعل فأمثلة أُخِذَتْ من لفظ أحداث الأسماء وبُنِيَتْ لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع) (سيبويه 1988م، 1/12).

فالفعل عند سيبويه ثلاثة أقسام باعتبار الزمان، وهي الماضي، والمضارع، والحال. وعرفه الزجاجي بقوله: (الفعل ما دلّ على حدث وزمان ماضٍ أو مستقبل، نحو: قامَ ويقومُ، قَعَدَ ويُقَعَدُ وما أشبه ذلك) (الزجاجي، 1979، ص 52، 53).

فالزجاجي قسّم الفعل باعتبار الزمان إلى قسمين: الماضي والمستقبل. وعرفه ابن الحاجب بأنه (ما دلّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة) (الرضي، 1996، 797/2).

ويقول ابن يعيش: (لما كانت الأفعال مساوقة للزمان والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده وتتعدم عند عدمه انقسمت بأقسام الزمان، ولما كان الزمان ثلاثة: ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك، فمنها حركة مضت، ومنها حركة لم تأت بعد، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية، كانت الأفعال كذلك ماضٍ ومستقبلٍ وحاضرٍ) (ابن يعيش، 2013، 9/7).

ويذهب المخزومي - وهو من النحاة المعاصرين - إلى: (أنّ تقسيم النحاة الفعل على أساس حركات الفلك بتخصيص كلّ قسم منه بقسم من أقسام الزمان جعلهم يواجهون صعوبات كثيرة في تفسير استعمالات الفعل في غير ما خصّوه به من زمان معيّن) (المهدي المخزومي، ص 114).

أي أنّ النحويين القدامى تأثروا بالعلل الفلسفية في تأصيل قواعد النحو، ويرى المخزومي أنّ النحو متطور؛ لأنّ اللغة متطورة، يقول: (فعل الأمر عندهم إذن مُقْتَطَعٌ من الفعل المضارع، وليس قسيماً له أو للفعل الماضي، ولا قسمًا مستقلًا من أقسام الفعل) (المهدي المخزومي، ص 116)، وفي رأيه السابق إشارة إلى رأي الكوفيين في عدم جعل الفعل الأمر من أقسام الفعل، حيث يرى الكوفيون: أنّ الفعل ينقسم ثلاثة أقسام: الماضي، والمضارع والدائم، وجعلوا فعل الأمر مقتطعًا من المضارع، وذكروا له بناءين "أفعلٌ وفعلٌ" يقول ابن الأنباري: (ذهب الكوفيون إلى أنّ فعل الأمر للمواجه المعرّي عن حرف المضارعة، نحو أفعلٌ معرب مجزوم...) (ابن الأنباري، 1961، ص 524).

واحتجّ الكوفيون (بأنّ قالوا إنّما قلنا إنّهُ معرب مجزوم، لأنّ الأصل في الأمر للمواجه في نحو أفعلٌ لِنَفْعَلْ كقولهم في الأمر للغائب لِنَفْعَلْ وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلْكَ فَلْيَفْرَحُوا

هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» في قراءة من قرأ بالتاء من أئمة القراء، وذكرت القراءة أنها قراءة النبي من طريق أبي بن كعب... وقد جاء في الحديث: وَلْتَرَهُ وَلَوْ بِشَوْكَةٍ، أي: زُرَّهُ، وجاء عنه - صلوات الله عليه - أنه قال في بعض مغازيه: لِتَأْخُذُوا مَصَافِقَكُمْ أَي: خُذُوا، وقال - صلوات الله عليه - مرة أخرى: لِتَقُومُوا إِلَى مَصَافِقِكُمْ، أي: قُومُوا، وقال الشاعر:

لِتَقُمْ أَنْتَ يَا بَنَ خَيْرِ قُرَيْشٍ فَتَقْضِيَ حَوَائِجَ الْمُسْلِمِينَ

... فثبت أن الأصل في الأمر للمواجه في نحو أفعل أن يكون باللام نحو لِتَفْعَلْ كالأمر للغائب إلا أنه لما كثر استعمال الأمر للمواجه في كلامهم وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب استقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فحذفوها مع حرف المضارعة طلباً للتخفيف (ابن الأنباري، 1961، 524/2، 528)، وهذه القراءة (فَلْتَقْرَحُوا) بالتاء أمراً للمخاطب وإن كانت شاذة فقد ورد مثلها في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ولهذا ذكر الرواة أنها قراءته صلى الله عليه وسلم .

أما البصريون فيرون أن فعل الأمر مبني على السكون، وأن الأصل في الأفعال البناء، والأصل في البناء السكون، وما أُعْرِبَ من الأفعال أو كان مبنياً على الفتح فلمشابهته الأسماء، قال الأنباري (قالوا: إنما قلنا إنه مبني على السكون، لأن الأصل في الأفعال أن تكون مبنية، والأصل في البناء أن يكون على السكون، وإنما أُعْرِبَ ما أُعْرِبَ من الأفعال أو بُنِيَ منها على فتحة لمشابهة ما بالأسماء، ولا مشابهة بوجه ما بين فعل الأمر والأسماء، فكان باقياً على أصله في البناء) (ابن الأنباري، 1961، 534/2) .

القضية الثانية- ما المصدرية بين الحرفية والاسمية:

قال الفاكهي: (بل منه "ما" المصدرية وهي المسبوكة مع ما بعدها بالمصدر، نحو: «وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ» آل عمران/118، أي: عنتكم، وقيل: إنها اسم) (الفاكهي، 2007، ص 223).

يرى الفاكهي في معرض حديثه عن الحرف أن " ما " المصدرية حرف، ويرى الأخفش وتابعه بعض الكوفيين أنها اسم.

الدراسة:

للنحويين في "ما" المصدرية مذهبان:

المذهب الأول:

أن " ما " المصدرية حرف بمنزلة "أن" إلا أنها لا تعمل عملها، وهي حينئذ لا تحتاج إلى عائد، فإذا قلت: " أعجبتني نظمُهُ " فكأنك قلت: أعجبتني نظمك .
وذهب إلى ذلك جماعة من النحويين منهم: سيبويه (سبويه، 1988، 326/2، 11/3، 102، 156)، وكذلك ذهب الجمهور إلى ما ذهب إليه سيبويه (أبوحيان، 1998، 993/2)، والمبرد (المبرد، 1994، 200/3)، وأبو علي الفارسي (الفارسي، 17/2)، والعكبري (العكبري، 1995، 113/2، 126)، وابن يعيش (ابن يعيش، 2013، 142/8)، وابن مالك (ابن مالك، 2006، 302/1) .

وهو ما ذهب إليه الفاكهي في كتابه (مجيب النداء) .

واحتج هذا الفريق لمذهبه بأن هناك مواضع لا يجوز أن يعود شيء من صلة "ما" إليها كقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة/3، فلو كانت "ما" في الآية اسماً لكان في الجملة ضمير بعدها ولا ضمير فيها، ولا يصح تقدير ضمير بعدها، لأن الفعل استوفى مفعوله.

وكذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيَّهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ التوبة/118، فليس في صلة "ما" هنا عائد، والفعل لازم ولا يصح إلحاق الضمير به (ابن يعيش، 2013، 142/8).

المذهب الثاني:

يرى أصحاب هذا المذهب أن "ما" المصدرية إذا كانت معرفة فهي اسم بمنزلة "الذي" والفعل في صلتها كما يكون في صلة " الذي"، وإذا كانت نكرة فهي بمنزلة شيء، والفعل بعدها صلة لها، ولا بد لها من عائد سواء كانت بمعنى "الذي" أو بمعنى "شيء".

وممن ذهب إلى هذا الرأي من النحويين ابن السراج (ابن السراج، 1996، 161/1)،
والمازني (السيوطي، 2001، 281/1)، والرماني (الرضي، 1996، 292/3)، والسهيلي (محمد
فؤاد عبد الباقي، 22/3)، وكذلك ذهب بعض الكوفيّين إلى أنّها اسم (المالقي: رصف المباني
ص315) .

واحتج أصحاب هذا الرأي لقولهم باسميّة "ما" المصدرية أنّها لو كانت حرفاً كـ "أنّ"
لعملت فيها كما عملت "أن"، لأنّ جميع الحروف التي تدخل على الأفعال ولا تدخل على
الأسماء تعمل في الأفعال، فلمّا وجدنا أنّها غير عاملة حكماً بأنّها اسم كأمثالها من
الموصولات (العكبري، 1995، 126/2) .

ومما سبق يترجّح قول الفاكهي على قول الأخفش وهو ما ذهب إليه سيبويه وجمهور
النحويّين لما يلي:

أولاً - أنّ "ما" والفعل الذي بعدها تؤوّل بمصدر وكذلك "أنّ" غير أنّ "أنّ" تختص بالفعل
ولذلك نصبته.

ثانياً - أنّ صلة "ما" وجدت في مواضع لا يمكن فيه تقدير عائد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿
وَمِمَّا زَرَفْنَا لَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة/3، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا
رَحَبَتْ﴾ التوبة/118

وقول الشاعر:

يَسُرُّ الْمَرْءَ مَا ذَهَبَ اللَّيَالِي وَكَانَ ذَهَابُهُنَّ لَهُ ذَهَابًا

في حين نجد عائداً في "ما" الاسميّة ظاهراً أو مقدراً (ابن الشجري، 1991، 558/2)،
(559) .

ثالثاً - ادّعاء حذف عائد الصلة وجوباً، فالأخفش يقول في نحو: "أَعْجَبَنِي مَا قُمْتُ": "إنّ "ما"
اسم، والأصل: مَا قُمْتُ، أي: القيام الذي قمته، فإنّ هذا العائد لم يلفظ به قط (ابن
هشام، 1991، 337/1) .

القضية الثالثة: أداة التعريف اللام وحدها أم "أل" بجملتها

قال الفاكهي (الأداة أي: أداة التعريف وهي "أل" بجملتها للتعريف عند الخليل وسيبويه،
لكن الخليل الهمزة عنده أصلية، فهي همزة قطع كهزمة "أم" وإن حذف في الوصل لكثرة

الاستعمال، وسيبويه يخالفه في أصالة الهمزة، فهي عنده همزة وصل زائدة، لكنها معتد بها في الوضع... لا اللام وحدها للتعريف وضعت ساكنة فاجتلبت همزة الوصل للتمكّن من الابتداء بالساكن، وفتحت لكثرة استعمالها مع اللام خلافاً للأخفش (الفاكهي، 2007، ص351).

الدراسة: اختلف النحويون في هذه المسألة على أربعة مذاهب:

المذهب الأول:

أنّ المعرّف هو "أل" برمتها والهمزة أصلية لا زائدة، وهو ما ذهب إليه الخليل، قال سيبويه: (وزعم الخليل أنّ الألف واللام اللتين يعزفون بهما حرف واحد كقَدْ، وأنّ ليست واحدة منهما منفصلة عن الأخرى كانفصال ألف الاستفهام في قوله: أأريدُ؟ ... وقال الخليل: ومما يدلّ على أنّ "أل" مفصولة من الرّجل ولم يُننّ عليها، وأنّ الألف واللام فيهما بمنزلة قول الشاعر:

دَعُ دَا وَعَجَلُ دَا وَأَلْحَقْنَا بِدَانَ بِالشَّحْمِ إِنَّا قَدْ مَلَلْنَاهُ بَجَلًا (سيبويه، 1988، 324/3).

وتابع ابن كيسان 299هـ الخليل في أنّ "أل" حرف ثنائي الوضع والهمزة همزة قطع، قال السلسيلي 770هـ: (ومذهب ابن كيسان أنّ الكلمة ثنائية والهمزة همزة قطع) (السلسيلي، 1986، 265/1)، وكذلك فعل ابن مالك فقد تابع الخليل في كون الهمزة همزة قطع وليست همزة وصل، يقول: (وهي "أل" لا اللام وحدها وفاقاً للخليل وسيبويه، وقد تخلفها "أم"، وليست الهمزة زائدة خلافاً لسيبويه) (ابن مالك، 1967، ص42).

المذهب الثاني:

أنّ المعرّف هو "أل" كاملة، والهمزة زائدة، وهو ما ذهب إليه سيبويه، يقول: (وتكون موصولة في الحرف الذي تُعرّف به الأسماء، والحرف الذي تُعرّف به الأسماء هو الحرف الذي في قولك: القوم والرجل والناس، وإنما هما حرفان بمنزلة قولك: قَدْ، وسَوْفَ) (سيبويه، 1988، 147/4).

المذهب الثالث:

أنّ المعرّف هو اللام وحدها، وذكر بعضهم أنّ هذا هو مذهب سيبويه، قال ابن يعيش: (واللام هي حرف التعريف وحدها والهمزة وصلة إلى النطق بها ساكنة هذا مذهب سيبويه)

(ابن يعيش، 2013، 17/9)، وليس ما ذكره ابن يعيش صحيحاً بدليل أنّ سيبويه عدّه في الثنائية الوضع في باب "عدّة ما يكون عليه الكلام" فقال: (وَأَلَّ تَعَرَّفَ الْأَسْمَ فِي قَوْلِكَ : الْقَوْمِ وَالرَّجُلِ) (سيبويه، 1988، 226/4) .

المذهب الرابع:

أنّ المعرّف هو الهمزة وحدها، واللام زائدة فرقاً بين همزة الاستفهام والهمزة المعرّفة، وهذا مذهب المبرّد، قال الرضي: (وذكر المبرّد في كتابه "الشافي" أن حرف التعريف: الهمزة المفتوحة وحدها، وإنّما ضُمَّ إليها اللام لئلا يشتهب التعريف بالاستفهام) (الرضي، 1996، 241/3) .

والظاهر أنّ ما ذهب إليه سيبويه هو الصحيح، لتخطّي العامل الضعيف إيّاه، قال الرضي: (والدليل على أنّ اللام هي المعرّفة فقط: تخطّي العامل الضعيف إيّاه، نحو: بِالرَّجُلِ، وذلك علامة امتزاجها بالكلمة وصيرورتها كجزء منها، ولو كانت على حرفين لكان لها نوع استقلال، فلم يتخطّها العامل الضعيف) (الرضي، 1996، 240/3) .

القضية الرابعة- " لات " بين الإعمال والإهمال:

قال الفاكهي: (... وكذا يعمل عمل "ليس" "لات" خلافاً للأخفش) (الفاكهي، 2007، ص406) .

الدراسة:

تابع الفاكهي الجمهور في أنّ "لات" تعمل عمل ليس خلافاً للأخفش الذي يرى أنّها لا تعمل في أحد قوليه، ويرى في القول الآخر أنّها تعمل عمل "إن". وقد اختلف العلماء في حقيقة "لات" وفي عملها على النحو الآتي:

أما حقيقتها فلم فيها مذاهب:

الأول: أنّها كلمة واحدة فعل ماض، ثم اختلف هؤلاء على قولين:

أحدهما: أنّها في الأصل بمعنى "تَقَصَّ" من قوله تعالى: ﴿لَا يَلِيكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ الحجرات/14، فإنّه يقال: لَاتَ يَلِيْتُ، كما يقال: أَلَتَ يَأْلُتُ وقد قرىء بهما .
والثاني: أنّ أصلها لَيْسَ بكسر الياء قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وأبدلت السين تاء .

والثاني: ما ذهب إليه الجمهور من أنها كلمتان: لا النافية، والتاء لتأنيث اللفظة كما في ثُمَّتْ ورُبِّتْ، وإنما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين.

والثالث: ما ذهب إليه أبو عبيدة وابن الطراوة من أنها كلمة وبعض كلمة، وذلك أنها لا النافية، والتاء زائدة في أول الحين (ابن هشام، 1991، 419/1). وعملها فيه خلاف بين النحاة:

- ذهب الأخفش في أحد قوليه إلى أنها لا تعمل شيئاً، قال أبو حيان: (فذهب الأخفش إلى أنها لا تعمل، بل إن ارتفع الاسم بعدها فهو مبتدأ، وخبره محذوف، أو خبر محذوف المبتدأ، أو انتصب فعلى إضمار فِعْلِ) (أبو حيان، 1998، 1211/3). وفي قوله الآخر أنّ "لات" تعمل عمل "إن" فتتصب الاسم وترفع الخبر (الأزهري، 2006، 269/1).

- ذهب الجمهور إلى أنها تعمل عمل "ليس" (ابن هشام، 1991، 420/1). كما اختلفوا في معمول "لات" هل هو "الحين" أم تتعدى إلى ما رادفه من الظروف، وظاهر كلام سيبويه أنها لا تعمل إلا في لفظ الحين، يقول: (لا تكون لاتٌ إلا مع الحين، تضمّر فيها مرفوعاً وتتصب الحين لأنه مفعول به) (سيبويه، 1988، 57/1). وذهب أبو علي الفارسي إلى (أنها تعمل في الحين وفيما رادفه، معرفة كان، أو نكرة، ومما عملت فيه قوله:

حَنَّتْ نَوَازُ وَلاَتٌ هُنَّا حَنَّتِ

وقوله:

نَدِمَ الْبُعَاةُ وَلاَتٌ سَاعَةً مَنَّدَمَ

القضية الخامسة: حكم إعمال "لكن" المخففة من الثقيلة

قال الفاكهي: (... وأما "لكن" إذا كانت مخففة من الثقيلة فتهمل وجوباً، لزوال اختصاصها بالأسماء بدليل ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴾ الزخرف/76، وعن يونس والأخفش جواز الإعمال قياساً) (الفاكهي، 2007، ص416).

الدراسة:

يرى الفاكهي أنّ "لكن" مخففة تهمل وجوباً، لزوال اختصاصها بالأسماء، وذهب

الأخفش إلى جواز إعمالها قياساً.

وذهب النحويون في هذه المسألة إلى أربعة آراء:

الأول: أنّ "لكن" المخففة من الثقيلة لا عمل لها لزوال اختصاصها بالأسماء ويبقى معناها وهو الاستدراك، ويجوز أن تستعمل بالواو ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ الزخرف/76، ف "لكن" في الآية حرف استدراك مهمل، و(كانوا) فعل ماضٍ ناقص، والواو اسمها، و(هم) ضمير فصل لا محل له، و(الظالمين) خبر كان، وبدون الواو نحو قول زهير:

إِنَّ ابْنَ وَرَقَاءَ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ لَكِنْ وَقَائِعُهُ فِي الْحَرْبِ تُنْتَظَرُ

الثاني: ذهب الكسائي والفرّاء إلى التشديد إذا كان قبلها الواو، لأنها حينئذ تكون عاملة عمل "إن" وليست عاطفة، وإلى التخفيف إذا لم يكن قبلها الواو، لأنها حينئذ عاطفة.

الثالث: ذهب جمهور النحويين إلى أنّها حرف عطف، واختلفوا فيها على ثلاثة أقوال:

- أنّها لا تكون عاطفة إلا إذا لم تدخل عليها الواو، وهو مذهب الفارسي.

- أنّها عاطفة، ولا تستعمل إلا بالواو، والواو مع ذلك زائدة.

- أن العطف بها وأنت مختير في الإتيان بالواو، وهو مذهب ابن كيسان (المرادي، 1992، ص589 - 588).

الرابع: ذهب يونس والأخفش إلى جواز إعمالها، قال المرادي: (ولا عمل لها إذا خففت، خلافاً ليونس والأخفش، فإنهما أجازا ذلك) (المرادي، 1992، ص586)، وقال ابن يعيش: (وكان يونس يذهب إلى أنّها إذا خففت لا يبطل عملها، ولا تكون حرف عطف بل تكون عنده مثل إنّ وأنّ فكما أنّهما بالتخفيف لم يخرججا عمّا كانا عليه قبل التخفيف فكذلك "لكن") (ابن يعيش، 2013، 81/8).

ورد رأي يونس والأخفش بعدم السماع، قال أبو حيان: (لم يُسمع إعمالها مخففة عن العرب. قيل: لمباينة لفظها لفظ الفعل... وحكى بعضهم عن يونس أنّه حكى فيها العمل. وهذه الرواية لا تعرف عن يونس) (أبو حيان، 2000، 146/5).

القضية السادسة: إعمال اسم الفاعل إذا لم يعتمد على نفي أو استفهام
قال الفاكهي: (... وفهم من كلامه أنّ اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي أو لم يعتمد
لم يعمل، وخالف في الثاني الأخفش فأجاز عمله) (الفاكهي، 2007، ص 585).
الدراسة:

عزف النحويّون اسم الفاعل بأنه: (الصيغة الدالّة على فاعل الحدث، الجارية في مطلق
الحركات والسكنات على المضارع من أفعالها، في حالتها التذكير والتأنيث المفيدة لمعنى
المضارع أو الماضي) (ابن عقيل، 1980، 106/3).
وللنحويّين في الوصف الواقع مبتدأ الذي له فاعل سدّ مسدّ الخبر هل يجب اعتماده
على استفهام أو نفي أم لا؟ مذهبان:
المذهب الأوّل:

وجوب اعتماد الوصف الواقع مبتدأ على استفهام أو نفي، وهو مذهب البصريّين غير
الأخفش (المرادي، 2001، 472/1)، وعند الزبيدي أنه مذهب البصريّين (الزبيدي، 1999،
ص 79)، ونسبه الشاطبي للجمهور (الشاطبي، 2007، 593/1)، وعلى رأس هؤلاء سيبويه
(سبويه، 1988، 127/2، 128)، غير أنّ ابن مالك قال: (وأشرت بقولي: "ولا يجرى ذلك
المجرى باستحسان" إلى أنّ الوصف المشار إليه لا يحسن عند سيبويه الابتداء به على
الوجه الذي تقرّر إلّا بعد استفهام أو نفي، وإن فعل به ذلك دون استفهام أو نفي قبح عنده
دون منع) (ابن مالك، 2006، 273/1)، أي: أنّ سيبويه يجيز وقوع الوصف مبتدأ دون
اعتماد على نفي أو استفهام، وإن كان قبيحاً.

وقد استدّل جمهور البصريّين لرأيهم بما يلي:

أولاً: اسم الفاعل اسم محض، واشتقاقه من الفعل لا يوجب له عمل الفعل، إذا كنا نعمل كل
اسم مشتقّ من الفعل، كمسجد، ومرقد، ومروحة، ومغرفة، ولكن نعمل إذا تقدّم ما يطلب
الفعل أو كان في موضع لا يدخل عليه العوامل اللفظيّة نحو النعت والخبر، فيبقى حينئذٍ
معنى الفعل فيه (السهيلي، 1992، ص 328).

ثانياً: لما كانت أسماء الفاعلين فروعاً على الأفعال كانت أضعف منها في العمل، والذي
يؤيّد عندك ذلك أنّك تقول زيدٌ ضاربٌ عمراً وزيدٌ ضاربٌ لعمرو، فتكون مخيّراً بين أن تعدّيه

بنفسه وبين أن تعدّيه بحرف الجرّ لضعفه ولا يجوز مثل ذلك في الفعل (ابن يعيش، 2013، 78/6).

ثالثاً: جاء في الشعر اعتماد الوصف الواقع مبتدأ على نفي أو استفهام أو غير ذلك، ومن ذلك قول الشاعر:

أَقَاطِنُ قَوْمٍ سَلِمَى أَمْ نَوَوَا ظَعْنَا إِنَّ يَطْعُنُوا فَعَجِيبٌ عَيْشُ مَنْ قَطْنَا

وقول الآخر:

خَلِيلِي مَا وَافٍ بَعْدِي أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مَنْ أَقَاطِعُ

وقول الآخر:

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقُضِي بِأَلْهَمٍ وَالْحَزْنَ

المذهب الثاني:

جواز الابتداء بالوصف دون الاعتماد على نفي أو استفهام أو ما أشبهه، وهو ما ذهب إليه الأخفش والكوفيون (ابن عصفور، 1998، 323/1، وابن خروف، 1419هـ، 402/1، ووالزبيدي، 1999، ص79، والرضي، 1996، 226/1، والشاطبي، 2007، 603/1، والأزهري، 2006، 193/1، 194، وابن مالك، 2006، 273/1، 274)، وأكد أبو حيان هذا بقوله: (وذهب الأخفش والكوفيون إلى أنه لا يشترط في إعماله الاعتماد) (أبو حيان، 2000، 320/10).

وذهب إلى ذلك ابن مالك وابن الناظم، فهما يجيزان ذلك بقبح وضعف، قال ابن مالك: (فإن لم يكن الوصف مسبوقاً باستفهام ولا نفي ضعف عند سبويه إجراؤه مجرى المسبوق بأحدهما ولم يمتنع) (ابن مالك، 2006، 332/1)

وقال ابن الناظم: (أما إذا لم يعتمد على الاستفهام أو النفي كان الابتداء به قبيحاً، وهو جائز على قبحه) (ابن الناظم، 2000، ص75).

أدلة أصحاب هذا المذهب:

استدل الكوفيون بقول الشاعر:

خَبِيرٌ بَنُو لِهَبٍ فَلَا تَكُ مُلْغِيَاً مَقَالَةٌ لِهَبِي إِذَا الطَّيْرُ مَرَّتْ

فـ "خبير" مبتدأ، و"بنو لهب" فاعل سدّ مسدّ الخبر (الزبيدي، 1999، ص79).

واستدلّ الأخفش بقوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ الإنسان /14 في قراءة من قرأ برفع "دانية". ردّ البصريين على أصحاب هذا المذهب: رُدَّ على الأَخْفَشِ بَأَنَّ "ظلالها": مبتدأ، و"دانية" خبر مقدّم (ابن عصفور، 1998، 6/2) وردّ على الكوفيين بأنّ: "خبير" مبتدأ، و"بنو لهب" فاعل سدّ مسدّ الخبر (الزبيدي، 1999 ص79، والأزهري، 2000، 194/1).

من خلال عرض آراء العلماء في هذه المسألة يجوز التوسّع في استعمال الكلام فنأخذ برأي الكوفيين والأخفش فنسمه بالقبول أخذاً بمبدأ التسهيل، لكن الأولى في التعبير أن نعبر بما أورده أصحاب المذهب الأول، ولا نخطيء من عبّر بإطلاق بدون تقييد. القضية السابعة: حكم إدخال "أل" على "كل" و "بعض" قال الفاكهي: (...ومنع إدخال "أل" على "كل" و "بعض" هو مذهب الجمهور لملازمتها الإضافة، ... وأجازه الأخفش والفارسي) (الفاكهي، 2007، ص637).
الدراسة:

ذهب النحويون في هذه المسألة مذهبين:

المذهب الأول:

ذهب سيبويه وجمهور النحويين إلى منع دخول "أل" على "كل" و "بعض" لملازمتها الإضافة، أي لأنّ كلّاً منهما في نيّة الإضافة. قال عباس أبوالسعود: (فإنّ العوامّ وكثير من الخواص يقولون: "الكل" و "البعض"، وإنما هو "كلّ" و "بعض" لا تدخلهما الألف واللام، لأنّهما معرفتان في نيّة الإضافة، وهذا الرأي أفصح الآراء، لأنّه مدعوم بالحجة، فإذا قلت: "كلّ فائز" كان المعنى "كلّهم فائز" (أبو السعود، ص141).

وقال الجوهري: (وكلّ وبعض معرفتان، ولم تحيء عن العرب بالألف واللام، وهو جائز، لأنّ فيها معنى الإضافة أضفت أم لم تضف) (الصاح 90/6 مادة كلّ).

المذهب الثاني:

ذهب الأخفش والفارسي إلى جواز دخول "أل" على "كل" و "بعض"، وقد ورد ذلك في نماذج من أدب العرب، ومن ذلك:

قال الجاحظ في مقدمة كتابه الحيوان: (وقد كنت أعجب من غيبك البعض بلا علم، حتى عبت الكلّ بلا علم)، ويقول في موضع آخر: (ويجود بالكلّ دون البعض) (الجاحظ، 1965، 38/1، 101).

وقال السيوطي: (وحدثنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : قرأ ن آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحنًا إلا قوله: العلم أكثر من أن يحاط بالكلّ منه فاحفظوا البعض) (السيوطي، 158/2).

ويقول المتنبّي:

ولا واحدًا في ذا الورى من جماعةٍ ولا البعْض من كلِّ ولكنَّكَ الصِّغْفُ
(الديوان ص107)

ويقول أبو فراس الحمداني:

أطْرَحُوا الأَمْرَ إِلَيْنَا واحملوا الكلَّ علينا (الديوان ص120) .

وما ذهب إليه جمهور النحويين هو ما يجب أن نسير عليه فقد نزل القرآن الكريم به وسار عليه الشعراء القدامى، كما ينبغي أن نقبل ما عرّف منهما بالألف واللام توسعة للعربية وتيسيرًا على المتحدثين بها .

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

- 1 - اختلاف النحاة في تقسيم الفعل، وما ذكره الفاكهي هو مذهب سيبويه وجمهور البصريين من أنّ الفعل: ماضٍ، وحاضر، ومستقبل.
- 2 - ذهب الفاكهي إلى أنّ "ما" المصدرية حرف خلأفًا لما ذهب إليه الأُخفش من أنّها اسم .
- 3 - أنّ أداة التعريف هي "ال" بجملتها كما ذهب إليه الفاكهي وهو رأي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين لا كما ذهب إليه الأُخفش من أنّها اللام وحدها.
- 4 - ذهب الأُخفش إلى أنّ "لات" لا تعمل في أحد قوليه، وهو رأي مرجوح بشواهد فصيحة تعمل فيها "لات" عمل "ليس" .
- 5 - أنّ جواز إعمال "لكن" مخففة كما ذكر الأُخفش أمر يرده عدم السماع من العرب.
- 6 - تابع الأُخفش الكوفيين في جواز إعمال اسم الفاعل بدون اعتماد خلأفًا لما ذهب إليه

الفاكهي من وجوب الاعتماد على شيء قبله.

7 - أجاز الأخفش دخول "أل" على "كل" و "بعض" خلافاً لجمهور النحويين، وردّه الفاكهي وهو ما يجب أن نسير عليه، فقد نزل به القرآن الكريم وسار عليه الشعراء القدامى.

المصادر والمراجع:

- 1- ائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبداللطيف الزبيدي الشرجي، تحقيق: طارق الجنابي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1419هـ - 1999م.
- 2- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبوحيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418هـ - 1998م.
- 3- الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1417هـ - 1996م.
- 4- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15.
- 5- الأغفال، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق: عبدالله بن عمر الحاج إبراهيم، جامعة الملك فهد.
- 6- الأمالي الشجرية، ابن الشجري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1349هـ.
- 7- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- 8- الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط4، 1380هـ - 1961م.
- 9- الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، ط3، 1399هـ - 1979م.
- 10- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1384هـ - 1964م.
- 11- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار كنوز إشبيليا، ط1، 1432هـ - 2011م.
- 12- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب

- العربي، القاهرة 1936م.
- 13- التصريح بمضمون التوضيح، الشيخ خالد الأزهرى، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ - 2000م.
- 14- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، تحقيق عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1422هـ - 2001م.
- 15- الجنى الداني في حروف المعاني، صنعة الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1413هـ - 1992م.
- 16 - ديوان المتنبى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1403هـ - 1983م .
- 17- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد عبدالنور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- 18- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، تحقيق محمد الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1406هـ - 1986م.
- 19- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ - 2006م.
- 20- شرح التسهيل، المرادي، تحقيق محمد عبدالنبي محمد، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 1427هـ - 2006م.
- 21- شرح جمل الزجاجي، ابن خروف، رسالة دكتوراة للدكتورة سلوى محمد عمر، جامعة أم القرى 1419هـ.
- 22- شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه فؤاز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.
- 23- شرح جمل الزجاجي، ابن الفخار، رسالة دكتوراة للدكتور حماد بن محمد حامد الشمالي، جامعة أم القرى 1409 - 1410هـ . .
- 24- شرح الرضي على الكافية، الرضي، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996م.
- 25- شرح المفصل، ابن يعيش، الناشر إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة .

- 26- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدرالدين محمد جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ - 2000م.
- 27- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.
- 28- اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري، تحقيق غازي مختار طلبيمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ - 1995م.
- 29- مجيب النداء إلى شرح قطر الندى، الفاكهي، تحقيق جميل إبراهيم محمد، مكتبة المتنبّي، ط1، 1428هـ - 2007م.
- 30- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية .
- 31- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1411هـ - 1991م.
- 32- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط3، 2011م.
- 33- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، جامعة أم القرى، ط1، 1428هـ - 2007م .
- 34- المقتضب، محمد بن يزيد المبرّد، تحقيق محمد عبدالخالق عزيمة، القاهرة 1415هـ - 1994م.
- 35- الموفي في النحو الكوفي، صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي، شرحه محمد بهجة البيطار، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.
- 36 - نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ط1، 1992م .
- 37 - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405هـ - 1985م.



38- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، 1998م.

المؤسس الحقيقي للدولة العباسية

(أبو جعفر المنصور) (136 هـ: 158 هـ/755 م: 777 م)

أ.سناء ضو علي كريم

كلية الآداب الإصابعة - جامعة غريان

المخلص:

ندرس في هذا البحث سيرة الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، وهو من أبرز الخلفاء العباسيين بشكل خاص، وخلفاء المسلمين بشكل عام الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، وذلك لما تميز به المنصور من شخصية فريدة وصفات مميزة، وكذلك بسبب الإنجازات التي استطاع أن يحققها أثناء فترة خلافته، حيث استطاع أن يوطد دعائم الدولة العباسية التي أخذت بفضلها طابعها المميز طيلة العصر العباسي الأول، بعد أن قام بإزاحة أهم المعارضين لحكمه من الأسرة العباسية ومن خارجها.

المقدمة:

قبل الحديث عن الخليفة أبو جعفر المنصور سأقوم بإعطاء نبذة مختصرة لبداية ظهور الدولة العباسية، فقبل بداية العصر العباسي الأول أصيبت الدولة الأموية بالضعف إثر وفاة آخر خلفائها من حيث القوة، هشام بن عبد الملك، وتوالى من بعده أربعة خلفاء، هم الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم القاسم، ومروان بن محمد، كما تعتبر فترات حكمهم فترات انقسام داخلي حاد، وحروب داخلية، ووضع اقتصادي مزري وهذا أسهم في تقوية أعدائهم، وهنا برزت الدعوة العباسية التي يمكن إرجاعها إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، وابنه إبراهيم الذي سجنه آخر الأمويين مروان بن محمد في مدينة حران، حتى توفي فتولى أخوه أبو العباس شؤون الحركة العباسية، بناء على دعوة أبي مسلم الخراساني، فقد قام أبو مسلم بإعلان قيام الدولة العباسية في خراسان، وحارب نصر بن سيار الوالي الأموي فيها، وانتصر عليه ثم سيطر على مدينة مرو، ثم إلى باقي المدن الأخرى.

ومن خلال هذا البحث نقوم بالتعرف على شخصية أبو جعفر المنصور وسياسته الداخلية والخارجية، وأهم أعماله، باعتباره المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، حيث تولى الخلافة بعد وفاة أخيه العباس عبد الله، وكان أصغر منه سنًا ولكن تولى الخلافة قبله امتثالاً لوصية أخيه إبراهيم الإمام.

تتمثل إشكالية البحث في الوصول إلى التعريف بالخليفة، إلى جانب عرض أهم إنجازاته التي استطاع بها تدعيم الدولة العباسية في عهده.

اعتمد البحث على المنهج التاريخي حسب التسلسل الزمني، كما اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، ولم يخلُ هذا الموضوع من الصعوبات فتشعبت المادة واتساعها حول هذا الموضوع بحيث جعله شائكاً، ويتطلب دقة في انتقاء المعلومة وتشعبها لا يتسع له ضيق المقام، وأن هذه الصعوبات لم تثنيني عن المضي في الموضوع، وإتمام هذا البحث.

وسوف أعرض في هذا البحث شخصية أبو جعفر المنصور (مولده، ونشأته، وصفاته، وتوليته الخلافة، وأهم الصراعات التي واجهته، وسياسته الخارجية، ووفاته).

تساؤلات الدراسة :

- من هو أبو جعفر المنصور، وكيف كان توليه للحكم؟ وماهي أهم إنجازاته؟
 - ما طبيعة الصراعات التي خاضها المنصور، ومن هم أطرافها؟
 - بم تميّز أسلوب المنصور في معالجة هذه الصراعات؟
 - كيف أثرت هذه الصراعات على الجانب السياسي في عهده؟
- ولإجابة على هذه التساؤلات تم تقسيم هذا البحث إلى خمسة مباحث :
- المبحث الأول: مولده ونشأته، وصفاته.
 - المبحث الثاني: توليه الخلافة
 - المبحث الثالث: سياسة أبي جعفر المنصور الداخلية (أهم الصراعات في عهده) .
 - المبحث الرابع: سياسة أبي جعفر المنصور الخارجية .
 - المبحث الخامس: أهم أعماله، ووفاته.

المبحث الأول- أبو جعفر المنصور (مولده ونشأته، وصفاته)

يُعدُّ أبو جعفر المنصور الخليفة الثاني من خلفاء الدولة العباسية، وهو المؤسس الحقيقي لها، حيث أرسى دعائم الدولة، وقضى على كل الثورات التي ظهرت في عهده.
أبو جعفر المنصور أصله ونسبه:

أبو جعفر المنصور هو (عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشيين بن عبد مناف بن قصي (ويكنى) بأبي جعفر) ولد في الأردن في قرية الحميمة من أرض الشراة على مقربة من العقبة في بلاد الشام سنة (95هـ / 714م)، والده هو الإمام محمد بن علي العباسي الهاشمي، أول أئمة الدعوة العباسية، وهو تابعي، وكان عالماً زاهداً، وأكبر أولاد أبيه علي بن عبد الله المعروف بالسجاد، تولى الإمامة بعد عبد الله بن محمد بن الحنفية العلوي الهاشمي، وقاد أنصاره والترتيبات والأسس لتمهيد قيام الخلافة العباسية والإطاحة بحكم بني أمية، وأمه تدعى سلامة، والدته هي أم ولد، تدعى سلامة بنت بشير البربرية، من قبيلة صنهاجة ويقال إنها جلبت من مدينة نزهة في إفريقية، فاشتراها محمد بن علي، وحظيت عنده فولدت له عبد الله، فأعتقها، فتربى وسط كبار الرجال من جلة بني هاشم، وصحب أباه ووجهه فنشأ فصيحاً عالماً بالسير والأخبار ملماً بالشعر و النثر وملماً بسير الملوك والأمراء (حسن، 2013، ص28).

■ صفات أبو جعفر المنصور:

كان أسمر اللون، موفور اللمة، خفيف اللحية، رطب الجبهة، ألقى الأنف، أعين كأن عينيه لسانان ناطقان، يخالطه أبهة الملك، وتقبله القلوب، وتتبعه العيون يعرف الشرف في مواضعه، والعنف في صورته، والليث في مشيته، هكذا وصفه بعض من رآه، كما كانت لأبي جعفر هيبه، وكان يلبس الخشن ورعا وزهدا وتقوى، ولم ير في بيته أبداً لهواً ولعباً أو ما شابه، ولم يقف ببابه الشعراء لعدم وصله لهم بالأعطيات وقد كان في خلقه الجدّ والصرامة والبعد عن اللهو والترف، واتصف بالشدة والبأس واليقظة، والحزم والصلاح والاهتمام بمصالح الرعية، وعرف بالثبات عند الشدائد ولاشك بأن هذه الصفة كانت من بين أبرز الصفات التي كفلت له النجاح في حكم الدولة العباسية (الخضري بك، ص 81)، كما عرف عن المنصور ميله إلى الاقتصاد في النفقات، حتى امتلأت خزائنه بالأموال، ولم يكن

يعطي الشعراء تلك العطايا البالغة حدّ السرف، وإنما كانت أعطياته أرزاق العمال أيام المنصور 300 درهم (الجراني، 2009، ص54-58).

وحيث كان رافضا لتضييع الأموال من غير فائدة، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يتهمونه بالبخل، كما كان المنصور يهتم بالتدقيق في اختيار الولاة حتى يستطيع متابعة كل ولاية، وكان ينتدب في القضاة و الشرطة من هو أهل لهذه الوظائف إضافة إلى أنه يحاسب كل من يقصر في عمله (المغلوث، 2012، ص44-45).

المبحث الثاني توليه الخلافة في أواخر عام (136 هـ / 755م):

بوع له بالخلافة بعد أخيه في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وعمره يومئذ إحدى وأربعون سنة، لأنه ولد في سنة خمس وتسعين على المشهور في صفر منها بالحميمة من بلاد البلقاء، وكانت خلافته ثنتين وعشرين سنة إلا أياما.

وفي نهاية هذه السنة (136 هـ / 755م) بوع أبو جعفر المنصور بالخلافة وذلك في اليوم الذي تُؤفّي فيه أخوه أبو العباس، و أبو جعفر المنصور كان يومئذ بمكة هو وأبو مسلم الخراساني، ولقد أخذ البيعة بالعراق لأبي جعفر بعد موت أبي العباس عمه عيسى بن موسى، وكتب إليه عمه عيسى يعلمه بموت أخيه أبي العباس وبالبيعة له (الخضري، 2009 م ، ص82) .

لقد بعث عيسى بن موسى (محمد بن الحصين العبدي)، وقيل إن أبا مسلم كان هو الذي تقدم أبا جعفر فعرف الخبر قبله، فكتب إلى أبي جعفر "بسم الله الرحمن الرحيم - عافاك الله - أمتع بك، إنه أتاني أمر أفضعني وبلغ مني مبلغا شيء قط لقيني محمد بن الحصين بكتاب من عيسى بن موسى إليك بوفاة أبي العباس أمير المؤمنين رحمه الله فنسأل الله أن يعظم أجرك، ويحسن الخلافة عليك، ويبارك لك فيما أنت فيه" (الطبري 1976، ص471-472)، فلما جلس أبو مسلم، وألقي إليه الكتاب، فقرأه أبو جعفر و بكى ونظر أبو مسلم إلى أبي جعفر، وقد جزع جزعا شديدا فقال "ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة؟ فقال أبو جعفر أتخوّف شرّ عبد الله بن علي، وشيعة علي، فقال لا تخف فأنا أكفيك أمره إن شاء الله إنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان، وهم لا يعصونني" فسر عن أبي جعفر ما كان فيه وبياع له أبو مسلم وبياعه الناس (الطبري، ص472).

لما رجع أبو جعفر المنصور من الحج بعد موت أخيه السفاح، دخل الكوفة فخطب بأهلها يوم الجمعة وصلى بهم، ثم ارتحل منها إلى الأنبار، وقد أخذت له البيعة من أهل العراق، وخراسان وسائر البلاد، وقد ضبط عمه عيسى بن موسى على بيوت الأموال، وحواصل للمنصور حتى قدم، فسلم إليه الأمر، وكتب إلى عمه عبد الله بن علي يعلمه بوفاة أبي العباس (الجبوري، 2010، ص107).

المبحث الثالث - سياسة أبي جعفر المنصور الداخلية:

تولى أبو جعفر المنصور خلافة الدولة العباسية سنة (136هـ / 755م)، ومنذ استلامه لحكم العباسيين، اهتم بعدة أمور كانت تُعدُّ خطراً على دولته، وهي:
أولاً - منافسة عمه عبد الله بن علي:

عندما علم عبد الله بن علي بوفاة أبي العباس، نادى في الناس الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فقرأ عليهم وفاته، ثم قام فيهم خطيباً، فذكر أنه كان قد عهد إليه حين بعثه إلى مروان، أنه إن كسر له الأمر إليه من بعده، وشهد له بذلك بعض أمراء العراق، ونهضوا إليه فبايعوه، ورجع إلى حران فتسلمها من نائب المنصور بعد محاصرتها أربعين ليلة، وقتل (مقاتل العكي) نائبها، فلما بلغ المنصور ما كان من أمر عمه بعث إليه أبا مسلم الخراساني، و معه جماعة من الأمراء، وقد تحصن عبدالله بن علي بجران وأرصد عنه ما يحتاج إليه من الأطعمة والسلاح شيئاً كثيراً جداً، فسار إليه أبو مسلم الخراساني وعلى مقدمته مالك بن هاشم الخزاعي، فلما تحقق عبد الله من قدوم أبي مسلم إليه خشى من جيش العراق أن لا ينصاعوا لأمره فقتل منهم سبعة عشر ألفاً، فركب عبد الله بن علي، فنزل نصيبين وخذق حول عسكره وأقبل أبو مسلم والتقى الجيشان، واستطاع أبو مسلم الخراساني إلحاق الهزيمة به وهرب عبد الله، وبقي متخفياً عند أخيه سليمان بن علي والي البصرة، حتى ظفر به المنصور، وسجنه فمات في سجنه سنة (147هـ / 766م) (ابن كثير، ص67).

ثانياً - اتساع نفوذ أبي مسلم الخراساني:

أبو مسلم الخراساني (هو عبد الرحمن بن مسلم الخراساني) صاحب الدعوة العباسية في خراسان، وهو أحد أعمدة الدولة العباسية، ومع قيام الدولة العباسية ارتفعت مكانة أبو مسلم وكان محبوباً بين أتباعه ومعظماً بينهم، بالرغم من أنه كان من الموالي، وليس بعربي

الأصل، فخشي منه الخليفة أبو جعفر المنصور وما كان تحت يده من عدد وعتاد في خراسان، ولم يكن الرجلان على وفاق منذ قيام الدولة، وكان أبو مسلم الخراساني يتباهى بما صنعه للدولة، وأن المنصور طالما اشتم منه روائح توحى باستخفافه بالمنصور ورفضه المستمر بالخضوع له أيام أبي العباس، فأبو مسلم يشتد يوما بعد يوم وساعده يقوى، وكلمته تعلق، ولقد أدرك المنصور ما لأبي مسلم من نفوذ يتيح له أن يستقل بخراسان متى أراد ذلك، والجيش تحت طاعته وإمرته، فأغراه المنصور بأن يترك خراسان، ويتولّى أمر مصر والشام، وأنه يريد أن يستعين بخبرته وقوة قيادته، ولكن أبا مسلم عرف بنية الخليفة وأثر ألا يطيع أوامره وبدأ الصراع واضحا بين الخليفة وأحد قادته الكبار، وكان هذا السبب الرئيس لمقتله، وقد عرف أبو مسلم أن الخليفة يتريص به، ويريد أن يوقع به وأرسل له الخليفة أن يحضر إليه وبدأت بينهما حرب المراسلات، ووجد أبو مسلم نفسه تحت ضغوط هائلة فمن الصعب تجاهل أوامر الخليفة القوي، وأنه لا بد أن يذهب إليه، ويصفي المشاكل بينهم وينهي الخصومة، ولم يكن يدري أنه ذاهب إلى قدره ومصيره، فدخل أبو مسلم دار الخلافة ثم دخل على الخليفة وهو يبتسم، فلما وقف بين يديه جعل المنصور يعاتبه في الذي صنع كله، فيعتذر عن ذلك، وعندما صفق أبو جعفر المنصور خرج حراسه عليه فضربوه بالسيف حتى قتلوه ولقوه في عباءة ثم أمر بإلقائه في نهر دجلة وكان آخر العهد به، وكان مقتله (في يوم الأربعاء الرابع من شعبان سنة 137هـ / 756م) (ابن كثير، ص 171-172؛ العبادي، 1972م، ص 52)

أهم الثورات التي خرجت على الخليفة أبي جعفر المنصور:

1. ثورة سنباذ (137هـ / 756م): سنباذ فهو متبئ قام بعد مقتل أبي مسلم، معلنا عن نهاية الملك العربي وأنه سيهدم الكعبة، وقد عظم أمره حتى استولى على الري، وقبض على ما كان فيها من خزائن أبي مسلم، والتفّ حوله الكثيرون من أهل خراسان الكبرى (وهو إقليم قديم يشمل إيران، وأفغانستان، وبعض من مدن آسيا الصغرى) فهاجموا على ديار المسلمين في نيسابور وقومس والري فنهبوا الأموال، وقتلوا الرجال وسبوا النساء، ثم تبجحوا فقالوا إنهم عامدون لهدم الكعبة فبعدما كسر سنباذ واستحوذ على حواصله، وعلى أموال أبي مسلم، فقويت نفسه بذلك، وظن أنه لا يقدر عليه أحد فأرسل إليه

ال خليفة محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش كثيف فاقتتلوا قتالا شديدا فهزم جمهور، وقتل عامة من معه، وأخذ ما كان معه من الأموال والحواصل والذخائر، فانسحب جمهور، واعتصم بأذربيجان فلحقوه وقتلوه ومن بقي معه تخلصا من الفتنة عام (138 هـ / 756م) (ابن الأثير ، 1348هـ، ج5، ص 57)، ولولا حزم الخليفة أبي جعفر في القضاء على حركته التي كانت تقوى بسرعة عجيبة لقيت الدولة الفتية منه بلاء خطيرا، وليست حركة (إسحاق الترك) دون حركة (سنباذ)، وإسحاق هو أحد أعوان أبي مسلم، بعثه إلى بلاد الترك أميرا، فلما قتل أبو مسلم ثار هناك، وزعم أن أبا مسلم لم يقتل، وأنه سيخرج في وقت سماه، ويظهر أن إسحاق قد جمع حوله كل المبيضين وهم الذين ثاروا على الدولة لقتلها أبا مسلم، وقام بحركته التي ما لبثت أن عمت بلاد ما وراء النهر وإيران، ولولا أن أبا داود والي خراسان استطاع أن يقبض عليه ويقتله لكان للحركة آثار خطيرة، ولما قتل اختفى المبيضة، ويقول ابن النديم: "إن المبيضة ظلوا حتى القرن الثالث، وكان بعضهم يعيش في بعض قرى بلخ." (ابن النديم، 1994 م، ص483)، فأرسل إليهم المنصور جيشا بقيادة جمهور بن مراد العجلي فهزمهم واسترد الأموال والسبايا، ولا يكاد أبو جعفر يتخلص من سنباذ سنة (137هـ / 756م) حتى واجه ثائرا ينادي بخلع المنصور، إنه جمهور بن مراد العجلي قائد جيوش المنصور التي هزمت سنباذ (الجبوري، ص111، الدوري، 1988، ص25)، إلا أنه استطاع أن يقضي عليها ويبسط سيطرته عليها.

وصفوة القول إن حركة التمرد ضد الإسلام قد قويت جدا في عهد المنصور فعمل على القضاء عليها وإنقاذ الدولة الإسلامية من فتنها.

2. **ثورات الخوارج:** هي ثورات متتالية كانت تهدد الحياة وتحول دون الاستقرار والأمن في بداية حكم العباسيين، وأصبحوا مصدر إزعاج الدولة العباسية ومنها:

خرج في سنة (137هـ / 756م) ملبد بن حرملة الشيباني في ألف من الخوارج بالجزيرة، فجهز إليه المنصور جيوشا متعددة كثيفة كلها تنفر منه وتتكسر، ثم قاتله حميد بن قحطبة نائب الجزيرة، فهزمه الملبد وتحصن منه حميد في بعض الحصون ثم صالحه حميد بن قحطبة على مائة ألف قد دفعها إليه، وقبلها الملبد وتقلع عنه وغلب بلادا كثيرة إلى أن

تمكنت جيوش المنصور بقيادة خزام بن خزيمه من هزيمته سنة (138هـ / 757م)، وتحرك الخوارج مرة ثانية في خلافة المنصور سنة (148هـ / 767م) بالموصل تحت قيادة حسان بن مجالد الهمداني، إلا أن خروجه هو الآخر باء بالفشل (ابن كثير، ص 72: 71؛ المسعودي، ج 3، ص 366).

3. ثورة طائفة من الخوارج يقال لها (الرواندية): واجه المنصور ثورات منحرفة لطوائف أخرى ففي سنة (141هـ / 759م) كانت هناك ثورات يقال لها (الرواندية) ينسبون إلى قرية راوند القريبة من أصفهان ويقال أصلها من خراسان، وهم على رأي أبي مسلم الخراساني، وأنهم يؤمنون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى واحد منهم يسمى (عثمان بن نهيك) أن جبريل هو الهيثم بن معاوية رجل منهم قبحهم الله، بل لقد خرجوا عن الإسلام زاعمين أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو (أبو جعفر المنصور) فراحوا يطوفون بقصره قائلين: هذا قصر ربنا، ولم يكن ينفع مع هؤلاء إلا القتال، فقاتلهم المنصور حتى قضى عليهم جميعا بالكوفة. (حسن، 2013، ص 350-352)

ثالثاً- خروج أبناء عمومته من آل علي بن عبد المطلب:

1. ثورة محمد النفس الزكية عام (145هـ / 763م):

وهي من أخطر الثورات التي واجهت المنصور، وهي ثورة العلويين بقيادة محمد بن والي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية وأخيه إبراهيم، وبعد أن أعد العدة للخروج على أبي جعفر المنصور، و ينتظرون الفرصة للانقضاض عليه، واختفيا على أنظار الخليفة وبيعتان رجالهما، وينشران الدعوة إليهما، وكان محمد النفس الزكية يرى نفسه أحق بالخلافة من أبي جعفر المنصور فامتنع عن البيعة، كما امتنع من قبل ببيعة أبي العباس السفاح، فلما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة رأى في بقاء محمد وأخيه خطراً يهدد دولته. (العاني، 1979، ص 54).

وأيقن أنهما لن يكفا عن الدعوة إلى أحقية البيت العلوي بالخلافة وأقلق اختفاؤهما الخليفة البيهقي فبذل ما في وسعه لمعرفة مكانهما، ولا يزال المنصور يبحث عنهما وأنفق كثيراً من المال في هذا السبيل، فلم يصل إلى شيء فاعتقل أبناء الحسن كلهم واستعمل معهم المنصور أشد أنواع العذاب ونقلهم إلى سجن في بغداد ونتيجة لذلك قرر محمد النفس الزكية

الظهور بالمدينة سنة (145 هـ / 763م) وباع له كثير من الأمصار، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة واجتمع معه كثير من الفقهاء، وغلب أتباعهما على فارس وواسط والكوفة، فشارك في هذه الثورة كثير من الأتباع من كل الطوائف (الخصري، ص 85).

بعث المنصور إلى محمد النفس الزكية يعرض عليه الأمن والأمان له ولأولاده وإخوته مع توفير ما يلزم له من المال، ويرد محمد بأن على المنصور أن يحكم بدين الله، ولا يمكن شراء المؤمن بالمال، واستخدم أبو جعفر المنصور مكره، وكتب إلى محمد على السنة قواده يدعونه بالظهور، ويخبرونه أنهم معه، مما جعل محمد يتوهم أن أغلب الأمصار معه وحاصره في المدينة، ودبر أبو جعفر المنصور تدبيراً محكماً وبعد الحصار تخلى الناس عن محمد النفس الزكية وقتل بعد أن أظهر شجاعة فائقة وذلك في رمضان سنة (145هـ / 763م)، وتم القضاء على إبراهيم وأتباعه في قرية قريبة من الكوفة (حسن، 2013، ص354).

2. ثورة كافر في خراسان (حركة أستاذ سيس):

في سنة (150هـ / 768م) خرج أحد المتمردين الكفرة ببلاد خراسان واستولى على أكثرها، وانضم له أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل، وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وهزموا الجيوش في تلك البلاد، ونشروا الفساد هنا وهناك وبعث لهم أبو جعفر المنصور جيشاً قوامه أربعون ألفاً بقيادة حازم بن خزيمة الذي قضى على هؤلاء الخارجين، ونشر الأمن والاستقرار في ربوع خراسان، وبذلك استطاع أبو جعفر المنصور القضاء على جميع الثورات الداخلية في عهده، وبدأت مرحلة الاستقرار وبناء الدولة (العاني، ص55).

المبحث الرابع - سياسة أبو جعفر المنصور الخارجية:

قد واجه الخليفة أبو جعفر المنصور أثناء فترة خلافته العديد من الصراعات والمشاكل، فلم يكن لدى المنصور الرغبة في توسيع رقعة دولته ومد حدوده لأنه كان يؤثر توطيد أركان الدولة والمحافظة عليها وحمايتها من العدوان والقتال والثورات الداخلية ولكنه اضطر إلى الدخول في منازعات وحروب مع الدولة البيزنطية حيث بدأت بالعدوان وأغارت على بلاده، فهجموا على بعض الثغور، ودخل ملكهم قسطنطين ملامية عنوه وهدم سورها وتقدم في بلاد المسلمين سنة (138هـ / 754م) واستغل انشغال أبو جعفر المنصور في القضاء على

الثورات الداخلية، ولكن لما انتبه المنصور، وانتهت إلى حد كبير الصراعات الداخلية عاد الغزو من جديد واستعاد المسلمون سيطرتهم من ناحية بلاد الروم، وتوالت حملاته على البيزنطيين بعد استقرار أحوال دولته، حتى طلب إمبراطور الروم الصلح فأجابه المنصور إليه، لأنه لم يكن يقصد يغزو الدولة البيزنطية الغزو والتوسع بقدر إشعارهم بقوته حتى يكفوا عن التعرض لدولته (العبادي، ص 66).

كما بعث أبو جعفر المنصور ابنه المهدي لغزو طبرستان سنة (141 هـ / 757م) فقام بالغزو، ودخل المنطقة إلا أن صاحب طبرستان قد عاد ونقض العهد في العام التالي، وقتل عددا من المسلمين، فسار إليه حازم بن خزيمة على رأس قوة فتحصن في حصن منيع، صعب على المسلمين، ولكنهم احتالوا عليه، وقتل أهل الديلم عددا المسلمين عام (143 هـ / 759م) فغزاهم المنصور وخرج الترك والخزر بباب الأبواب عام (145 هـ / 761م) وقتلوا جماعة من المسلمين في أرمينيا فسار إليهم المسلمون وأدبهم (العبادي، ص 66).

كما فتحت كشمير عام (157 هـ / 776م) إذ لا يمكن أن يصاب المسلمون بأذى في بلاد ويسكت إخوتهم على ذلك، ولابد من أن يشعر المسلمون في أي بقعة بالعزة والقوة، وأن وراءهم أمة قوية. (شاكر، 2000، ص 114-116)

كما أراد أبو جعفر المنصور ضم بلاد الأندلس، وهي البلد الوحيد المنشق من بلاد المسلمين إلى حضيرة الخلافة العباسية، لأن في الأندلس قامت الدولة الأموية الثانية على يد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي استطاع النجاة من مطاردة العباسيين له، ففي سنة (136 هـ / 752م) خرج عبد الرحمن بن معاوية متخفيا همه الأندلس، فوصل إلى مصر، ثم سار إلى برقة، وبقي فيها متخفيا مدة ثم رحل إلى المغرب، ثم عبر البحر إلى الأندلس، واستجاب الناس لدعوته، ولما توطد الأمر للأمير عبد الرحمن أمر بقطع الدعاء لأبي جعفر، والانفصال عن الدولة الإسلامية. (العبادي، ص 66).

وعندما شعر بين ملك الفرنجة بقوة الدولة الأموية في الأندلس، والنفور الذي قام بينها وبين الخلافة العباسية في المشرق، فأرسل رسله إلى بغداد من أجل هذه الغاية وقد رحب الخليفة أبو جعفر المنصور بهذه الخطوة السياسية ليعقد معه تحالفا ضد الإمارة الأموية في

الأندلس، ولكن مساعي ملك الفرنجة لم تسفر عن أي تقدم، وذلك لقوة الأمير عبد الرحمن بن معاوية. (طقوش، ص35).

بعث أبو جعفر المنصور العلاء بن مغيث الجدامي في سنة (146هـ/762م) إلى الأندلس، دعا العلاء إلى طاعة أبي جعفر المنصور ونشر الأعلام السود فتبعه الأجناد والعباد إلى أن كادت دولة الأمير عبد الرحمن أن تتصرم فخرج له الأمير عبد الرحمن ودارت حرب طويلة بينهما إلى أن انهزم العلاء وأصحابه، فقتل العلاء وأرسل برأسه إلى المنصور، وهنا قال أبو جعفر قتلنا هذا البائس يعني العلاء بن مغيث أنه قتله بتكليفه إياه بحرب عبد الرحمن بن معاوية ثم قال مالنا من هذا الفتى من مطمع الحمد الله الذي جعل بيننا وبينه البحر، ومنذ هذه اللحظة لم يفكر أبو جعفر المنصور للحظة واحدة في استعادة بلاد الأندلس بل إن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي هو الذي سمي عبد الرحمن بن معاوية (بصقر قریش)، وهو اللقب الذي اشتهر به بعد ذلك (البحراني، ص36).

المبحث الخامس- أهم أعمال أبو جعفر المنصور:

1. بناء مدينة بغداد (145هـ/761م):

بعد أن تخلص أبو جعفر المنصور من كل خطر يحيط بدولته شرع في بناء مركز العباسيين، في مدينة بغداد التي بنيت بمبلغ كبير من المال، وقد كانت بغداد مميزة عن غيرها من المدن، فلا نظير لها في فخامتها وقدرها، فهي مدينة العلماء والأعلام، وقد أصبحت سيدة البلاد ومركز الحضارة الإسلامية، فشرع في بنائها على الضفة الغربية لنهر دجلة أقرب نقطة بين دجلة والفرات لتصبح ملتقى الطرق القادمة من الشام شمالا ومن الصين شرقا ومن طوائف مصر غربا ومن الحجاز جنوبا، إلى جانب موقعها العسكري الخطير وأسرع في بنائها وراح يأمر بإحضار الصناع من بلاد العالم، وكان من بين من استعان بهم المنصور في ضبط العمل في بغداد الإمام الجليل أبو أمي الحنيفة النعمان، (ابن الأثير، ج5، ص558).

وأمام كثرة الزائرين إلى عاصمة الخلافة، وأجمل مدن العالم آنذاك كان لابد أن يهتم المنصور ببناء سوق يضم أصحاب الصناعات والتجار والباعة، وفعلا بنيت (الكرخ) سنة (157 هـ/776م) وهي سوق نموذجية، فلكل تجارة سوق خاص بها وبني مدينة أخرى لابنه

المهدي على الضفة الشرقية لنهر دجلة وهي مدينة الرصافة ثم بني الرافقة وكانت هاتان المدينتان صورة من بغداد. (حسن، 2013، ص276-281).

ويذكر المقدسي: أن أهل بغداد — وكان ثمة قرية قديمة تعرف بهذا الاسم ترجع إلى العهد البابلي — قالوا للمنصور: "تنزل في بغداد؛ فإنك تصير بين أربعة طساسيج طسوجان في الجانب الغربي، وطسوجان في الجانب الشرقي، فاللذان في الغربي قطريل وبادوربا، واللذان في الشرقي نهر بوط وكلوادي، فأنت تكون بين نخيل وقرب الماء فإن أجذب طسوج وتأخرت عمارته كان الآخر عامرا، وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة، وواسط في دجلة، وتجيئك الميرة من أرمنية وما اتصل بها حتى الزاب، وتجيئك الميرة من الروم، آمد والجزيرة والموصل في دجلة، وأنت بين أنهارك لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة فإذا أقطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل إليك عدوك، وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب إلا احتاج إلى العبور وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله، وأنت قريب من البحر والبر والجبل..." (المقدسي، 1991م، ص119).

فأعجبه ذلك ثم أمر بتخطيط المدينة، وأمر أن تكون مدورة الشكل، وجعل لها سورين أحدهما داخل وهو سور المدينة، وسمكه في السماء 35 ذراعا، وعليه أبرجة سمك، كل برج منها فوق السور خمسة أذرع، وعلى السور شرف، وعرض السور من أسفله نحو عشرين ذراعا، ويليه من الخارج فصيل بين السورين وعرضه ستون ذراعا ثم السور الأول وهو سور الفصيل ودونه الخندق، للمدينة أربعة أبواب متساوية البعد تؤدي إلى طرق أربعة، فتبدأ من مركز الدائرة، وتسير إلى أطراف الإمبراطورية الأربعة فباب سماه باب الكوفة، وباب سماه باب البصرة وباب سماه باب خراسان ورابع سماه باب الشام، وفي قلب المدينة يقوم قصر الخليفة، وبجانبه جامع المنصور، وبها الدواوين، ومسكن الناس والجيش (اليقوبي، 1995م، ص6؛ طقوش، 2001م، ص71).

وكان الشروع في بناء المدينة الجديدة التي أطلق عليها اسم دار السلام، في سنة (145هـ / 742م) وضع الخليفة بيده أول لبنة وقال: "بسم الله، والحمد لله، الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا."، وقيل فيها أيضا: "وبلغ الخراج عليها

أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثين ألف درهم". (اليقوي، ص6) ودام البناء نحو خمس سنوات، واشتغل فيها نحو مائة ألف عامل، وقد استحضر لها المنصور المهندسين والبنائين والمزخرفين من الشام والموصل والروم والجبيل والكوفة وواسط والبصرة، واختار أربعة من أهل الفضل والدين والعقل والهندسة للإشراف على العمل، منهم: أبو حنيفة الإمام الأعظم، ويظهر أن المنصور قد تأثر في تخطيط مدينته بالطريقة الفارسية في تحصين المدن، وفصل أصناف السكان والابتعاد عنهم وتصعيب الوصول إلى الحاكم، وفي سنة (150 هـ / 747م)، ابنتى المنصور مدينة الرصافة لابنه المهدي، وعمل لها سوارا، وخذقا، وبستانا، وأجرى الماء إليها (للمزيد ينظر الطبري، ج3، ص 272).

وأخذت دار السلام تنمو وتتسع ويعظم شأنها حتى ورثت مجد المدائن وبابل ونيوى وأور والحيرة، وسمت سموا لم تبلغه مدينة من عواصم الشرق القديم، ولما تم بناؤها حشر فيها المنصور العلماء والحكماء والفضلاء من كل فن، فقصدوا الناس من كل بلد، قيل عنها "لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلاله قدرها وفخامة أمرها وكثرة علمائها وأعلامها؛ وتميز خواصها وعوامها، وعظم أقطارها، وسعة أطرارها، وكثرة دورها ومنازلها وروابيها وشوارعها ومحالها وأسواقها وسككها وأزقتها ومساجدها وحماماتها وطرقها وخاناتها، وطيب هوائها وعذوبة مائها وبرد ظلالها وأفيائها، واعتدال صيفها وشتائها، وصحة ربيعها وخريفها..." (الطبري، ج3، ص 273).

والحق أن بغداد بلغت شأنها عظيما في فترة قصيرة، وبخاصة في عهدي الرشيد والمأمون، ولم يعرف عن مدينة في الشرق القديم بلغت ما بلغته بغداد سوى القسطنطينية.

2. تنظيم الدواوين والإدارات العامة:

من التنظيم في عهد المنصور أن السلطان أصبح ذا تقاليد جديدة لم تكن معروفة من قبل، فقد كان باب الخليفة في المدينة ودمشق مفتوحا لكل قاصد، ليس على بابه إلا حاجب يستأذن لكل من أراد الدخول، أما قصر الخليفة في دار السلام، فقد صار ذا تقاليد وآداب، ولم يعد الوصول إلى الخليفة بالشيء السهل، وأصبحت رؤية الخليفة أمرا عسيرا، وأصبح الوزير يدير شؤون الناس ويتصل بهم، ثم يرفع إلى الخليفة نتائج أعماله، وكان من وراء الوزير أربعة نفر؛ هم القاضي وصاحب الشرطة وصاحب الخراج وصاحب البريد، وبروي

الفخري قوله لأبي جعفر يظهر فيها رغبته في العثور على أربعة يتق بهم ويعتمد عليهم في تدبير أمور الدولة، قال: "ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم... هم أركان الملك، ففاض لا تأخذه في الله لومة لائم، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، وصاحب خراج يستقضي ولا يظلم الرعية، فإني عن ظلمها غني، والرابع صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة." (الفخري، 2007 م ، ص154)، ويظهر من هذا القول أن الخليفة وإن كان قد حجب نفسه عن الناس إلا أنه ظل يراقب وزيره ومديري أمور دولته، بل ربما كان يغالي في مراقبته حتى لا يجعل للوزير سلطانا عليه أو استبدادا بالناس، قال ابن الطقطقي في معرض حديثه عن وزراء المنصور: "لم تكن الوزارة في أيامه طائلة؛ لاستبداده واستغائه برأيه وكفايته، مع أنه كان يشاور في الأمور دائما وإنما كانت هيئته تصغر لها هيبة الوزراء، وكانوا لا يزالون على وجلٍ منه وخوفٍ، فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق." (الطبري، ج9، ص 279)

وأول من تولى له من الوزراء هو أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني الأهوازي وكان المنصور قد اشتراه صغيرا فتقفه وهذبه ودربه، فلما تولى السفاح أعجب بتقافته وذكائه فاختص به، ثم أخذ أمره ينمو لما كان يتمتع به من نكاه ودهاء وخبرة، حتى إذا تولى المنصور الخلافة قلده وزارته، ولكنه لما رآه قد أثري ثراء فاحشا وأخذ يسيء السيرة غضب عليه وصادر أمواله ثم قتله في سنة (153هـ/750م)، ثم ولى الربيع بن يونس أمور وزارته وكان عاقلا نبیلا منفذا للأمور مهيبا فصیحا خبیرا بالحساب فظل في وزارته إلى أن هلك المنصور، ومن الوظائف الكبرى التي تلي الوزارة:

أ. الحجابة:

وقد كان (الحاجب) موظفا كبيرا يتولى أمر الدخول على الخليفة، فلا يمثل بين يديه أحد إلا عن طريقه وبواسطته، والحجابة وظيفة قديمة معروفة منذ العهد النبوي الشريف، فقد كان للنبي وخلفائه الراشدين حجاب، ولكن لم يصبح لهذه الوظيفة تقاليد إلا في العهد الأموي، فإن معاوية قد اهتم بأمر الحجابة، وجعل لها تقاليد وآدابا، ثم توارث ذلك من خلفه، فزادوا في تلك التقاليد ونظموها، فقد روي أن عبد الملك بن مروان قال لصاحب حجابيه: قد

وليتك حجابة بابي إلا عن ثلاثة: "المؤذن للصلاة، وصاحب البريد، وصاحب الطعام." (الطبري، ج9، ص 279) .

ب. الكتابة:

كان (الكاتب) هو الذي يتولى أمور الكتابة عن الخلفاء إلى الملوك والأمراء وغيرهم، وقد عرفت هذه الوظيفة منذ عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم جاء الراشدون فاستكتبوا، وربما تولى الخليفة نفسه أمر كتابة رسائله، ولكن لما اتسعت رقعة الملك في عهد بني أمية وبني العباس أصبح الكتاب هم الذين يتولون ذلك، وأصبحت لهم تقاليد وآداب فصلت أخبارها في كتب تاريخ الأدب.

ج. الشرطة:

تولى أمرها قائد كبير يختاره الخليفة للمحافظة على الأمن وحفظ المدينة من الشطار وأهل الفساد، والضرب على يد كل من تسول له نفسه القيام بجناية أو العبث والفساد بالبلاد، وقد كانت هذه الوظيفة معروفة منذ العهد النبوي كما بينا ذلك مفصلا في موضعه (الفخري، ص154).

د. القضاء:

وقد كان (القاضي) ينظر في قضايا الناس ومشاكلهم الدينية والدنيوية فيقضي فيها بما أنزل الله، وكان يختار لهذا المنصب رجلا موثوقا أميناً، فقد كان أبو بكر وعمر وعلي (رضي الله عنهم) يقضون في عهد الرسول، وكان بنو أمية يختارون للقضاء أفضل الصحابة، ومن مشهوري قضاة المنصور الفقيه الإمام محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (148هـ / 745م)، وكان من طبقة أبي حنيفة الإمام الأعظم، وقد كان المنصور أراد أن يولي أبا حنيفة القضاء، فاعتذر إليه عن ذلك.

وقد اهتم المنصور أيضا بعماله في الأقاليم، فاختار لها أفضل رجاله فهما ونبلا وأكثرهم ثقة وعدلا، وكان أكثرهم من أهل بيته، فإسماعيل بن علي وولاه فارس، وسليمان بن علي وولاه البصرة، وعيسى بن موسى وولاه الكوفة، وصالح بن علي وولاه قنشرين والعواصم، والعباس بن محمد وولاه الجزيرة، وجعفر بن سليمان وولاه المدينة، ومن عماله يزيد بن حاتم المهلب أمير إفريقية، ومعن بن زائدة أمير اليمن، وخازم بن خزيمة أمير أرمينية، وهؤلاء

كلهم من أكابر الرجال وفضلائهم، وكان الخليفة يطلب من عماله أن يبعثوا إليه بتقارير مفصلة عن أحوالهم وعن شؤون بلادهم، وكان أصحاب البريد في كل إقليم هم الذين يبعثون إليه بأخبار هؤلاء العمال. وكبار الموظفين الآخرين، كما يكتبون إليه عن أسعار المواد الغذائية. وأحوال بيت المال، وشؤون التجارة والاقتصاد وقد كان في كل إقليم أيضا موظفون آخرون من الكتاب، ورجال الشرطة، والنواب والقضاة، وعلى النمط الذي كان في العاصمة لدى الخليفة (الطبري، ج 9، ص 279).

3- اهتمامه بالعلم :

استعان أبو جعفر المنصور بالعلماء والفقهاء على تقوية أركان دولته، وقد كانوا أيام بني أمية بعيدين عن دواوين الدولة إلا قليلا، منصرفين إلى بحوثهم ودراساتهم، فلما جاء بنو العباس قريوهم وأفادوا منهم، ومن هؤلاء الإمام الأعظم أبو حنيفة والإمام مالك والإمام ابن أبي ليلى وغيرهم.

كما أراد أبو جعفر المنصور أن تنهض الدولة العباسية بالعلم والتعليم، ولذلك كتب إلى ملك الروم، وطلب منه أن يبعث إليه كتب تعليم مترجمة، فبعث إليه ملك الروم كتب الطبيعيات بالإضافة إلى كتاب إقليدس، وأمر بالترجمة من الكتب غير العربية فبدأت حركة الترجمة في عهده من مختلف اللغات (الرومية والفارسية والسريانية) كما طلب من العلماء المتخصصين ترجمة كتب الطب والرياضيات والفلسفة، ومن أشهر الكتب التي ترجمت في عهده كتاب (كليلة ودمنة) وكذلك كتاب (السند هند). (حسن، 2010 م، ص 36)

■ وفاة أبو جعفر المنصور:

كان المنصور كما رأينا ملكا قديرا وحازما في الإدارة والسياسة وتنظيم شؤون المال، بعيدا عن الإسراف موصوفا بالتقتير، ولكنه كان يوجد حيث الجود محمود، قال المسعودي: "وكان يعطي الجزيل والخطير ما كان عطاؤه حزما، ويمنع الحقيير اليسير ما كان عطاؤه تضييعا." (المسعودي، ج 2، ص 232)، وقد رأينا أنه لما مات وأحصوا ما في بيت المال وجدوا فيه ستمائة ألف درهم وأربعة عشر ألف دينار، وكان يقول: "من قل ماله قل رجاله، ومن قل رجاله قوي عليه عدوه، ومن قوي عليه عدوه اتضع ملكه، ومن اتضع ملكه

استبيح حماه." (اليقوبي، ص30)، وكان لا يسرف في عطاء الشعراء، كما كان يراقب تصرفات أولاده المالية، وحركات عماله الإدارية.

والحق أن المنصور كان أعظم خلفاء العباسيين إدارة وحكمة وعقلا وبأسا ويقظة وكان يهتم بمراقبة العمال بنفسه، والتتقيب عن أحوال الناس ودخائل أمورهم، ويعنى بالأمن وبمحافظة السبل ومنع الفاسد، قالوا: إنه إذا كان استيقظ في اليوم ابتداء بالصلاة وقراءة القرآن، ثم يخرج إلى الإيوان فيطلع على رسائل الأقاليم وأحوالها إلى وقت الظهر، فإذا صلى الظهر دخل قصره واستراح قليلا، ثم رجع إلى مطالعة رسائل عماله والمكاتبة إليهم بما يجب عليهم عمله إلى وقت العصر، فإذا صلى صلاته جلس لأهل بيته إلا من أحب أن يسامره، فإذا صلى العشاء الآخرة نظر فيما ورد إليه من كتب الثغور والأطراف والآفاق، ثم شاور سماره فيما أراد من ذلك، فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه وانصرف سماره، فإذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه فأسبغ وضوءه، ووقف في محرابه يصلي حتى مطلع الفجر، ثم يخرج للناس، وهكذا دواليك.

وكما كان المنصور كان رجال بلاطه من أهل الدين والحزم والخلق والجد، وفي سنة (158هـ / 755م) أراد أن يحج ويزور قبر النبي الكريم، لكنه توجع في الطريق قرب الكوفة، فلما صار إلى بئر ميمون اشتد عليه الوجع فبقي هناك وأدركته المنية في فجر ليلة السبت سادس ذي الحجة، ولم يحضره عند وفاته إلا حاجبه ووزيره الربيع فأوصاه بما أراد، وكنتم الربيع ذلك حتى الصباح فاستدعى من معه من أهل البيت وأخذ بيعتهم للمهدي، ثم لعيسى بن موسى من بعده، ثم دعا بالقادة فبايعوه، واتفق رأي أهل البيت على أن يتوجه العباس بن محمد بن علي ومحمد بن سليمان بن علي إلى مكة لمبايعة المهدي وأخذ بيعة أهل الحجاز، وهكذا كان، ودفن المنصور في ثنية المعلاة، وكان له من الولد ثمانية من الذكور وبنات، وأكبرهم محمد المهدي. (حسن، 2010م، ص36)

الخاتمة: توصل البحث إلى العديد من النتائج أهمها :

- كان تأسيس دولة الخلافة العباسية قائم على يد القائد أبو جعفر المنصور، وتميز بأنه كان القائد الذي تم طلبه ليمتلك المركز القيادي للدولة العباسية ويعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية في تلك الفترة .

- تميز أبو جعفر المنصور بشخصية فريدة، وصفات مميزة جعلت فترة حكمه تتميز بنوع من الاستقرار رغم التحديات الداخلية والخارجية، كما تبين أسلوب معالجة المنصور لهذه المشاكل والصراعات، وأهم الإنجازات والأعمال التي كانت في عصره.
- قام أبو جعفر المنصور بحماية الدولة، وذلك من خلال القضاء على كل الأشخاص المعارضين المتواجدين داخل الأسرة الحاكمة أو في خارجها.
- من أفضل أعماله التي قام بها حماية الحدود الخارجية لدولة الخلافة العباسية وقيامه بالتوسع الخارجي المتمثل بالفتوحات في المناطق البعيدة عن مركز الخلافة .
- استطاع خلال هذه الفترة النهوض بالدولة العباسية من الناحية العلمية، فرأينا كيف قام بتقريب العلماء إليه، حيث أصبحت مركز الحضارة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير (عزالدين) الكامل في التاريخ، القاهرة ، 1348 هـ .
2. ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، دار هجر، بيروت.
3. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة، بيروت 1972م .
4. البحراني عماد، أبو جعفر المنصور (المؤسس الحقيقي للدولة العباسية) سنة (2009).
5. الجبوري محمد، تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر للنشر والتوزيع، سنة (2010 م)
6. حسن إبراهيم حسن، كتابه تاريخ الإسلام السياسي، دار الجبل، بيروت 2013 م .
7. حسن علي إبراهيم، تاريخ الإسلام العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 2010م.
8. الخضري بك الشيخ محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) 2009م .
9. الدوري، عبدالعزيز، العصر العباسي الأول، دار النهضة، بيروت، ط2، 1988م.
10. الطبري (محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك، دار المعرفة للنشر القاهرة، سنة (1976م).
11. طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ط3، 2001 م .
12. العاني حسن فاضل، سياسة أبو جعفر المنصور الداخلية والخارجية، دار الرشيد بغداد، سنة (1979م).

13. الفخري محمد بن علي بن طباطبا، تاريخ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت 2007 م .
14. ابن النديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م .
15. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي للدولة العباسية، المكتب الإسلامي للنشر سنة (2000م).
16. المسعودي أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الاندلس، بيروت 2012 م .
17. المغلوث سامي، أطلس تاريخ الدولة العباسية، العبيكان السعودية 2012 م .
18. المقدسي أحمد بن محمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت 1991 م .
19. مهدي عبد الحميد حسين، الخليفة أبو جعفر المنصور ودوره في بناء بغداد، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 14، تاريخ النشر سنة (2013 م).
20. اليعقوبي أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط6، 1995م.

الشخصية الهستيرية (التشخيص والعلاج)

د. وليد كريم المنتصر فرفر

كلية الآداب الأصابعة - جامعة غريان

ملخص البحث

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على عصاب الهستيريا وأهم أعراض الشخصية الهستيرية وأسباب ظهورها، وتشخيص الشخصية الهستيرية وطرق علاجها، حيث قام الباحث بالبحث والتقصي على هذا الموضوع في العديد من المصادر والمراجع. وتوصل الباحث إلى أن الشخصية الهستيرية لها العديد من الأعراض العصابية أسبابها كبت الصراعات الانفعالية، وتحول الضغوطات الانفعالية إلى أعراض جسدية، وكذلك الشخصية الهستيرية وجدت في النساء المطلقات بدرجة كبيرة، وكذلك يصاب بها المراهق وهذا ما أثبتته الدراسات والأبحاث السابقة.

مقدمة:

الهستيريا مرض نفسي عصابي تظهر فيه اضطرابات انفعالية مع خلل في أعصاب الحس والحركة، وهو اضطراب تظهر فيه أعراض جسمية ليس لها أي أساس عضوي، وهي تحدث لهدف عند الشخص الهستيري قد تكون بهدف الهروب من الصراع النفسي أو من القلق أو من موقف مؤلم بدون أن يدرك الدافع لذلك، وعدم إدراك الدافع يميز مريض الهستيريا عن المتمارض الذي يظهر المرض لغرض محدد مفيد، وفي الهستيريا تصاب مناطق الجسم التي يتحكم فيها الجهاز العصبي المركزي (الإرادي) مثل الحواس وجهاز الحركة، وهذا غير المرض النفسي الجسمي حيث تصاب الأعضاء التي يتحكم فيها الجهاز العصبي الذاتي (اللاإرادي)، ويطلق البعض على الهستيريا اسم (الهستيريا التحويلية) أو (رد فعل التحويل) أي التي تعني تحويلًا جسميًا لأمر نفسي أساسية هي التحويل حيث تحول الانفعالات والصراعات إلى أعراض جسمية حلًا رمزيًا للصراع، وأشارت كتابات المختصين بأن الشخصية الهستيرية يميل صاحبها إلى التصرف بعصبية ويكون أنانيًا

واستعراضياً، ويتميز الشخص الهستيري بالطفيلية وتجنب المسؤولية، والترثرة والغالة في التعبير عن انفعالاته فيكون ممثلاً بارعاً فيها، والفرد الهستيري يتصف بعدم الثبات الانفعالي فهو متقلب ولا يستقر على حال، وأنه شديد الحساسية يستجيب إلى الضحك بقوة واندفاع، كما يستجيب للبكاء بنفس الدرجة، ولأسباب غير منطقية، وأن الشخص الهستيري يتلهف لاكتساب عطف الناس عليه بل استجداء عواطفهم نحوه، فيرغب أن يكون محور اهتمام ورعايتهم وهو بذات الوقت يتصف بالتمركز الشديد حول الذات، فهو أناني ويتصف باللامبالاة . (الخالدي، 2000: 265,266).

ويرى الباحث أنه حتى الآن لم يعرف سبب محدد وراء الإصابة باضطراب الشخصية الهستيرية، ولكن يرجح أنه ينتج عن مزيج من عوامل جينية وبيئية، وأنه لا توجد طرق محددة للوقاية من الإصابة باضطراب الشخصية الهستيرية ومع ذلك علينا الالتزام بالتعامل بطريقة لائقة مع الأشخاص المصابين باضطراب الشخصية الهستيرية .

مشكلة البحث:-

تُعدُّ الشخصية الهستيرية اضطراباً نفسياً يعرف باضطراب الشخصية التمثيلي أو شبه الهستيري، وله العديد من العلامات والأعراض التي تظهر لديهم في مواقف مختلفة يمكن تشخيصها وعلاجها ومعرفة أسبابها، ويرى الباحث أن التفاعل مع المصابين بهذا النوع من الاضطرابات النفسية غالباً ما يكون متعباً ومرهقاً، نتيجة لما يتسببون به من مشكلات للأخرين تجعلهم غير مرتاحين في التعامل معهم، وقد يكون من الصعب تجنبهم أو الانصراف عنهم، فقد نضطر للتعامل معهم، فمن هنا يرى الباحث ضرورة معرفة بماذا تتصف الشخصية الهستيرية؟ وما طرق التعامل معها ؟

وتتمثل مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات الآتية:

س/ ما أعراض الشخصية الهستيرية ؟

س / ما أسباب ظهور الشخصية الهستيرية ؟

س/ ما كيفية التشخيص والعلاج ؟

أهداف البحث: تتمثل أهداف البحث في الآتي:

- 1- التعرف على عصاب الهستيريا.
- 2- التعرف على أعراض الشخصية الهستيرية.
- 3- تشخيص الشخصية الهستيرية وطرق علاجها .

أهمية البحث:

تقدم الدراسة الحالية تراثاً نظرياً يوضح تعريفات للهستيريا والشخصية العصابية وكذلك مفاهيم للشخصية الهستيرية، وأبرز سمات الشخصية الهستيرية، وأسباب ظهورها، وتهتم الدراسة الحالية بدراسة طرق حالات الإصابة بالهستيريا وعلاجها.

- حدود البحث:

الأدبيات والدراسات السابقة، التي تناولت دراسة هذا الموضوع.

مصطلحات البحث:

مفهوم الشخصية: إنها التنظيم الفريد لاستعدادات الشخصية للسلوك في المواقف المختلفة، ويضاف إلى هذا التعريف عنصر آخر هو أن هذا التنظيم لا بد أن يتم في مجال معين، وهذا المجال هو المخ ومكونات الشخصية والعمليات التي تصل إلى المخ عن طريق الأعصاب المستقبلية، وإذا تفككت هذه السمات اضطربت الشخصية وأصبحت منحرفة وهذا التنظيم الدقيق هو الذي يجعل قياس سمات الشخصية أمراً صعباً. (جاسم، 2011: 18).

مفهوم العصاب: اضطراب وظيفي - دينامي، يتصف بالانفعالية الحادة وبصفة مستمرة، فالعصاب هو رأس الأمراض النفسية، ويمكننا تحديده لدى المصابين به من خلال أنماطهم السلوكية. (الخالدي، 2000م : 251).

. **الهستيريا:** يشير المعنى الإغريقي القديم لمفهوم الهستيريا إلى ارتباطها بالإغماء والصمم والشلل الجزئي الذي لا يعود إلى أسباب عضوية، وإلى أنها نوع من الاضطرابات العصابية التي تصيب النساء على وجه الخصوص. (القذافي، 1988 : 187)

- **الشخصية الهستيرية:** وهي خليط من المزاج والخلق الهستيري، فالمزاج يميل بصاحبه إلى التصرف بعصبية، وغالباً ما يكون أنانياً واستعراضياً. (الخالدي، 2000م:265)

ويعرف اضطراب الشخصية: "بأنه الاضطراب السلوكي الذي يبدو كعدم تكيف في الحياة ، وخاصة مع ضغوط الحياة، ويبدأ عادة في الطفولة والمراهقة ويعوق علاقات الفرد الاجتماعية، كما يؤثر على إنتاجه في العمل ويتميز بعدم المرونة". (عكاشة وآخرون، 1998م: 188)

ويرى الباحث بأن الشخصية الهستيرية خليط من المزاج والخلق الهستيري، والهستيرية اضطراب نفسي المنشأ ولها أعراض جسدية ونفسية.

الشخصية الهستيرية: HYsterial Personalit :

تسمى شخصية مريض الهستيريا قبل المرض باسم " الشخصية الهستيرية" وهي تشبه شخصية الأطفال، ولو تأملنا سلوك الشخص الهستيري لوجدناه سلوك "طفل كبير" ويعتبر البعض الشخصية الهستيرية بمثابة "كاريكاتير" لشخصية الفرد. (زهران، 2005: 498).

والشخصية الهستيرية يمكن تعريفها بما يأتي:

قبل تعريف الشخصية الهستيرية لأبد من التعرف على الهستيريا وهي مرض نفسي عصابي تظهر فيه اضطرابات انفعالية مع خلل في أعصاب الحس والحركة، وهو اضطراب تظهر فيه أعراض جسدية ليس لها أي أساس عضوي وهي تحدث لهدف عند الشخص الهستيري قد تكون بهدف الهروب من الصراع النفسي أو من القلق أو من موقف مؤلم بدون أن يدرك الدافع لذلك.

تعرف الشخصية الهستيرية: بالقابلية الشديدة للإيحاء والمسايرة وحب المجاملة والحساسية الشديدة وسرعة الخجل والتذبذب الانفعالي وتقلب المزاج وعدم التحكم في الانفعالات والسذاجة، وسطحية المشاعر ولفت الأنظار واستمرار العطف وحب الاختلاط والمبالغة، ولابد هنا من الإشارة إلى أن معظم حالات مرض الهستيريا تقع في أولئك الذين عرفوا بشخصيتهم الهستيرية لمدة طويلة قبل الوقوع بالمرض. (كمال، 1983م، 202).

ومن هنا يرى الباحث أن مرض الهستيريا مرض نفسي عصابي تظهر فيه بعض الاضطرابات الانفعالية التي تسبب خللا في الحركة والأعصاب ومن المحتمل أن تؤثر الهستيرية على أداء وظائف الفرد الاجتماعية وبعض المعاناة في الحياة اليومية، لذلك إذا كان لديك شخص مصاب بمرض الهستيريا يجب أن تساعده .

• التصنيف الطبي للشخصية الهستيرية:

ورد التصنيف الطبي للشخصية ضمن التصنيف الطبي الأمريكي DSM-vi الرابع لعام 1994م ضمن المجموعة الثالثة حيث يشير المرشد التشخيصي الإحصائي أعلاه إلى وجود عشرة أنواع، يصنفها الاختصاصيون في الشخصية إلى ثلاث مجموعات هي:

1- المجموعة الأولى (القلقة /الخائفة):- وتشمل اضطرابات الشخصية التجنبية والسواسية القهرية.

2- المجموعة الثانية (الشاذة أو الغريبة الأطوار): وتشمل اضطرابات الشخصية شبه الفصامية، والفصامية النموذجية، والزورية (البارا نويا).

3- المجموعة الثالثة (الدرامية/الاندفاعية) وتضم اضطرابات الشخصية التحويلية (الهستيرية) النرجسية الحدية (البنين بينيه) والمضادة للمجتمع وأن تشخيصها لا يكون مناسباً قبل سن (17) لأنها تظهر في الطفولة المتأخرة أو المراهقة. (صالح، 2005م: 41-42) .

• أبرز سمات الشخصية الهستيرية مايلي:

العاطفية الزائدة، والقابلية الشديدة للإيحاء والمسايرة، وحب المجاملة والمواساة والحساسية الشديدة، وسرعة الخجل، وعدم النضج الانفعالي، والتذبذب الانفعالي، وتقلب المزاج، وعدم التحكم في الانفعالات والسذاجة وسطحية المشاعر، وعدم النضج النفسي الجنسي. (زهران ، 2005م : 499) .

*التمركز حول الذات والأنانية، ولفت الأنظار، واستمرار العطف، وحب الاختلاط والاعتزاز بالنفس، وحب الظهور، وفي بعض الأحيان الانبساط والاجتماعية، وعدم الاستقرار والاعتماد على الآخرين والتواكل والانقياد (التبعية) والشعور بالنقص.

*المبالغة والتهويل والاستغراق في الخيال والاستعداد لتكثيف الانفعالات وتحويلها إلى أعراض جسمية.

* الاعتماد على الكبت دفاعاً أساسياً، وعدم النضج والتكيف والاندفاع .

وتشير الأدلة الإكلينيكية بأن الشخصية الهستيرية، تتميز بانعدام النضج الانفعالي والتذبذبية في السلوك والتغير في الوجدان وهذا يعني عدم الثبات، فسرعان ما يتبدل الاهتمام بالإهمال، ويتحول الشعور بالمرح والارتياح إلى الشعور بالانقباض والاكتئاب وأن الشخصية

الهستيرية تميل إلى المخالطة وتكوين العلاقات الاجتماعية، فتبدو عليها الانبساطية الواضحة، ولكن هذه العلاقات وتلك الانبساطية، تتصف بالسطحية والتذبذب، وعن موقف الهستيري من الجنس الآخر فإنه يحاول إثارة الدافع الجنسي لدى المقابل من الجنس الآخر والقيام بالحركات المثيرة دون خجل أو تردد ويقوم بتفسير المواقف البريئة إلى تفسيرات جنسية.

- وفي ضوء ما قدمناه من علامات تشخيصية إكلينيكية تتميز بها الشخصية الهستيرية يرى الباحث أن الشخصية الهستيرية تلازمها سمات بالعاطفة الزائدة والحساسية الشديدة، وحب الذات، والتذبذب في السلوك، وعدم الثبات الانفعالي، واللامبالاة، والاعتماد على الآخرين، والمبالغة في التعبير عن الانفعالات السارة منها والمحنة، والعجز عن مواجهة مواقف الحياة المختلفة، وتجنب تحمل المسؤولية. (الخالدي، 2000م : 266).

- أسباب ظهور الشخصية الهستيرية:

ينسب علماء التحليل النفسي أسباب حدوث الهستيريا للصراع (الأوديبى) الذي لا يكتفي بالتسلل خلسة، رغم الحصار المفروض عليه بواسطة الكبت، كما يحدث في حالات القلق، ولكنه بمهاجمة الشخصية بشكل يدفعها إلى استخدام وسائل دفاع نفسية قوية، ويتوقف حجم الأعراض الظاهرة على نقاط الضعف غير المعروفة لنا في أجهزة الجسم وعلى التربية النفسية للشخص. (القذافي، 1998: 189).

ويعتبر تحليل ظهور العوارض الهستيرية من الأمور التي لم يتفق عليها اثنان من علماء البحث النفسي على باقي أحشاء الجسم، وواضح أن هذا لا أساس له من الصحة، وإليه تعزى الفكرة القديمة وهي أن الهستيريا مرض خاص بالنساء، ولعل ذلك مصدره وقتئذ الإيحاء الذاتي، أو إشباع الرغبات الجنسية، أو السعي لاكتساب العطف أمام ما كانت تواجهه النساء من عدم التقدير من ناحية الرجل أو قسوته في معاملتهن وعدم السماح لهن بالاختلاط أو ممارسة المنزل.

وتتخذ "بيير جانيه" - كما أشارت - التفكك في الشعور سبباً لظهور العوارض، ويعزى إليه كل عوارض الهستيريا، ويقرر أن التفكك يحدث كاملاً بين مراكز المخ، ويكون من آثاره أن تنزلق بعض الأفكار والاحساسات إلى موضع اللاشعور من المخ وهناك كَوْنُ بها وحدة

قائمة بذاتها تعمل مستقلة، أما مع آراء الإنسان و احساساته العادية فيبدو ذا شخصيتين كاملتين مستقلتين، أو تأخذ هذه الشخصية الجديدة المكان الأول فيظهر المصاب في شخصية غريبة عن شخصيته الأولى. (دويدار ، 1994م: 381).

تسجل العيادات النفسية شيوع مرض الهستيريا لدى الإناث ولدى اصحاب الذكاء المتوسط وفي بعض حالات الشيخوخة او المراهقة او الطفولة لدى البعض ممن لديهم استعداد وراثي، وقد تعمل البيئة على تنشيطه من خلال تفاعل الفرد مع البيئة الخارجية ويمكن أن تكون:

1- اسباب نفسية : تتمثل في الضغوط النفسية التي تحيط بالفرد والتي تتمثل في الصدمات العاطفية وتكرر الإحباط والصراعات النفسية وصراع اشباع الغرائز وتعارضها اجتماعياً والغيرة والحرمان وعدم تحديد الهدف ومشاكل في الشخصية كعدم النضج والتمركز حول الذات ثم الضغوط الانفعالية والصدمات الانفعالية العنيفة .

2- أسباب اجتماعية: وتتمثل في المشاكل الاسرية، والتربية الخاطئة، وعدم النضج الاجتماعي .

3- أسباب وراثية: قد يكون أحد الآباء ذا شخصية هستيرية قد تؤثر في الأبناء .

4- الحوادث: قد يتعرض الفرد لحادث تصادم سيارة أو جرح... إلخ. (نبيهة ، 2007:110) المؤشرات الدالة على المرض: يمكن ملاحظة بعض المؤشرات على الفرد تشير إلى وجود اختلالات سلوكية لدى الفرد تتضح في ظهور:

* الضغوط الانفعالية المتكررة على الفرد قبل النضج الانفعالي لديه.

* عدم اللامبالاة والهدوء النفسي وعدم وجود مظاهر القلق على الفرد ما يتحدث به الفرد عن مرضه

* وجود مكسب وراء المرض .

* تغيير الأعراض عن طريق الإيحاء .

* تغيير الاحساس وعدم ثبوته لكون المرض ليس عضويًا وليس له واقع تشريعي .

* حدوث المرض بشكل مفاجئ.

النظريات التي تفسر اضطراب الشخصية الهستيرية:

1- نظرية المكونات الديناميكية النفسية:

يُعدُّ سيجموند فرويد المؤسس للمنظور النفسي الدينامي كما أن نظريته في الواقع الخيمة التي ينضوي تحتها أفكار ومفاهيم هذا المنظور بكل تفرعاته، (صالح، 2015م: 49) يقول سيجموند فرويد إن الجهاز النفسي يتكون فرضياً من (الهو) و(الأنا الأعلى) و(الأنا) فهو أقدم قسم من أقسام هذا الجهاز وهو منبع الطاقة الحيوية والنفسية التي يولد الفرد مزوداً بها، وهو يحتوي على ما هو ثابت في تركيب الجسم فهو يضم الغرائز والدوافع الفطرية الجنسية والعدوانية، وهو الصورة البدائية للشخصية قبل أن يتناولها المجتمع بالتهذيب والتحوير، وهو مستودع القوى والطاقات الغريزية وهو جانب لاشعوري عميق ليس بينه وبين العالم الواقعي صلة مباشرة، وهو لا شخصي ولا إرادي ويسيطر على نشاطه مبدأ اللذة (والألم) أي أنه يندفع إلى إشباع دوافعه اندفاعاً عاجلاً في أي صورة وبأي ثمن. (زهران، 2005م: 60).

وقد ركزت أعمال سيجموند فرويد الأولى على (الهستيريا) حيث نظر إليها باعتبارها اضطراب يصون أعراضاً جسدية غريبة كالشلل، والألم، وفقدان الشعور دون وجود أي سبب جسدي عضوي يدل على هذه الأعراض الهستيرية نتجت عن كبت الصراعات الانفعالية وتحول الضغوط الانفعالية إلى أعراض جسدية، حيث اعتقد أن الانفعالات المكبوتة عادة ما تكون مرتبطة بذكرات التجارب والخبرات الجنسية المبكرة أو الصراعات الجنسية في مرحلة الطفولة.

النظرية الانسانية:

أشار جوردن البورد إلى العوامل المهمة التي تلعب دوراً كبيراً في النمو النفسي السليم، وتطور الشخصية المتمتعة بالصحة النفسية، تتمثل في حصول الفرد على الخبرات النفسية المتعلقة بالأمن النفسي والطمأنينة والحب والعلاقات الحميمة مع الآخرين وعندما يشبع الفرد منه الحاجات يكون مهياً للنمو النفسي السليم. (الطائي 2014م: 80)

يرى أصحاب النظرية أن الإنسان يعاني من العصاب عندها لا يمارس حرية الاختيار مما يسبب له الملك واكتئاب ومما يجعله يشعر بالفراغ الروحي الداخلي فيسبب له العصاب

الوجودي كونه يساير أدوارا فرضها عليه المجتمع على حساب نموه الشخصي. (محمد، 2004م:84)

نظرية المكونات المعرفية السلوكية:

تعتبر هذه المدرسة ذات التطبيقات الواسعة أن الشخصية نتاج تفاعل بين الفرد ووسطه، يدرس السلوكيون سلوكيات ملاحظة، وقابلة للقياس، رافضين النظريات التي تنطلق من التفكير والأحاسيس الداخلية، من أشهر هؤلاء سكينر وجون واطسون (شكيب، 2007:5) تتضح مبادئ النظرية السلوكية عند كلٍ من (واطسون) و(ثورانديك) و(بافلوف) و(سكينر) حيث أقرّوا أن التعلم يحدث نتيجة مثير خارجي، وأن عقل الإنسان مثل الصندوق الأسود، ولم ينظروا ماذا يحدث بداخله، وبشكل عام تجاهلوا تأثير عمليات التفكير في السلوك الملاحظ .

ويشير المنظرون المعرفيون أن الأشخاص الذين يعانون من اضطراب الشخصية الهستيرية يعتقدون بأنهم لا يستطيعون العناية بأنفسهم ويجب عليهم البحث عن الاهتمام والقبول أو الاستحسان الاجتماعي، والعناية من الآخرين، ونتيجة لذلك فهم ينخرطون في سلوكيات درامية ذاتية من أجل الحصول على الاهتمام والعناية التي يشتاقون لها، والأشخاص ذوو اضطراب الشخصية الهستيرية لديهم أسلوب معرفي يعتمد على الانطباعات الغامضة بدلا من الحقائق الدقيقة والمعرفية والمادية الملموسة، ولهذا يجب على المعالجين المعرفيين السلوكيين أن يكونوا صبورين وحازمين حيال السيطرة على عميل لاضطراب الشخصية الهستيرية في البرنامج العلاجي أو أثناء تحقيق أهداف علاجية محددة ولملموسة له، فإذا نجحوا في ذلك يمكنهم وقتها مساعدة تلك الحالات في تحديد الأفكار المشوهة وتصحيحها المتصلة بجذور السلوك الدرامي والانفعالي المفرط لديهم، وعادة ما تركز الأهداف العلاجية على مساعدة هؤلاء على تعلم تحديد ما يريدونه ويطلبونه بشكل مباشر وصريح بدلا من اللجوء إلى سلوكيات غير مباشرة التي عادة ما تكون غير فعالة في البحث عن الشعور بالاهتمام وتحقيقه .

تشخيص و علاج الهستيريا :-

تشخيص الهستيريا :

يجب المقارنة بدقة بين الهستيريا والمرض العضوي. وعلى الإخصائي التأكد من الخلو من الأسباب العضوية للأعراض، واستبعاد وجود مرض عضوي، ونحن نعلم أن المرض الهستيريا يختلف عن المرض العضوي في أنه غير دقيق من الناحية التشريحية وقد يكون العرض الهستيريا مجرد امتداد تاريخي لمرض عضوي سابق، وعلى سبيل المثال يمكن المقارنة بين مريض الصرع الهستيريا ومريض الصرع العضوي، فنجد أنه في حالة الصرع الهستيريا يصاب المريض بالنوبة وسط الناس ويقع في مكان أمان بحيث لا يصاب، وهو لا يتبول لا إرادياً أثناء النوبة ولا يعرض لسانه ولا تخنقي الانعكاسات لديه بينما في مريض الصرع العضوي نجده يقع في أي مكان ودائماً نجد فيه إصابات وكسوراً وجروحاً وقد يتبول لا إرادياً أثناء النوبة وقد يعرض لسانه ونجد هناك اضطراباً في موجات المخ الكهربائية يوضحها رسم المخ الكهربائي، ويجب أيضاً عدم الخلط بين أعراض الهستيريا وبين أعراض التفكك، ويجب التفرقة بين الهستيريا والتمارض فالهستيريا لا إرادية، والهستيريا لا يبالي بأعراضه ولا يعيرها اهتماماً كبيراً، بينما التمارض إرادي، والتمارض يعير أعراضه اهتماماً زائداً ويدرك الفائدة التي يجنيها من وراء تمارضه .

وتدل المؤشرات الآتية على حالة الهستيريا:

. حدوث المرض فجأة أو في صورة درامية.

. نقص قلق المريض بخصوص مرضه وعدم مبالاته وهذوئه النفسي وهو يتحدث عن أعراض مرضه.

. الضغط الانفعالي قبل المرض.

. وجود مكسب ثانوي من وراء المرض.

. تغير الأعراض بالإحياء.

. اختلاف شدة الأعراض في فترة وجيزة.

. عدم النضج الانفعالي في الشخصية قبل المرض (زهران ، 2005م : 501)

علاج الهستيريا:

تشير الدراسات إلى بعض حالات الإصابة بالهستيريا تكون وقتية ويشفي فيها المريض تلقائياً دون الحاجة إلى التدخل العلاجي خاصة بعد استبعاد الطبيب للجوانب العضوية، لكن في أغلب حالات الهستيريا فإن الحاجة تكون ماسة للعلاج الذي غالباً ما يكون في عيادات خارجية يتبع فيه المعالج شتى أنواع العلاج سواء كانت الدوائية أو النفسية، وفيما يلي نطرح أهم أساليب علاج الهستيريا:

1- العلاج النفسي: يتناول تركيب الشخصية بهدف تطويرها ونموها، وقد يستخدم الأخصائي التنويم الإيحائي لإزالة الأعراض، ويلعب الإيحاء والإقناع دوراً مهماً هنا، ويستخدم التحليل النفسي للكشف عن العوامل التي سببت ظهور الأعراض والدوافع اللا شعورية وراءها ومعرفة هذا المرض . ويقوم المعالج بالشرح الوافي والتفسير الكافي للأسباب ومعنى الأعراض، كذلك يفيد العلاج النفسي التدميمي ومساعدة المريض على استعادة الثقة في نفسه وتعليمه طرق التوافق النفسي السوي والعيش في واقع الحياة، ويستخدم العلاج الجماعي خاصة مع الحالات المتشابهة، ويجب أن يعمل المعالج باستمرار على إثارة تعاون المريض وتنمية بصيرته ومساعدته في أن يفهم نفسه ويحل مشكلاته ويحاربها بدلاً من أن يهرب منها ويقع ضحية لها، ويلاحظ أن بعض المعالجين يستخدمون نوعاً من الحقن (أميثال صوديوم) لتسهيل عملية التنفيس والإيحاء والإقناع (التحليل التخديري).

2- الإرشاد النفسي: للوالدين والمرافقين كالزوج أو الزوجة، وينصح بعدم تركيز العناية والاهتمام بالمريض أثناء النوبات الهستيرية فقط لأن ذلك يثبت لدى المريض لاعتقاده أنها هي التي تجذب الانتباه إليه.

3- العلاج الاجتماعي: العلاج البيئي وتعديل الظروف البيئية المضطربة التي يعيش فيها المريض بما فيها من أخطاء وضغوط أو عقبات حتى تتحسن حالته .

4- العلاج الطبي: للأعراض وفي ذلك أيضاً حفظ لماء وجه المريض، ويستخدم علاج التنبيه الكهربائي أو علاج الرجفة الكهربائية، وفي بعض الأحيان يلجأ المعالج إلى استخدام الدواء النفسي الوهمي ويفيد فائدة كبيرة.

احصائيات عن الهستيريا : أشارت بعض الدراسات والأبحاث حول علاج مرضى الهستيريا أن حوالي 50% من المرضى تم شفاؤهم تماماً مع تلقي العلاج المناسب، وأن 30% ظهر عليهم التحسن الملحوظ في حالاتهم، بالإضافة إلى وجود 20% تم شفاؤهم من الهستيريا مع وجود بعض الأعراض العرضية .

• الدراسات والأبحاث:

تعود الدراسات حول الهستيريا إلى عام 1895م ويعتبر عادة نقطة المنطلق للتحليل النفسي، وبالتالي أولى الدراسات الجادة حول الهستيريا بالنظر إلى أن المؤلفين أكدا فيه للمرة الأولى أن جذور أعراض الهستيريا نفسية لا عضوية، مقترحين بالتالي أن المعالجة السيكولوجية كفيلة بمعالجة الحالات الهستيرية مهما استعصت، ولابد من أن نذكر هنا أن ذلك التوجه كان قد ولد قبل ذلك بخمسة عشر عاما، يوم تمكن بريور من معالجة المدعوة أنا أو ومنذ ذلك الحين أدرك بريور وتبعه فرويد في ذلك أنه حين يتمكن مصاب بالهستيريا من أن يتذكر الحادثة الأساسية التي تسبب له بالإصابة بها للمرة الأولى، ويعيش بالتالي بفضل ذلك التذكر نفس المشاعر التي كان قد أحسها في المرة الأولى ستخفي الأعراض إلى غير رجعة، ولنذكر هنا بأن المريضة أنا ستكون هي نفسها من سيطلق على تلك المعالجة اسم العلاج بالكلام حيث أثبتت الدراسات الأمريكية أن ممارسة الرياضة والألعاب في الهواء الطلق مهمة للتقليل من أعراض الهستيريا حيث إنها تأخذ العقل بعيداً عن الذات وتجعل الشخص يشعر بالبهجة وممارسة الرياضة والألعاب في الهواء الطلق على أساس متكرر هو جيد لعلاج الهستيريا، بحيث يصبح الجسم لائقاً ويتم التحكم في مستويات ضغط الدم عن طريق ممارسة الرياضة وبالتالي ضمان عدم التعرض لهجمات الذعر (www.almsal.com).

دراسة ايمان 2016 (النسق الاسري الهستيري)، هدفت الدراسة إلى التعرف على سمات النسق الأسري للهستيريا ومعرفة نمط التواصل بين أفراد العائلة، وقد تكونت حالات البحث من أربع حالات واستخدم الباحث المنهج الإكلينيكي باستخدام دراسة الحالة وركز فيها على (المقابلة النصف موجهة واعتمد في تحليلها على طريقة ميكايلي، اختبار الإدراك الأسري (FAT) وأسفرت النتائج إلى أن النسق الأسري للهستيريا يتميز بعدة سمات نتجت عن

الصراع الأسري، انعدام التواصل الايجابي سوء اللفظي أو الجسدي، سلطة هرمية مناخ وجداني غير سوي، سوء المعاملة الاسرية، الحماية الزائدة والتدليل المفرط .

دراسة **small G&Propper m 2013**: والتي كانت عن الهستيريا الجماعية وأداء الطلاب والعلاقات الاجتماعية باعتبارها منبئا بالأعراض الهستيرية لدى عينة من الطلاب في سانتا مونيكا، كاليفورنيا حيث أجريت الدراسة على عينة قوامها 519 طالب وطالبة وقد أظهرت النتائج علاقة العلاقات الاجتماعية بظهور الأعراض الهستيرية، وقد بينت النتائج أيضا فروقا دالة بين الذكور والإناث في اتجاه الإناث في الأعراض الهستيرية.

نتائج البحث:

من خلال إطلاع الباحث على الدراسات والأبحاث اتضح أن من الأسباب التي أدت إلى ظهور الشخصية الهستيرية هو الصراع بين الغرائز والمعايير الاجتماعية والصراع الشديد بين الأنا الأعلى وبين الهو (خاصة الدوافع الجنسية) وكذلك الإحباط وخيبة الأمل في تحقيق الأهداف، واضطراب الشخصية الهستيرية له أثر سلبي على الشخص ويسبب له آلام ومعاناة وكذلك على مجتمعه.

وإن الشخصية الهستيرية لها العديد من الأعراض العصبية أسبابها كبت الصراعات الانفعالية وتحول الضغوطات الانفعالية إلى أعراض جسدية، ويجب التفرقة بين الهستيريا والمرض العضوي في التشخيص، ومعرفة الأعراض الجسمية والحركية والحسية واللفظية التي تتميز بها الشخصية الهستيرية .

ومن خلال اطلاع الباحث على طرق التشخيص والعلاج للشخصية الهستيرية وجد أنه هناك بعض حالات الإصابة بالهستيريا تكون وقتية ويشفى منها المريض دون الحاجة إلى التدخل العلاجي بعد استبعاد الطبيب للجوانب العضوية، ولكن في أغلب حالات الهستيريا فإن الحاجة تكون ماسة للعلاج سواء كان هذا العلاج طبي أو نفسي أو إرشادي أو اجتماعي .

المراجع:

- 1- أديب الخالدي المرجع في الصحة النفسية، الدار العربية للنشر والتوزيع مدينة نصر، ط2 ، 2000م.
- 2- إيمان محمد الطائي، دراسات في سيكولوجية العزلة الاجتماعية، دار الجنان للنشر والتوزيع عمان الأردن 2014 م
- 3- إيمان زراري، النسق الاسري للهستيري، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بن العربي المهيري، أم البواقي، رسالة ماجستير منشورة 2016م
- 3- حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع - القاهرة ، ط4 ، 2005م .
- 4- رمضان القذافي، الصحة النفسية والتوافق، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، ط3 1998م.
- 5- صالح، قاسم حسين، علم النفس الشواذ والاضطرابات العقلية والنفسية، جامعة صلاح الدين ، أربيل، 2005 م .
6. على كمال، النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، دار واسط للنشر والتوزيع، ط2، 1983م.
- 7- عبد الله السيد عسكر، 2007 م ، موقع الكتروني -: www.ahad.com .
- 8- عبد الفتاح دويدار، في الطب النفسي وعلم النفس المرضي الإكلينيكي، دار النهضة العربية للنشر . بيروت، 1994م .
- 9- عكاشة أحمد، طارق، الطب النفسي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 15، 2010م.
- 10- محمد محمد جاسم علم النفس الإكلينيكي مكتبة دار الثقافة للنشر، عمان الأردن، 2004م.
- 11- مصطفى شكيب، الأنواع العشرة للاضطرابات الشخصية، دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة . 2007م
- 12- نبيهة صالح السامرائي، أعراض الأمراض النفسية العصبية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2007.

آفاق مستقبل التعليم والتدريب وعلاقتها بالتنمية البشرية مع الاستفادة من التجارب الدولية في هذا المجال

أ. طارق محمد سالم ضو

جامعة الزنتان

المستخلص:

لقد جاءت هذه الدراسة للتعريف بآفاق مستقبل التعليم والتدريب وعلاقتها بالتنمية البشرية التي تشكل عملية توسيع القدرات التعليمية حيث إن الإنسان يصل بمجوده وبمجهود غيره إلى أعلى مستويات الإنتاج والدخل وبحياة طويلة وصحية بجانب تنمية الخبرات. ومن هنا ارتأينا أن يتناول بحثنا موضوع آفاق التعليم والتدريب والتنمية البشرية حيث تعتبر مناهجاً حكومياً بالدرجة الأولى يهتم بتحسين نوعية الموارد البشرية في المجتمع ومن بين أهم عوامل التنمية البشرية نجد الوضع التعليمي حيث إن التعليم بكل أساليبه ومستوياته لا يستطيع أن ينجح بمعزل عن تطوير قدرات القائمين عليه . لهذا ينبغي أن يهدف التعليم إلى زيادة المهارة البشرية حتى ترتفع إنتاجية العمل في المجتمع.

"Abstract."

This study came to introduce the future of organization and training and is relationship to human development, which constitutes the process of expanding educational capabilities as a person achieves his efforts.

With effort we reach the highest levels of Production and income and lead a long and healthy life, in addition to developing expertise. Hence, we decided that our research would address the topic of the horizons of education, training, and human development, as it is considered Primarily a government curriculum It is Concerned with

improving the quality of human resources in society, and among the most important factors of human development we find the educational situation, as education, with all its methods and levels, cannot succeed in isolation from developing the capabilities of those responsible for it. Therefore education should aim to increase human skill so that labor productivity in society increases.

مقدمة:

لقد أعطت كثير من الدول الأولوية والاهتمام للتعليم والتدريب والتنمية البشرية باعتبارها من الأدوات الأساسية التي ينبغي أن يتسلح بها المجتمع للوصول إلى ما ينشده من رفعة وتقدم، خاصة أن نظام التعليم والتدريب في أي مجتمع يعتبر الوسيلة الرئيسة لترسيخ القيم والمهارات لدى الأفراد وإعدادهم لمواجهة التغييرات التي تتطوي عليها عملية التقدم. حيث إن مستوى التعليم والتدريب لا يعتبر فقط أحد مؤشرات التنمية البشرية بل يعتبر أيضاً مؤشراً مهماً للنمو الاقتصادي ويرجع اكتشاف أهمية التعليم والتدريب في النمو الاقتصادي إلى الاقتصاديين القدامى فيرى التجارون أن المهارة البشرية تمثل عنصراً من عناصر الإنتاج وعليه فإنه ينبغي أن يهدف التعليم والتدريب إلى زيادة المهارة البشرية حتى ترتفع إنتاجية العمل في المجتمع كله، فكم من حضارة ارتقت إلا وكان وراءها مراعاة أهمية التعليم والتدريب واعتبارهما عصب التنمية البشرية.

أهمية الدراسة:

تركز الدول على التعليم والتدريب والتنمية البشرية من حيث تحسين نوعية التعليم ورفع كفايته دون الاقتصار على نموه الكمي فقط، مع الاهتمام في ذات الوقت بتوصيل الخدمات التعليمية إلى مستحقيها في القرى والمناطق النائية والعمل على عدالة توزيعها جغرافياً على جميع أنحاء البلاد

أهدافها:

1. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على آفاق مستقبل التعليم والتدريب وعلاقتها بالتنمية البشرية وذلك باتباع المنهج الوصفي في تحديد أهداف التعليم والتدريب.

2. تزويد الفرد بقدر كاف من المعارف والمهارات وإعداده الإعداد اللازم ليلعب دوره في المجتمع بصورة أكثر فعالية، ويشارك في اتخاذ القرارات في جميع المجالات.
3. ربط التعليم بمتطلبات خطط التنمية البشرية، فلا يمكن النظر إلى التعليم بمعزل عن التنمية، فهو جزء لا يتجزأ منها.

مشكلة الدراسة:

تتمثل الاحتياجات من القوى العاملة اللازمة لمواجهة خطط التحول الاجتماعية والاقتصادية بما يوفر للمجتمع احتياجاته كمًا وكيفًا من مختلف التخصصات والمهارات لإيجاد التوازن بين العرض والطلب من القوى العاملة التي تعتبر الوسيلة الرئيسة لترسيخ القيم والمهارات لدى الأفراد وإعدادهم لمواجهة التغيرات التي تنطوي عليها عملية التقدم.

فرضيات الدراسة:

1. الاهتمام بالتعليم والتدريب والتنمية البشرية باعتبارها من الأدوات الأساسية للوصول إلى الرفعة والتقدم.
2. أن نظام التعليم والتدريب في أي مجتمع يعتبر الوسيلة الرئيسة لترسيخ القيم والمهارات.

حدود البحث:

تعتبر ليبيا بصورة عامّة بما فيها من قطاعات التعليم والتدريب وعلاقتها بالتنمية البشرية حدود الدراسة التي تتناولها للاستفادة من التجارب الدولية في هذا المجال بما فيها التعليم الأساسي والثانوي والجامعي والتدريب المهني وعلاقتها بالتنمية البشرية. وانطلاقاً من الأهداف العامة للتعليم والتدريب والتنمية البشرية، فإن الأهداف الخاصة بكل مرحلة من مراحل التعليم (ضوء، العدد 2002، ص225).

تشمل ما يلي:

أولاً- رياض الأطفال:

لاشك أن إعداد الطفل قبل سن السادسة من الناحية النفسية والصحية والاجتماعية والثقافية، عن طريق رياض الأطفال، يعتبر من العمليات التربوية المهمة التي تساعد الطفل بعد ذلك على تقبل التعليم وتتيح له فرصة التعود على المدرسة.

لذا فإن آفاق مستقبل هذه المرحلة تتمثل في الآتي:

1- العناية بطفل ما قبل المدرسة وذلك بالعناية برياض الأطفال باعتبارها مرحلة من مراحل التعليم.

2 تطوير مناهج هذه المرحلة بما يلبي احتياجات الطفل العقلية والنفسية، وتشجيع العناصر الوطنية المؤهلة للتأليف لهذه المرحلة وتوفير الوسائل التعليمية والكتب المصورة المناسبة والألعاب المختلفة.

3إعادة تأهيل العدد اللازم من المدرسات وتدريبهن للعمل برياض الأطفال.

ثانيا- مرحلة التعليم الأساسي:

1- رفع مستوى كفاءة المدرس بحسن إعداده واستمرار تدريبه.

2- العمل قدر الإمكان وحسب الإمكانيات المتاحة على التخلص من فترة الدراسة المسائية بمدارس التعليم الابتدائي.

3- تطوير الكتاب المدرسي بما يتناسب والتطوير العلمي والتكنولوجي في العالم .

4- تحسين كثافة الفصل بحيث لا تزيد عن 24 تلميذاً للفصل بالتعليم الابتدائي و 26 طالباً بالتعليم الإعدادي.

5- توفير الوسائل السمعية والبصرية والحسية التي تستلزمها هذه المرحلة.

6- تطوير المبنى المدرسي بما يلبي احتياجات العملية التعليمية.

ثالثا- مرحلة التعليم الثانوي العام (التخصصي):

أما بالنسبة لآفاق التعليم والتدريب بهذه المرحلة يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- تأهيل معلمي هذه المرحلة وتدريبهم لرفع قدراتهم العملية والتربوية، وتزويدهم بما يستجد في مجال تخصصاتهم .

2- تطوير مناهج هذه المرحلة لمواكبة التطورات في مختلف المجالات العلمية.

3- التأكيد على الجانب العملي بهذه المرحلة وذلك بتوفير المعامل والورش والأجهزة العلمية.

4- تطوير نظام التقويم والامتحانات والعمل على معالجة مشكلتي الرسوب والتسرب بهذه المرحلة.

5- مراعاة الكثافة الطلابية المناسبة عند فتح المدارس أو الفصول الدراسية بهذه المرحلة.

رابعاً - التعليم الثانوي الفني:

نظراً لأهمية التعليم الفني في إعداد الكوادر الفنية التي تحتاجها التنمية البشرية، فقد اهتم التعليم الثانوي الفني بالتوسع في فتح المعاهد التخصصية في تخصصات المعاهد الفنية، الهندسة التطبيقية، الإدارية والمالية الصناعية الزراعية، الخدمة الاجتماعية، الصحية، الكهرباء، المواصلات، المهن الشاملة وغيرها- (قالوني، 2004، ص15).

لذلك ينبغي أن تركز آفاق ومستقبل التعليم والتدريب الفني على ما يلي :-

- 1- إيجاد التوازن في توزيع حملة الشهادة الإعدادية بين التعليم العام والتعليم الفني وتطوير مناهج هذه المرحلة بما يكفل مواكبة التقدم العلمي والفني .
- 2- توفير المعامل والورش والأدوات والأجهزة العلمية بما يتوافق ونوعية الدراسة والتخصص .
- 3- التركيز على الجانب التطبيقي وذلك بزيادة عدد ساعات الدراسة العلمية بمختلف المعاهد الفنية لتخريج عناصر قادرة على المساهمة الإيجابية في التنمية البشرية المجتمع .
- 4- الاهتمام بإعداد مدرسي المعاهد الفنية المختلفة ووفقاً للتخصصات العلمية والتدريبية .
- 5- التنسيق بين مختلف الجهات المشرفة على التعليم الفني بهدف دعمه وزيادة نشره وتوزيعه وتطويره مع تزويده بالمدرسين والمدرين المؤهلين الأكفاء وربطه بالمصانع والمزارع والمنشآت والمصارف ومختلف مراكز الإنتاج وتحديد فترة التدريب بتلك المواقع وفقاً للتنمية الاجتماعية و الاقتصادية .

علاقة التعليم والتدريب بالتنمية البشرية:

لاشك في أن العلاقة بين التعليم والتدريب والتنمية البشرية تتمثل في تحقيق تنمية متوازنة تشمل جميع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتعوض التخلف الذي كان يعاني منه المجتمع . وتطوير وتنمية أفرادها والارتقاء بمستوياتهم العلمية والفنية نظراً لما تقتضيه التنمية البشرية من استخدام للأساليب العلمية والفنية والإحصائية المتطورة في مراحل التنمية المختلفة، وإعداد العناصر الوطنية وتأهيلها فنياً في مختلف المجالات، وذلك بإقامة الدورات التدريبية محلياً وبالمشاركة مع المنظمات المتخصصة والاستفادة من الإمكانيات التدريبية المتاحة وإنشاء المعاهد التدريبية المتخصصة وتوفير الإمكانيات المادية والبشرية لاستيعاب التطورات التقنية المتقدمة في صناعة الحسابات الآلية وتحسين جهود جمع البيانات

باستخدام الأساليب العلمية المتطورة لزيادة الإنتاجية والاقتصاد في التكاليف المادية والعناصر البشرية (البحيري، 1991، ص5).

ومن خلال التعليم والتدريب يمكن تحقيق التوازن المتكافئ في مجالات التنمية المختلفة الاقتصادية والاجتماعية، بتوظيف كل الإمكانيات الطبيعية والبشرية والمادية المتاحة، مع العمل على تهيئة كل الظروف التي تتيح لمختلف التجمعات السكانية ممارسة دورها في النشاط الاقتصادي. بالإضافة إلى الإسهام في إعداد الكفاءات الفنية وتأهيلها فنياً لاستيعاب التنمية البشرية بإقامة الدورات التخصصية، وإعداد الدراسات الخاصة بالتنمية البشرية المتاحة وآفاق التنمية فيها.

تجارب بعض الدول:

توجد علاقة وثيقة بين التعليم والتدريب والتنمية البشرية في كثير من دول العالم، فعلى سبيل المثال توجد دراسة على عينة بالجامعات المصرية وبالتحديد كليات التجارة والزراعة والآداب من جامعات مختلفة، حول مدى استخدام المادة العلمية والمعارف المختلفة التي درسها الطلاب في كلياتهم في الحياة العملية، فأتضح أن أفراد عينة البحث في كلية التجارة، يستخدمون ما لا يزيد عن 54% مما درسه في كلياتهم، بينما يستخدم خريجو كلية الآداب حوالي 62% مما درسه. أما ما درسه خريجو الزراعة فيحتاجون فقط إلى حوالي 59% مما درسه في حياتهم العملية مع ملاحظة أن هذه النسب تختلف وتتباين حسب نوع العمل الذي يوظف فيه الخريج (السيد، 2004، ص148).

كذلك اهتمت الهند منذ سنوات استقلالها الأولى عام 1947م، بوضع سياسات فاعلة لتحفيز المجتمع نحو الاهتمام بالعلوم والتقنيات المختلفة.

وتمثل هذا الاهتمام من خلال إصدار الحكومات الهندية المتعاقبة قرار سياسات العلوم في عام 1958م، والثاني إعلان سياسات التقنية في عام 1983م.

ونتيجة عن هذين المرسومين نمو علمي وتقني تميز بتخصيص جزء مهم من ميزانية الدولة لتشجيع البحوث في مجالات العلوم والتقنيات ووفقاً لخطط مبرمجة زمنية ومتابعة، كما تميز أيضاً بنمو البنية التحتية وازديادها واتساعها، وذلك من خلال افتتاح العديد من المراكز التعليمية التقنية ومراكز البحوث العلمية، ومختبرات البحوث في مجالات الزراعة،

والإلكترونيات، والعلوم والتقنيات والبحوث الصناعية البيئية، مصادر الطاقة غير التقليدية، إلى جانب ارتفاع عدد المتخصصين في مجالات العلوم والتقنية (موسى، 1996، ص51).

وكان لهذا النمو تأثير غير مباشر على نمو النشاطات الصناعية مع ارتفاع كم مهم من نشاطات البحث والتطوير في القطاع الصناعي.

أما في فرنسا فإن مدة الدراسة في المرحلة الابتدائية خمس سنوات، السنوات الثلاث الأولى منها تشمل الفصول التحضيرية الأولية، وتضم السنة الأخيرة من مرحلة الحضانة لتكون دورة يتلقى التلاميذ خلالها تعليماً أساسياً

ويوجد حالياً في المدارس الابتدائية 6.4 مليون طفل، ومجموع المدرسين في هذه المرحلة 300 ألف مدرس.

كما يبلغ عدد مدارس المرحلة الثانوية حوالي 7 آلاف مدرسة تضم أكثر من 3 ملايين طالب وعدد سنوات الدراسة فيها أربع سنوات، ويستطيع من يبلغ السادسة عشرة من عمره قبل إتمامها ينهون هذه المرحلة الدراسية ويحصلون على شهادة الكفاءة المهنية أو شهادة التعليم المهني (وزارة الخارجية، 2000، ص13).

وتتولى الدولة تعيين العاملين في هذه المدارس وتدريبهم ودفع رواتبهم وتشرف على مسارهم الوظيفي وتوفر الكتب والمعدات المدرسية، كما تمنح الدولة قروضاً إضافية للمدارس الواقعة فيما يسمى بالمناطق ذات الأولوية التعليمية.

ويدرس غالبية الطلاب في المدارس الثانوية التابعة لوزارة التعليم الوطني، ويمكن التمييز بين نوعين منها:

1- المدارس الثانوية للتعليم العام : يحصل الطلاب فيها إما على شهادة البكالوريا العامة أو شهادة البكالوريا التكنولوجية بعد 3 سنوات من الدراسة

2- المدارس الثانوية المهنية : وتقوم بإعداد حوالي 700 ألف طالب تقريباً للعمل في مجالات الصناعة والخدمات ويتم تحديد شبكة المدارس الثانوية بمعرفة كل إقليم على حدة في إطار مخطط إقليمي للتأهيل، وقد أعيد تنظيمها إلى ثلاثة أقسام الأدبي، العلمي، الاقتصادي، كما تتضمن الثانوية التكنولوجية عدة أقسام العلوم والتكنولوجيات الصناعية علوم وتكنولوجيا المعامل والعلوم الطبية الاجتماعية، وتحاول وزارة التعليم الوطني تطوير

نظم التعليم بالتبادل مع الشركات ومراقبة مدى تحصيل الطلاب بصفة مستمرة .
عناصر العملية التعليمية: (وزارة الخارجية، 2000، ص163)

أولاً- التلميذ:

التلميذ هو بداية العملية التعليمية ونهايتها وإليه توجه كل جهود المؤسسة التعليمية من أجل تربيته وإعداده للحياة، فمن أجله أنشئت المدرسة، وبالتالي تضع أساليب التربية الحديثة التلميذ في موضع مرموق من عملية التعليم، حيث انتقل مركز النشاط ومحور العمل من المعلم إلى التلميذ، وأصبحت مادة التعليم وسيلة وليست هدفاً، بينما أصبح الهدف من عملية التعليم هو التلميذ الذي يراد أن تتكامل شخصيته عقلاً وجسماً، واعتبر المعلم مرشداً أو موجهاً يعمل مع طلابه لا قبلهم ولا بعدهم، وقد أدى الأخذ بهذه الأساليب إلى اهتمام المربين بتوفير البيئة والخدمات التي تساعد على تربية الطالب تربية متكاملة.

ثانياً- المعلم:

المعلم أهم العناصر البشرية العملية التعليمية، إذ يقع عليه العبء في تنشئة التلاميذ وتهيئتهم وإعدادهم للحياة، وهو العمود الفقري الذي لا غنى عنه في إنجاز العملية التربوية ولذلك تهتم المجتمعات بإعداد المعلمين في الحدود التي تجعلهم قادرين على ممارسة مسؤولياتهم لتشكيل المواطن الصالح للمجتمع، إذ أن ما تتفقه الدول على التعليم بقصد تعميمه ما هو إلا استثمار المجتمع لأمواله في عملية التنشئة الاجتماعية التي يتوقع المجتمع أن تعود عليه بعائد ضخم في الحصول على أجيال لديها القدرة على حمل رسالة المجتمع في التنمية والتقدم والحفاظ على مكانته وتراثه وتقاليده ولذا كان المعلم هو حجر الزاوية ونقطة الارتكاز في عملية إعداد هذه الأجيال لتحقيق أهداف المجتمع .

ثالثاً- الموجه التربوي:

التوجيه التربوي خدمة اجتماعية وعلمية ووسيلة فعالة لتحقيق أهداف التربية بصفة عامة وأهداف المدرسة بصفة خاصة، غير أنه غالباً ما تكون خدمات التوجيه مقصورة على الزيارات التي يقوم بها الموجهون للمدرسين في فصولهم من حين لآخر التي يوجه معظمها إلى معرفة مسيرة المدرس بالنسبة للمنهج المقرر، وفحص أعمال التلاميذ والوقوف على مدى تحصيلهم العلمي للمواد الدراسية المقررة .

رابعاً- الوسائل التعليمية:

الوسائل التعليمية هي جزء لا يتجزأ من عملية التعليم التي يجب أن يشترك فيها العقل وأغلب الحواس لتكون ناجحة ملائمة لنظرة التلميذ، فليس العلم مجرد مجموعة من المعلومات والأفكار موجود في صفحات الكتب، بل هي حقيقة الموجودة في جوانبه المختلفة، ومن أمثلة الوسائل البصرية، الأشياء النماذج الأشربة الثابتة والمتحركة، الشرائح، الرسوم التوضيحية والبيانية السبورة الملصقات اللوحات الرحلات، المعارض وغيرها ومن أمثلة الوسائل السمعية : الإذاعة والتسجيلات الصوتية والاسطوانات، أما الوسائل التي تجمع بين الصورة والصوت فهي الصور المتحركة الناطقة، والإذاعة المرئية.

خامساً- المبنى المدرسي:

يعتبر المبنى المدرسي والمرافق التابعة له من أهم المؤسسات ذات الفائدة العامة التي تصنع بها الأجيال وتربى الأجسام والعقول، والأخلاق فهي العنوان البارز للمجتمع المدرسي والقدرة الصالحة للبيئة المحلية.

ويحتوي المبنى المدرسي على حجرات للدراسة التقليدية بها سبورة ومجموعة من المقاعد، وحيث أن الدراسة لم تعد قاصرة على الدرس في الفصل، وإنما تمتد إلى خارج الفصل لممارسة أنواع متعددة من الأنشطة، فإن المبنى التعليمي يجب أن يتلاءم مع خصائص المرحلة التعليمية المستهدفة بما يتناسب مع توفير بيئة تعليمية جيدة، حيث أن بعض المباني التعليمية قديمة وغير مناسبة للعملية التعليمية لذلك ينبغي العمل على إضافة مباني تعليمية تراعي فيها الأسس العلمية، وأن تشمل كافة المرافق الأساسية من معامل ومكتبات ومساح وصلالات للأنشطة المختلفة التي تتلاءم مع ظروف البيئة المحلية .

ولذلك يجب عند التفكير في إنشاء مدارس جديدة ينبغي اتخاذ بعض التدابير المناسبة التي من بينها اختيار الموقع المناسب البعيد عن الطرق السريعة والشوارع الرئيسية، وأن تكون داخل الأحياء السكنية، وتجنب الطلاب المخاطر والمشكلات الناجمة عن وقوع بعض المدارس على الطرق السريعة والشوارع الرئيسية .

آفاق مستقبل التعليم والتدريب:

من الضروري أن نواكب التطورات الحديثة في التعليم والتدريب ونحسن في نوعية التعليم والتدريب بما يلبي احتياجات التنمية من مختلف التخصصات التعليمية بالقدر اللازم، مما يستدعي ضرورة وضع استراتيجية طويلة المدى للخدمات التعليمية تهدف إلى إدخال التحسينات الهيكلية والنوعية اللازمة مع استمرار التوسع في مختلف المراحل من حيث الكم، بحيث يلبي التعليم هدفين أحدهما اتباع احتياجات الفرد والعمل على تنمية شخصيته، والثاني الوصول بالمجتمع إلى ما يسعى إليه من تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية بتوفير القوى المنتجة المدربة والمؤهلة .

وتتمثل أهم الآفاق المستقبلية للتعليم والتدريب فيما يلي:

- 1- التركيز على تحسين نوعية التعليم وتوفير الإمكانيات المادية والفنية والبشرية لمؤسسات التعليم والتدريب، بما يتماشى ومتطلبات العصر .
- 2- تطوير المناهج الدراسية بما يكفل إعداد الطالب للحياة ومواصلة تعليمه بالمراحل التالية بما يتمشى والاحتياجات الفعلية للتنمية الشاملة وإعداد الكوادر البشرية اللازمة لها .
- 3- تطوير الكتاب المدرسي وتحسين مستوى إخراجة لتحقيق الأهداف العامة للمناهج الدراسية المقررة وتوسيع أفق الطالب عن طريق الاهتمام بالمكتبات المدرسية .
- 4- الاهتمام بالجانب الكمي لإعداد المدرس، بحيث يكون النظام التعليمي قادراً على الاعتماد على نفسه في توفير العدد اللازم من هيئات التدريس بجميع المراحل التعليمية .
- 5- دراسة طرق التدريس المطبقة حالياً والعمل على تطويرها والبحث عن طرق بديلة تساعد على تنمية القدرة الابتكارية وتنمية التفكير العلمي لدى التلاميذ(خطة التحول الاقتصادي والاجتماعي، 1981، ص166).
- 6- العناية بالإدارة التعليمية والتوجيه الفني في المؤسسات التعليمية، والاهتمام بالبرامج التدريبية لمختلف مستويات الإدارة والتوجيه الفني .
- 7 تطوير نظم التقويم والامتحانات ودراسة ظاهرتي الرسوب والتسرب .
- 8- بذل الجهود لتنمية التعليم والتدريب الفني وتطويره وربط الدراسة النظرية بمجال التدريب العملي .

9- إقحام الإعلام المرئي في المنظومة التربوية التعليمية لابتكار آليات تربوية ودعمات سمعية بصرية أكثر فعالية في استقطاب المتعلم المشاهد في عصره تحكمه المعلوماتية والأقمار الصناعية.

الخلاصة:

من خلال ما ذكرنا سابقاً عن آفاق مستقبل التعليم والتدريب وعلاقتها بالتنمية البشرية بالتنمية مع الاستفادة من التجارب الدولية في هذا المجال، يمكن استنتاج ما يلي:
أولاً- أن التعليم والتدريب هما وسيلة إعداد المهارات الفنية وتأهيلها لإدارة مشروعات التنمية البشرية، لذلك يتطلب عند إعداد القوى البشرية النظر إليها كوظائف تشغيلية ووظائف سائدة مثل البحوث التطوير الاستشارة التخطيط والإدارة وغيرها.
ثانياً- أن التركيز على تحسين نوعية التعليم والتدريب، يحتاج إلى إعادة النظر في البيئة التعليمية بما يتماشى والتقنيات الحديثة مع توفير الإمكانيات المادية والبشرية لمؤسسات التعليم والتدريب.

ثالثاً- العناية بالدراسات والبحوث العلمية التي تتناول التنمية البشرية بالتحليل والبحث بطرق عملية للاستفادة من التجارب الدولية في إرساء قواعد علمية وأسس سليمة للنهضة العلمية.
رابعاً- تنمية الكفاءات العلمية وتكوين وتطوير ما يحتاجه البحث العلمي والتدريب التقني، وتحسين ظروفها المادية والتعهد بالرعاية والتدريب المستمرين، مع التوسع في مراكز التدريب النوعي لإعداد وتدريب الأفراد المهرة وتأهيلهم في مختلف التخصصات.

المراجع:

1. قالوني، محمد هاشم (2004)، نحو نظام تعليمي مفتوح مجلة الجامعي، العدد السادس.
2. البحيري، زكي (1991)، استخدام العلوم والمعارف المحصلة في الجامعات في الحياة العملية، القاهرة.
3. السيد، محمود محمد، (2004) تأثير تخطيط المسار الوظيفي على الموارد البشرية، مؤتمر تحديات التنمية وتحديات الإدارة في الوطن العربي، طرابلس.
4. د. موسى، محمد موسى جمعة (1995) علي الزوالي أهمية إنشاء شبكة معلومات وطنية ودورها في نقل التقنية، جمعية الهندسين العلمية، الندوة العلمية الثانية حول نقل

- التقنية، طرابلس.
5. ضو، محمد سالم (2003) تدني مستوى التحصيل العلمي، مجلة الجامعة، العدد الأول.
6. الزليطني، سعد محمد، (1999) توزيع المدارس وحركة الطلاب اليومية، مجلة الجمعية الجغرافية الليبية، العدد الثاني.
7. زيو، علي محمد زيو، (1999) دور الإدارة المدرسية في رفع القدرة الإنتاجية للمدرسة، رسالة التربية، المجلد الأول، العدد الثاني.
8. وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية وثائق فرنسية (2000)، السفارة الفرنسية، القاهرة.
9. الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية (1981-1985) اللجنة الشعبية العامة للتخطيط، خطة التحول الاقتصادي والاجتماعي.

أثر الاستثمار في الموارد البشرية على النمو الاقتصادي

دراسة حالة المؤسسة الوطنية للنفط - ليبيا

د.آمال عمران عبد السلام التكروري

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة الزاوية

Abstract:

logical and technical revolution has occupied the attention of most economists, and economic studies have shown the importance of human capital as a basis for growth and economic development. Here the problem of the study centers on the main question: What is the role of human investment in achieving economic development trends? What are the requirements for economic development? The study aims to know the impact of human investment on the Libyan economic growth, a study on the National Oil Corporation, and to define concepts related to human capital and economic development, and to identify the effectiveness of investment in raising productivity and achieving economic development through the National Oil Corporation, and the study uses the descriptive analytical approach and analysis The data was used using the spss:v23t program to study and analyze statistical data. The study reached the most important results represented by the theoretical results, as the National Oil Corporation paid great attention and allocated large sums of money to invest and restructure its education, training, training, development of human cadres and raising their efficiency. It was keen to play its role in making the Human capital is more appropriate to the requirements of the labor market and is provided with a specialized workforce to increase productivity. Locally and internationally trained personnel influence growth, which requires the intervention of foreign expertise to develop their skills to keep pace with the current and accelerating developments globally. Practical results: - There is a strong relationship between investment in human resources and economic development. In the institution under study.

المخلص:

احتلت الثورة المعرفية والتكنولوجية والتقنية اهتمام جل الاقتصاديين وقد أظهرت الدراسات الاقتصادية أهمية رأس المال البشري باعتباره أساساً للنمو والتنمية الاقتصادية وهنا تتركز إشكالية الدراسة في التساؤل الرئيس المتمثل في ما دور الاستثمار البشري في تحقيق التوجهات الإنمائية الاقتصادية؟ وما هي متطلبات التنمية الاقتصادية؟ تهدف الدراسة لمعرفة أثر الاستثمار البشري على النمو الاقتصادي الليبي دراسة على المؤسسة الوطنية للنفط ، وتحديد المفاهيم المتعلقة برأس المال البشري والتنمية الاقتصادية، والتعرف على مدى فاعلية الاستثمار برفع الانتاجية وتحقيق التنمية الاقتصادية من خلال المؤسسة الوطنية للنفط و، واتبعت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي وتحليل البيانات ببرنامج SPSS:V23 في دراسة البيانات الإحصائية وتحليلها، ووصلت الدراسة إلى أهم النتائج المتمثلة في النتائج النظرية حيث أولت المؤسسة الوطنية للنفط اهتماماً بالغاً وخصّصت مبالغ كبيرة لاستثمار وإعادة هيكلة التعلم والتدريب والتكوين وتطوير الكوادر البشرية والرفع من كفاءتهم. وحرصت على القيام بدورها في جعل رأس المال البشري أكثر ملائمة لمتطلبات سوق العمل وتزويده بالقوي العاملة المتخصصة لزيادة الإنتاجية، وأن العناصر المدربة محلّياً وعالمياً تؤثر في النمو، ممّا يستدعي تدخل الخبرات الأجنبية لتنمية مهارتها لمواكبة التطورات الحاصلة والمتسارعة عالمياً، النتائج التطبيقية:-توجد علاقة قوية بين الاستثمار في الموارد البشرية والتنمية الاقتصادية في المؤسسة قيد الدراسة.

الكلمات المفتاحية: رأس المال البشري- النمو الاقتصادي -الاستثمار في رأس المال. المؤسسة الوطنية.

الدراسات السابقة:

(دراسة الحويج 2019) اهتمت بدراسة العلاقة بين الاستثمار في رأس المال البشري والنمو الاقتصادي في ليبيا، حيث استند الباحث في الإطار النظري على دالة الإنتاج-Douglas Cob وقام بتوظيف نموذج الانحدار الذاتي لفترات الإبطاء الموزعة بصيغته الخطية وغير الخطية، ومعرفة مدى قدرة النماذج اللاخطية في تحسين النتائج، وتوصل الباحث لوجود علاقة توازنية طويلة الأجل بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع المتمثل في النمو

الاقتصادي الليبي، وقد تفوّقت النتائج القياسيّة المتحصّل عليها من النموذج الغير أوصى الباحث خطي والتي دلت على ارتباط الانفاق على التعليم بعلاقة عكسية مع النمو الاقتصادي، أخيراً بأهمية العمل على الرفع من مساهمة القوى العاملة المتعلمة في سوق العمل، والعمل على مواءمة مخرجات التعليم مع سياسات التوظيف والرفع من جودة المؤسسات والمنظمات (الحويج، 2019).

(دراسة العمودي 2019) حول أثر الاستثمار في رأس المال البشري على النمو الاقتصادي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة، 1986-2016 وذلك من خلال قياس مساهمة كل من مؤشرات النظام التعليمي على النمو الاقتصادي، وقام بتقدير نماذج الانحدار الخطي باستخدام طريقة المربعات كليا ARDL واختبار استقرار المتغيرات باستخدام ADF الصغرى المصححة ونموذج فترات الإبطاء الموزعة PP &، وتوصل الباحث إلى قوة العلاقة التي تربط بين مؤشرات التعليم والنمو الاقتصادي، وكذلك وجود علاقة إيجابية بين أعداد العاملين السعوديين في القطاعين العام والخاص، بالإضافة إلى وجود علاقة إيجابية قوية بين عدد المقيدون ضمن المراحل التعليمية المختلفة والنتائج المحلي الإجمالي باستثناء المقيدون في المرحلة الثانوية حيث ظهرت علاقة سلبية مع الناتج المحلي الاجمالي ولكنه يتمتع بدالة احصائية، كما يتأثر الناتج المحلي إيجاباً مع زيادة الانفاق على التعليم، وهذا يعني أن الدراسة توصلت إلى أن مخرجات التعليم العالي تساهم إيجاباً في زيادة الناتج المحلي الاجمالي. (العمودي، 2019).

المقدمة:

يتميز القطاع النفطي الليبي في المرحلة الراهنة باعتمادة على تقنيات معقدة وكثيفة المعرفة تتطلب وجود توجه استراتيجي لتقديم المزيد من الدعم المادي والمعنوي لتنمية الموارد البشرية العاملة بقطاع النفط ولمراكز الأبحاث ومعاهد التدريب النفطي، وكذلك التوجّه نحو إنشاء المزيد من المراكز الجديدة من أجل ضمان مستقبل الصناعات النفطية التي تساهم بشكل مباشر في الاقتصاد الليبي.

مشكلة الدراسة:

ليبيا دولة نامية لا تزال تواجه تحديات كبيرة في مجال التنمية الاقتصادية مثل النقص في العمالة المتعلمة الماهرة في عالم سوق العمل، بالإضافة إلى نقص التطورات الاقتصادية والتقنية المتسارعة فالمشكلات أكثر تعقيدا الأمر الذي يتطلب مراجعة التوجهات الإنمائية للأجيال الحالية والأجيال القادمة، ورسم البدائل المستقبلية لها لتحقيق التنمية الاقتصادية. ووفقاً لذلك تكمن مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس: ما هو دور الاستثمار البشري في تحقيق التوجهات الإنمائية الاقتصادية؟ وما هي متطلبات التنمية الاقتصادية؟

تساؤلات البحث:

- ما دور البرامج التدريبية والتطوير في تحقيق الاستثمار في العنصر البشري؟
- مامستوى التدريب بالمؤسسة الوطنية للنفط؟ وهل ساهم برفع الانتاجية وتحقيق التنمية الاقتصادية؟

الفرضية الرئيسية: "يؤثر الاستثمار برأس المال البشري في رفع مستوى الانتاجية عن طريق التدريب والتطوير".

الفرضيات الفرعية

- يوجد أثر للتدريب في رفع إنتاجية العاملين وتحقيق التنمية الاقتصادية.
- يوجد أثر للتطوير في رفع الانتاجية وتحقيق التنمية الاقتصادية.

أهمية الدراسة:

- تتبع أهمية الدراسة من تصحيح بعض السياسات ذات العلاقة، ومنها الجوانب الاقتصادية للموارد البشرية إلى جانب الاستثمار فيها K وتحديد نوع العلاقة بين الاستثمار في الموارد البشرية والتنمية الاقتصادية. ويمكن تلخيص أهمية الدراسة فيما يلي :
- تستمد أهميتها من أهمية الاستثمار في الموارد البشرية وتمييزها باعتبارها الأساس لأي تنمية اقتصادية ناجحة.
 - الاستفادة من نتائج هذا الدراسة من قبل المنظمات والمؤسسات لكي تتمكن من تحقيق أهدافها.

• المساهمة في الرفع من معرفة الباحث النظرية والخبرة العملية من خلال دراسة العلاقة بين الاستثمار في الموارد البشرية وتحليلها وتمييزها ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة لمعرفة أثر الاستثمار البشري على النمو الاقتصادي في ليبيا، وتهدف الدراسة إلى:

- 1- تحديد المفاهيم المتعلقة برأس المال البشري والتنمية الاقتصادية.
- 2- محاولة التعرف على مدى فاعلية الاستثمار في الموارد البشرية برفع الإنتاجية، ومن ثم تحقيق التنمية الاقتصادية بالمؤسسة الوطنية للنفط .
- 3- إمكانية التعرف على أوجه القصور وعوامل فشل تطبيق مفهوم الاستثمار في الموارد البشرية بالمؤسسة قيد الدراسة .

تقسيم الدراسة- يمكن تقسيم الدراسة على النحو التالي:

المبحث الاول: الاستثمار في الموارد البشرية .

المبحث الثاني: التنمية الاقتصادية.

المبحث الاول- الاستثمار في الموارد البشرية:

للاقتصاد الليبي خصائص وسمات تميزه وأخري يشترك فيها مع غيره من الاقتصاديات ولمناقشة مستقبل هذا الاقتصاد والتعرف على ما يمكن القيام به، سواء على وضع العملية التخطيطية القائمة، أو في مواجهة العولمة الاقتصادية وآثارها المختلفة والمحتملة على المدى القصير والبعيد، فليبيا تعتمد في دخلها العام على مورد النفط، وهو مورد ناضب، وأمام المعطيات والتطلعات الجديدة للاقتصاد الليبي وفي ظل العولمة الاقتصادية وتداعياتها المختلفة، فإنه لا بد من الاستثمار المكثف في الموارد البشرية، ودعم الاختراعات، والابتكارات، التي أصبحت من أساسيات مقومات البقاء والنجاح في بيئة المعلوماتية .

المطلب الاول- مفهوم الاستثمار في الموارد البشرية:

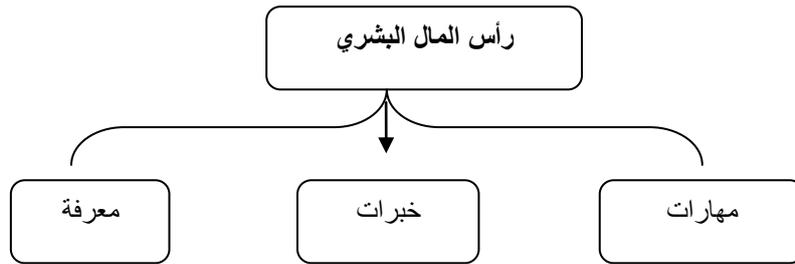
أولاً- تعريف الموارد البشرية: يقصد بالموارد البشرية الأفراد الذين يعيشون في مكان أو مجتمع معين، وهم يشكلون حجر الأساس في الإنتاج والاستهلاك لجميع السلع والخدمات،

وعدد الموظفين أو نوعيتهم لا يشكلون إلا بعداً واحداً من أبعاد كثيرة تؤثر في عملية الإنتاج والاستهلاك .

أما تنمية الموارد البشرية، فيقصد بها عملية زيادة المعارف والمهارات والقدرات عند جميع الافراد في المجتمع. ويمكن وصفها من الناحية الاقتصادية بالاستثمار في الموارد البشرية الذي يساهم بشكل فعال في تطوير النظام الاقتصادي . (أوسنينة، 2002) يعرف (كينيد لبرجر C.P.kindlerger) رأس المال البشري بأنه ذلك الجزء المضاف إلى العمالة الخام. ويعرفه مايكل تودا رو (M.todaro) بأنه الاستثمارات الإنتاجية التي يحتوي عليها الفرد نفسه وهي تشتمل على المهارات والقدرات والقيم والصحة وغيرها من الأمور التي ينتجها الانفاق على التعليم. ويعرفه (Theodor 7& Schults) " أنه مجموعة الطاقات البشرية التي يمكن استخدامها لاستغلال مجمل الموارد الاقتصادية .

ثانياً- مفهوم رأس المال البشري: يتكون رأس المال البشري من مجموعة المعارف والمهارات والقدرات التي يستثمر فيها الأشخاص بما يمكّنهم من استغلال إمكاناتهم أفراداً ومنتجين في المجتمع. ويساعد الاستثمار في البشر، من خلال التعليم الجيد والوظائف والمهارات، على تنمية رأس المال البشري، وهو أمر أساسي لزيادة القدرة الإنتاجية لدى المؤسسات المختلفة .

الشكل رقم (1-1) مكونات رأس المال البشري



المصدر من اعداد الباحث

تعريف شولتز لمفهوم الاستثمار في الموارد البشرية فينص على أن جميع النفقات على المجالات الاستثمارية المتباينة (التعليم وبرامجه المتخصصة والتدريب الوظيفي والصحة) من أجل تنمية القدرات والمهارات الإنتاجية للأفراد (الفيل، 2012). يعتبر التعريف من أكثر التعريفات مناسبة لهذا البحث حيث يؤكد بطريقة مباشرة على تحسين قدرات الأفراد ومهاراتهم الإنتاجية هدفاً أساسياً للاستثمار في الموارد البشرية .

الاستثمار في رأس المال البشري: إن الهدف من الاستثمار في الموارد البشرية هو زيادة العائد الحقيقي للمجتمع أو هدف للتنمية الاقتصادية بالعموم، ويتم تحقيق أهداف الاستثمار في الموارد البشرية من خلال الإنفاق على قطاعات استثمارية عديدة مثل التعليم والتدريب والتطوير والصحة والتغذية، ويترتب على هذا الإنفاق الاستثماري في الموارد البشرية آثار متعددة، منها ما هي اقتصادية تتعلق بشكل مباشر بهدف زيادة الإنتاج والإنتاجية، ويمكن تقسيم أهداف الاستثمار البشري إلى قسمين، وهما أهداف مباشرة، وأهداف غير مباشرة .

- 1- **الأهداف المباشرة:** زيادة الناتج -التوظيف وخلق فرص عمل -العدالة في توزيع الدخل
 - 2- **الأهداف الغير المباشرة:** بناء الدوافع الاقتصادية الرشيدة -توفير مناخ البحث العلمي في المجتمع -المساهمة في تطوير برامج التقدم التقني وتنميته -تحسين المناخ السياسي.
- ثالثاً- سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية:

يمكن تعريف التنمية الاقتصادية والاجتماعية بأنها وجود نمو اقتصادي مصحوب بتغيرات هيكلية واضحة في أصناف الإنتاج وفي الهيئات والمؤسسات والمجتمعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتحسين عمومي في مستوى المعيشة. فالمكونات الأساسية للاستثمار في البشر تتجلى في (التغذية - والرعاية الصحية - التعليم) ومن ناحية أخرى ترتبط سياسات التغذية، وسياسات الرعاية الصحية، وسياسات التعليم بسياسات التنمية الاقتصادية والتنمية البشرية، وتحل فيها مكاناً وبعداً جوهرياً، بالتالي فإن تنشيط برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبرامج التنمية البشرية تعمل بشكل دائم على إضافة تكوين رصيد الموارد البشرية.

المطلب الثاني- دور الاستثمار البشري في تحقيق التنمية الاقتصادية:

- يتضح من خلال استعراض مفهوم الاستثمار البشري ومفهوم التنمية الاقتصادية، أن زيادة تراكم الاستثمار البشري يعمل دائماً على تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية، وتحسين مؤشراتها، وأن تحقيق أهداف الاستثمار البشري وأهداف التنمية الاقتصادية هي في الواقع تحقيق لهدف واحد، ويمكن تلخيص ذلك كالآتي: إن الاستثمار البشري يعمل على :-
- الوعي بالمشكلات البيئية القائمة والمشاركة الفاعلة لأفراد المجتمع وإيجاد الحلول المناسبة لبرامج التنمية الاقتصادية ومشاريعها.
 - التوعية بأهمية التقنيات المختلفة في المجال التنموي، وتحقيق الأهداف المنشودة .
 - إحداث تغيير مستمر ومناسب في حاجات المجتمع وأولوياته، وتحسين مؤشرات التنمية الاقتصادية.
 - يعتبر القاسم المشترك لمكونات أعمدة التنمية الاقتصادية في البعد (الاقتصادي- الاجتماعي - البيئي)

أولاً- الأهمية الاقتصادية للاستثمار البشري: تكمن الأهمية الاقتصادية للاستثمار

البشري من خلال عدة جوانب أهمها:

- 1- الاستثمار البشري أداة لخلق الميزة التنافسية.
- 2- الاستثمار البشري أداة لخلق القيمة المضافة وتعظيمها.
- 3- الاستثمار البشري أساس الاستقلال الاقتصادي.
- 4 - الاستثمار البشري أداة فاعلة لزيادة الصادرات.
- 5- الاستثمار البشري يخفض فاتورة التقنية المستوردة.
- 6- الاستثمار البشري ساحة للصراع العالمي.
- 7- الاستثمار البشري يعزز الأمن القومي.

ثانياً- العلاقة بين الاستثمار البشري والنمو الاقتصادي: تشغل مشكلة النمو الاقتصادي اهتمام العديد من الدول النامية والمتقدمة على حدّ سواء، فالدول المتقدمة تريد أن تزيد مضاعفة تقدمها وأن تحافظ على ازدهارها الحضاري، أما الدول النامية فإنها تسعى لتحسين وضعها الاقتصادي والتغلب على تخلفها وتلحق الدول التي سبقتها في ميدان الحضارة ، ولتحقيق هذا الهدف تجد الكثير من الدول نفسها أمام طريقين، فإما أن تترك النمو يأخذ مجراه الطبيعي التلقائي البطيء وإما أن تلجأ إلى التدخل في عملية النمو لتحديد اتجاهاتها وسرعتها واختصار الزمن من أجل تحقيق التنمية الشاملة .

1- النمو الاقتصادي: يمثل النمو الاقتصادي هدفاً من أهداف السياسة الاقتصادية لكل دول العالم بغض النظر عن وضعها الاقتصادي، وذلك لكونه يمثل الخلاصة المادية للجهود الاقتصادية وغير الاقتصادية المبذولة في المجتمع، وهو يساعد الدولة على القيام بأدوار مهمة مثل الرعاية الاجتماعية والتعليم والصحة بشكل أفضل، ويعتبر النمو الاقتصادي شرطاً ضرورياً، لكنه غير كاف لتحسين المستوى المعيشي وبالتالي يمكن تعريف النمو الاقتصادي بأنه الزيادة السنوية الحقيقية في الناتج القومي الإجمالي، أي الزيادة في حجم السلع والخدمات التي ينتجها الاقتصاد في سنة معينة .

الاستثمار البشري محركاً للنمو الاقتصادي

النمو الاقتصادي له مصدران: النمو الكمي في عوامل الإنتاج ويتمثل في القوى العاملة ورأس المال المادي .

النمو النوعي في استخدام عوامل الإنتاج ويطلق عليه مجمل إنتاجية عوامل الإنتاج Total Factor Productivity(TFP) ويتمثل في التقنية، كالمعرفة وتطبيقاتها المختلفة التي يخلقها الاستثمار البشري، والنظام القانوني الذي يحقق العدالة للجميع ونظام سياسي مستقر واستقرار متغيرات الاقتصاد الكلي مثل استقرار الأسعار والبطالة .

فالاستثمار البشري عنصر أساسي في زيادة النمو الاقتصادي النوعي، أي من خلال الإنتاجية الكلية لعوامل الإنتاج (TFP)، وهي التي تعرف بأثر التقدم التقني أو المعرفي. (باروت، 2009).

2. درجة الانفتاح الاقتصادي: يرى العديد من الباحثين أنه كلما زادت درجة انفتاح الدولة اقتصادياً على العالم الخارجي ساعد ذلك على حصول الدولة على تكنولوجيا أعلى، ومسايرتها للتقنيات الحديثة في مجال الإنتاج، مما يؤدي إلى زيادة الكفاءة الإنتاجية، وبناء على ذلك فمن المتوقع وجود علاقة طردية بين درجة الانفتاح الاقتصادي ومعدل إنتاجية عوامل الإنتاج. ويتم قياس مدى الانفتاح الاقتصادي من خلال حساب معدل النمو في نسبة مجموع الصادرات والواردات إلى الناتج المحلي الإجمالي.

3. المتغيرات الاقتصادية الكلية: إن وجود استقرار وثبات نسبي في متغيرات الاقتصاد الكلي من العوامل المشجعة على جذب الاستثمارات وبدورها ستعمل على إدخال تقنية حديثة ومتقدمة.

4. الاستثمار الأجنبي المباشر: إن تدفق الاستثمار الأجنبي قد يجلب معه المزيد من التكنولوجيا الحديثة سواء في شكل ملموس مثل الآلات والمعدات، أو شكل غير ملموس مثل الأفكار الجديدة ونظم العمل الحديثة، بالإضافة للمهارات الإدارية التي يمتلكها العنصر الأجنبي والعمالة الفنية المدربة التي ستسهم في زيادة خبرة العمالة المحلية من خلال الاحتكاك.

ثالثاً- تخطيط الموارد البشرية وأهدافها:

1- تخطيط الموارد البشرية :-عندما تنتهي المنظمة أو المؤسسة من تحديد الأهداف والاستراتيجية المرتبطة بها والموافقة عليها فإن المرحلة التي تليها مباشرة ترسم في تخطيط الموارد المطلوبة والمفروضة لتحقيق هذه الأهداف وبالنسبة للمستثمرين (أي الموارد البشرية) فإن هذا يعني ضمان وجود الأعداد المناسبة من العاملين الذين تتوفر لديهم، والخبرات والمهارات والمعرفة اللازمة للتشغيل في التوقيت الصحيح وفي المكان المناسب، ويتطلب ذلك أولاً تقرير ما يجب تحقيقه فيما يخص المخرجات وبعده يتم اتخاذ القرار المناسب بشأن عدد الوظائف المطلوبة ونوعها لكي يتحقق الوصول إلى هذه المخرجات.

وقد يعني توفير وظيفة أو عدة وظائف جديدة بالكامل أو تبديل بعض الوظائف الموجودة بالفعل حتى تتلاءم مع المتطلبات الجديدة، وفي الحالتين فإنه يجب لتحقيق هذه

الأهداف أن يكون لدى المؤسسة أو المنظمة بيانات تحليلية جيدة لجميع الوظائف الموجودة بالمؤسسة . (كشواي، 2006).

2- أهداف تخطيط الموارد البشرية: تعتبر عملية التخطيط للقوى البشرية العاملة ضرورية جداً بالنسبة للمؤسسات، لأن المؤسسة تستهدف من ورائها تحقيق مجموعة الأهداف التي تمكنها من السيطرة على جميع نشاطات المؤسسة، ومن هذه الأهداف:

1 - حصر احتياجات المؤسسة من العمالة و القوى البشرية ومعرفتها ووضع خطة واضحة.
2- تحديد نقاط القوة والضعف في القوى البشرية، وتدعيم نقاط القوة ومعالجة نقاط الضعف فيها.

3- المحافظة على المؤسسة من التغييرات الطارئة ووضع وسائل فعالة لمواجهةها.

4 - المشاركة في استغلال الموارد البشرية المتوافرة للمؤسسة بكفاءة وفعالية.

5- لضمان الوصول إلى أعلى مستوى التشغيل الاقتصادي يجب تحديد أوجه السياسات وخطط التعيين والتدريب اللازمة والمستقر داخل المنشأة . (شاويش، 2010)
تعكس البرامج والخطط الإنتاجية احتياجات المؤسسة من كافة الوظائف الضرورية لترجمة هذه البرامج إلى قيم وأرقام أو كميات من لانتاج و المبيعات وفي هذا الإطار لابد أن نتطرق إلى الاختلاف النوعي للوظائف على النحو التالي:

1 - وظائف تتطلب مهارات ذهنية أو عقلية.

2 - وظائف تستلزم مهارات جسدية.

3 - وظائف تقتضي مهارات إدارية وسلوكية.

ومن هنا نجد أن الاستثمار في الموارد البشرية والثروة النفطية واستغلالها في توجيه الجهود نحو الاستثمار البشري وزيادة الانتاجية، التي يعول عليها في تحقيق التنمية، من خلال إدارة الاستخدام وتحسينه، والاستغلال للموارد النفطية وغير النفطية، إضافة إلى استثمار الإمكانات .

المبحث الثاني - التنمية الاقتصادية:

في ظل العولمة الاقتصادية وتداعياتها المختلفة، من أجل البقاء والنجاح مواكبة التطورات والاختراعات والابتكارات، فأصبحت جزءاً من السوق العالمي الجديد للعمل من

حيث المهارة والإنتاجية، والتكيف مع المنافسة الدولية، وينبغي على ليبيا أن ترتقي لمستوي هذا التحدي، وذلك من خلال الاستثمار البشري الذي يواكب هذه التحديات ومصدراً أساسياً للنمو الاقتصادي المستدام الذي يعتبر من المكونات الأساسية لأعمدة التنمية الاقتصادية .

المطلب الاول- دور المورد البشري في التنمية الاقتصادية:

مشكلة التنمية من القضايا الأساسية على النطاق الدولي سواء على مستوى الحكومات أو المؤسسات أو الهيئات الدولية التي تسعى إلى التصنيع وتحقيق التنمية الاقتصادية المرغوبة في حين أن نجاح هذه الأهداف يتوقف على مدى توفير التمويل اللازم لعملية التنمية.

أولاً: مفهوم التنمية الاقتصادية وأهميتها وأهدافها:

1- مفهوم التنمية الاقتصادية:

التنمية الاقتصادية هي مجموعة من الإجراءات تتخذ عن قصد من شأنها زيادة الدخل القومي الحقيقي خلال فترة زمنية معينة بمعدل أكثر من زيادة نمو السكان فهي عملية متعددة الجوانب، وحتى يمكن تحقيق التنمية الاقتصادية من خلال ركائز التنمية يلزم الإلمام بالمؤثرات والمشاكل والسياسات والتوجهات الموجودة في المجتمع. (كاظم، 2014)، مما سبق نستخلص أن عملية التنمية الاقتصادية تهدف لزيادة الطاقة الإنتاجية خاصة، وهذا يعتمد على أمور عدة، أهمها زيادة الاستثمار، وهنا يتعين على القائمين بعملية التنمية اختيار الاستراتيجية الملائمة للتنمية الاقتصادية التي تساعد على تطوير الاقتصاد وتحقيق الأهداف المطلوبة.

1- أهمية التنمية الاقتصادية: تأتي أهمية التنمية من دورها في تحسين نوعية الحياة التي يعيشها الإنسان، لأن المقياس الحقيقي للنجاح فيها، كذلك فإن نجاح التنمية لا يتوقف فقط على مجرد الارتفاع بمعدلات النمو في الناتج القومي الإجمالي، وإنما أيضا وربما بدرجة أكبر على هيكل معدلات النمو .

2- أهداف التنمية الاقتصادية: للتنمية الاقتصادية أهداف عديدة تدور كلها حول رفع مستوى المعيشة للسكان وتوفير أسباب الحياة الكريمة لهم، وقد يكون من الصعب على الاقتصاديين تحديد أهداف معينة في هذا المجال نظرا لاختلاف ظروف كل بلد، واختلاف أوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويمكن ذكر الأهداف الأساسية التي يجب أن تتبلور حولها الأهداف العامة للتنمية الاقتصادية في الدول النامية.

يرى بعض المحللين الاقتصاديين أن هدف التنمية الاقتصادية إنما هو هدف اجتماعي إذ نجد أنه في معظم البلدان النامية على الرغم من انخفاض الدخل القومي وانخفاض مستوى نصيب الفرد من هذا الدخل، إلا أنه يلاحظ وجود فوارق كبيرة في توزيع الدخل والثروات، ومثل هذا التفاوت يؤدي إلى إصابة المجتمع بأضرار جسيمة توسيع الهيكل الإنتاجي .

ثانياً- مستلزمات التنمية الاقتصادية ومتطلباتها:

1- التنمية الاقتصادية:

لقد درج الاقتصاديون على دراسة التنمية الاقتصادية باعتبارها الحاجة الضرورية الاقتصادية للمجتمعات النامية، بوصفها ليست زيادة المقدرة الانتاجية كمياً فحسب، وإنما تعني تغيير بنيوي في الاقتصاد النامي، بمعنى تغيير في الأهمية النسبية للقطاعات والأنشطة الاقتصادية يؤدي إلى ارتفاع الدخل القومي الحقيقي للبلد خلال فتره زمنية معينة وتطور مستوى معيشة السكان، وتعتمد عملية التنمية الاقتصادية على عناصر أساسية تتمثل في الموارد البشرية، والموارد الطبيعية، وتكوين رأس المال، والتقدم التكنولوجي، بوصفها مستلزمات لهذه العملية وتتمثل في (الموارد البشرية - الموارد الطبيعية - تجميع رأس المال - التقدم التكنولوجي).

2- متطلبات التنمية الاقتصادية:

تقتضي عملية التنمية الاقتصادية لتحقيقها توافر مجموعة من الشروط والمتطلبات وتوافر العديد من العوامل والمتغيرات وبصوره عامة يمكن تلخيص هذه الشروط والمتطلبات فيما يلي:

1- **خلق الإطار العام الملائم** : يقصد بعملية خلق الإطار العام الملائم لعملية التنمية الاقتصادية إحداث تغيرات متطورة في البنيان الاجتماعي والاقتصادي بما يتلاءم ومتطلبات عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

2- **اختيار أسلوب التنمية الاقتصادية** :-تتطلب عملية التنمية الاقتصادية رسم استراتيجية الإنماء المناسبة التي تتوقف إلى حد بعيد على الاختيار بين أسلوب التخطيط القومي الشامل أو أسلوب السوق أي الذي يحقق التنمية الاقتصادية (يوسف عبد الله صايع. (2015) .

ثالثاً- مؤشرات ومفهوم إدارة التنمية الاقتصادية :**1- مؤشرات التنمية الاقتصادية:**

تستخدم المؤشرات والمعاملات أو الأدلة لقياس مدى التقدم والإنجاز الذي تحقق في مجال التنمية بشكل عام ، ويعرف المؤشر على أنه أداة تصف صورة كمية موجزة لوضع أو حالة معينة، أما المعاملات أو الأدلة فهي عبارة عن مقياس تركيبى أو تجميعي لعدد من المؤشرات المختارة التي يتم توليفها بطرق إحصائية معينة، لوصف حالة أو وضع قائم، ولنفس الأغراض التي يستخدم من أجلها المؤشر، ولكن بصورة أكثر شمولية وواقعية. (المؤشرات الاجتماعية - المؤشرات البيئية - المؤشرات الاقتصادية - المؤشرات المؤسسية)

2- مفهوم إدارة الموارد البشرية وتنميتها:

اختلف علماء الإدارة في تسمية الوحدة الإدارية من المؤسسة التي تهتم بالعنصر البشري فيها، وبالتالي في تسمية النشاطات الخاصة بهذه الوحدة، فمنهم من سماها إدارة الأفراد، ومنهم من سماها إدارة الموارد البشرية، أو إدارة الأشخاص، أو إدارة الموارد البشرية، أو إدارة شؤون العاملين، أو إدارة شؤون الموظفين (ربايعة، 2013) ولكن مهما اختلفت التسميات، إلا أن محور نشاط هذه الإدارة هو العنصر البشري العامل في مختلف إدارات

هذه المؤسسة، لذلك نلاحظ أن الوحدة الإدارية تحتل مكانا عاليا بين هذه الإدارات، وتتغلغل في جميع نشاطاتها . (شحادة وآخرون، 2000) .

المطلب الثاني-التنمية البشرية في القطاعات النفطية:

تتولي كالمؤسسة الوطنية للنفط أهتماماً ملحوظاً بتعزيز أنشطة البحث العلمي لابتكار تقنيات جديدة قادرة على تطوير وتحسين الإنتاج، وتضع رؤيا لتطوير مواردها البشرية اهتماما كبيرا كأحد الاولويات الرئيسية في خططها الاستراتيجية التنموية وذلك عبر انشاء دوائر مستقلة ومراكز للتدريب النفطي مجهز بأحدث الوسائل العلمية والايضاحية،وتهيئة برامج تدريبية مكثفة وطويلة الأمد للعاملين في مختلف الوظائف الفنية والادارية بالتعاون مع المؤسسات التدريبية الأجنبية والدولية، الأمر الذي ساهم بصورة فعالة في توطين الصناعة النفطية في ليبيا، وكذلك كانت أحد العوامل التي ساهمت في انشاء العديد من الشركات النفطية الوطنية، كما ساهم هذا التوجه في دخول الشركات النفطية العربية والأجنبية في شركات استراتيجية مع شركات النفط العالمية .

أولاً- إمكانيات التنمية واستراتيجية تحقيق متطلبات الاقتصاد المعرفي في القطاع النفطي:

أوضحت تجارب الأقطار المنتجة والمصدرة للنفط لتحقيق التنمية الاقتصادية توفر الاستثمار والتجميع الرأسمال لم يكن كافيا لإحداث التنمية، وتركز على أهمية حجم الاستثمار نسبةً من الدخل في تحقيق النمو، فبالرغم من أنها تحصلت خلال العقود الثلاثة الماضية على رأس المال اللازم من خلال توجيه جزء من دخولهم للاستثمار ووضعت مخططات تنموية عديدة إلا أن تلك الدول لم تحقق التنمية وهي ساعية لتحقيق النمو وأنه من الضروري وفقاً لمؤسسة التعاون الاقتصادي والتنمية(OECD، 2020) وضع استراتيجية قومية وإعدادها لعملية التخطيط للتنمية المستدامة .

1-: متطلبات الاقتصاد المعرفي للاقتصاد الليبي:

إن الجهود المتواصلة للمؤسسة الوطنية للنفط لتوظيف الابتكارات وأحدث التقنيات في كل عملياتها التشغيلية في الصناعات النفطية لتعزيز قدراتها ورفع الكفاءة وزيادة الإنتاجية يأتي قناعة منها بأن استمرارية المؤسسة مزودًا رئيسًا مرهون بعدة عوامل من بينها امتلاكها

لكوادر بشرية مؤهلة قادرة على الاستفادة من الوسائل التكنولوجية الحديثة في جميع مراحل الصناعة النفطية، حيث أصبحت المعرفة المحرك الأساسي للنمو، وبالتالي فإن النهوض بالاقتصاد ونقله من اقتصاد غير تنافسي إلى اقتصاد قوي يتميز بالتنافسية، يتم عن طريق " المنظومة الوطنية للابتكار " وهي التي يفترض أن تضم جميع الجهات المعنية بإنتاج المعرفة وعلى رأسها قطاع التعليم والبحث العلمي والمراكز التدريبية ، ولكي يتمكن الأفراد من المنافسة والمساهمة الفعالة في إطار منظومة اقتصاد المعرفة .

2- استراتيجيات تحقيق متطلبات الاقتصاد المعرفي:

- اعتماد سياسة التنمية البشرية المستدامة وتطوير سبل الاستثمار البشري ورفع إنتاجيته .
- التركيز على الدور التربوي للمؤسسات التعليمية خصوصا في مرحلة التعليم الأساسي .
- تحديث مناهج التعليم العام والفني التقني والعالي وربطها بمتطلبات العصر وبما يلي حاجة القطاعات الاقتصادية السلعية والخدمية .

ثانيا- رفع القدرة والكفاءة الانتاجية للموارد لبشرية بالقطاع وتحقيق أعلى عائد:

ويتحقق ذلك من خلال:

- تحديث النشاط التدريبي والتطويري وتطويرهما وفق المعايير الحديثة.
- تطوير المشرفين والمديرين ويشمل العمالة المستهدفة تطويرها للوظائف القيادية في المستويات الإشرافية كالإدارة الوسطى والعليا .
- التطوير الفني والمهني والتخصصي في الوظائف الفنية التخصصية والمهنية والخريجين حسب التخصصات من (2017- 2022) (المؤسسة الوطنية للنفط ،2022) على التوالي وذلك حسب الجداول المرفقة:

جدول رقم 1- احتياجات إجمالي احتياجات القطاع

السنوات						التخصصات
2022	2021	2020	2019	2018	2017	
547	547	521	500	480	459	الهندسية
137	137	130	126	120	114	العلوم الإنسانية
648	648	651	626	600	573	إجمالي الاحتياجات

ثالثاً- أهم مشاكل القطاع في توفير الموارد البشرية ودور التأهيل والتكوين في التنمية النفطية:

1--- أهم مشاكل الشركات في توفير الموارد البشرية بالقطاع:

تتلخص أهم المشاكل التي تعاني منها شركات القطاع لتوفير الموارد البشرية في الآتي: ضعف مستوى مخرجات التعليم والتدريب مما اضطرت معه الشركات إلى إعداد برنامج تدريب وتأهيل طويلة الأمد ومكلفة . (معهد النفط للتأهيل والتدريب، 2022) ،وارتفاع معدلات الفاقد في ذوى الخبرة وتأهيل الجديد وصعوبة إعداد عناصر بديلة لها حيث إن ذلك يتطلب وقتاً طويلاً وتكلفة عالية .

2-- دور التأهيل والتكوين في العملية التنموية في القطاعات النفطية الليبية :

ينصب اهتمام الشركات النفطية الليبية بشكل خاص على العمالة المتخصصة، ويتم تدريبهم ليكونوا على مستوى أحدث التطورات في مجال صناعة النفط وكافة الأنشطة المتعلقة بها، وكذلك لتكوين كوادر فنية وإدارية قادرة على القيام بواجباتها ويتحقق ذلك من خلال الدورات التدريبية والتطويرية سواء الداخلية أو الخارجية، وكذلك برامج التطوير الذاتي حيث يُعدُّ التدريب المهني والفني أحد الوسائل الرئيسة لإعداد العناصر البشرية وتأهيلها وتطويرها في المجالات الفنية المختلفة لأداء المساعدة للدول النامية للحاق بركب الحضارة الحديثة والمتطورة. (الهوني، 2019).

رابعاً- الشروط والأهداف والاستراتيجيات التدريبية المتبعة في قطاع النفط :

- 1- الشروط والأهداف المتبعة في قطاع النفط :
- 2- أن تتوفر المقدره الجسميه والعقليه والعمرية للتدريب، وتكون الأولوية حسب احتياجات العمل.
- 3- توفير الكوادر البشرية القادرة على تنفيذ المهام الأساسية والمساندة في العملية النفطية .
- 4- تنمية كفاءة وقدرة الموارد البشرية بالمؤسسة وشركاتها وبما يواكب تطورات النشاط في قطاع النفط وبما يؤدي للارتقاء بمستوى الإنتاج والبحث العلمي .
- 5- تأهيل الكوادر الوطنية وتوفير احتياجات الموارد البشرية وتعويض الفاقد منها بالقطاع .
- 6- تلبية احتياجات القطاع من الموارد البشرية للخطط التنموية والمشاريع الجديدة .
- 7- تلبية الوظائف التي يشغلها غير الوطنيين بالقطاع والتعاون مع الشركات العالمية ذات الاختصاص في نقل التقنية المتطورة للقطاع . (نادر أبوشيخة، 2010)

3- خطة التدريب والتكوين في القطاع النفطي وعناصرها وطرق تنفيذها:

أ- التدريب: ويتم ذلك من خلال خطط سنوية للتدريب والتطوير حيث تقوم إدارة التدريب والتطوير بالقطاع بوضع خطة سنوية للتدريب والتطوير بالتعاون ضمن الإدارات المختصة، ويبدأ العمل به بداية كل شهر يونيو من كل عام لدراستها واعتمادها، ويبدأ الشروع في تنفيذها مع بداية السنة التالية من شهر يناير، وتكون نسبة التدريب 30% من الموارد البشرية بالمؤسسة أو الشركة، وتنقسم بين الداخلي والخارجي بنسبة 70 % للتدريب الداخلي و30% للتدريب الخارجي من إجمالي المشمولين بالتدريب ولا يعتد بأي تدريب مع أي جهة.

ب- التكوين والتنمية الاقتصادية: الإنسان هو المحرك الرئيس لأي عملية اقتصادية، بل إن العنصر الثاني وهو رأس المال يتم تعريفه بأنه عبارة عن تراكم جهد إنساني سابق تمت صياغته في صورة مالية أو عينية. ومن هنا فإن العنصر البشري يصبح إما عاملاً دافعاً للتنمية أو معوقاً لها حسب درجة تكوينه وتأهيله، وبالنسبة لليبيا يمكن أن نتعرف على طبيعة إسهام العنصر البشري (صقر الجيباني/ 2018) والإشكالية الرئيسية التي تواجه الاقتصاد الليبي وهي ضعف الإنتاجية وتدهورها خاصة في قطاع الصناعة ويمكن تعريف الإنتاجية ببساطة بأنها قيمة الإنتاج لكل عامل منتج خلال فترة زمنية معينة "سنة". إن قطاع الصناعة وهو القطاع الرائد في إحداث التنمية عن طريق نمو الإنتاجية في أي اقتصاد نلاحظ أنه في ليبيا قد تدهورت الإنتاجية فيه، والأسباب عديدة منها سيطرة القطاع العام على الصناعة، تكدس العمالة غير المؤهلة، إيجاد صناعات دون دراسات جدوى اقتصادية أو مزايا نسبية... الخ.

خامساً: الإنجازات الأساسية والمخططات المستقبلية الرؤيا و الاهداف

- بعد الحصول على شهادات الجودة الدولية التي تسهم في تحقيق استمرار الأداء المتميز لشركات وزارة النفط ودوائرها واستثمار الكفاءات البشرية للقطاع النفطي في مجال الجودة للتأهيل والتطبيق والتدقيق لمتطلبات أنظمة الجودة الدولية في كافة الشركات والدوائر النفطية (محمد الكاتب ، 2018)

- عمليات خطة تطوير الموارد البشرية: تمتد خطة التطوير الشخصية لدورة تستمر سنتين يتم خلالها تطوير التطلعات الوظيفية المطلوبة للموظفين، وذلك عبر منح الأولوية للكفاءات المناسبة المطلوبة لتطوير المسار الوظيفي.
- أهمية حصول جميع موظفيها على فرص النمو والتطور لضمان اكتسابهم للمهارات اللازمة التي تتيح لهم تلبية متطلبات بيئة العمل وتحدياتها. (محمد حسن، 2019) .

النتائج:

من خلال ماتقدم توصلت الدراسة للعديد من النتائج وهي حسب الآتي:

أولاً: النتائج النظرية:

- 1- أولت المؤسسة الوطنية للنفط اهتماماً بالغاً وخصصت مبالغ كبيرة لاستثمار وإعادة هيكلية التعلم والتدريب والتكوين وتطوير الكوادر البشرية ورفع من كفاءتهم.
- 2- حرصت المؤسسة على القيام بدورها في جعل رأس المال البشري أكثر ملائمة لمتطلبات سوق العمل وتزويده بالقوى العاملة المتخصصة لزيادة الإنتاجية، وأن العناصر المدربة محليا وعالميا تؤثر في النمو، مما يستدعي تدخل الخبرات الأجنبية لتنمية مهارتها لمواكبة التطورات الحاصلة والمتسارعة عالمياً.
- 3- تنتهج المؤسسة برامج جيدة للتدريب والتكوين بالداخل والخارج مما يعود عليها بزيادة الإنتاجية ورفع الكفاءة البشرية.
- 4- تعمل المؤسسة على دعم العنصر الوطني ليحل محل العنصر الأجنبي، وهناك التزام بتطوير طرق استقطاب الموارد البشرية بالمؤسسة.
- 5- العناصر الماهرة المدربة لتكفي متطلبات سوق العمل .

ثانياً - النتائج التطبيقية:

توجد علاقة قوية بين الاستثمار في الموارد البشرية والتنمية الاقتصادية في المؤسسة قيد الدراسة. بشكل عام جيد جدا وبنسبة (80.53 %).

التوصيات:

زيادة رفع عدد العناصر الوطنية المدربة على أحدث التقنيات لأنه لايزال سوق العمل بحاجة للكثير من هذه العناصر .

- المحافظة على الخبرات والكفاءات وبقائها وجذب الكفاءات لغرض التدريب من الخارج.
- مساعدة العاملين على تنمية ميولهم المهنية ومهاراتهم وتوجيهها.
- العمل على استقطاب المزيد من الاستثمارات الأجنبية ونقل التكنولوجيا المطورة.

الخلاصة:

يحظى موضوع تنمية الموارد البشرية في القطاع النفطي بأهمية خاصة لدى المؤسسة الوطنية للنفط، وذلك بالنظر للمكانة المهمة للصناعات النفطية على مستوى الاقتصاد الليبي وعلى اعتباره أحد مجالات العمل الأكثر جذباً للكوادر البشرية العاملة، وإيماناً من المؤسسة الوطنية بأهمية دعم العنصر البشري الوطني ونشاطات التدريب والبحث العلمي والتطوير على مختلف المستويات الوظيفية، تواجه ليبيا تحديات كبيرة في مجال التنمية الاقتصادية مثل النقص في العمالة المتعلمة الماهرة، لخلق القيمة المضافة حيث إن مخرجات قطاع النفط من العمالة الماهرة لا تكفي لسوق العمل الليبي.

المراجع:

أولاً: - الكتب والمجلات.

1- محمد الكاتب (2018) ليبيا رؤية تنموية شاملة في السياسة والاقتصاد ، مصراته، مركز الأبحاث بالأكاديمية الليبية بمصراته .

ثانياً: - الرسائل

1- أسامة أحمد الفيل. (2012). أولويات الاستثمار البشري دراسة مقارنة بين النظم الوضعية والنظام الإسلامي. الإسكندرية: جامعة الإسكندرية.

2- علي رابعة. (2013). إدارة الموارد البشرية تخصص نظم المعلومات الإدارية. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

3- عمر محي الدين. (2009). التخطيط الاقتصادي. بيروت: دار النهضة العربية.

ثالثاً: التقارير

1- محمد أبوسنينة. (28 9، 2002). هوية الاقتصاد الليبي ومهمة التخطيط. تاريخ الاسترداد 5، 25، 2009.

رابعاً : المؤتمرات والندوات

1- نادر أبوشيخة. (2010). إدارة الموارد البشرية (المجلد الأول). عمان : دار الصفاء للنشر والتوزيع.

2- نظمي شحادة وآخرون. (2000). إدارة الموارد البشرية (المجلد الأول). عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

3- يوسف عبد الله صايغ. (2015). مقررات التنمية الاقتصادية النامية، . بيروت: المؤسسة النامية للدراسات والنشر ، 1985 ص13.

مبادئ التعلم النفسي: النظريات والتطبيقات

يستكشف هذا البحث مجموعة من النظريات المتعلقة بعملية التعلم النفسي، مثل نظرية

الاتصال المشروط لبافلوف ونظرية التعلم الاجتماعي لباندورا

أ. رمضان سالم غيث

كلية التربية الأصابعة - جامعة غريان

الملخص:

إن مقومات عملية التعليم تمثل فيها الجزء النفسي المكون الأكبر والمحفز الأساسي للجانب العصبي، ولذلك حظيت كافة التجارب الخاصة بالجوانب التربوية المتعلقة بعملية التعلم على قياسات نفسية متعددة، لأجل الوصول لمفاهيم تتعلق بخصائص التعلم حيث يتعلم الفرد طرقاً جديدة في التفكير و الشعور، وطرقاً جديدة في التكيف مع بيئته، ويتضمن التعلم اكتساب سلوكاً جديداً أو تعديل السلوك القديم. إن وجه الشبه الرئيسي بين مختلف مواقف التعلم هو أن سلوك الإنسان تطرأ عليه تغيرات معينة نتيجة الخبرة أو الممارسة أو التدريب، قد اختلف علماء النفس في وضع تعريف معين للتعلم، بسبب أن التعلم لا يمكن ملاحظته مباشرة، ويعرف التعلم أنه عملية تعديل وتغيير في سلوك المتعلم بشكل نسبي عن طريق المحاولة والتدريب، ويكون التعلم بدافع شخصي ورغبة شخصية في اكتساب المعارف والمهارات المختلفة والرقى والتطوير، ويكون هذا المتعلم هو نفسه المعلم.

Summary:

The components of the education process in which the psychological part represents the largest component and the main stimulant of the nervous aspect. Therefore, all experiments related to the educational aspects related to the learning process have received multiple psychological measurements in order to reach concepts related to the characteristics of learning, where the individual learns new ways of thinking and feeling, and new ways of adapting to his environment. Learning involves acquiring new behavior or modifying old behavior. The main similarity between the various learning

situations is that human behavior undergoes certain changes as a result of experience, practice, or training. Psychologists have differed in establishing a specific definition of learning, because learning cannot be observed directly, and learning is defined as a process of modification and change in behavior. The learner is relatively through experience and training, and learning is motivated by personal motivation and a personal desire to acquire different knowledge and skills, advancement and development, and this learner is the same as the teacher.

المقدمة:

التعلم كقضية يمثل مكون جوهري للوجود الإنساني وأساسي للتربية، وهو منطلق أساسي لدراسة علم النفس وينبغي لفهم حقيقة العقل البشري والواقع انه لم يحظ أي موضوع آخر من موضوعات علم النفس، مثلما حظي به موضوع التعلم من عمق في البحث والدراسة. ومنذ أن بدأ الاهتمام بدراسة سلوك الإنسان ظل التعلم وقضاياها موضع اهتمام الباحثين والدارسين اهتم علم النفس بموضوع التعلم كموضوع أساسي أكثر أهمية في فهمنا للسلوك. ومهما يكن الأمر فان السلوك الإنساني إما يحدده النشوء والارتقاء النوعي أو ميل الإنسان في سلوكه، حيث يلخص فيه عبر حياته تاريخ نشوء الإنسان وتطوره مثل المحافظة على النوع والسلوك الانعكاسي وأما أنه سلوك متعلم أي أنه سلوك قابل للتعديل والتغيير. (الدسوقي مجدي 2008 ص32)

والاختلافات الهائلة في سلوك البشر وهم الذين خلقوا على أسس فسيولوجية متشابهة ليست جميعها لإنتاج التعلم. وبعبارة أخرى فان هذه الاختلافات هي تعديلات وتغييرات توفرها إمكانيات الأفراد الفسيولوجية، فنحن نتعلم أن تكون أفرادا من الجنس البشري إذ نتعلم كيف تؤدي دورنا في الحياة الاجتماعية وتتعلم البقاء والتكيف وتحسن حياتنا ونتعلم التفاعل مع الآخرين ونتعلم الاتجاهات، والقيم، بل أننا نتعلم كيف تتعلم اسهمت نظريات علم النفس في مسألة التعلم بصورة كبيرة، حيث ان عملية التعليم يقع فيها الشق النفسي بدرجة كبيرة وهامة (Calvin Bennett 1964 ص2.3.24).. فإن مقومات عملية التعليم تمثل فيها الجزء النفسي المكون الأكبر والمحفز الأساس للجانب العصبي ولذلك حظيت كافة التجارب الخاصة بالجوانب التربوي المتعلقة بعملية التعلم على قياسات نفسية متعددة، لأجل الوصل

لمفاهيم تتعلق بخصائص التعلم حيث يتعلم الفرد طرقا جديدة في التفكير والشعور، وطرقا جديدة في التكيف مع بيئته، ويتضمن التعلم واكتساب سلوكا جديدا أو تعديل السلوك القديم، إن وجه الشبه الرئيسي بين مختلف مواقف التعلم هو أن سلوك الإنسان تطرأ عليه تغيرات معينة نتيجة الخبرة أو الممارسة أو التدريب وقد اختلف علماء النفس في وضع تعريف معين للتعلم، وذلك بسبب أن التعلم لا يمكن ملاحظته مباشرة.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى إبراز أهمية التعلم كقضية أساسية ومحورية للإنسان عبر حياته كما تهدف الى إيضاح إسهامات علم النفس من خلال ما قدمه الباحثين في مجال التعلم من خلال النظريات الخاصة بالعالم بافلوف وهي نظرية الاشتراط الكلاسيكي ونظرية التعلم الاجتماعي للعالم باندورا كنظريات هامة أسهمت في قضية التعلم وإلقاء الضوء على تلك النظريات من حيث الخصائص والمفاهيم والايجابيات والسلبيات لتلك النظريات.

أهمية الدراسة:

الأهمية النظرية: تقديم محتوى علمي يرتبط بموضوعية التعلم وألية حدوثها من قبل الدراسات الخاصة بالقياس النفسي من خلال استعراض نظريات ترتبط بهذا الجانب، وسيركز الباحث على نظرية العالم بافلوف المعروفة باسم نظرية الاشتراط الكلاسيكي، ونظرية التعلم الاجتماعي للعالم باندورا.

الأهمية التطبيقية: الجانب التطبيقي يتمثل على إضفاء أهمية لتطبيقات هذا البحث في جانب المدارس والجامعات والمعاهد في تحسين التلقي أولاً للمتعلم حيث ان الاهتمام بالجوانب النفسية يمثل عامل مهم للغاية في عملية التعلم

وأيضا المساعدة على التغلب على العقبات والصعوبات في عملية التعلم بصفة عامة داخل الفصول الدراسية والعمل على الوصول الى أفضل النتائج المرجوة في هذا الصدد وأخيرا رفع الكفاءة المهنية للمعلم من خلال التحسين المستمر والتنظير الجيد لمواجهة المشكلات النفسية التي تواجه المتعلم.

مشكله الدراسة: تتمثل في وجود إشكالية دائمة بين المتعلمين للخصائص الوراثية والبيئية فتفاوتت المهارات الخاصة بالتلقي، ولذا حرص الباحث على التعمق في قضية التعلم النفسي

وتقديم صورة لتلك الخصائص من خلال إلقاء الضوء على نظرية الاشتراط الكلاسيكي، ونظرية التعلم الاجتماعي.

مفاهيم البحث:

التعلم: يعرف التعلم أنه عملية تعديل وتغيير في سلوك المتعلم بشكل نسبي عن طريق المحاولة والتدريب، ويكون التعلم بدافع شخصي ورغبة شخصية في اكتساب المعارف والمهارات المختلفة والراقي والتطوير، ويكون هذا المتعلم نفسه المعلم، ولا يعتمد على أشخاص غيره، ويكون اعتماده الكلي على نفسه في عملية التعلم.

ويعرف أيضا انه عبارة عن سلوك شخصي يقوم به الفرد لاكتساب المعلومات والخبرات والمهارات والمعرفة، ويستطيع الفرد من خلال أداء عمل ما أن يتعلم، فالمتعلم هنا هدفه هو مفهوم التعلم سواء عن طريق البحث عن الأدوات المناسبة التي توفر له المعلومات من خلال المدارس.

ويعرف أنه عملية تعديل وتغيير في سلوك المتعلم بشكل نسبي عن طريق المحاولة والتدريب ويكون التعلم بدافع شخصي ورغبة شخصية في اكتساب المعارف والمهارات المختلفة والراقي والتطوير، ويكون هنا المتعلم هو نفسه المعلم، ولا يعتمد على أشخاص غيره هو يكون اعتماده الكلي على نفسه في عملية التعلم. (ابوجاود صالح 1998 ص41).

التعلم هو عملية تلقي المعرفة، والقيم والمهارات من خلال الدراسة أو الخبرات أو التعليم مما قديؤدي إلى تغيير دائم في السلوك تغير قابل للقياس وانتقائي بحيث يعيد توجيه الفرد الإنساني ويعيد تشكيل بنية تفكيره العقلية.

ويعرف أيضا التعلم كنشاط ذاتي يقوم فيه المتعلم ليحصل على استجابات ويكون مواقف يستطيع بواسطتها أن يجابه كل ما قد يعترضه من مشاكل في الحياة. والمقصود بالعملية التربوية كلها إنما هو تمكين المتعلم من الحصول على الاستجابات المناسبة والمواقف الملائمة. (منصور عبد المجيد وآخرون 1997، ص31).

كما عرفه جيتس في موضع آخر بأنه تغير في السلوك له صفة الاستمرار وصفة بذل الجهد المتكرر حتى يصل الفرد إلى استجابة ترضى دوافعه وتحقق غاياته.

وهذا يتفق مع تعريف رمزية الغريب للتعلم أنه : تعديل في السلوك يساعد المتعلم على حل المشكلات التي تصادفه وتحقيق المزيد من التكيف مع بيئته.

ويعرف ماك كونل McCannel التعلم أنه التغير المتطرد في السلوك الذي يرتبط بالمواقف المتغيرة التي يوجد فيها الفرد، وبمحاولات الفرد المستمرة للاستجابة لها بنجاح، هذا يعني أن التعلم هو نتاج التفاعل بين المتعلم والموقف التعليمي، كما يعني أن الهدف من عملية التعلم هي مزيد من التوافق بين الفرد وبيئته.

ظهرت المدرسة السلوكية سنة 1912 في الولايات المتحدة، ومن أشهر مؤسسيها (واطسون ثمورنديك) وبعده سكينر، وكذلك بافلوف في روسيا في نفس الفترة، نظرا لكون واطسون وثورنديك وبافلوف مختصين في علم أعصاب وفي تشريح الجهاز العصبي، فقد تأثروا بذلك وبحثوا مجال السلوك الإنساني من خلال الروابط بين العضوية والأعصاب وبين البيئة المحيطة

خصائص التعلم: للتعلم عدة خصائص مستمدة من التعريفات السابقة سأذكرها في نقاط:

1. التعلم تكوين فرضي.
2. التعلم عملية تغير في السلوك.
3. التعلم تغير تقدمي.
4. التغير الذي يحدثه التعلم يتصف بالاستمرار النسبي.
5. التعلم يحدث في الأداء (الأداء هو الجانب الذي يمكن قياسه من السلوك).
6. التعلم يتم تحت شرط الممارسة المعززة.
7. التعلم شامل الجوانب الشخصية

ثانياً - نظريات التعلم:

وضع عدد من العلماء عدد من النظريات للتعلم من خلال فروض تم إتباعها ومعطيات نظرية تمثلت في عدد من المحددات مثل الملاحظة والتجريب والاشتراط والمشاركة والتحفيز والدعم وخلافة حيث كانت من أهم تلك النظريات نظرية الاشتراط الكلاسيكي لبابلوف ونظرية التعلم الاجتماعي لباندورا وستعرض تفصيلا نظريتي بافلوفلاشراط الكلاسيكي ونظرية التعلم الاجتماعي لباندورا

نظرية الإيصال المشروط لبافلوف:

يعتبر بافلوف من العلماء التجريبيين، استطاع في دراسته الفسيولوجية أن يكشف عن القوانين التي تخضع لها إفرازات الغدد، وبين أن هذه الإفرازات انعكاسية فطرية تضطرب أحياناً، وكان علماء الفسيولوجيا يعتقدون أنها تغيرات نفسية لا تخضع إلى أصول فسيولوجية فتركوها، لكن بافلوف أعتقد أنها خاضعة لقوانين طبيعية معينة قابلة للبحث بواسطة الطرق الفسيولوجية الدقيقة، باستخدام أسلوب العلم الطبيعي الذي يجمع الوقائع اللازمة عن طريق المشاهدة والملاحظة. (V.M.Bekhterev 1912 ص 183-181)

تجربة بافلوف: قام بافلوف Pavlov في خده وادخل فيه أنبوبة بإجراء عملية جراحية بسيطة لكلب فتح بوساطتها ثقباً زجاجية تصل ما بين إحدى فتحات الغدة اللعابية وبين وعاء تتجمع فيه قطرات اللعاب التي يفرزها الكلب. وبعد انتهاء هذه العملية قام بافلوف Pavlov بتقديم مثير صناعي (محايد) مثل صوت الجرس قلم تحدث آية استجابة نحو هذا المثير (لم تحدث استجابة إفراز اللعاب) (V.M.Bekhterev 1932 ص 111-110).

بعد ثوان قليلة من سماع صوت الجرس قدم له الطعام وسجل جهاز جمع اللعاب الكمية المسالة وبعد عدد من المزاوجات بين المثير الصناعي والطبيعي وجد بافلوف Pavlov أن المثير الشرطي أصبح وحده يستثير سيلان اللعاب في غياب المثير الطبيعي. وبعد ذلك أعاد بافلوف Pavlov هذه التجربة فالحظ تكرر حدوثها. إن هذه المثيرات أصبحت وكأنها بالنسبة للكلب مؤشرات للطعام نفسه وتعلم الكلب أن تقديم هذه المثيرات سوف يتبع بتقديم الطعام

بعد الاشتراط من المفاهيم التي ساهمت في استقلال علم النفس عن الفلسفة، والتي استخدم فيها بافلوف على الخصوص منهجا علميا صارما جاء به من علم وظائف الأعضاء، وكما يقول راسل أن بافلوف قد غزى للعلم الصحيح ميدانا جديدا، لذا وجب أن يسلك فيه عظماء الرجال في هذا العصر راسل، حيث تمكن علم النفس من الارتقاء بفضل هذه المحاولات إلى المصاف العلمية والموضوعية والتجريبية، وقد اعترف بافلوف للفيلسوف ديكارت بالفضل أيضا، حيث وصف الأخير الحيوانات كونها التي تصدر ردود أفعال متوقعة تجاه المثيرات البيئية تحافظ من خلالها على نوع من التوازن. وردود الأفعال هذه هي جزء

من الجهاز العصبي وتحدث في عدد من الممرات العصبية إلا أن بافلوف استخدم منحى جون لوك في دارسته للحيوان والإنسان على حد سواء، حيث كان يعتبر أن الإنسان يولد صفحة بيضاء ويمكن أن نكتب فيها ما شئنا عن طريق التعلم والتدريب (العتوم عدنان واخرون 2005 ص 43)

العوامل المؤثرة في حدوث الاشتراط:

- 1- أن يكون المثير المحايد على مستوى من الشدة: بحيث يقع ضمن مدى إحساس الكائن الحي، ويجب أن يمتاز بالقدرة على التنبه.
 - 2- تسلسل تقديم المثيرات: اذ يجب أن يسبق المثير المحايد المثير الطبيعي (غير الشرطي) الآن حدوث هذا المثير بعد المثير الطبيعي الذي يؤدي إلى حدوث الاستجابة الشرطية. فالأصل هو تزامن حدوث هذين المثيرين معا أو أن يتقدم المثير الشرطي المثير الطبيعي.
 - 3- عدد مرات الاقتران: تزداد الاستجابة الشرطية قوة واستمرارية للمثير الشرطي بزيادة عدد مرات الاقتران بين هذا المثير والمثير غير الشرطي.
 - 4- شدة المثير الطبيعي: يتوقف حدوث الاشتراط بين المثير الشرطي والمثير الطبيعي على قوة وشدة المثير الطبيعي ومدى تأثيره في الكائن الحي، حيث تزداد الاستجابة الشرطية قوة اعتمادا على شدة المثير الطبيعي ومدى تأثيره في الكائن الحي.
 - 5- الفاصل الزمني: يتم تشكيل الاستجابة للمثير الشرطي على نحو أسرع عندما يكون الفاصل الزمني بين تقديم المثير الشرطي والمثير غير الشرطي قصيرا جدا، وتكون مثل هذه الاستجابة أكثر قوة وديمومة، أما فيحالة كون الفاصل الزمني بينهما طويلا، ففي أغلب الحالات يحدث الاقتران بين المثير الشرطي والاستجابة الشرطية، وتشير الدلائل العلمية، أن هذا الفاصل الزمني يجب أن يتجاوز أجزاء من الثانية (عبدالرحيم الزعلول 2012 ص 41)
- الفعل المنعكس الشرطي والفعل المنعكس (غير الشرطي):**

يعد الفرق بين الفعل المنعكس الشرطي ومثير شرطي - استجابة إشرطية) وبين الفعل المنعكس مثير طبيعي - استجابة طبيعية، يكمن في ميكانيزماتهما، بل في تكوينهما، ففي حالة الفعل المنعكس يكون الممر العصبي جاهز منذ الولادة بشكل فطري ووارثي، في حين

أن حالة الفعل المنعكس الشرطي ليست له بنية عصبية جاهزة بل يتوجب على الكائن إحداثها عن طريق التعلم والتدريب. والفعل المنعكس الشرطي تكون بنيته العصبية جاهزة ومكتملة بل تتعدل وتتطور في كل مرة لتصل الجاهزية وليس الاكتمال، بالتالي فهو عبارة عن خلق ميكانيزم جديد عن طريق تزامن منبه مثير .

ويميز بافلوف بينهما بمجموعة من الفروق ومنها أساسا:

موقع البنية العصبية المسئولة على الفعلين في الجهاز العصبي، فالبنية العصبية تحت القشرة المخية تحت اللحاء (مسئولة عن الفعل المنعكس، والقشرة المخية) أو اللحاء (مسئولة عن الفعل المنعكس الشرطي يعد الفعل المنعكس فعل فطريا موروثا) تحكمه الوراثة، (في حين أن الفعل المنعكس الشرطي يتم بناؤه بالاكتساب بعد الولادة) تحكمه الظروف البيئية المحيطة بالكائن) الفعل المنعكس هو اتصال عصبي غير مشروط بظروف معينة، مقابل الفعل المنعكس الشرطي الذي يتطلب اتصال عصبيا بتأثير ظروف خاصة من حيث الوظيفة : الفعل المنعكس تأمين الغذاء، الوقاية، دافع البقاء الغريزي الفعل المنعكس الشرطي تأسيس العادات والتعلم وضبط النفس، أي التكيف والتأقلم الفعل المنعكس فعل فطري وراثي يمكن تعديله وتطويره. والعكسفي حالة الفعل المنعكس الشرطي الذي يمكن تطويره وإطفائه كذلك (K.Breland.M.Breland 1961 ص16.691.684)

المفاهيم الأساسية:

1- المثير غير الشرطي:

المثير غير الشرطي هو أي مثير فعال يؤدي إلى إثارة آية استجابة غير متعلمة منتظمة. وقد استخدم بافلوف مسحوق الطعام كمثير غير شرطي يؤدي إلى أكثر المعروف وهو إحداث استجابة انعكاسية مؤكدة تتمثل في إقرار اللعاب الذي يحدث بصورة الى السيطرة عليها(عبدالرحيم الزغول 2012 ص44).

2- الاستجابة غير الشرطية:

وهي الاستجابة الطبيعية والمؤكدة التي يحدثها وجود المثير غير الشرطي. وتعتبر الاستجابة غير الشرطية عادة انعكاسية قوية يستدعيها وجود المثير غير الشرطي والأمثلة الشائعة على الاستجابات غير الشرطية هي طرفة العين عندما تتعرض لهبات الهواء

وانتفاضة الركبة الناشئة عن ضربة خفيفة على الوتر العضلي تحت الرضفة وإفراز اللعاب عند وجود الطعام.

3- المثير الشرطي

هو المثير الذي يكون محايدا أي يولد استجابة متوقعة في بادئ الأمر ولكنه من خلال تواجده قبل المثير غير الشرطي أو في نفس الوقت مع هذا المثير فإنه يصبح قادرة على إحداث الاستجابة الشرطية (ش) ومن بين مقومات المثير الشرطي أنه ينبغي أن يكون حدثا يقع ضمن نطاق مدى إحساس الكائن المراد اشرطه.

4- الاستجابة الشرطية:

وهذا هو الانعكاس المتعلم الجديد والذي يحدث نتيجة اقتران المثير الشرطي مع المثير غير الشرطي، وهذا الاقتران بين المثيرين الشرطي وغير الشرطي هو أحد المقومات الرئيسية الاشتراطالبالوففي، أما الاستجابة الشرطية فهي تشبه الاستجابة غير الشرطية شديدا تماما إذ إن الاستجابة الشرطية قد تختلف عن الاستجابة غير الشرطية من حيث قوتها أو سعتها أو فترة كمونها أو الفترة الزمنية التي تظل كامنة فيها التنبيه أو الاستثارة و الاقتران : ويعني هذا بكل بساطة أنه عندما يكون المثير الذي كان محايد في الأصل قد تم اقترانه مع مثير غير شرطي وبالتالي أصبح مثير شرطي فإنه يقال عنه أنه قد اكتسب خاصية المنير غير الشرطي طالما أنه قد أصبح قادر على استدعاء الاستجابة الشرطية (R .MacMillan. 1970 ص37.93.100)

تعميم المثير: في مراحل الاشتراط الأولية قد تستجيب الكائنات الحية لعدد من المثيرات بطريقة واحدة في أساسها وعلى سبيل المثال فقد يسيل لعاب الكتب لعدة أنغام تشبه في إيقاعها النغمة التي يحدث الاشتراط عند سماعها فالكلب يميز بين مختلف الأنغام في مراحل الاشتراط الأولية، بل يحدث بدلاً من ذلك ما يسمى بانتشار الأثر أي أن الكلب يستجيب لعدد من المثيرات المتشابهة في طبيعتها دون أن يكون قادر على الانتقاء السليم فيما بينها . وهذا ما يطلق عليه اسم تعميم

التمييز: التمييز عكس التعميم يعني استجابة إلى المختلفات، بمعنى أن الكائن الحي يستطيع في هذه العملية أن يميز بين المثيرات الموجودة في الموقف ولذلك تحدث الاستجابة

للمثير المعزز، وبالتالي تبقى الاستجابات المعززة بينما الاستجابات الأخرى يحدث لها انطفاء ويعتبر التمييز عملية متقدمة على عملية التعميم حيث ان الطفل يستطيع أن يقوم بعملية التمييز بعد مرحلة متقدمة من النمو. لذلك فانه في المراحل المبكرة من العمر يعمم استجابة الخوف مثال إلى كل المثيرات المشابهة للمثير الأصلي الذي تسبب في تكوين هذه الاستجابة. بينما في المراحل التالية يستطيع أن يميز بين المثيرات التي تحدث في الموقف السلوكي. (الشرقاوي انور 2015 ص 476-479)

الانطفاء: يعني ببساطة انه عندما يعطى مثير شرطي بصورة متكررة ويعقبه المثير غير الشرطي فان الاستجابة لهذا المثير أي المثير الشرطي (تتوقف في نهاية الأمر) أي استخدام الجرس بدون الطعام لعدة مرات

الكف: درس بافلوف 1929 نوعين رئيسيين من الكف: الأول: هو الكف الداخلي أو الكف المباشر أو الكف غير الشرطي وهو الذي يرجع إلى تغيرات فجائية في الجهاز العصبي للكائن الحي، أو إلى بعض التغيرات في الخصائص الطبيعية والكيميائية للدم، مما يتسبب عنها عدم ظهور الاستجابة الشرطية، والثاني: هو الكف الخارجي أو الكف غير المباشر أو الكف الشرطي وهو عدم ظهور الاستجابة الشرطية (ش) كليا، أو ضعف قوتها بشكل واضح، وذلك نتيجة حدوث أي شئ غير عادي، أو غير متوقع قبل أو أثناء تقديم المثير الشرطي) م ش (مما يضعف الاستجابة، أو يمنعها من الظهور في الموقف التجريبي، وجد بافلوف في التجارب التالية أن مجرد تغيير الباحث الذي يعمل مع الحيوان، أو حتى تغيير حجرة التجربة، أو سماع الكلب صوت مرتفع خارج المعمل، يؤدي إلى اختفاء الاستجابة الشرطية، وبالتالي يحدث ما يسمى بالكف الشرطي-)

الاسترجاع التلقائي:

وتسمى هذه الظاهرة بالاسترجاع التلقائي، أي أن الاستجابة الشرطية تعود إلى الموقف السلوكي مرة أخرى، أن الاستجابة في هذه الحالة تكون عادة أضعف من الاستجابة الأصلية. وفي حالة انطفاء هذه الاستجابة، فان الاسترجاع التلقائي في هذه الحالة الأخيرة يكون أضعف مما كان في الحالة الأولى، وهكذا حتى تختفي الاستجابة كليا من الموقف لعدم قدرتها على الظهور

الاستجابات الشرطية والسلوك الإنساني:

يعتقد بافلوف Pavlov أن الإنسان نظام محكوم بالقوانين الطبيعية المشتركة بين كل ظواهر الطبيعة ويرى أن النظام الإنساني هو الوحيد بين الأنظمة الطبيعية الذي يتميز بقدرته الهائلة على التنظيم الذاتي والذي يمتلك المرونة الفائقة لهذه الفعالية. فالإنسان بأنظمته المعقدة الخاصة بتطور الطبيعة في صورتها الأكثر رقىا وتقدما. فالسلوك الإنساني صناعة تتم وفقا لمبدأ الاستجابات الشرطية وهي صناعة ممكنة أي أنه يمكن لنا التحكم في سلوك الإنسان وتشريطه وتصنيعه مخبريا أو بصورة اجتماعية عندما يتم التحكم بشروط الحياة الاجتماعية. فأفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا وقيمنا وعاداتنا وأنماط سلوكنا وكل جوانب نشاطاتنا النفسية والاجتماعية هي نتاج لعملية تشريط اجتماعية تربوية بعيدة المدى وأنه يمكن رسم حدود هذه النشاطات والتحكم فيها وفقا لمبدأ الاشتراط التي بينا أسرار حركتها في مخابره وتجاربه الطويلة (M.Fredrkson, A.Ohman, 1979 ص 17.16)

فالإنسان ينطلق في عملية تكيفه وفق منظومة دالية من الرموز والمثيرات اللغوية التي تجعله في حركة استجابات شرطية تتصف بالاستمرار والديمومة. فالكلام يشكل بالنسبة للإنسان نظاما ثابتا من الدالات الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان فالكلام هو بالتأكيد الأمر الذي جعل منا بشرا ... فالمثيرات الأولى هي المثيرات الصادرة عن العالم الخارجي مثل الأصوات والروائح ومثيرات اللمس والضوء والإحداث الخارجية هي مثيرات مشتركة بين الإنسان والحيوان ولكن الإنسان يتفرد فيما يطلق عليه بافلوف Pavlov بالمثيرات الدلالية من المستوى الثاني والتي تتعلق بالرموز واللغة والكلمات والمعاني وهي الرموز أو الدالات التي يتفرد بها عالم الإنسان عن عالم الحيوان. (خليفة بركات 1995 ص 48).

أساسيات النظرية:

اعتبرت أن الجهاز العصبي جهاز ربط وتوصيل بين أنحاء الجسم المختلفة وبين العالم الخارجي ولكي يتم التوازن بين الكائن الحي والبيئة الخارجية يجب أن يستجيب الكائن بطريقة معينة تحقق التوازن بينه وبين البيئة الخارجية، وهذه الاستجابة هي مهمة الجهاز العصبي المركزي والجهاز العصبي جهاز تحليل المجال الخارجي إلى عناصره الأولية.

هناك نوعان من الانعكاسات:

أ- الأولية الطبيعية غير الشرطية وتتميز بالثبوت والاطراد، عناصرها:

المثير الخارجي، والسيالات العصبية التي ينتقل فيها المثير الخارجي، والاستجابة الخاضعة لقوانين معينة. وهذا النوع موروث ذو صفة توصيلي بحتة ويشترك فيه كل أفراد الجنس ومثيراتها تتغير.

ب- المعقدة:

مثل الانعكاسات الحسية أو الدفاعية تجاه البيئة الخارجية غير الثابتة والمتغيرة باستمرار، وتمثل الانعكاسات الجديدة عملية التعلم واكتساب أنماط جديدة من النشاط (Covert, J, R, Cautela 1967 ص 428.449)

1 - ضرورة حصر مشتتات الانتباه في غرفة الصف فقد تبين أن الاشتراط يحصل بشكل أيسر حين يقدم المثير الشرطي وغير الشرطي في موقف لا تكثر فيه المثيرات المحايدة الى لا علاقة لها بالموقف التعليمي

2 - ضرورة ربط تعلم التلاميذ بدوافعهم من جهة وتعزيز العمل التعليمي من جهة أخرى لان غياب المثير غير الشرطي يؤدي الى انطفاء الاستجابة المتعلمة

3- تعتبر عملية التعميم والتمييز من العمليات المهمة التي يمكن الاستفادة منها في تفسير كثير من مظاهر التعلم الإنساني وان التمييز بين الوحدات غير المتشابهة واختلاف الاستجابات لتباين المثيرات يعتبر من الأساليب المهمة في تعلم الحقائق والمعارف أو المفاهيم والمبادئ في اية مناهج دراسية

4- يمكن الاستفادة من أفكار بافلوف عن انطفاء الاستجابة في إبطال العادات السيئة التي تظهر عند التلاميذ إثناء القراءة والكتابة

5- يعتبر التعزيز الخارجي كذلك من المبادئ الأساسية التي يعتمد عليها الآن في التعلم

6 - تكوين ما يسمى بالاشتراط المضاد أي العمل على تكوين استجابة شرطية جديدة مرغوب فيها تكون غير منسجمة مع الاستجابة التي نشأت أصلاً بواسطة المثير الشرطي

- 7- تعديل السلوك لاسيما في المجال الانفعالي وإلقاء الضوء على طرق اكتساب العادات وعملية التطبيع الثقافي الشخصية الإنسان ويستخدم الإجراء الاشرطي في كثير من عمليات المعالجة السلوكية للانحرافات التي تصدر عن الأفراد
- 8- تحريك الدوافع للاستكشاف الخاص بالبيئة المحيطة عبر المثيرات العصبية .
- 9- تركيز ضوء المتعلم على الفهم لما يحدث من خلال الإثارة والتحفيز المستمر .
- 10- خلق المجال الأمثل للمتعلم لفعل المحفزات وجذب الانتباه المستمر .
- 11- كسر رهبة التعلم والإقبال عليه من قبل المتعلم .
- 12 - غرس الثقة والألفة بين المعلم والمتلقي(ناصر مصطفى 1986ص38)

تطبيقات نظرية الاشرط الكلاسيكي في العمليات التعليمية الصفية:

- من خلال استعراض نظرية الاشرط الكلاسيكي يمكننا أن نستنتج بعض التطبيقات التربوية التي تستطيع الاستفادة منها في عملية التعلم والتعليم ومن أهمها:
- 1- تشجيع بناء علاقة إيجابية بين المتعلم والمعلم والمتعلم والمدرسة وجعل قاعة الصف مكانا سارا للمتعلم، وتزويدها بالمثيرات المختلفة مثل تخصيص خزانة يوضع فيها كتب ومجلات وأشرطة ... الخ تساعد المتعلم على إثراء معرفته وخبراته.
 - 2- إن الخبرات المؤلمة في مجال العمل المدرسي تولد الخوف عند المتعلم كالخوف الذيصيب الطالب من المعلمين نتيجة اشتراطه مع توبيخهم له وبعد ذلك يتم تعميم الخوف بشكل واسع من المدرسة أو أي شيء مماثل وبالتالي يؤدي إلى عزوف التلاميذ عن الدراسة وتسربهم من المدرسة
 - 3- تشجيع المتعلم على المشاركة والتفاعل باستجابات إيجابية أثناء عرض الدرس وعندما يخطئ على المعلم محاولة بناء روابط بين الإجابة الخاطئة والإجابة الصحيحة وذلك لتقوية شعور الثقة والجرأة عند المتعلم
 - 4- ضرورة حصر مشتقات الانتباه في غرفة الصف وعزل المثيرات المحايدة التي لها علاقة بالموقف التعليمي وذلك حتى يتم التعلم بشكل أيسر بعيدا عن المشتقات .
 - 5- الانتباه لضرورة ربط تعلم التلاميذ بدوافعهم، وتكوين الميول الايجابية للتلاميذ نحو التعلم كذلك على المعلم القيام بتعزيز العمل التعليمي حتى يحدث انطفاء لاستجابات المتعلمين

6 يمكن استخدام فكرة الانطفاء في أبطال بعض السلوكيات غير المرغوب بها أثناء الموقف التعليمي مثل عادة إجابة الطالب عن أسئلة المعلم بدون رفع اليد أو أخذ الأذن من المعلم كما يمكن تعديل بعض السلوكيات الأخرى في المجال الانفعالي باستخدام هذه الطريقة مثل سلوك العدوان عند الطالب

7- يمكن استخدام أفكار بافلوف في التعميم والتمييز في عمليات الاستدلال والاستنتاج، كما يستفاد من الاشارات في تعلم الكلام عند الأطفال (الزرقان البكري 2010 ص74).

نظرية بافلوف وصعوبات التعلم:

يمكن النظرية بافلوف أن تقدم الكثير في موضوع صعوبات التعلم بإشكالها المختلفة حيث أن صعوبات التعلم الناجمة عن قصور نمائي في الغالب تكون ذات أهمية في مجال الاشارات الكلاسيكي حيث يتطلب الأمر معالجات دوائية مع محفزات تختلف طبقاً لطبيعة الحالة ولكن ربط المتلقي بحافز ما أو مساعدته على فعل أو تعلم باستخدام الاشارات الكلاسيكي قد يؤخذ فترات زمنية أطول من الفترات المعتادة الطبيعية. أن التعلم الشرطي قد ينصب على أساليب الاستجابات غير الإرادية مثل الميل أو النفور، الحب أو الكره، الغضب أو السرور وما إلى ذلك، وهنا يلعب الاقتران دوراً رئيسياً في التعلم، حيث يقترن المثير الصناعي بالمثير الطبيعي، مع ثبوت الاستجابة في الحالتين. أما التعلم بالمحاولة، والخطأ، أو الاستبصار، فإنه يعتمد على الاستجابات الإرادية، وبالتالي يتضمن هذا النوع اكتساب العادات، والمعارف، والفهم، والمهارات الحركية، وما إلى ذلك من أساليب سلوك تتميز بالتعقيد. و التعلم الشرطي عموماً يفسر لنا اكتساب العادات التي ترجع إلى أحداث الحياة اليومية أو نتائج لتعلم غير المقصود (Ohman.Fredrikson 1979 ص16.17)

نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا:

خلال النصف الأول من القرن العشرين، أصبحت المدرسة السلوكية لعلم النفس قوة مهيمنة. اقترح علماء السلوك أن كل التعلم كان نتيجة للتجربة المباشرة مع البيئة من خلال عمليات الارتباط والتعزيز اعتقدت نظرية باندورا أن التعزيز المباشر لا يمكن أن يفسر جميع أنواع التعلم.

تستند نظرية التعلم الاجتماعي لألبرت باندورا على الفلسفة القائلة بأن الأفراد يمكن أن يتعلموا من خلال مراقبة وتقليد السلوك الملحوظ للآخرين حيث اقترح عالم النفس ألبرت باندورا وروبرت سيرز نظرية التعلم الاجتماعي كبديل للعمل السابق لزميله عالم النفس بي إف سكينر، وكان مشهوراً كمؤيد لنظرية السلوك.

بينما اقترحت النظريات السلوكية للتعلم أن كل التعلم كان نتيجة ارتباطات تشكلت عن طريق التكيف والتعزيز والعقاب، اقترحت نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا أن التعلم يمكن أن يحدث أيضاً ببساطة من خلال مراقبة تصرفات الآخرين (نظرية باندورا للتعلم الاجتماعي) أضافت نظريته عنصراً اجتماعياً، بحجة أنه يمكن للناس تعلم معلومات وسلوكيات جديدة من خلال مشاهدة الآخرين. حيث يمكن استخدام هذا النوع من التعلم، المعروف باسم التعلم القائم على الملاحظة . الشرح مجموعة متنوعة من السلوكيات، بما في ذلك تلك التي لا يمكن تفسيرها في كثير من الأحيان من خلال نظريات التعلم الأخرى. التعلم هو العملية الحيوية الدينامية التي تتجلى في جميع التغيرات الثابتة نسبياً في الأنماط السلوكية والعمليات المعرفية التي تحدث لدى الأفراد نتيجة لتفاعلهم مع البيئة المادية والاجتماعية من خلال التقليد التكرار والممارسة والتدريب (Macmillan.R 1970 ص100.93.37)

افتراضات ومفاهيم النظرية:

تتطلب هذه النظرية من افتراض رئيس مفاده أن الإنسان كائن اجتماعي يعيش ضمن مجموعات من الأفراد يتفاعل معها ويؤثر ويتأثر فيها، وبذلك فهو يلاحظ سلوكيات وعادات واتجاهات الأفراد الآخرين ويعمل على تعلمها من خلال الملاحظة والتقليد حيث يعتبر هؤلاء الآخرين بمثابة نماذج (Models) يتم الاقتداء بسلوكياتهم (بركات محمد 1995 ص48) ترى هذه النظرية أن هناك عمليات معرفية معينة تتوسط بين الملاحظة للأنماط السلوكية التي تؤديها النماذج وتنفيذها من قبل الشخص الملاحظ ومثل هذه الأنماط ربما لا تظهر على نحو مباشر، ولكن تستقر في البناء المعرفي للفرد بحيث يصار إلى تنفيذها في الوقت المناسب، وهذا ما يشير إلى مفهوم التعلم الكامن،،، learning Latent،،،

يتضمن التعلم بالملاحظة جانبا انتقائياً، إذ ليس بالضرورة أن عمليات التعرض إلى الأنماط السلوكية التي تعرضها النماذج يعني تقليدها. فقد يعمل الأشخاص على إعادة

صياغة تلك الأنماط السلوكية على نحو معين، وهكذا فإن الانتقائية في تعلم جوانب معينة من سلوكيات النماذج، وأداء بعض الجوانب منها يرتبط على نحو دقيق بمستوى الدافعية والعمليات المعرفية لدى الفرد الملاحظ(طه فرج 2005ص54) .

ما هي شروط التعلم الاجتماعي؟

وفقا للنظريات السلوكية، إذا كان الناس يتعلمون أي شيء من نموذج اكتساب المعرفة، فيجب عليهم الانتباه إلى سلوكيات التعلم البشري التي يمكن ملاحظتها في النموذج. هناك أسباب عديدة للاضطراب في انتباه المراقب. على سبيل المثال، إذا كان المراقب مشتقا أو مريضا، فقد لا يتعلم السلوك النموذجي ويقلده في نموذج الفصل الخاص به نظرية باندورا التعلم الاجتماعي.

الانتباه لكي تتعلم، عليك أن تنتبه أي شيء يصرف انتباهك سيكون له تأثير سلبي على التعلم القائم على الملاحظة. إذا كان النموذج مثيرا للاهتمام أو كان هناك جانب جديد للموقف، فمن الأرجح أن تركز اهتمامك الكامل للتعلم (عامود بدرالدين 2001 ص19) **الاحتفاظ:** القدرة على تخزين المعلومات هي أيضا جزء مهم من عملية التعلم يمكن أن يتأثر الاستبقاء بعدد من العوامل، ولكن القدرة على سحب المعلومات لاحقا والتصرف بناءً عليها أمر حيوي للتعلم القائم على الملاحظة. (نظرية باندورا التعلم الاجتماعي) **التكاثف:** بمجرد الانتباه إلى النموذج والاحتفاظ بالمعلومات، فقد حان الوقت بالفعل لأداء السلوك الذي لاحظته ثم تؤدي الممارسة الإضافية للسلوك المكتسب إلى التحسين وتطوير المهارات. وينطبق هذا القول المأثور الممارسة تجعلها مثالية.

الدافع: أخيرا، لكي يكون التعلم القائم على الملاحظة ناجحًا، يجب أن يكون لديك الدافع لتقليد السلوك الذي تم تصميمه، حيث يلعب التعزيز والعقاب دورًا مهمًا في التحفيز كما يجب أن يكون الطالب قادرًا على رؤية فائدة السلوك الجديد للاستيعاب على المدى الطويل. في حين أن تجربة هذه الدوافع يمكن أن تكون فعالة للغاية، لذلك يمكن ملاحظة الآخرين الذين يعانون من نوع من التعزيز أو العقاب. على سبيل المثال، إذا رأيت طالبا آخر يكافأ برصيد إضافي لوجوده في الفصل في الوقت المحدد، فقد تبدأ في الظهور مبكرًا ببضع دقائق كل يوم(زهرا ن حامد 2003 ص47)

المفاهيم الأساسية لنظرية التعلم الاجتماعي:

هناك مفاهيم أساسية في قلب نظرية التعلم الاجتماعي هو فكرة أن الناس يمكن أن يتعلموا من خلال الملاحظة و فكرة أن الحالات العقلية الداخلية هي جزء أساسي من هذه العملية، أخيراً، تدرك هذه النظرية أنه لمجرد أن شيئاً ما قد تم تعلمه، فهذا لا يعني أنه سيؤدي إلى تغيير في السلوك (الدسوقي مجدي 2008 ص67)

أوضح باندورا في كتابه عام 1977 نظرية التعلم الاجتماعي: "سيكون التعلم شاقاً للغاية، ناهيك عن الخطورة، إذا كان على الناس الاعتماد فقط على تأثيرات أفعالهم لإبلاغهم بما يجب عليهم فعله."

يشرح باندورا أنه لحسن الحظ، يتم تعلم معظم السلوك البشري بالملاحظة من خلال مراقبة الآخرين، يشكل المرء فكرة عن كيفية تنفيذ السلوكيات الجديدة، وفي المناسبات اللاحقة، تعمل هذه المعلومات المشفرة كدليل للعمل".

آليات التعلم الاجتماعي:

يرى باندورا (Bandura، 1969) أن التعلم بالملاحظة يتضمن ثلاث آليات رئيسية

هي:

أولاً: العمليات الإبدالية "Reciprocal processes"

وفقاً لهذه الآلية ليس بالضرورة أن يتعرض الفرد مباشرة إلى الخبرات المتعددة كي يتعلمها، ولكن يمكن له ملاحظة النماذج المختلفة وهي تمارس مثل هذه الخبرات. فالنتائج التعزيزية أو العقابية الناجمة عن سلوك النماذج تؤثر على نحو بديلي في عملية التعلم. ومن الأمثلة عليها الخوف من بعض الأشياء كالحوانات والحشرات وغيرها من الأحداث.

ثانياً: العمليات المعرفية "Cognitive Processes"

يرى باندورا أن عمليات التعلم للأنماط السلوكية من خلال الملاحظة لا تتم على نحو أوتوماتيكي، فمثل هذه العمليات تتم على نحو انتقائي وتتأثر إلى درجة كبيرة بالعديد من العمليات المعرفية لدى الفرد الملاحظ، مثل الاستدلال والتوقع والقصد (الزغبى احمد 2003 ص54).

ثالثاً: عمليات التنظيم الذاتي "Self-Regularity Processes"

يشير هذا المبدأ إلى قدرة الإنسان على تنظيم الأنماط السلوكية في ضوء النتائج المتوقعة منها.

التعلم من خلال الملاحظة

هي بما يسميها أيضا باندورا التعلم بالمحاكاة ويقترح على الأقل ثلاثة أنواع من آثار هذا التعلم بالملاحظة:

1- تعلم سلوكيات جديدة عندما يقوم النموذج بأداء استجابة جديدة فإن الملاحظ يحاول تقليدها، والنموذج ليس بالضرورة أن يكون حيا حقيقيا، بل يكون في التمثيلات التصويرية، والرمزية الموجودة في الأساطير والكتب والأفلام والحكايات الشعبية وغيرها، كل ذلك يقوم بوظيفة النموذج الحي.

2- الكف والتحرير : ملاحظة النموذج تؤدي إما إلى تحرير بعض الاستجابات التي كانت متاحة من قبل في رصيد الشخص الملاحظ وإما إلى الكف وتجنب أداء بعض السلوكيات.

3- تسهيل ظهور استجابات هي الاستجابات التي تقع في حسيطة الملاحظ السلوكية فالأمر لا يستدعي اكتساب استجابة جديدة بل يساعد على إزالة الخوف ومنع الكف.

والواقع أن آثار النماذج لا تقتصر على مجرد المحاكاة علما أن عمليات الانتباه لها محددات والإنسان لا ينتبه لكل الحوادث التي تحصل في الحياة. ووفقا لما قاله باندورا هناك على الأقل متغيران رئيسيان، بالإضافة إلى الدافعية، يؤثران على هذه العملية. الأول يرتبط بخصائص النموذج، ويرتبط الثاني بخصائص الفرد الملاحظ .

فالنماذج التي تهتم بحاجات الأشخاص الذين يقومون بالملاحظة، والتي تقدم غالبا مكافأة لهؤلاء الملاحظين هي التي يتم انتقاؤها من قبل الملاحظ، بينما يجري تجاهل تلك النماذج التي تنقصها مثل هذه الخصائص، ونتيجة لذلك فإن الأفراد الملاحظين لا بد من أنهم يتعلمون بالملاحظة من النوع الأول أكثر من النوع الثاني.

وخاصية أخرى من خصائص الأشخاص الملاحظين التي تؤثر على الانتباه هي مستوى النمو (فالأطفال الأكبر سنا لديهم مدى إنتباه أطول من الأطفال الأصغر سنا.

وبالإضافة لذلك فالأطفال الأكبر سنا قد يعرفون متى يمتنعون ومتى لا يمتنعون للنموذج (عبدالمعطي مصطفى 2001 ص44)

تضمنت إحدى أشهر التجارب في تاريخ علم النفس دمية تدعى بوبو أثبت باندورا أن الأطفال يتعلمون ويقلدون السلوكيات التي لاحظوها لدى الآخرين. (نظرية باندورا التعلم الاجتماعي)

لاحظ الأطفال في دراسات باندورا أن شخصا بالغاً يتصرف بعنف تجاه دمية بوبو. عندما سمح للأطفال لاحقاً باللعب في غرفة مع دمية بوبو، بدأوا في تقليد الأفعال العدوانية التي لاحظوها سابقاً. (نظرية باندورا التعلم الاجتماعي)
حدد باندورا ثلاثة نماذج أساسية للتعلم القائم على الملاحظة:
النموذجي، يتضمن فرداً فعلياً يُظهر سلوكاً أو يتصرف به.

نموذج رمزي، يتضمن شخصيات حقيقية أو خيالية تعرض سلوكيات في الكتب أو الأفلام أو البرامج التلفزيونية أو الوسائط عبر الإنترنت. نموذج تعليمي لفظي يتضمن أوصافاً وتفسيرات للسلوك. كما ترى، لا يتطلب التعلم القائم على الملاحظة بالضرورة مشاهدة شخص آخر للمشاركة في نشاط ما يمكن أن تؤدي التعليمات السمعية الشفهية، مثل الاستماع إلى بودكاست إلى التعلم ويمكننا أيضاً التعلم من خلال القراءة أو الاستماع أو مشاهدة تصرفات الشخصيات في الكتب والأفلام (نظرية باندورا التعلم الاجتماعي)
أصبح هذا النوع من التعلم القائم على الملاحظة مصدرًا مثيرًا للجدل حيث يناقش الآباء وعلماء النفس تأثير وسائط الثقافة الشعبية على الأطفال يشعر الكثير بالقلق من أن الأطفال يمكن أن يتعلموا السلوكيات السيئة مثل العدوانية من ألعاب الفيديو العنيفة والأفلام والبرامج التلفزيونية ومقاطع الفيديو عبر الإنترنت (الخطيب جمال 2013 ص111)
نظرية باندورا التعلم الاجتماعي وتطبيقاتها التربوية:

تلعب نظرية التعلم الاجتماعي دور هاماً في النواحي التربوية التطبيقية مثل
1- إدارة الفصل الدراسي: يمكن للمدرسين استخدام التعزيز الإيجابي والسلبي لتحفيز الطلاب على أداء سلوكيات معينة (أي الإشادة اللفظية بالطالب الذي يظل في مهمة أو يشارك أو يظهر مستعداً للتعلم على أساس ثابت).

- 2- إجراء انتقالات أو توضيحات: يمكن للمدرسين استخدام الإشارات الجسدية أو اللفظية لجذب انتباه الطلاب أي بدء الاتصال والاستجابة، أو استخدام إشارة يدوية، أو الإشارة ليثي ما. (نظرية بانديورا التعلم الاجتماعي)
- 3- التخطيط للتدريس يجب على المعلمين دمج التعلم متعدد الوسائط لمساعدة الطلاب على الاحتفاظ بالمعلومات الجديدة أي تقديم محتوى جديد من خلال الأنماط المرئية والسمعية والحركية).
- 4 - دعم التحفيز الداخلي: يمكن للمدرسين استخدام المكافآت والتعزيزات لمساعدة الطلاب على تنمية الثقة والكفاءة الذاتية وحب التعلم أي تقديم الثناء اللفظي أو التغذية الراجعة البناءة فيما يتعلق بتتبع التقدم وتحديد الأهداف). (نظرية بانديورا التعلم الاجتماعي)
- 5- دمج التعلم التعاوني: يمكن للمدرسين تخصيص وقت في كل درس للطلاب الممارسة والتعلم مع طلاب متنوعين (نماذج) في أنشطة منخفضة المخاطر. نحن نعلم أن الطلاب يهتمون بأصدقائهم وأقرانهم أكثر من اهتمامهم بالبالغين الآخرين.
- 6 - تجربة نموذج الفصل الدراسي المعكوس في هذا النموذج، يشاهد الطلاب مقطع فيديو أو درساً في المنزل ويلاحظون سلوكيات الآخرين أثناء أنشطة التعلم في الفصل الدراسي من خلال التعزيز، يمكن للطلاب تطبيق الملاحظات على تعلمهم.
- 7- عندما يكون لدى المعلمين معرفة شاملة بكيفية عمل التعلم الاجتماعي، يمكنهم استخدام مبادئه الأربعة في جميع مناطق الفصل لتضخيم النتائج الإيجابية لطلابهم.
- 8- تساعد عملية التعلم بالملاحظة و التقليد في تعلم العادات الاجتماعية أي ثقافة المجتمع وإكساب اللغات.
- 9- وتساعد على مراجعة أساليب نماذج السلوك والتنشئة الاجتماعية ومراجعة الأدب التربوي والنفسي والانتباه لأهمية وتنوع مصادر المعرفة سواء بالنسبة للمتعلم أو المعلم ذاته باختيار النصوص التربوية مثلاً والشخصيات التاريخية المدروسة ومآثرها
- 10- التعلم بالملاحظة يساعد على إكساب سلوكيات جديدة نتيجة ملاحظة النماذج التي يعيشها التلميذ سواء من خلال الزملاء أو المعلمين أو النماذج التي يقرأ عليها في النصوص

المدرسة مثلا ويشاهدها في الأفلام والأقراص المضغوطة، ولذا فمراقبة هذه النماذج يعتبر أمرا مهما لكل من يقف عمله على التربية والتعليم (داود عزيز 1981 ص 65) سلبيات وإيجابيات نظرية التعلم الاجتماعي؟

النظرية التعلم الاجتماعي مجموعة من الايجابيات والسلبيات وسنتناول الآن جميع السلبيات والإيجابيات الخاصة بالنظرية، هدفنا من هذه المقالة إمداد الباحثين العلميين بمعلومات وافية عن نظرية التعلم الاجتماعي وذلك في حالة إعدادهم لبحث حول نظرية التعلم، وبإمكاننا مساعدتهم كذلك في إعداد خطة بحث مكتملة العناصر (نظرية باندورا التعلم الاجتماعي)

أولا إيجابيات النظرية:

- 1- المساعدة الكبيرة في تعلم السلوك الإبداعي لأن النظرية تهدف إلى عرض مجموعة كبيرة من النماذج التي يعمل الفرد على استخلاص أهم السلوكيات منها. (نظرية باندورا التعلم الاجتماعي)
- 2 - تعتبر نظرية التعلم الاجتماعي من النظريات الممتدة من حيث الأثر في جميع الأوساط التعليمية.
- 3 النظرية دور كبير في تفسير طريقة التعلم التي يمارسها الأفراد بشكل عام.

ثانيا سلبيات النظرية:

- 1 - من أهم السلبيات الخاصة بالنظرية عدم تقديمها فكرة تتسم بالوضوح عن طريقة تحويل السلوكيات.
- 2- تجاهلت النظرية بشكل كبير اختلاف كل فرد عن الآخر.
- 3 - فسرت النظرية السلوك الإنساني دائما أنه يعتمد اعتمادا كلياً على الظروف البيئية (زهرا حامد 2003 ص 47)

النتائج:

1. تختلف نظم التعليم باختلاف البيئات فكل بيئة ترتبط او تتعلق بنظام تعلم خاص بها .
2. يعتمد التعليم الحقيقي على القدرة للمتعلم على اكتساب المعرفة والتدفق المعلوماتي عبر وسائل متعددة من نظم الملاحظة والتجريب والاشتراط والمشاركة والتحفيز والدعم وهي نظم مهمة عند وضع منهجية مناسبة للمرحلة العمرية والبيئة التعليمية .
3. تعتبر نظرية التعلم الاجتماعي هامة في إدارة الفصل الدراسي بحيث يمكن للمدرسين استخدام التعزيز الايجابي والسلبى لتحفيز الطالب على أداء سلوكيات معينة أي الإشادة اللفظية بالطالب الذي يظل في مهمة او يشارك او يظهر مستعدا للتعلم على أساس ثابت.
4. تعتبر نظرية التعلم الاجتماعي من النظريات المعتمدة من حيث الأثر في جميع الأوساط التعليمية فتجد أنها تساعد عملية التعلم بالملاحظة والتقليد في تعلم العادات الاجتماعية أي ثقافة المجتمع واكتساب اللغات.
5. تعتبر نظرية التعلم الاجتماعي هامة في المساعدة الكبيرة في تعلم السلوك الابداعي وذلك ان النظرية تهدف الي عرض مجموعة كبيرة من النماذج التي يعمل الفرد على استخلاص اهم السلوكيات منها.
6. ان أسس التعلم بالملاحظة تتطوي على خصائص الأشخاص الملاحظين التي تؤثر على الانتباه هي مستوى النمو فالأطفال الأكبر سنا لديهم مدى انتباه أطول من الأطفالالأصغر سنا.
7. عملية تعديل وتغيير سلوك المتعلم بشكل نسبي عن طريق المحاولة والتدريب ويكون التعليم بدافع شخصي ورغبة شخصية في اكتساب المعارف والمهارات المختلفة والرقي والتطوير وما تقدمه النظريات في المساعدة في زيادة الدافعية الايجابية

التوصيات :

- 1- ضرورة الربط العلمي بين النظريات الخاصة بالتعليم النفسي والبيئة المدرسية .
- 2- تحقيق الجانب التطبيقي للسادة واضعو المناهج والمعلمين لتك النظريات.
- 3- تعلم السلوك الإبداعي وذلك لان النظرية تهدف الى عرض مجموعة كبيرة من النماذج التي يعمل الفرد على استخلاص أهم السلوكيات منها.
- 4- زيادة الأبحاث التربوية الجادة حول نظريات التعلم وزيادة نشر الأوراق العلمية التي تتفق مع هذا المضمون .
- 5- العمل على المساعدة على دمج الأبحاث مع أبحاث التربية الخاصة للاستفادة بها في هذا المجال

الخاتمة:

ان مقومات عملية التعليم يمثل فيها الجزء النفسي المكون الأكبر والمحفز الأساسي للجانب العصبي وحظيت كافة التجارب الخاصة بالجوانب التربوية المتعلقة بعملية التعلم على قياسات نفسية متعددة لأجل الوصول لمفاهيم تتعلق بخصائص التعلم حيث يتعلم الفرد طرقا جديدة في التفكير و الشعور، وطرقا جديدة في التكيف مع بيئته، ويتضمن التعلم اكتساب سلوكا جديدا أو تعديل السلوك القديم. إن وجه الشبه الرئيسي بين مختلف مواقف التعلم هو أن سلوك الإنسان تطرأ عليه تغيرات معينة نتيجة الخبرة أو الممارسة أو التدريب، قد اختلف علماء النفس في وضع تعريف معين للتعلم، وذلك بسبب أن التعلم لا يمكن ملاحظته مباشرة، ويعرف التعلم أنه عملية تعديل وتغيير في سلوك المتعلم بشكل نسبي عن طريق المحاولة والتدريب، ويكون التعلم بدافع شخصي ورغبة شخصية في اكتساب المعارف والمهارات المختلفة والرقي والتطوير، ويكون هذا المتعلم هو نفسه المعلم، ولا يعتمد على أشخاص غيره، ويكون اعتماده الكلي على نفسه في عملية التعلم ووضع عدد من العلماء عدد من النظريات للتعلم من خلال فروض تم إتباعها ومعطيات نظرية تمثلت في عدد من المحددات مثل الملاحظة والتجريب والاشتراط والمشاركة والتحفيز والدعم وخلافه حيث كانت من أهم تلك النظريات نظرية الاشرط الكلاسيكي لبابلوف ونظرية التعلم الاجتماعي لباندورا.

المراجع:

1. بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين (ج 1)، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2001م.
2. صالح محمد علي أبو جادو، علم النفس التربوي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان، الطبعة الأولى، 1998م.
3. عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون : علم النفس التربوي، دار الأمين للطباعة والنشر . القاهرة 1997م.
4. عدنان يوسف العلوم وآخرون، علم النفس التربوي النظرية والتطبيق، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2005 م.
5. مصطفى ناصف نظريات التعليم، دراسة مقارنة ج.2 ترجمة على حسين حجاج، عالم المعرفة 1986م.
6. محمد خليفة بركات 1995 (علم النفس التعليمي)، دار القلم الكويت.
7. فرج عبد القادر طه، 2005، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الطبعة الثالثة.
8. مجدى محمد الدسوقي، 2008 دراسات في الصحة النفسية، المجلد الثاني، القاهرة، مكتبة الأنجلو الأمريكية.
9. مجدي احمد محمد عبدالله 2006. الاضطرابات النفثة الأطفال، الاعراض والأسباب والعلاج جمهورية مصر العربية دار المعرفة الجامعية.
10. حامد عبد السلام زهران (2003) دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي عالم الكتب.
11. 11-أحمد محمد الزعبي (2005): مشكلات الأطفال النفسية والسلوكية والدراسية، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق الطبعة الأولى من 54-55.
12. مصطفى عبد المعطي (2001) الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة"، القاهرة، دارالقاهرة للنشر والتوزيع ص 44.
13. جمال الخطيب (2013)، التعديل السلوك الانساني " دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ص 111.

14. عزيزداود (1981) دراسات وقراءات نفسية وتربوية القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
15. الزغلول عماد عبدالرحيم، 2012، مبادئ علم النفس التربوي، دار الكتاب الجامعي دولة الامارات العربية المتحدة|.

المراجع الأجنبية

- 1-Bennett, E. L., & Calvin, M. Failure to train Planarians reliably. Neurosciences Research Program Bulletin, 1964, 2, 3-24.
- 2-Bekhterev, V. M. Die Anwendung der Methode der motorischenAssoziations-reflexezueAufdeckung der Simulation. ZeitGes. Neurological Psychiatry, 1912, 13, 183-181.
- 3-Bekhterev, V. M. La psychologic objective, Paris: Alcan, 1913. Bekhterev, V. M. General principles of human reflexology. New York: International Universities Press, 1932.
- 4-Breland, K., &Breland, M. The misbe-havior of organisms. American Psycholo-gist, 1961, 16, 681-684. Brown, B. B. New mind, new body, New York: Harper & Row, 1974.
- 5-Cautela, J. R. Covert sensitization. Psycho-logical Record, 1967, 20, 459. 468. Champion, R. A. Stimulus-intensity effects in response 6- evocation. Psychological Re-view, 1962, 69, 428-449.
- 6-R., & MacMillan, O. K. The origins of behavior modification with ex- ceptional children. Exceptional Children, 1970, 37, 93-100.
- 7-Fredrikson, M., &Ohman, A. Electrodermal responses conditioned to fear- relevant stimuli. Psychophysiology, 1979, 16, 1-7.

تطوير التنظيم الإداري في ظل أبعاد التنمية المستدامة دراسة نظرية حول واقع المنظمات الليبية

د. صلاح محمد المختار سويسي

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - صرمان - جامعة صبراتة

"

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة الي التعرف علي تطوير التنظيم الإداري في ظل أبعاد التنمية المستدامة، كما اعتمدت مشكلة الدراسة علي التساؤل التالي: ما آليات تطوير التنظيم الإداري وأبعاد التنمية المستدامة؟ كما تهدف الدراسة إلى: (بيان الإطار المفاهيمي للتنظيم الإداري، والكشف عن أبرز ملامح التطوير الإداري، وتحديد آليات تطوير التنظيم الإداري علي ضوء أبعاد التنمية المستدامة)، وكما تنبع أهمية الدراسة من خلال العناصر التالية: (أهمية التنمية بصفة عامة والتنمية المستدامة بصفة خاصة، والارتباط القوي بين التنظيم الإداري والتنمية المستدامة، وكذلك الحاجة الملحة لتطوير التنظيم الإداري والتغيرات المجتمعية المعاصرة)، وقد توصلت الدراسة الي مجموعة من النتائج كان أهمها ما يلي: (تعدد أهداف التنظيم الإداري، وإمكانية تطوير التنظيم الإداري، ونظرا لوقوع التنمية المستدامة عند نقطة الالتقاء بين البيئة والاقتصاد والمجتمع، فهي تتطلب تغييراً في محتوى النمو، بحيث يصبح أقل مادية واستخداماً للطاقة، وأكثر عدالة في تأثيراته، لذلك فإن أي برنامج ناجح للتنمية المستدامة لابد له أن يحقق التوازن والانسجام بين هذه الأبعاد الثلاثة).

كما خلصت الدراسة إلى عدد من التوصيات أهمها (ضرورة الاستفادة من التجارب الحديثة في مجال التنظيم الإداري، والاستفادة من التجارب الناجحة في مجال التنمية المستدامة، وضرورة تكاتف جميع الأجهزة والهيئات والمنظمات داخل المجتمع وتكاملها من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وضرورة تفاعل مفاهيم ونظريات هذه المدارس مع البيئة والتوازن معها، حتى تتوافق والجوانب الإدارية لها مع الأبعاد الخاصة بالتنمية المستدامة).

This study aimed to identify the development of administrative organization in light of the dimensions of sustainable development.

The problem of the study was based on the following question:

What are the mechanisms for developing administrative organization and the dimensions of sustainable development?

The study also aims to:

(Explaining the conceptual framework of administrative organization, revealing the most prominent features of administrative development, and identifying mechanisms for developing administrative organization in light of the dimensions of sustainable development).

The importance of the study stems from the following elements:

(The importance of development in general and sustainable development in particular, and the strong link between administrative organization and sustainable development, as well as the urgent need to develop administrative organization and contemporary societal changes).

The study reached a set of results, the most important of which were the following:

(The multiple goals of administrative organization, and the possibility of developing administrative organization, and given that sustainable development occurs at the intersection between the environment, economy, and society, it requires a change in the content of growth, so that it becomes less materialistic and energy-intensive, and more equitable in its effects. Therefore, any successful program for sustainable development must to achieve balance and harmony between these three dimensions.

The study also concluded a number of recommendations, the most important of which are:

(The need to benefit from modern experiences in the field of administrative organization, and to benefit from successful experiences in the field of sustainable development, and the need for all agencies, bodies and organizations within society to intensify and integrate in order to achieve sustainable development, and the need for the concepts and theories of these schools to interact with the environment and balance with it, so that they are compatible with the administrative aspects. It has dimensions of sustainable development).

المقدمة:

تعيش مجتمعات اليوم عصر التغيير المتسارع، في كل مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، بفضل المبتكرات التكنولوجية الحديثة، خاصة تكنولوجيا المعلومات حيث أصبح العالم اليوم يعيش عصرًا يسمى بعصر المعلومات (Information)، ثم عصر ما بعد الصناعة، ثم عصر المعرفة (Knowledge Age)، وأخيراً أطلق عليه عصر العولمة (Globalization).

وقد تغيرت النظرة إلى الإدارة من النموذج البيروقراطي نحو نماذج جديدة للقيادة تدعو إلى سلوكيات وأنماط أداء جديدة، خصوصاً بعد أن تزايدت الأعباء الإدارية في ظل تسارع التغيير وثورة المعلومات، مما استلزم التوجه نحو زيادة أعباء مهام وأنشطة القيادة الأكاديمية وفقاً لمستجدات المضامين الجديدة للعمل الأكاديمي وما يستلزم من الخصوصية في الأداء الاستراتيجي، ويعد التطوير التنظيمي من أهم المداخل الحديثة والتطبيقات الرئيسة المستخدمة في تحقيق هذا التوجه، بغرض تجديد العمليات التنظيمية من خلال التركيز على الثقافة التنظيمية والسلوك التنظيمي والهيكل التنظيمي وإجراءات وطرق العمل (ادريس ثابت، المدخل الحديث في الإدارة العامة، 2001م، ص55).

كما يقترن بالتغيير، حيث يعد التطوير التنظيمي أسلوباً لزيادة فاعلية المؤسسة وإنتاجيتها، حيث لا يستخدم لمواكبة التغيرات والتجديدات فحسب، وإنما لمواكبة التغييرات المتوقع حدوثها في مستقبل المنظمة وترتكز التنمية المستدامة على ثلاثة عناصر أساسية

هي (الاقتصاد والمجتمع والبيئة) لذلك فإن أي برنامج ناجح للتنمية المستدامة لابد له أن يحقق التوازن والانسجام بين هذه العناصر.

التنمية المستدامة قامت على حقيقة مؤداها أن التنمية لا يجب أن تتجاوز الممكن بيئياً، هذا بالإضافة إلى ضرورة تكامل البعد البيئي والبعد الإنساني والبعد التكنولوجي في إحداث عملية التنمية، لكي تسعى إلى تحقيق التوازن بين النظام البيئي والاقتصادي والاجتماعي، وتسهم في تحقيق أقصى قدر ممكن من النمو والارتقاء في كل نظام من الأنظمة الثلاثة البيئية والاقتصادية والاجتماعية دون أن يتم التركيز على نظام منها على حساب الأنظمة الأخرى (التميمي رعد، العولمة والتنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، 2008م).

مشكلة الدراسة:

إذا كانت التنمية المستدامة تعني ذلك الحد الأمثل من التداخل بين أبعاد مختلفة اقتصادية وبيئية واجتماعية التي تمثلت في زوايا الإطار النظري أو وجهات النظر المختلفة التي تفاعلت فيما بينها، كان من الضروري استنباط آليات ناجحة للمحافظة على تلك الموارد وإعادة تأهيل الفاقد منها، ولما كان الإنسان هو حجر الزاوية في كل ما يتعلق بهذا الكون، كان من الضروري الاهتمام به وتطويره من كل الجوانب ليؤدي الدور المطلوب منه على أكمل وجه، وفي محاولة للحصول على تشخيص للعلاقة بين التنظيم الإداري والتنمية المستدامة، ومن خلال ما سبق يمكن تشخيص مشكلة الدراسة في وصف للتنظيم والتطوير الإداري في مؤسسات الدولة الليبية ويمكن وضع المشكلة في صورة التساؤل التالي :

- ماهي آليات تطوير التنظيم الإداري في ظل أبعاد التنمية المستدامة؟

أهداف الدراسة:

- 1- بيان الإطار المفاهيمي للتنظيم الإداري.
- 2- الكشف عن أبرز ملامح التطوير الإداري.
- 3- تحديد آليات تطوير التنظيم الإداري في ضوء أبعاد التنمية المستدامة؟

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من الاعتبارات التالية:

- 1- أهمية التنمية بصفة عامة والتنمية المستدامة بصفة خاصة.
- 2- الارتباط القوي بين التنظيم الإداري والتنمية المستدامة.
- 3- الحاجة الملحة لتطوير التنظيم الإداري والتغيرات المجتمعية المعاصرة.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي، حيث إنها الأنسب لتحقيق أهدافها.

المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في الدراسة:

مفهوم التنظيم الإداري: يقصد به البناء أو الهيكل العام للإدارة الذي يحدد العلاقات الرسمية المختلفة في الإدارة ويوزع المهام والمسؤوليات على الأفراد فيها، من حيث اتخاذ القرارات وحجم المنظمة وتفويض السلطة.

مفهوم التنمية المستدامة: يعرف "علي ليلة" التنمية المستدامة بأنها: " نموذج للتنمية الذي يستطيع من خلاله أفراد المجتمع تنمية أنفسهم ومؤسساتهم بالطريقة التي تجعلهم قادرين على تعبئة مواردهم لإحداث تحسين مستمر في نوعية الحياة التي يعيشونها بمختلف جوانبها، أي هي تنمية اجتماعية اقتصادية سياسية ثقافية بيئية تعتمد على عوامل اجتماعية مؤسسية" (ليله، دور المنظمات الأهلية في مكافحة الفقر، 2002م).

مفهوم التطوير التنظيمي: هو عملية متكاملة شاملة لجميع جوانب المنظمة (الأفراد، جماعات العمل، التنظيم نفسه)، بحيث يمكنها من الانتقال التدريجي الشامل من الوضع القائم إلى الحالة المستهدفة خلال فترة زمنية معينة، وذلك في إطار كلي من الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة للمؤسسة والمناخ التنظيمي وأيضاً البيئة المحيطة بها، كما تمكنها من مواجهة متطلبات التغيير بكافة أنواعها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والمعلوماتية (محمد مصطفى، وآخرون، نحو نموذج تطوري للجامعات العربية).

الدراسات السابقة:

- 1- دراسة محمد يوسف الشيخ نور الهادي (2015) (نور الهادي، أثر التنظيم الإداري على أداء العاملين، 2015م). وهدفت الدراسة إلى تحديد مفهوم التنظيم الإداري وتحليل

واقع أثر التنظيم الإداري على أداء العاملين بشركة دانفوديو للمقاولات والطرق والجسور والتعرف على المشكلات التنظيمية التي تواجه أداء العاملين بالشركة مع تقديم الحلول المناسبة، ولتحقيق ذلك تم تصميم استبانة اشتملت على (16) فقرة، أما عينة الدراسة تكونت من (147) مفردة تم اختيارهم عن طريق العينة القصدية، وقد تبين من الدراسة أن شركة دانفوديو للمقاولات والطرق والجسور قد حرصت على تقديم تنظيم إداري نموذجي يهتم في المقام الأول بالبناء الرسمي للشركة وتنسيق الأعمال فيها، بواسطة استخدام السلطات والصلاحيات المقررة في مجلس الإدارة، وعملت الشركة على تقييم أداء العاملين بها في مجموعة من الإجراءات التنظيمية التي تعد على أساس دوري منتظم مما ساعد ذلك على تحقيق أهداف الشركة بصورة عامة، واستنتجت الدراسة أن التنظيم الجيد يسهم في تحقيق التناسق بين مختلف الأنشطة والأعمال التنظيمية بالمنظمة، وتوصى الدراسة ببيت الثقافة التنظيمية وسط العاملين، والاهتمام بالتقييم والمتابعة وتطوير أساليبها، والاهتمام بالمناخ التنظيمي المناسب الذي يوفر للعاملين الفرص المناسبة لتطبيق الأفكار والأساليب الجديدة في العمل.

2- دراسة محمد يوسف مرسى نصر (2014) (نصر، المناخ التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي، 2014م العدد159). وهدفت الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين المناخ التنظيمي وفقاً لأبعاد (الهيكل التنظيمي، القيادة، مشاركة أعضاء هيئة التدريس في تطوير الأداء بالكلية، طبيعة العمل، وسائل التكنولوجيا المستخدمة في الكلية) ومستوى الأداء الوظيفي لأعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم في مجالات (التدريس، البحث العلمي، خدمة المجتمع) بكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها، والكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين استجابات أفراد مجتمع الدراسة حول أبعاد المناخ التنظيمي، ومجالات الأداء الوظيفي تبعاً لمتغير الوظيفة (عضو هيئة تدريس/هيئة معاونة)، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي لتحقيق أهدافها من خلال استبانة طبقت على جميع أفراد مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم بكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج منها: وجود علاقة ارتباطية إيجابية قوية وذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) بين الدرجة الكلية للمناخ

التنظيمي السائد بكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها والدرجة الكلية للأداء الوظيفي لأعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم، إفادة مجتمع الدراسة الي أن المناخ التنظيمي السائد بكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها ذو طبيعة متماسكة الأبعاد بدرجة إجمالية كبيرة، وجاء في المرتبة الأولى بعد طبيعة العمل بدرجة كبيرة جداً، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($0,05 \leq$) بين استجابات مجتمع الدراسة حول الدرجة الكلية لمحور المناخ التنظيمي، والدرجة الكلية لمحور الأداء الوظيفي تبعاً لمتغير الوظيفة لصالح فئة أعضاء هيئة التدريس.

3- دراسة حنان اسماعيل (2008م) (اسماعيل حنان، التطوير التنظيمي للمؤسسة الجامعية، 2008م، عدد 22). بعنوان: التطوير التنظيمي للمؤسسة الجامعية باستخدام بحوث الفعل، دراسة تحليلية إلى طبيعة بحوث الفعل من منظور الفكر التنظيمي المعاصر، وانعكاساتها على التغيير المخطط بالمؤسسة الجامعية، ومساعدة المؤسسة الجامعية على التطوير التنظيمي لتغيير النظام، التعرف على بعض التوجهات المستقبلية لتطوير المؤسسة الجامعية في ضوء عمليات بحث الفعل، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: طرح بعض التوجهات المستقبلية لتطوير المؤسسة الجامعية في ضوء عمليات بحث الفعل، وضرورة الأخذ بمبدأ التغيير المخطط بالمشاركة، والتأكيد على نشر ثقافة بناء فريق العمل، وتحويل المؤسسة الجامعية إلى منظمة تعلم، وتحويل وظيفة الجامعة من فعل البحث إلى بحث الفعل.

4- أجرت (Cusick, Anne 2005) دراسة بعنوان: التطوير التنظيمي ودوره في تسهيل عملية الامتثال التنظيمي (anne, organizational development, 2005, vol, 26, no2).

تم فيها التعرف على كيفية تطبيق التطوير التنظيمي في تسهيل التجاوب والامتثال للأنظمة والقوانين المعدة من قبل الوكالة الخارجية لإدارة الجامعة، حيث تم بحث هذا الموضوع من خلال مشروع عمل طبق على 2000 طالب و150 من أعضاء هيئات التدريس ممن لهم تعامل مباشر مع هذه القواعد والأنظمة بالجامعات الأسترالية، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: أن تغيير الوكالات ومركزية القيادة العليا للمشروع قد أعطى وسائل عملية لدعم التطوير التنظيمي بنجاح، وأن التطوير التنظيمي يكون أفضل من

حيث تطوير الحرم الجامعي من خلال الاستخدام المتعدد والمتبادل للأنظمة في نفس الوقت، وإيجاد بيئة تنظيمية مركبة في الجامعة، وأن التطوير التنظيمي يطور ويحسن ليكون فاعلاً ومؤثراً من حيث إيجاد تغييرات كبيرة في الأنظمة الفرعية الأخرى، خاصة الهيكلية والتكنولوجية.

5- دراسة عبدالعزيز عبدالله الغامدي (2005م) (الغامدي، القيم التنظيمية، 2005م) .

التي هدفت إلى معرفة القيم التنظيمية التي يؤمن بها المديرون والمشرفون التربويون فيما يتعلق بأسلوبهم في إدارة الإدارة، إدارة المهمة، إدارة العلاقات، إدارة البيئة، والتعرف على مدى وجود فروق بين القيم التنظيمية التي يعتقدونها المديرون والمشرفون التربويون يمكن أن تعزى لمتغير الجنس (ذكر/ أنثى)، والمستوى الوظيفي (مدير/مشرف)، وموقع الإدارة التعليمية، وأجريت الدراسة على المديرين والمشرفين التربويين في إدارات التربية والتعليم بمنطقة مكة المكرمة والبالغ عددهم (328) مديراً ومشرفاً، وطبق عليهم المقياس الذي أعده ديف فرانسيس ومايك وودكوك، وكان من أبرز نتائج الدراسة: أن القيم التنظيمية قد جاءت مرتبة على النحو التالي: القوة، الدفاع، القانون، والنظام، العدل، الفاعلية، فرق العمل، استغلال الفرص، الصفوة، الكفاية، التنافس، الاقتصاد، المكافأة، وأن القيم التنظيمية كانت تمارس بإدارات التربية والتعليم بدرجة متوسطة عدا قيمة القوة التي كانت تمارس بدرجة قوية.

مفهوم التنظيم الإداري: عرف (هنري فايول) بأنه: (إمداد المنشأة بكل ما يساعدها على تأدية وظيفتها من المواد الأولية والعدد ورأس المال والأفراد ويستلزم وظيفة التنظيم من المدير إقامة العلاقات بين الأفراد ببعضهم البعض وبين الأشياء مع بعضها البعض) (توفيق، إدارة أعمال مدخل وظيفي، 1986م، ص102).

وتتفق معظم التعريفات على أن التنظيم هو:

1- الترتيب المنسق للأعمال اللازمة لتحقيق الأهداف.

2- تحديد السلطة والمسؤولية المعهود بها إلى الأفراد الذين يتولون تنفيذ هذه الأعمال.

أهمية التنظيم الإداري: يحتوى على التفاصيل المتعلقة بالعمل المطلوب إنجازه لتحقيق الأهداف - يتم فيه تقسيم العمل الكلي للمنظمة إلى أنشطة يمكن أداؤها بالدقة المطلوبة

بواسطة شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص - فيه يتم الربط بين مهام الأفراد في المنظمة بطريقة منطقية وكفاءة - يضع التنظيم آلية لتنسيق أعمال الأفراد بالمنظمة بحيث تعتبر كلاً موحداً ومنسجماً، يراقب التنظيم فعالية المنظمة ويدخل التعديلات اللازمة والمطلوبة للحفاظ على الفعالية أو زيادتها (المقلي، مبادئ الإدارة، 2002م، ص70).

أهداف التنظيم الإداري: لأي تنظيم أهداف يقوم لأجلها لتحقيقها، وحدد بعض العلماء هذه الأهداف في الآتي:

1- يهدف إلى تقسيم العمل إلى مجموعات ووظائف محددة وتحديد خطوط الاتصال فيما بينها.

2- يهدف إلى تحديد المسؤوليات والصلاحيات الضرورية لتحقيق الرقابة.

3- تحديد الاختصاصات والمسؤوليات بطريقة واضحة بالنسبة للوحدات الإدارية والوظائف التي تتكون منها، فيحدد التنظيم لكل قسم أو إدارة العلاقات المتبادلة داخل المنظمة.

4- تحقيق التنسيق بين الوحدات الإدارية والأقسام بالمنظمة والموظفين والعاملين بالمنظمة. **أنواع التنظيم الإداري ومبادئه:** يعتبر التنظيم الوظيفة الثانية من الوظائف الإدارية أو المرحلة الثانية من المراحل الإدارية يجب على الإدارة الاهتمام به ومعرفة أنواعه وأسبابه وإيجابياته وسلبياته، ومبادئه.

أولاً- أنواع التنظيم الإداري: يوجد نوعان من التنظيم هما التنظيم الرسمي وهو تنظيم مقصود لذاته ويقام في المنشأ أو المنظمة لتحقيق أهدافها، أما التنظيم الثاني هو التنظيم غير الرسمي وهو غير مقصود لذاته ابتداءً، ولكنه يظهر لاحقاً وهناك أسباب لظهوره.

1- التنظيم الإداري الرسمي: The Formal Organization: عرف التنظيم الرسمي بأنه هو الذي يهتم بهيكل المنظمة، وتحديد العلاقات بين الأفراد فيها، وتقسيم الأعمال وتوزيع الاختصاصات، وتحديد السلطات والمسؤوليات في المنظمة، ويبين لكل فرد في المنظمة الدور الذي يقوم به والواجبات المطلوب تأديتها، ويسير هذا التنظيم حسب قواعد ومبادئ معينة تعتبر من المقومات الأساسية له مثل مبدأ تقسيم العمل وتساوي السلطة مع المسؤولية ونطاق الإشراف ووحدة الرئاسة وتفويض السلطة (عصفور، أصول التنظيم والأساليب، 1999م، ص27).

ويعتمد التنظيم الرسمي على ثلاثة مكونات أساسية هي: **هيكل المنظمة**، ثم **نظم تشغيلها وإجراءات هذه النظم** المختلفة بالمنظمة وإدارتها وأقسامها ووحداتها المختلفة والنظم الإدارية التي تطبقها من لوائح وقوانين، أما المكون الأساسي الثالث للتنظيم يشمل **التكنولوجيا** بكل محتوياتها وعلى قدرة الكفاءات التنظيمية المختلفة إدارياً وفنياً ومدى تعاونها ومهاراتها في أداء مهامها وتأتي ثمار التنظيم الرسمي بالمنظمة دعماً أو إبطاءً في تحقيق أهداف المنظمة.

2- التنظيم الإداري غير الرسمي: Informal Organization: عرف التنظيم غير الرسمي بأنه علاقات شخصية، أي أنها تتعلق بالعمل مباشرة، ولم تنشأ ابتداءً بموجب القوانين واللوائح، ولم تأخذ حيزاً في الهيكل التنظيمي أو الخريطة التنظيمية القانونية، وإنما نشأت هذه العلاقات لاحقاً لضرورة ملحة ومشكلات طارئة (عبدالرحمن، أصول الإدارة والتنظيم، 1999، ص 27).

ولقد ذكر الأستاذ مدني عبدالقادر أن من الأسباب التي تؤدي إلى نشوء التنظيم غير الرسمي: العوامل الاجتماعية: وهي تتمثل في الحاجة للإشباع الاجتماعي فكلما كان التنظيم يميل إلى حد كبير إلى الرسمية يشجع ذلك على قيام التنظيم غير الرسمي ويمكن للإدارة أن تستغل التنظيم غير الرسمي لتحقيق الأهداف المطلوبة. بالإضافة إلى (الضغوط على العاملين، الروتين والتكرار، والبيئة الخاصة بالعمل).

الهيكل التنظيمي - أبعاده، وأشكاله:

أولاً- الهيكل التنظيمي: يعرف الهيكل التنظيمي بأنه عبارة عن البناء والشكل الذي يحدد التركيب الداخلي للعلاقات السائدة في المنظمة، وذلك مثل الوحدات الرئيسة والفرعية التي تقوم بأنشطة المنظمة المطلوبة وأعمالها لتحقيق الأهداف، ويوضح الهيكل التنظيمي للمنظمة أيضاً أشكال الاتصالات والعلاقات وأنماطها، وهو وسيلة إدارية لتحقيق أهداف المنشأة وليس هو الغاية في حد ذاته (حمود، السلوك التنظيمي، 2002م، ص 60).

ثانياً- أبعاد الهياكل التنظيمية: تعد أبعاد الهياكل التنظيمية مؤشرات يمكن بواسطتها التعرف على الخصائص الداخلية للمنظمات، وبذلك في الأساس عمليات المقارنة بينهما. وقد اختلفت آراء الباحثين في عدد هذه الأبعاد التي ما زالت محلّ النقاش، وهي بشكل عام

تشمل (التخصص، الرسمية، المركزية التعقيد، الشكلية، المعمارية، التقليدية المهنية، نسبة العاملين) فهي التي تحدد نمط الهيكل ومحتواه. وبالتالي تحدد شكل المنظمة، وتختلف هذه الأبعاد عن العوامل المؤثرة على تصميم الهيكل التي تشمل (الحجم، التكنولوجيا، البيئة، الاستراتيجية).

ثالثاً- أشكال الهيكل التنظيمي: تقوم الهياكل التنظيمية على عدد من الأشكال المختلفة التي تسهم في العملية الإدارية ومن بين هذه الهياكل:

1- **الهيكل البسيط:** شكل الهيكل البسيط غالباً ما يتجنب استخدام كل الوسائل الرسمية للهيكل كتقسيم العمل واللامركزية، ولديه قليل من الأفراد الفنيين الاستشاريين وبعض الموظفين المساعدين، وله هرم إداري غير متسع ويتم التجميع إلى أقسام أو وحدات على أساس وظيفي والسلطة في هذا الهيكل مركزية.

2- **هيكل بيروقراطية الآلة:** يتميز بأعمال روتينية التشغيل ومرتفعة التخصص وتكاثر النظام والقواعد والاتصالات الرسمية وكما يتميز بوحدات كبيرة الحجم، وسلطة اتخاذ القرار فيه مركزية، ومن أشكال الهيكل التنظيمي كذلك (البيروقراطية المهنية - الشكل التقسيمي ونسبة البيروقراطية - والموقفية) (عبدالقادر، أساسيات الإدارة المبادئ والتطبيقات الحديثة، 1991م، ص 100).

خطوات بناء التنظيم الإداري، وأسس تجميع الأنشطة، وتقييم أداء العاملين:

أولاً- خطوات بناء التنظيم الإداري: بناء التنظيم لمنظمة جديدة أو بناء تنظيم لمنظمة قائمة يمر بالخطوات التالية: (تحديد أهداف المنظمة، تحديد أوجه الأنشطة المختلفة، تحديد العمليات المطلوبة في كل نشاط وتجميعها في وحدات إدارية، تحديد الوظائف المطلوبة في كل عملية، تحديد واجبات كل وظيفة والمؤهلات المطلوبة في شاغلها، تعيين الأفراد وتكليفهم لأداء واجباتهم، إعطاء السلطات لهؤلاء الأفراد لأداء واجباتهم، توفير الإمكانيات المطلوبة للعمل مثل المكان والآليات والأدوات والمواد، إعداد الخريطة التنظيمية والدليل التنظيمي، وهي شكل من الأشكال البيانية التي توضح بعض الجوانب الهامة في التنظيم، مثل الإدارات الرئيسية والفرعية وعلاقتها ببعضها، والخريطة التنظيمية تعني إيضاح خطوط السلطة الرسمية في المنظمة) (عبدالقادر، المرجع السابق، 1999م، ص 101).

ثانياً- أسس تجميع الأنشطة: إن طريقة تجميع الأنشطة التي تبنى على أسس للتجميع يطلق عليها أحياناً (طريقة بناء المنظمة من أسفل إلى أعلى وبموجبها تبدأ عمليات تجميع الأنشطة والأعمال من القاعدة وتتجه إلى أعلى إلى أن تنتهي في قمة المنظمة). وهناك اختبارات أساسية محددة في تجميع الأنشطة لابد أن تراعى بواسطة المنظمة حتى تحصل منها على أفضل مزيج تنظيمي وهذه الاعتبارات تتمثل في الاستفادة من التخصص، الحصول على التنسيق وضمان إعطاء الاهتمام الملائم للعمل الهام، تسهيل الرقابة وتخفيض التكاليف (عصفور، مرجع سبق ذكره ، 1999م، ص20).

ثالثاً- أداء العاملين: اتجه كثير من التنظيمات في العصر الحالي إلى القيام بتقييم أداء العاملين Appraisal وتوضح دراسة التراث الخاص بإدارة الموارد البشرية مع زيادة الكتابات والأبحاث الخاصة بتقييم الأداء في خلال الأونة الأخيرة. كما أنه يلاحظ تعدد الممارسات الإدارية المتعلقة بتقييم الأداء وتنوعها. غير أنه بصفة عامة يمكن القول إن تقييم الأداء يتمثل في مجموعة الإجراءات التنظيمية التي تتطلب تقييمات مكتوبة عن العاملين والتي تعد على أساس دوري منتظم (بدر، 26 يونيو 2009م).

مفهوم أداء العاملين: يعتبر نظاما يستخدم لقياس الأداء الوظيفي للعاملين من خلال مقارنة الأداء الفعلي بالمقاييس والمعايير المحددة مسبقاً. ويعتبر تقييم الأداء أحد الركائز الحاكمة والمؤثرة على مجالات التطوير، والتنمية لمختلف المستويات التخطيطية الخاضعة للتقييم (مستوى الفرد - مستوى المنشأة) فتطوير الفرد وتنمية قدراته لن يأتي إلا من خلال متابعة أدائه الفعلي والتأكد من استمراريته في تنفيذ حجم الأعمال والواجبات والمهام المسندة إليه (الحسين، وآخرون، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، 1992م، ص33).

محددات الأداء :

الأداء الوظيفي، هو الأثر الصافي لجهود الفرد التي تبدأ بالقدرات، وإدراك الدور أو المهام يعني هذا أن الأداء في موقف معين يمكن أن ينظر إليه على أنه ناتج للعلاقة المتداخلة بين كل من: (1) الجهد (2) القدرات (3) إدراك الدور (المهام). ويشير الجهد الناتج من حصول الفرد على التدعيم (الحوافز) إلى الطاقة الجسمانية والعقلية التي يبذلها

الفرد لأداء مهمته. أما القدرات فهي الخصائص الشخصية المستخدمة لأداء الوظيفة (حسن، إدارة الموارد البشرية، 2005م، ص100).

الغرض من تقييم الأداء: تقوم المنظمات باستخدام أنظمة لتقييم أداء العاملين، وذلك لأن هذه الأنظمة توفر معلومات مفيدة للمنظمة وعلى الأخص للإدارة المسؤولة عن الأفراد والموارد البشرية التي يمكنها أن تستخدم هذه المعلومات لعدة أغراض أهمها ما يلي: (تقديم معلومات للعاملين أنفسهم عن جودة وكفاءة أدائهم لأعمالهم، وذلك للمعرفة ولتحسين الأداء إلى الأفضل - تحديد زيادة الأجر، والمكافآت، والعلاوات التي يمكن أن يحصل عليها الفرد وذلك كنوع من المقابل للأداء - تحديد تناسب الوظيفة الحالية للفرد، وتحديد إمكانية نقله إلى وظيفة أخرى، وربما الاستغناء عنه إن لم يكن ذا كفاءة عالية في وظيفته الحالية) (ماهر، إدارة الموارد البشرية، 2007م، ص70).

أهداف عملية تقييم الأداء واستخداماتها المختلفة، لاشك أن لعمليات تقييم الأداء مجموعة من الأهداف التي يجب أن تحققها حتى يكتب لها الفعالية والنجاح في تحقيق ما ترمي إليه من أهداف ومنها ما يلي: تهدف إلى تحقيق العدالة والدقة في عمليات تحديد المكافآت، تحديد الأفراد الممكن ترقيتهم، تحديد الاحتياجات التدريبية وذلك على ضوء نتائج تقييم الأداء، المساعدة في تخطيط القوة البشرية من وجهة وتخطيط المسار الوظيفي من جهة أخرى، اكتشاف ذوي المواهب والكفاءات العالية من العاملين، مساعدة الإدارة في توجيه كل فرد في الوظيفة التي تتفق مع قدرته الشخصية، معرفة الإدارة للكوادر الجيدة والممتازة بين العاملين.

مفهوم التطوير التنظيمي:

ينظر (Richard Beckhard) إلى مفهوم التطوير التنظيمي على أنه: تلك الجهود المخططة على نطاق المنظمة بأكملها التي تدار من قبل المستويات الإدارية العليا بهدف الحيوية والفاعلية التنظيمية من خلال التدخلات المخططة في إجراءات وعمليات المنظمة باستخدام العلوم والمعارف السلوكية (gallos: organization devepment, 2006).

ويرى (Bennis) أن التطوير التنظيمي هو: استراتيجية تعليمية معقدة لإحداث التغيير في المعتقدات والاتجاهات والقيم وفي التركيب الهيكلي للمنظمات حتى تستطيع أن تساير

بشكل أفضل التطورات التكنولوجية الجديدة وأحوال السوق والتحديات المحيطة ومعدلات التغيير غير المعقولة (القاضي: استراتيجيات التنمية التنظيمية، 2006م، ص 18).

1) الأفراد: حيث يحتل العنصر البشري موقعا مهما في رفع مستوى المنظمات وكفاءتها، وزيادة درجة الأداء الوظيفي داخلها وخارجها، ومن هنا يلاحظ أن تطوير أي منظمة يكمن في مقدرتها على الاحتفاظ بالعاملين لديها، من خلال إشباع حاجاتهم، وتلبية رغباتهم؛ ذلك أن مقدررة الإدارة على تنمية روح الولاء والإخلاص والكفاءة عند الأفراد، والعمل على إيجاد المناخ التنظيمي المناسب، من أجور وحوافز ورضا وظيفي، سيؤدي بصورة حتمية إلى نجاح المنظمة وتحقيق أهدافها، وفي الجامعات سواء أكان العنصر البشري طالباً أو إدارياً أو فنياً أو أكاديمياً، فإنه في أدائه الفردي والجماعي يشكل المورد الرئيس الذي تقوم عليه أي عمليات تطوير ناجحة، ويعتمد التطوير التنظيمي في تنمية الأفراد في المؤسسات والمنظمات على تفهم وإدراك احتياجاتهم وأنماط شخصياتهم، ودوافعهم، وقدراتهم واتجاهاتهم، ومواقفهم، وفرص مشاركتهم في صنع القرارات وحل المشكلات، ومن ثم العمل على تطويرها لتتلاءم مع متطلبات وأدوار المنظمة وكذلك روح العصر ومتغيرات الحياة، كما يعتمد على سيادة جو من الثقة التنظيمية، فحينما يسود جو من الثقة بالمنظمة فإن الأفراد يستطيعون الإفصاح عن أفكارهم ومشاعرهم، ويعاون بعضهم بعضاً، ويتعلمون معاً؛ من جانب آخر فإن المنظمات التي تفتقر إلى تلك الثقة، يعوق مثل هذا الافتقار الاتصالات، ويحبط التعاون، ويقلل من الالتزام (رشيد: الثقة التنظيمية في الأجهزة الحكومية، العدد 3، 2003م).

2) جماعات العمل: ويقصد بجماعات العمل: مجموعة من الأفراد داخل التنظيم يربطهم تحقيق أهداف تنظيمية مشتركة، ويركز التطوير التنظيمي على تنمية جماعات العمل من خلال: (تحقيق التماسك والتفاهم السليم والتعاون المتبادل والهادف) بين أفراد الجماعة الواحدة والجماعات المختلفة داخل التنظيم؛ لكي تقوم هذه الجماعة بأدوارها المطلوبة على أحسن وجه، ويتحقق ذلك عن طريق الاهتمام بقيم ومعايير الجماعة، وتطوير أهدافها وأساليب صنع القرار، ومن ثم توثيق الصلة بين أفراد الجماعة وزيادة فاعليتها وتحسين أدائها (أحمد: التطوير التنظيمي للتعليم، بحث مرجعي، 1999).

والتطوير التنظيمي يهتم اهتماماً كبيراً بتطوير جماعات العمل داخل المنظمة، من خلال التعرف على الجوانب التالية: (الثقافة التنظيمية، المناخ التنظيمي، الصراع التنظيمي)، وتمييزها بما ساعد على نجاح جهود التطوير التنظيمي.

التنظيم ذاته: ويتمثل في تطوير هيكل العلاقات والسلطات، وهيكل الاتصالات والمعلومات، ومجموعة الوظائف التي يشتمل عليها التنظيم، والعمليات الإدارية التي تتم داخل التنظيم، ويسعى التطوير التنظيمي إلى تحسين الأنشطة ومهام العمل والوظائف والأقسام والإدارات والخدمات أو المنتجات، والتقنية المستخدمة، وعلاقات السلطة والاتصالات، والعلاقات بين المنظمة والمنظمات الأخرى، وكذلك إجراءات العمل وأساليبه وفرص التجديد والابتكار للبحوث والتدريب والاستشارات (محمد، وآخرون، مرجع سبق ذكره).

وعندما ننظر إلى التطوير بمنطق النظم باعتباره منظومة شاملة متكاملة، فإن عملية التطوير تتضمن: (مدخلات)، وتشمل الموارد البشرية والمادية والهيكل البنائي للمنظمة والقوانين والسياسات الإدارية وغيرها؛ و(عمليات): تتضمن التفاعلات المختلفة المؤدية إلى تحسين الأداء وتجويد المنتج أو الخدمة، و(مخرجات): تتمثل في هيكلية متطورة للمنظمة، وفعالية للأداء المتطورة وارتفاع في معدلاتها نحو المرغوب (أحمد شاكر: إدارة المنظمات التعليمية، 1996م، ص 88).

ويهدف التطوير التنظيمي بشكل رئيس إلى تطوير التنظيم بطريقة فعالة وإيجابية، بهدف مساعدة المنظمات على التكيف مع المتغيرات الداخلية والخارجية. ومن خلال ما سبق يتضح أن التطوير التنظيمي يمثل استراتيجية متكاملة شاملة لجميع جوانب المنظمة (الأفراد، جماعات العمل، التنظيم نفسه)، ويعتمد بشكل أساسي على العمل الجماعي التعاوني.

أبرز الآثار المترتبة على التطوير التنظيمي:

(1) النتائج على المستوى النظري: نتائج التطوير التنظيمي يمكن تحديدها من خلال ثلاثة مستويات أساسية وهي: المستوى الفردي، مستوى جماعة العمل والمستوى التنظيمي - أي من خلال المنظمة نفسها - كما يرون أيضاً أن نتائج التطوير التنظيمي ليست إيجابية دائماً لأن هناك في المقابل نتائج سلبية لكل مستوى من المستويات الثلاثة السابق تحديدها.

أ- نتائج التطوير التنظيمي على المستوى الفردي: تؤكد النتائج الإيجابية على أن ارتفاع مستوى التطوير التنظيمي ربما يرتبط بعدد من النتائج أو المخرجات الإيجابية للأفراد مثل: زيادة مشاعر الانتماء، الأمان، التصور الذاتي الإيجابي، القوة، وجود أهداف أو أغراض لحياة الفرد، زيادة المكافآت التنظيمية.

ب- نتائج التطوير التنظيمي على مستوى جماعة العمل: بالرغم من أن هذا المستوى من الالتزام يؤدي إلى نتائج متعددة سواء على أعمال المجموعة أم فعاليتها إلا أن هذا المجال لم يحظ باهتمام يذكر من جانب الباحثين وتتمثل النتائج الإيجابية للالتزام على جماعات العمل في أنه توجد علاقة ارتباطية بين درجة التطوير التنظيمي لجماعة العمل وبين: (درجة الثبات والاستقرار والفعالية، الاستعداد لبذل جهد أكبر وبالتالي زيادة فعالية مجموعة العمل، درجة التماسك بين أفراد جماعة العمل).

(2) النتائج المرتبطة بالجانب التطبيقي: أشارت العديد من الدراسات التطبيقية إلى ارتباط الالتزام التنظيمي بعدد من النتائج (المخرجات) التي يمكن أن تترتب عليه، وسوف يتم التعرض لأهم هذه النتائج كل على حدة مع توضيح علاقتها بالالتزام على النحو التالي:

- العلاقة بين الالتزام التنظيمي والرضا الوظيفي: تعد إحدى العلاقات التي أثارت جدلاً واسعاً في الدراسات المتعلقة بهذا المجال حتى أنه يمكن القول بأنه ليس هناك أي اتفاق حول طبيعة العلاقة بينهما، وبصفة عامة يمكن تصنيف الدراسات التي تناولت هذه العلاقة كالتالي:

- الرأي الأول: دراسات ترى أن الالتزام يؤدي إلى الرضا وليس العكس، وبالتالي فإن الالتزام يمثل محدداً مهماً للرضا أي أنه كلما زاد التزام الفرد زاد رضاه والعكس صحيح. أي أنهم يرون أن شعور الفرد بالالتزام ينشأ قبل تكوين اتجاهات الرضا الوظيفي وقبل الالتحاق بالعمل وتستمر عمل الفرد، ومن أهم هذه الدراسات التي أيدت ذلك الرأي دراستا: باتمان وستروسر 1984 Batman & Strosser، أوريلي وكولدويل 1980 O` Raily & Coldwell.

- الرأي الثاني: الدراسات التي ترى أن الرضا هو الذي يؤدي إلى التطوير وليس العكس، أي أنه كلما زاد رضا الفرد زاد التزامه اتجاه المنظمة التي يعمل بها والعكس صحيح،

ويبرر أصحاب هذه الدراسات رأيهم بأن التطوير التنظيمي يحدث بعد فترة زمنية نتيجة لشعور الفرد بالرضا الوظيفي ومن هذه الدراسات: مارش ومانري Marsh & Mannari، بورتر وزملائه Porter and Others.

- **الرأي الثالث:** وتمثله الدراسات التي انتهت إلى وجود علاقة وارتباط بين التطوير والرضا دون تحديد لطبيعة العلاقة السببية بينهما، ومن هذه الدراسات تلك التي قام بها جليسون وديورك Glisson & Durick والتي خلصت إلى أنه على الرغم من وجود علاقة وارتباط بين الالتزام والرضا- دون تحديد لطبيعة هذه العلاقة - فإن كلاً منهما يمثل مفهوماً اتجاهياً مختلفاً ومتميزاً.

المحور الثالث- تطوير التنظيم الإداري في ضوء مبادئ التنمية المستدامة وأبعادها:

تعرف التنمية المستدامة Edwerd barbier: "بأنها ذلك النشاط الذي يؤدي إلى الارتقاء بالرفاهية الاجتماعية أكبر قدر ممكن، مع الحرص على الموارد الطبيعية المتاحة وبأقل قدر ممكن من الأضرار والإساءة إلى البيئة، ويوضح ذلك بأن التنمية المستدامة تختلف عن التنمية في كونها أكثر تعقيداً وتداخلاً فيما هو اقتصادي واجتماعي وبيئي" (عماري، إشكالية التنمية المستدامة وأبعادها، 07-08 أبريل 2008).

وتسعى التنمية المستدامة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف من خلال آلياتها وسياستها، وتتمثل هذه الأهداف في:

[1] زيادة قدرات المجتمع لتحسين مستوى الحياة بالنسبة لأفراده: تحاول سياسات التنمية المستدامة التركيز على العنصر البشري الذي هو هدفها وأداتها في نفس الوقت، لذلك تركز على الجوانب غير المادية للظروف المعيشية مثل الصحة، العلاقات الاجتماعية، ونوعية البيئة الطبيعية، وتتضمن أيضاً كلاً من الجوانب الموضوعية والجوانب الذاتية المتعلقة بجودة حياة الأفراد، كما تعتمد على الإدراك الذاتي للمواطنين لظروفهم المعيشية وتقييمها (صالح، وآخرون، 2004م).

[2] المحافظة على موارد البيئة الطبيعية: تركز التنمية المستدامة على البعد البيئي الذي تدهور كثيراً، نتيجة لأنماط التنمية القديمة وزيادة الاتجاه إلى التصنيع على حساب الزراعة، بالإضافة إلى زيادة الفقر في العالم النامي مما كان له المردود السلبي على موارد البيئة

وأدى إلى استنزاف الموارد غير المتجددة وزيادة التصحر والتلوث، لذلك تقوم التنمية المستدامة بالموازنة بين البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية.

[3] **التنمية برؤية مستقبلية وتكاملية:** تنطلق التنمية المستدامة من رؤية مستقبلية أكثر توازناً وعدلاً بين كافة الفئات الحالية والمقبلة، وتهتم بتحسين الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية من منظور شمولي وتكاملي من خلال ربط هذه المنظومات الفرعية في منظومة كلية متناغمة الوحدات.

[4] **إحداث التغيير الفكري والسلوكي والمؤسسي:** من خلال وضع سياسات وبرامج تنموية أكثر مرونة ونضج، وتنفيذها بكفاءة وفعالية وتجنب التداخل والتكرار والاختلاف وبعثرة الجهود وتعارضها واستنزاف الموارد المحدودة وفي مقدمتها الوقت، حيث إن عامل الزمن يصعب تعويضه ويتعذر خزنه واسترجاع ما فات منه (الغامدي (2006): تنمية الموارد البشرية ومتطلبات التنمية المستدامة، الأمن العربي ورقة عمل، 24-26 أبريل).

[5] **تعزيز وعي السكان بالمشكلات البيئية والمجتمعية القائمة:** وذلك من خلال تنمية إحساسهم بالمسؤولية تجاه مجتمعهم وبيئتهم، وحثهم على المشاركة الفاعلة وإيجاد حلول مناسبة للمشكلات من خلال مشاركتهم في إعداد برامج التنمية المستدامة ومشاريعها وتنفيذها ومتابعتها وتقييمها.

[6] **استحداث مجالات متعددة للدخل وقنوات المشروعات التنموية المتوازنة:** ومن خلال استحداث هذه المجالات تزيد القدرة على تمكين الفئات الضعيفة والمهمشة في المجتمع وبالتالي تحسين مستواهم الاجتماعي، وزيادة الرفاهية والقضاء على الفقر، بالإضافة إلى التركيز على المشروعات التنموية المتوازنة التي تساعد على استخدام الموارد بشكل عقلاني والاستفادة منها دون الإضرار بها.

[7] **تحقيق المشاركة الشعبية:** ويحتاج تحقيق المشاركة الشعبية مزيداً من الجهود والتعاون بين الصفوة والقائمين على برامج التخطيط لتحقيق التنمية المستدامة، وإدراكهم للدور الذي يمكن أن تلعبه الجهود الشعبية من أجل تحقيق عملية التنمية المستدامة وسيرها.

[8] **التخطيط للتنمية من منظور (عالمي):** تركز خطط التنمية المستدامة على وضع الأحوال العالمية الكونية في الاعتبار، أي أن كل دولة عندما تقوم بوضع خطط وبرامج

التنمية عليها أن تضع في اعتبارها الدول الأخرى، ولا تجوز على الموارد الكونية التي هي حق لكل الدول مجتمعة، وليست حكراً على دولة بعينها.

آليات تطوير التنظيم الإداري في ظل مبادئ التنمية المستدامة وأبعادها:

أولاً- الالتزام بمبادئ التنمية المستدامة: التي تتمثل فيما يلي:

- 1- التنمية ليست هدفاً في حد ذاتها وإنما هي وسيلة لزيادة قدرة المجتمع على البقاء والنمو.
- 2- هي عملية متكاملة مستمرة مخططة بطريقة جماعية، وهي ذات أهداف إنتاجية لخدمة المجموع العام من السكان وتتطلب إحداث تغييرات وظيفية هائلة لإخضاع كثير من متغيرات البيئة.
- 3- يجب المحافظة بشكل أساسي على دورة الحياة ضمن النظام الأيكولوجي.
- 4- ضمان استمرارية الانتفاع بالموارد الطبيعية والبيئية المتاحة، لضمان تحقيق النمو في المستقبل دون تدمير لهذه الموارد التي تعتمد عليها التنمية في المستقبل.
- 5- المحافظة للمدى البعيد على الثروات الحية (البيولوجية) وكذلك على مستوى الإنتاجية لأنظمة النباتات.
- 6- استمرار كفاية وكيفية البيئة والنظام الأيكولوجي.
- 7- يعلو صوت البعد الأيكولوجي على كافة الأبعاد في كيفية الانتفاع بالموارد بعقلانية ووعي كاملين بغرض التنمية في إطار النظام الأيكولوجي بالإضافة إلى المناخ الخارجي المحيط الذي يؤثر على إضافة فرص مستقبلية للتنمية بالإضافة إلى المناخ الخارجي المحيط الذي يؤثر على إضافة فرص مستقبلية للتنمية.
- 8- استمرارية تحسين مستوى المعيشة للبشر على الكرة الأرضية.
- 9- استقرار الزيادة السكانية.
- 10- تلبية احتياجات البشر من المواد الخام الطبيعية، وكذلك تلبية الاحتياجات الأساسية للمجتمعات.
- 11- تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية.
- 12- النمو الاقتصادي غير المحدود.

- 13- التأكيد على الاعتماد على الذات للمجتمعات المحلية على المستوى الأصغر، مع توظيف كافة قدرات وقوى المجتمع لاستغلال الموارد الطبيعية والبشرية والثقافية.
- 14- صيغة سياسية إنمائية ملائمة للتنمية تكون نابعة من ضمير المجتمع وتعكس قيمة ونظريته إلى المستقبل دون الاعتماد على نماذج وأطر نظرية مستوردة، مع ملاءمتها لتغيرات العصر والإمكانات المتاحة.
- 15- تعتمد التنمية المستدامة في مراحل تحولها على قاعدة عريضة من المشاركة مع السلطات العامة في اتخاذ القرار ممن تعينهم عملية التنمية في المجتمعات الحضرية والريفية على السواء.
- 16- إثبات إرادة المجتمع وعزمه على التغيير للأفضل.
- 17- الاعتماد على رموز المجتمع ورواده في قيادة عملية التنمية وتحريكها.
- 18- إدخال عناصر جديدة ومتميزة على الثقافة القائمة.
- 19- اختيار مستوى التكنولوجيا المناسب في إنشاء المشروعات بما يضمن توفير فرص عمل للشرائح ذات المهارات المختلفة.
- اهتمام خاص ببرامج إعداد العناصر البشرية التي تعد الأساس للوفاء بخطط وبرامج التنمية الاجتماعية / الاقتصادية (الهيئة العامة لمشروعات التعمير والتنمية الزراعية، الاستراتيجيات ودورها في تحقيق التنمية المستدامة، 2000م القاهرة، 21-24 فبراير).
- ثانياً- شمولية تطوير التنظيم الإداري لأبعاد التنمية المستدامة:** تستند التنمية المستدامة إلى أبعاد، يمكن ذكر أهمها كما يلي:
- أ- **البعد البيئي:** يوضح هذا البعد الاستراتيجيات التي يجب توافرها واحترامها في مجال التصنيع، بهدف التسيير الأمثل للرأسمال الطبيعي، بدلاً من تبذيره واستنزافه بطريقة غير عقلانية، حتى لا تؤثر على التوازن البيئي، وذلك من خلال التحكم في استعمال الموارد وتوظيفات تقنيات تتحكم في إنتاج النفايات، واستعمال الملوثات ونقل المجتمع إلى عصر الصناعات النظيفة (طرش، متطلبات التنمية المستدامة في الدول النامية في ضل قواعد العولمة، ورقة بحثية 07-08 أبريل 2008).

ومن أجل الوصول إلى صناعة نظيفة، تقدم الأمم المتحدة الخطوات التالية: (تشجيع الصناعة المتواصلة بيئياً في إطار خطط مرنة، إلزام الشركات العالمية بنفس المعايير خارج وداخل أوطانها، التوعية بكل الوسائل بالخسائر والأخطار الناجمة عن التلوث، سواء المباشرة أو غير المباشرة، إدخال مفاهيم البيئة الآمنة، وإلزامية المحافظة عليها، من طرف الفرد والمجتمع في كافة مراحل التعليم، إشراك المجتمعات في آلية التنمية المستدامة بجهود وسائل الإعلام والثقافة للجميع، تشجيع الإنتاج النظيف بيئياً، من خلال آليات السوق والسياسة الضرائبية).

ويمكن اختصار ذكر أهم العناصر التي تكون ضمن البعد البيئي وهي: (النظم الأيكولوجية، الطاقة، التنوع البيولوجي، الإنتاجية البيولوجية، القدرة على التكيف، الإعلام والثقافة للجميع، الصناعة النظيفة).

ب- البعد الاقتصادي: مفهوم التنمية المستدامة لدول الشمال الصناعية، هي السعي إلى خفض كبير في استهلاك الطاقة والموارد الطبيعية، وإحداث تحولات جذرية في الأنماط الحياتية السائدة في الاستهلاك والإنتاج، والحد من تصدير نموذجها الصناعي إلى الدول النامية، فإن وجهة نظر الدول الفقيرة بخصوص التنمية المستدامة، تعني توظيف الموارد من أجل رفع المستوى المعيشي للسكان الأكثر فقراً (بغداد وآخرون، استراتيجيات والسياسات التنمية المستدامة في ظل التحولات الاقتصادية والتكنولوجية العدد 45، شتاء 2010).

ويمكن تلخيص أهم النقاط التي تؤخذ بعين الاعتبار في البعد الاقتصادي كما يلي: (حصة الاستهلاك الفردي من الموارد الطبيعية، ومسؤولية البلدان المتقدمة عن التلوث ومعالجته، وكذلك تبعية البلدان النامية، والمساواة في توزيع الموارد، والإنفاق العسكري... الخ).

د- البعد الاجتماعي: على الصعيد الإنساني والاجتماعي فإن التنمية المستدامة، تسعى إلى تحقيق معدلات نمو مرتفعة، مع المحافظة على استقرار معدل نمو السكان، حتى لا تفرض ضغوطات شديدة على الموارد الطبيعية، ووقف تدفق الأفراد إلى المدن، وذلك من خلال تطوير مستوى الخدمات الصحية والتعليمية في الأرياف، وتحقيق أكبر قدر من المشاركة الشعبية في التخطيط للتنمية.

ومن هنا فالبعد الاجتماعي يسوقنا إلى تسليط الضوء على النقاط التالية: (حرفوش، وآخرون، الإطار النظري للتنمية الشاملة المستدامة ومؤشرات قياسها، ورقة بحثية، 07-08 أبريل 2008).

(المساواة في التوزيع، الحراك الاجتماعي، المشاركة الشعبية، التنوع الثقافي، استدامة المؤسسات، نمو السكان وتوزيعهم، الصحة والتعليم ومحاربة البطالة)

هـ- البعد التكنولوجي: ويعني نقل المجتمع إلى عصر الصناعات النظيفة، التي تستخدم تكنولوجيا منظمة للبيئة، وتنتج الحد الأدنى من الغازات الملوثة والحابسة للحرارة والضارة بطبقة الأوزون (عبيدات وآخرون، الطاقة وتلوث البيئة والمشاكل البيئية العالمية، العدد 07، 2007).

ويمكن تعزيز التكنولوجيا من أجل التنمية المستدامة كما يلي (http:// ar. wikipedia.org :

تطوير أنشطة البحث بتعزيز تكنولوجيا المواد الجديدة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، واعتماد الآليات القابلة للاستدامة، تحسين أداء المؤسسات الخاصة، من خلال مدخلات معينة مستندة إلى التكنولوجيات الحديثة، استحداث أنماط مؤسسية جديدة تشمل مدنا وحاضنات التكنولوجيا، تعزيز بناء القدرات في العلوم والتكنولوجيا والابتكار، بغية تحقيق أهداف التنمية المستدامة في الاقتصاد القائم على المعرفة، وهي الوسيلة الوحيدة لتعزيز التنافسية، وزيادة النمو الاقتصادي، وخلق فرص عمل جديدة ومحاربة الفقر، وضع الخطط والبرامج التي تهدف إلى تحويل المجتمع إلى مجتمع معلوماتي، بحيث يتم إدماج التكنولوجيات الجديدة في خطط واستراتيجيات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، بالموازاة مع تحقيق أهداف عالمية كالأهداف الإنمائية للألفية).

ويؤكد تقرير الموارد الطبيعية أن القاسم المشترك لهذه الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والتكنولوجية، للتنمية لكي تكون مستدامة يجب مراعاة ما يلي: (أن لا تتجاهل الضوابط والمحددات البيئية، وأن لا تؤدي إلى دمار الموارد الطبيعية واستنزافها، وكذلك تؤدي إلى تطوير الموارد البشرية، كمحاربة البطالة والفقر وتحسين وضعية المرأة في المجتمع؛ وإحداث تحولات في القاعدة الصناعية السائدة).

الالتزام بالمبادئ التالية في عملية التطوير: بدأت تتبلور عقيدة بيئية جديدة مع بداية القرن الواحد والعشرين، تنبأها البنك العالمي، وتقوم هذه العقيدة على عشر مبادئ أساسية (سيتر، المبادئ العشرة للعقيدة البيئية الجديدة، ديسمبر 1996):

المبدأ الأول: تحديد الأولويات بعناية.

المبدأ الثاني: الاستفادة من كل دولار.

المبدأ الثالث: اغتنام فرص تحقيق الربح لكل الأطراف .

المبدأ الرابع: استخدام أدوات السوق حيث ما يكون ممكنا.

المبدأ الخامس: الاقتصاد في استخدام القدرات الإدارية والتنظيمية.

المبدأ السادس: العمل مع القطاع الخاص.

المبدأ السابع: الإشراف الكامل للمواطنين.

المبدأ الثامن: توظيف الشراكة التي تحقق نجاحا.

المبدأ التاسع: تحسين الأداء الإداري المبني على الكفاءة والفاعلية.

المبدأ العاشر: إدماج البيئة من البداية.

أبرز نتائج الدراسة:

❖ تتعدد أهداف التنظيم الإداري.

❖ يمكن تطوير التنظيم الإداري من خلال الالتزام بمبادئ التنمية المستدامة وأبعادها.

❖ نظرا لوقوع التنمية المستدامة عند نقطة الالتقاء بين البيئة والاقتصاد والمجتمع، فهي تتطلب تغييراً في محتوى النمو، بحيث يصبح أقل مادية واستخداماً للطاقة، وأكثر عدالة في تأثيراته.

❖ تركز التنمية المستدامة على ثلاثة عناصر أساسية هي (الاقتصاد والمجتمع والبيئة) لذلك فإن أي برنامج ناجح للتنمية المستدامة لابد له أن يحقق التوازن والانسجام بين هذه العناصر الثلاثة.

❖ على الرغم من تباين تصنيف وتسمية مدارس ونظريات التنظيم الإداري إلا أنها كان لها إسهاماً واضحاً في التنمية المستدامة وذلك من خلال بعد أو أكثر، وخلصت الدراسة إلى

أن المدرسة الحديثة (المعاصرة) كان لها الدور الأهم في تدعيم التنمية المستدامة فكرياً استراتيجياً.

توصيات الدراسة:

- ❖ ضرورة الاستفادة من التجارب الحديثة في مجال التنظيم الإداري.
 - ❖ ضرورة الاستفادة من التجارب الناجحة في مجال التنمية المستدامة.
 - ❖ ضرورة تكاتف جميع الأجهزة والهيئات والمنظمات داخل المجتمع وتكاملها من أجل تحقيق التنمية المستدامة.
- ضرورة تفاعل مفاهيم ونظريات هذه المدارس مع البيئة والتوازن معها، حتى تتوافق الجوانب الإدارية لها مع الأبعاد الأربعة للتنمية المستدامة.

الخاتمة:

في ختام دراستنا التي تطرقت إلى موضوع غاية في الأهمية الخاص بتطوير التنظيم الإداري في ظل أبعاد التنمية المستدامة وكانت النتائج هي: (تعدد أهداف التنظيم الإداري، وكذلك الالتزام بمبادئ التنمية المستدامة وأبعادها، والتغيير في محتوى النمو بحيث يصبح أقل مادية واستخداماً للطاقة وأكثر عدالة في تأثيراته، وتم اعتماد التنمية المستدامة على ثلاثة عناصر أساسية هي: (الاقتصاد، والمجتمع، والبيئة)، لذلك فإن أي برنامج ناجح للتنمية المستدامة لا بد له أن يحقق التوازن والانسجام بين هذه العناصر الثلاثة، كما خلصت الدراسة إلى أن المدرسة الحديثة (المعاصرة) كان لها الدور الأهم في تدعيم التنمية المستدامة فكرياً استراتيجياً، وتوصلت الدراسة إلى: (ضرورة الاستفادة من التجارب الحديثة في مجال التنظيم الإداري، وفي مجال التنمية المستدامة، وكذلك ضرورة تكاتف جميع الأجهزة والهيئات والمنظمات داخل المجتمع وتكاملها من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وتفاعل مفاهيم هذه المدارس ونظرياتها مع البيئة وكيفية التوازن معها، حتى تتوافق الجوانب الإدارية لها مع الأبعاد الأربعة للتنمية المستدامة)، وفي نهاية دراستنا وتحقيق غاية البحث العلمي في الإدارة والتنظيم، ضرورة فهم الجهات المعنية سواء أكانت منظمات أو مؤسسات أو شركات بمختلف مسمياتهم الاهتمام بهذا المفهوم وتطبيقه علي الواقع لتحسين أداء المنظمات، وهذا مما يخلق منظمات ناجحة ومتميزة وقادرة علي مواجهة كل التغييرات.

- قائمة مصادر ومراجع الدراسة:
- 1) ثابت عبدالرحمن إدريس: المدخل الحديث في الإدارة العامة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2001م، ص55.
 - 2) رعد سامي عبدالرزاق التميمي: العولمة والتنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، دار مجلة المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 2008م.
 - 3) علي ليلة (2002م): دور المنظمات الأهلية في مكافحة الفقر، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، الجيزة.
 - 4) مصطفى عبدالسميع محمد، عبدالفتاح محمد الفولي: نحو نموذج تطويري للجامعات العربية من منظور التنظيم الرقمي للمؤسسات.
 - 5) محمد يوسف الشيخ نور الهادي: أثر التنظيم الإداري على أداء العاملين دراسة حالة شركة دانفوديو للمقاولات والطرق والجسور، مجلة جامعة بخت الرضا العلمية، العدد الرابع عشر، مارس.
 - 6) محمد يوسف مرسي نصر: المناخ التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي لأعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم بكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها، مجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 159، الجزء الأول.
 - 7) حنان اسماعيل أحمد: التطوير التنظيمي للمؤسسة الجامعية باستخدام بحوث الفعل، "دراسة تحليلية"، مجلة التربية، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، السنة الحادية عشر، ع22.
 - 8) Cusick, Anne (2005), "Organizational Development Facilitates Effective Regulation Compliance", Leadership & Organization Development Journal. Vol, 26, No, 2.
 - 9) عبدالعزيز عبدالله الغامدي، القيم التنظيمية لإدارات التربية والتعليم بمنطقة مكة المكرمة في ضوء مقياس ديف فرانسيس ومايك وود كوك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى.

- 10) جميل أحمد توفيق، إدارة الأعمال، مدخل وظيفي (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1986م، ص102).
- 11) عمر أحمد عثمان المقلي، مبادئ الإدارة، (الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، 2002م، ص70).
- 12) محمد شاكر عصفور، أصول التنظيم والأساليب (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 1999م، ص 32).
- 13) زكي مكي إسماعيل عبدالرحمن، أصول الإدارة والتنظيم، 1999م، ص27.
- 14) خضير كاظم حمود، السلوك التنظيمي (عمان: دار الصفا للنشر والتوزيع، 2002م، ص60).
- 15) عبدالقادر محمد عبدالقادر، أساسيات الإدارة المبادئ والتطبيقات الحديثة، (الرياض: دار المريخ للنشر، 1991م، ص100).
- 16) عبد القادر محمد عبدالقادر، أساسيات الإدارة المبادئ والتطبيقات الحديثة، المرجع السابق، ص101.
- 17) محمد شاكر عصفور، مرجع سبق ذكره، 1999م، ص20).
- 18) محمد بدر، 26 يونيو 2009م
- 19) http://annajah.net/arabic/show_article.thtml?id=83
- 20) نبيل الحسين، وآخرون، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية (الدقي: الشركة العربية، 1992م، ص33).
- 21) راوية حسن، إدارة الموارد البرية، رؤية مستقبلية (الإسكندرية: الدار الجامعية 2005م، ص 100).
- 22) أحمد ماهر، إدارة الموارد البشرية (الإسكندرية: المطبعة الجامعية، 2007م، ص 70).
- 23) Joan V. Gallos: Organization Development, John Wlief & Sons, Inc., USA, 2006.

- 24) فؤاد القاضي: استراتيجيات التنمية التنظيمية، بدون دار نشر، الطبعة الخامسة، 2006م، ص 18.
- 25) مازن فارس رشيد: الثقة التنظيمية في الأجهزة الحكومية بالمملكة العربية السعودية - بعض المحددات والآثار، مجلة الإدارة العامة، مجلد 43، العدد 3، 2003م.
- 26) أحمد إبراهيم أحمد: التطوير التنظيمي للتعليم، بحث مرجعي، 1999.
- 27) مصطفى عبدالسميع محمد، عبدالفتاح محمد الفولي، مرجع سبق ذكره.
- 28) شاكر محمد فتحي أحمد: إدارة المنظمات التعليمية - رؤية معاصرة للأصول العامة، دار المعارف، القاهرة، 1996م، ص
- 29) عمار عماري، إشكالية التنمية المستدامة وأبعادها، ورقة بحث مقدمة ضمن المؤتمر العلمي الدولي حول التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، 07-08 أبريل 2008، جامعة سطيف.
- 30) ناهد صالح، هدى مجاهد: التقرير الاجتماعي (نظرة للماضي، رصد للحاضر، رؤية للمستقبل، التقارير الاجتماعية والدولية والأوروبية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، التقرير الاجتماعي المصري، 2004م.
- 31) عبدالعزيز بن صقر الغامدي (2006): تنمية الموارد البشرية ومتطلبات التنمية المستدامة، الأمن العربي (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية نموذجاً)، ورقة عمل، الملتقى العربي الثالث للتربية والتعليم، بيروت، 24-26 أبريل.
- 32) الهيئة العامة لمشروعات التعمير والتنمية الزراعية (2000): الاستراتيجيات ودورها في تحقيق التنمية المستدامة، المؤتمر العربي الإقليمي للتوازن البيئي والتنمية الحضرية المستدامة، القاهرة، 21-24 فبراير.
- 33) ذهبية لطرش، متطلبات التنمية المستدامة في الدول النامية في ظل قواعد العولمة، ورقة بحث مقدمة ضمن المؤتمر العلمي الدولي حول التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، 07-08 أبريل 2008، جامعة سطيف.

34) كربيالي بغداد وحماي محمد، استراتيجيات والسياسات التنموية المستدامة في ظل التحولات الاقتصادية والتكنولوجية بالجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 45، شتاء 2010.

35) حرفوش سهام وآخرون، الإطار النظري للتنمية الشاملة المستدامة ومؤشرات قياسها، ورقة بحث مقدمة ضمن المؤتمر العلمي الدولي حول التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، 07-08 أبريل 2008، جامعة سطيف.

36) مقدم عبيدات وبلخضر عبدالقادر، الطاقة وتلوث البيئة والمشاكل البيئية العالمية، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، العدد 07، 2007.

37) <http://ar.wikipedia.org>

38) انجدرو سيطر، المبادئ العشرة للعقيدة البيئية الجديدة، مجلة التمويل التنموية، ديسمبر 1996.

أهمية الإرشاد العقلاني الانفعالي للأخصائي النفسي

أ. خيرى علي القمودي الأحرش.
كلية التربية الزاوية - جامعة الزاوية

ملخص البحث:

يقتصر هذا البحث على نشأة الإرشاد العقلاني الانفعالي وتطوره ونبذة مختصرة على صاحب هذه النظرية وهو (البرت اليس)، وكذلك عن مفهوم الإرشاد العقلاني الانفعالي وأهدافه وأساسه ومسلماته وفروضه ونموذج (البرت اليس) في الشخصية، وكذلك التعريف بالأخصائي النفسي والحاجة التي أدت إلى وجوده داخل المؤسسات التربوية والتعليمية، وعلى أهدافه والصعوبات التي يواجهها، وأيضاً التعرف على الإخصائي النفسي وفق نظرية البرت اليس، واعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتوصل البحث بأن الإرشاد العقلاني الانفعالي هو أسلوب من أساليب العلاج النفسي "ألبرت أليس" بدأ في سنة (1954)، يعتمد على تنفيذ أفكار المسترشد اللاعقلانية واستبدالها بأفكار أكثر عقلانية تساعده تجنب الاضطرابات النفسية مما يؤدي إلى تحقيق الصحة النفسية، يُعدُّ أحد أهم الأساليب الإرشادية المعرفية السلوكية، وتوصل أيضاً بأن الإخصائي النفسي هو الشخص المعين من قبل وزارة التربية والتعليم، ليقوم بعملية توجيه وإرشاد الطلبة في المدارس ومساعدتهم في تحقيق أكبر قدر من التكيف داخل المدرسة وخارجها، إن مهمته وفق نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي تنحصر في الكشف عن الأفكار والمعتقدات غير المنطقية التي يتبناها المتعلم (المسترشد)، حيث يتمثل دوره في توضيح الأفكار والمعتقدات غير المنطقية التي قد أدت بالمتعلم (المسترشد) إلى الاضطراب النفسي، وقيامه بمهاجمة تلك الأفكار والمعتقدات وتحويلها إلى أفكار أكثر منطقية وعقلانية مستخدماً في ذلك العديد من الطرق والفنيات والإجراءات التي تتم وفق نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي.

مقدمة:

يُعدُّ التعليم من بين أهم الركائز الأساسية لأي مجتمع يسعى إلى التقدم والتطور، فالعملية التعليمية هي إحدى المتطلبات الجوهرية تستحق درجة متقدمة في أولويات اهتمام المجتمع، فطالما أن العلم هو أساس التطور والتقدم لأي مجتمع من المجتمعات، يجب على المجتمع الذي يريد أن يطور نفسه الاهتمام بالعملية التربوية والتعليمية بما يتماشى مع طبيعة العصر.

ولقد أصبحت للبرامج الإرشادية النفسية والتربوية مكانة مهمة في العملية التربوية من أجل بناء شخصية المتعلم بناءً متكاملًا، ولكي يتم في نسقه تنظيم المعرفة العلمية وتوفير إطار مرجعي لتمييز السلوك، يجب أن يركز على نظرية حيث إنها تعمل موجهًا لتفسير السلوك واستخدام أفضل الأساليب من أجل مساعدة الفرد على التغيير أو التحسين، حيث يُعدُّ الاهتمام بالنظرية دليلًا على الاهتمام بالمتعلمين ومساعدتهم لتنمية إمكانياتهم وقدراتهم وتحقيق التوافق النفسي والتربوي والاجتماعي لهم، وحتى يتحقق ذلك فلا بد من وجود أخصائي نفسي قادر على تقديم الخدمات الإرشادية للطلاب على أكمل وجه، ولكي يتمكن الإخصائي النفسي من القيام بدوره الإرشادي في المؤسسة التعليمية (المدرسة) بطريقة جيدة فلا بد أن يركز على نظريات الإرشاد النفسي، وتُعدُّ نظرية "ألبرت أليس" من بين أهم هذه النظريات، التي بدأ بممارسة العلاج النفسي سنة (1943)، وسميت طريقته في الإرشاد والعلاج العقلاني الانفعالي، التي تبين أن الاضطرابات والمشكلات النفسية إنما تنشأ عن أنماط خاطئة أو غير منطقية في التفكير.

حيث يقتصر هذا البحث على نشأة الارشاد العقلاني الانفعالي وتطوره ونبذة مختصرة على صاحب هذه النظرية وهو(البرت اليس)، وكذلك عن مفهوم الإرشاد العقلاني الانفعالي وأهدافه وأساسه ومسلماته وفروضه ونموذج (البرت اليس) في الشخصية، وكذلك التعريف بالأخصائي النفسي والحاجة التي أدت إلى وجوده داخل المؤسسات التربوية والتعليمية، وعلى أهدافه والصعوبات التي يواجهها، وأيضاً التعرف على الإخصائي النفسي وفق نظرية البرت اليس، الأمر الذي قد يحقق التخطيط والتنفيذ السليم اتجاه العملية التربوية والتعليمية للمؤسسات التعليمية.

مشكلة البحث:

بالرغم من التطور الذي تشهده المؤسسات التربوية والتعليمية في جميع تخصصاتها بمراحلها المختلفة، "إلا أن التربية لا يمكن أن تحقق أهدافها ما لم تكن هناك أداة ووسيلة تساعد على تحقيق الأهداف التربوية وترجمتها إلى الواقع الاجتماعي والتعليمي للفرد". (هاشم وجاسم، 2012، ص 145) ومن هنا أصبح الإرشاد النفسي تخصصاً يهدف إلى تقديم الخدمة النفسية للفرد والجماعات مطلباً ضرورياً بهدف تنمية القوى البشرية في مواجهة الصعوبات التي تعترضهم في حياتهم، لأن بناء الإنسان وتوجيهه التوجيه الجيد يُعدُّ من أصعب الأمور إذا ما قيس ببناء المدارس أو المشافي، (العاسمي، 2011) فالباحث ومن منطلق تجربته إشرافاً وتديساً في كلية التربية، لاحظ مدى ضعف استخدام الإرشاد النفسي والتربوي داخل المدارس من قبل بعض الأخصائيين (المرشدين)، فضلاً عن عدم توفر أغلب الوسائل التي يمكن استخدامها في عملية التوجيه والإرشاد النفسي.

ومما سبق تظهر حاجة العملية التربوية والتعليمية لمثل هذه البحوث، التي تبحث عن أهمية نظريات الإرشاد النفسي عامةً، ونظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي خاصةً في نجاح الأخصائي النفسي، وعليه فإن مشكلة البحث تتمحور في الإجابة عن التساؤل التالي:

ما أهمية الإرشاد العقلاني الانفعالي في نجاح الأخصائي النفسي؟

أهمية البحث:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية إدخال الخدمات النفسية بالمؤسسات التربوية والتعليمية من أجل تنمية إمكانات الطلاب ومساعدتهم في الوصول إلى أفضل درجات التوافق النفسي والاجتماعي للطلبة، حيث تبرز أهمية البحث في الآتي:

- 1- تنمية الوعي لدى المعلمين والمسؤولين بأهمية نظريات الإرشاد النفسي التي من بينها نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي لنجاح الأخصائي النفسي.
- 2- التركيز على دور الأخصائي النفسي في العملية التعليمية.
- 3- تتركز أهمية البحث والحاجة في النظرة إلى أهمية الإرشاد النفسي المتمثلة في الأخصائي النفسي لتحقيق الأهداف الموضوعة من أجل تطوير بنية النظام التربوي التعليمي.

أهداف البحث:

- يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:
- 1- التعرف على الإرشاد العقلاني الانفعالي (البرت اليس).
 - 2- التعريف بالأخصائي النفسي.
 - 3- التعرف على الأخصائي النفسي وفق نظرية البرت اليس.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة هذا البحث، فهو "المنهج الذي يمكن من خلاله أن يتم معرفة الظاهرة على النحو الدقيق، وكذلك عملية جمع البيانات وتحليلها تحليلاً كافياً للاستخلاص والوصول إلى النتائج." (الرشيدي، 2000، ص59)

سيتم الإجابة عن التساؤل من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: الإرشاد العقلاني الانفعالي (البرت اليس).

المحور الثاني: الأخصائي النفسي.

المحور الثالث: التعرف على الأخصائي النفسي وفق نظرية البرت اليس.

المحور الأول- الإرشاد العقلاني الانفعالي:

نبذة عن ألبرت إليس:

ولد "ألبرت إليس" في بيتسبيرج في الولايات المتحدة الاميركية سنة (1913)، وحصل على درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة المدينة في نيويورك، ثم حصل على الماجستير سنة (1943)، والدكتوراه في سنة (1947) في علم النفس الإكلينيكي، وفي سنة (1954) كانت بداية التحول من التحليل النفسي إلى طريقة علاجية تتجه نحو الاسلوب المنطقي المعتمدة على النموذج الفلسفي أكثر منه على النموذج النفسي، ولديه ما يقارب عن (7000) مقال و(55) كتاباً. (دردير، 2010، ص14)

وقدم إليس أول ورقة حول العلاج العقلاني الانفعالي سنة (1956) في الملتقى السنوي لرابطة علم النفس في شيكاغو، وكتب أكثر من (700) مقالة في مجالات علم النفس والعلاج النفسي، وحصل على مجموعة من الجوائز التقديرية في مجال الدراسات النفسية، كما أسس معهد الحياة العقلانية وهو مؤسسة علمية تربوية تهدف لتعليم أسس الحياة

العقلانيّة، وفي سنة (1968) أسس معهد الدراسات العالية في العلاج النفسي العقلاني، وفي سنة (1976) صمم طريقة في العلاج سميت علاج الانفعالات بالمنطق (Rational Emotive Therapy) واختصر المسمى إلى "RET" وتعني باللغة العربية "العلاج بالمنطق"، وكذلك نشر كتابه "السبب والانفعال في العلاج النفسي" متضمناً في صياغته الأولى أهم الأسس والتصورات والافتراضات التي يمكن من خلالها فهم نظريته العلاجية، التي ركزت على العلاقة بين الانفعالات والتفكير، وفي سنة (1999) أعلن "إليس" عن تغيير مسمى هذا الاتجاه من العلاج العقلاني المعرفي إلى العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي وذلك لتأكيد التبادل بين الجوانب المعرفية، والوجدانية، والسلوكية.

وتوفي "إليس" في (24 يوليو 2007) بعد معاناة من المرض، وقد كان عمره عند وفاته (93) سنة. (الصميلي، 2009، ص30-31)

النشأة والتطور للإرشاد العقلاني الانفعالي:

قد مرّ تاريخ الإرشاد والعلاج العقلاني الانفعالي بمراحل عدّة منذ ظهوره وصولاً إلى صيغته المتداولة حالياً (الإرشاد العقلاني الانفعالي). ويُعدّ العلاج العقلاني مدخلاً علاجياً واسع المجال، مؤسسه ألبرت إليس Albert Ellis، الذي يرجع إليه الفضل في نشأته وتطوره، حيث يشير إلى أن جذور العلاج العقلاني تعود إلى الفلسفة الرواقية القديمة، وتحديدًا ما جاء عن ابكوريوس الذي فسّر الاضطراب النفسي بأنه ليس بسبب المواقف والأحداث، ولكن بسبب طريقة التفكير حول تلك الأحداث. ولقد طور إليس العلاج العقلاني عدة مرات، ففي بداية نشأته أطلق عليه العلاج العقلاني، ثم عدله إلى العلاج العقلاني الانفعالي، وأبرز دور الجانب الانفعالي في العملية الإرشادية، وفي سنة (1993) أصبح يركز اهتمامه على الجانب السلوكي، ويعتمد العلاج العقلاني أساساً على نظرية العلاج المعرفي السلوكي، إلا أن العلاج العقلاني هو أحد مداخل العلاج المعرفي السلوكي، وأنه يركز على أهمية الدور الذي تلعبه المعرفة والسلوك في تطوير المشكلات الانفعالية للأفراد. (دردير، 2010، ص13-16)

وعمليّة الإرشاد النفسي أو العلاج النفسي وفق آراء إليس تعتمد على استخدام العمليات العقلية، فالإنسان كائن عاقل قادر على تجنب الاضطراب الانفعالي والتخلص منه بتعلم

التفكير العقلي المنطقي وهذا هو ما يحدث خلال عملية العلاج. (الصميلي، 2009، ص26-30)

مفهوم الإرشاد العقلاني الانفعالي:

- يعرف بأنه أسلوب أو نظرية من نظريات الإرشاد النفسي تستخدم فنيات معرفية وانفعالية لمساعدة المسترشدين في التغلب على ما لديهم من أفكار ومعتقدات خاطئة وغير عقلانية، التي يصاحبها اضطراب في سلوك الفرد وشخصيته واستبدالها بأفكار ومعتقدات أكثر عقلانية ومنطقية تساعده على التوافق مع المجتمع. (بلعسلة، 2013، ص97)

- كما عرف في موسوعة كورسيني للعلوم السلوكية والنفسية (2004) بأنه العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي REBT، وهو نظرية في الشخصية، ونظام للعلاج النفسي طوره إليس، وهو يركز على دور التوقعات غير الواقعية والأفكار اللاعقلانية لدى الأفراد التعساء. (دردير، 2010، ص16-17)

- ويعرف أيضاً بأنه أسلوب إرشادي توجيهي مباشر يستخدم فنيات معرفية وانفعالية لمساعدة المسترشد على تصحيح معتقداته اللاعقلانية وتحويلها إلى معتقدات معقولة يصبحها ضبط انفعالي وسلوكي. (عطا الله، 2015، ص22)

ومما سبق يمكن القول بأن الإرشاد العقلاني الانفعالي أسلوب من أساليب العلاج النفسي مؤسسه "ألبرت أليس" بدأ في سنة (1954)، يعتمد على تنفيذ أفكار المسترشد اللاعقلانية واستبدالها بأفكار أكثر عقلانية تساعده تجنب الاضطرابات النفسية مما يؤدي إلى تحقيق الصحة النفسية.

اهداف الإرشاد العقلاني الانفعالي:

- توجد العديد من الأهداف لنظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي نورد منها الاتي:
- 1- إن أهداف الإرشاد العقلاني الانفعالي تتمثل في خفض أو إزالة النتائج غير المرغوبة أو الاضطرابات الانفعالية لدى المسترشد، وذلك من خلال التحليل المنطقي لاضطراباتهم.
 - 2- الإرشاد العقلاني الانفعالي يهدف إلى مساعدة المسترشد على أن يهتم بنفسه أولاً، ولكن دون أن يصبح أنانياً.

- 3- يهدف الإرشاد العقلاني الانفعالي إلى مساعدة الإنسان على التوجيه الذاتي وأن يتحمل المسؤولية الشخصية، ويعمل باستقلالية، وهو قد يحتاج إلى مساعدة الآخرين، إلا أن ذلك ليس مطلباً إلزامياً أو مطلقاً.
- 4- الإرشاد العقلاني الانفعالي يهدف إلى مساعدة الإنسان على أن يتقبل حقيقة أنه يعيش في عالم من الاحتمالات، إذ ليس هناك حقائق مطلقة وأكيدة، والعيش في هذه الحياة ليس شيئاً مروعاً.
- 5- يهدف الإرشاد العقلاني الانفعالي إلى مساعدة الإنسان على أن يتصف بمرونة التفكير، وهو يتقبل التغيير.
- 6- إن الإرشاد العقلاني الانفعالي يهدف إلى مساعدة الإنسان على أن يتصف بكونه موضوعياً وعلمياً ومنطقياً، وهو قادر على تطبيق مبادئ المنطق والعلم على نفسه، وعلى علاقاته بالآخرين.
- 7- إن الإرشاد العقلاني الانفعالي يهدف إلى مساعدة الإنسان على أن يحاول التخلص من أنماط التفكير غير المنطقية، وتطوير أنماط التفكير المنطقية بدلاً منها. (الصميلي، 2009، ص 38-40)

أسس الإرشاد العقلاني الانفعالي:

- تتعلق نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي من عدة مبادئ وأسس وعلمية تميز ملامح النظرية في الشخصية والعلاج، نلخصها في الآتي:
- 1- يزعم الإنسان نفسه بالمعتقدات غير العقلانية والانفعالات السلبية التي تلي الأحداث التي تمثل عقبات بالنسبة لهم.
 - 2- التفكير هو الذي يجعل الشيء خيراً أو شراً.
 - 3- يتحدث الناس على ذواتهم ويدعمونها، ويزيد الأفراد من المشكلات الانفعالية والسلوكية عندما يخطئون في ترتيب أولوياتهم.
 - 4- يقوم الأفراد بشكل طبيعي بحل المشكلات وتكون لديهم الرغبة في معرفة الظروف التي تتعارض مع اهتماماتهم وتغييرها.
 - 5- يميل الأفراد إلى الإدراك والتفكير والانفعال في وقت واحد.

6- يجوز مهاجمة الأفكار والمعتقدات الخاطئة التي تؤدي إلى تحقير الذات، وبالتالي تتسبب في الاضطرابات النفسية للفرد وإعادة البناء المعرفي للفرد نتيجة مهاجمة تلك الأفكار يصبح تفكير الفرد أكثر عقلانية ومنطقية.

7- تستمر الاضطرابات الانفعالية لدى الشخص طالما استمرت حالة التفكير غير العقلاني لديه. (صالح، 2017، ص 25-26)

مسلمات الإرشاد العقلاني الانفعالي:

يستند العلاج العقلاني الانفعالي على عدد من المسلمات ذات العلاقة بطبيعة الإنسان، وهذه المسلمات هي:

1- أن الإنسان عقلاني وغير عقلاني في آن واحد ، فهو عندما يكون عقلانيا فإنه يكون فعالاً وسعيداً ونشطاً، وعندما يفكر ويتصرف بشكل غير عقلاني فإنه يعاني من المشكلات والاضطرابات.

2- الفكر والانفعال توأمان مترابطان ومتداخلان، ويؤثر كل منهما في الآخر، والتفكير والانفعال والسلوك أضلاع مثلث واحد تصاحب بعضها بعض تأثيراً وتأثراً.

3- الإنسان يعبر عن فكره رمزياً ولغوياً، وكل من الفكر والانفعال يتضمنان الكلام مع الذات، فإذا كان الفكر مضطرباً صاحبه انفعال مضطرب، وكأن الفرد يحدث نفسه دائماً بالفكر غير المنطقي، ويترجمه في شكل سلوك مضطرب.

4- يتأصل التفكير غير العقلاني في التعليم المبكر لدي الطفل من الأسرة وثقافة المجتمع الذي يعيش فيه.

5- الأفكار اللاعقلانية التي تسبب الانفعالات السلبية ينبغي مناقشتها ومهاجمتها وتعديلها بإعادة تنظيم الإدراك بحيث تصبح منطقية وعقلية. (محمد، 2020، ص3)

فروض نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي:

ويشير باترسون (Patterson) إلى أن نظرية إليس تقوم على مجموعة من الافتراضات، وهي:

1- العقلانية - اللاعقلانية لها أساس وُلادي، أي أن الفرد يُولد ولديه استعداد لأن يكون عقلانياً ممثلاً لذاته، أو لاعقلانياً في سلوكه وهازماً لذاته. فالفرد عندما يفكر بطريقة عقلانية، فإنه يصبح ذا فاعلية ويشعر بالسعادة والكفاءة.

- 2- وجود علاقة تكاملية بين الإدراك والتفكير والانفعال والسلوك، ولكي نفهم السلوك المدمر للذات، يتطلب فهم كيفية إدراك الفرد وتفكيره، وانفعاله، وسلوكه، فما الاضطرابات النفسية إلا نتاج التفكير اللاعقلاني.
- 3- التفكير اللاعقلاني من حيث المنشأ يعود بجنوره إلى التعلم المبكر غير المنطقي الذي يكتسبه الفرد من أطراف عملية التنشئة الاجتماعية.
- 4- الإنسان هو كائن عاقل، ومدرك، ومفكر، ومنفعل، وناطق. فالتفكير واللغة متلازمان، حيث يتم التفكير من خلال استخدام الرموز اللفظية، وطالما أن التفكير يصاحب الانفعال والاضطراب الانفعالي، لذا يستمر الاضطراب الانفعالي لاستمرار التفكير اللاعقلاني. وهذا ما يميز الشخص المضطرب بأنه يحتفظ بسلوكه غير المنطقي بسبب الحديث الداخلي أو الذاتي الذي يتكون عادةً من تفكير لاعقلاني.
- 5- استمرار الاضطراب الانفعالي الناتج عن الألفاظ الذاتية لا تتكرر فقط بالظروف والأحداث الخارجية فحسب، بل تتأثر بإدراكات الفرد وتفكيره واتجاهاته نحو هذه الأحداث المسببة لهذا الاضطراب.
- 6- ينبغي مهاجمة الأفكار والانفعالات السلبية المدمرة للذات عن طريق إعادة تنظيم المعتقدات والاتجاهات التي يتبناها الفرد نحو تلك الأحداث بدرجة يصبح معها الفرد منطقياً وعقلانياً.
- (المرشدي، 2015، ص 27-28)

نموذج "ABCDEF" في الشخصية للإرشاد العقلاني الانفعالي:

ويعتبر نموذج إيس (ABC) في الشخصية مرتكزا لنظريته وممارسة الإرشاد العقلاني الانفعالي الذي يوضح العلاقة بين الأحداث المثيرة والأفكار اللاعقلانية والاضطراب الانفعالي، وهو يفسر الاضطراب لدى الأفراد عندما يخبرون أحداثاً منشطة غير مرغوبة، ويلبها معتقدات إما عقلانية أو غير عقلانية عن تلك المثيرات، ثم يصيغون بمعتقداتهم نتائج انفعالية سلوكية، إما أن تكون مناسبة أو غير مناسبة وذلك وفقاً للمعتقدات، ويعتمد النموذج على جانبين يكمل كل منهما الآخر:

الجانب الأول: (Activating – Beliefs – Consequences) A.B.C:

وهو بمثابة الجانب التشخيصي، وهو يوضح العوامل الأساسية، التي تؤدي إلى نشأة الاضطراب الانفعالي.

الجانب الثاني- (Disputing – Enactment – Feed Back) D.E.F: وهو

الجانب العلاجي، و من خلاله يتم توضيح ومناقشة العلاقات بين الأحداث المثيرة، والأفكار

اللاعقلانية، ومهاجمة تلك الأفكار الهدامة التي يتبناها المسترشد، واستبدالها بأخرى أكثر منطقية، ومحاولة إكساب المسترشد طرق التفكير السليمة التي من خلالها يستطيع دحض أفكاره وتقييمها سواء السابقة تجاه الأحداث التي سببت له الاضطراب الانفعالي، أو طريقة تفكيره تجاه الأحداث المثيرة التي ستواجهه. (رددير، 2010، ص26-27) ويمكن وصف النموذج كما يلي:

- يشير الرمز **(A) Activating** إلى الحادث أو الخبرة المثيرة.
- والرمز **(B) Beliefs** يعبر عن نظام الأفكار والمعتقدات التي يقوم الفرد باستخدامها لوصف وتفسير الحادث أو الخبرة التي تؤدي إلى إثارة الاضطراب الانفعالي وتدمير وهزيمة الذات، وهي أشبه في السلوكية بالعمليات الوسيطة.
- أما الرمز **(C) Consequences** فيشير إلى النتائج أو الاضطرابات الانفعالية التي يشعر بها الفرد نتيجة لأحداث أو الخبرة.

فإذا حدث وشعر الفرد بخبرة انفعالية **(C)** كالخوف أو القلق نتيجة حادث معين **(A)** مثل حديثه لنفسه بأنّ الفشل في الامتحان مصيبة وكارثة وأنه نهاية المطاف ولا يمكن تحملها، من خلال ذلك يشعر بأنه غير جدير بالاحترام والتقدير من الغير، وبسبب هذا الفشل، يستمرّ الفرد في ترجمة هذه المعتقدات لذاته على شكل ألفاظ وإيحاءات داخلية يكرّرها لنفسه، فتؤدي إلى الإحساس بالقلق والخوف، إنّ نظام معتقدات الفرد وترميزه وتفسيره للأحداث والخبرات التي يمرّ بها وتعريفه لها بأنّها مقلقة أو مخيفة هو المسؤول عن الاضطرابات الانفعالية وليست الحوادث نفسها، ويرى "إليس" أنّ المشاكل الانفعالية والاضطرابات النفسية تنتج عن نظام التفكير لدى الفرد الذي يرمز له **(B)** وأنّ الحرف **(A)** وهو المثير أو الخبرة التي يمرّ بها الفرد، ليست هي السبب الرئيسي للاضطرابات الانفعالية لديه.

بعد أن وضع "إليس" هذا النموذج قام باستكمالته وطوّره حتى أصبح نموذجاً جديداً يتمثل في **(D.E.F)** وهو الأسلوب الإرشادي العلاجي الذي ينتهجه إليس مع مسترشديه، فالحرف **(D) Disputing** يتضمّن مفهوم التنفيذ ودحض والاحتجاج على المعتقدات غير

العقلانية والأفكار الخاطئة، مما يجعل المسترشد يتحدى نفسه ويتحدى أفكاره ومعتقداته ويفندها ويحتج على عدم منطقيتها ثم يغيرها.

- أما الحرف **Enactment (E)** يتضمّن التأثير الجديد الذي يحقّقه الفرد نتيجة لتغيير أفكاره واعتقاداته غير العقلانية إلى أفكار صحيحة واعتقادات عقلانية، أي أن يقوم المرشد بتغيير الأفكار التي تمّت مهاجمتها بأفكار عقلانية من خلال تعديل نظام التفكير لدى الفرد وتبنيه فلسفة جديدة.

- ويتضمن الحرف **Feed Back (F)** المشاعر الجديدة التي يشعر بها الفرد بعد أن يصل إلى حالة من الارتياح السنة والاستقرار النفسي، وهي الخطوة الأخيرة التي من خلالها تتغيّر انفعالات الفرد السلبية إلى انفعالات إيجابية، وهو الهدف الرئيس للإرشاد العقلاني الانفعالي. (بلعسلة، 2013، ص104-105)

تقييم نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي: لعلّ من أهمّ ما تميّز به هذه النظرية كونها مناسبة، وتسعى للكشف عن الأفكار السلبية التي تسبّب الاضطراب النفسي ومهاجمتها، كما أنّها تسعى لتغيير الأفكار اللاعقلانية واستبدالها بأفكار أكثر إيجابية وعقلانية، ومن أجل تقييم نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي يتم تركيز على جانبين هما المميزات والعيوب:

المميزات:

- 1- من أكثر النظريات المعرفية المهمة في وصف الاضطرابات الانفعالية.
- 2- اهتمامها بالعلاقة بين طريقة تفكير الفرد والناحية الانفعالية لديه والتأثير المتبادل بينهما.
- 3- يسمح للمعالج "المرشد" أن يعلم المسترشد "المسترشد" كيف يعترض على الافتراضات المتخادذة عن نفسه والآخرين.
- 4- التأكد على التقبل الذاتي للفرد بدون قيود أو شرط.
- 5- أهمية الماضي تكمن عند إيس في تشكيله لنمط الحياة الحالي، والفرد مسؤول عن الاحتفاظ بالأفكار والاتجاهات المدمرة للذات، التي تؤثر في تفاعلاته اليومية.
- 6- إن نموذج (ABCDEF) يبين بوضوح وببساطة كيف تحدث الاضطرابات للإنسان والطرق التي يمكن أن يتغير بها السلوك المضطرب.

7- التأكيد على أن تحمل الإحباط حتى ولو كان منخفضاً يؤثر في إحداث الاضطراب الانفعالي. (صالح، 2017، ص45-47)

العيوب: (جوانب القصور)

- وجهت جوانب قصور وعدة انتقادات لهذه النظرية وتطبيقاتها منها ما يلي:
- 1- إن أسلوب الجدل والهجوم المباشر على أفكار المسترشد يمثل نوعاً من التهديد له، ومن شأنه أن يزيد من مقاومة المسترشد ويجعل التغيير صعب إن لم يكن مستحيلًا.
 - 2- إن هذا الاتجاه يركز على الجوانب العقلية المعرفية، ويهمل الجوانب الانفعالية اعتماداً على أن الأفكار هي المولدة للانفعالات.
 - 3- لا يصلح استخدام الإرشاد العقلاني الانفعالي في علاج المشكلات والاضطرابات العميقة، كما لا يصلح مع المتأخرين عقلياً.
 - 4- محور الإرشاد العقلاني الانفعالي هو التعرف على الأفكار غير المنطقية، وذلك مدعاة للتساؤل عن المعيار الذي يبني عليه المرشد حكمه على منطقية وعدم منطقية أفكار المسترشد. (الصميلي، 2009، ص60-61)
 - 5- يعتمد العلاج العقلاني الانفعالي على التعرف على أفكار المسترشد والعمل على تنفيذها وبيان اللامنطقي فيها، وتعليم المسترشد أفكاراً أكثر منطقية وأكثر عقلانية، وهذا كله يعتمد على دور المرشد في توضيح هذه الجوانب مما يؤكد على عدم ملائمة هذا الأسلوب مع حالات التخلف العقلي والحالات شديدة الاضطراب.
 - 6- تخفق هذه النظرية في الوصول إلى الأفكار اللاشعورية الدفينة، فهي تعالج الظاهر فقط وبالإيحاء وبالتالي لا يمكن التعامل مع الأفكار اللاشعورية.
 - 7- يؤخذ على هذه النظرية أنها تركز على الأعراض أكثر مما تركز على جذور المشكلة، فهي لا تتعامل مع اللاشعور، وبالتالي تترك المكبوتات، فهي لا تصلح في علاج المشكلات والاضطرابات العميقة كما لا تصلح مع ضعاف العقول. (بلعسلة، 2013، ص120)

مما سبق عرضه يتضح أهمية الإرشاد النفسي في حياة الإنسان باعتبارها خدمة يقدمها الأخصائي أو المرشد لمن يحتاجها، فهو يعتبر ضرورة نفسية وتربوية ومطلباً اجتماعياً،

خاصة بالنسبة للمراهق لمساعدته في حل مشكلاته المختلفة ومنها المدرسية والاجتماعية حيث نجد، هناك في تعدد مجالات الإرشاد النفسي الذي جاء ليحل مشاكل الطلبة ذات الطابع الأكاديمي والتربوي والنفسي والاجتماعي والسلوكي، لمساعدتهم على تحقيق التكيف مع الوسط المدرسي، والتوافق النفسي الاجتماعي، وتعد نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي التي وضعها البرت اليس أحد أهم الأساليب الإرشادية المعرفية السلوكية التي انطلقت من أن ما يعانيه الفرد من مشكلات واضطرابات نفسية، ماهي إلا نتيجة سوء تفسيره للأمور، وذلك بناء على الأفكار اللاعقلانية والمعتقدات غير المنطقية التي يتبناها.

المحور الثاني- الأخصائي النفسي:

يعتبر تخصص الإرشاد النفسي المتمثل في الأخصائي النفسي (المُرشد النفسي) مطلب رئيس في وقتنا الحاضر نظراً لما تمر به المجتمعات من تغييرات اجتماعية واقتصادية وثقافية مختلفة أدت إلى ظهور بعض المشكلات النفسية والاجتماعية، مما يدعو لوجود شخص متخصص يساعد الأفراد الذين يواجهون مثل هذه المشكلات في التعامل مع مشكلاتهم وتجاوزها بما يمتلكه من معرفة وخبرة ومهارة وخصائص شخصية تؤهله للقيام بهذا الدور، وقد وردت العديد من المفاهيم للأخصائي النفسي نورد منها الآتي:

- الأخصائي النفسي هو الشخص المؤهل علمياً لتقديم المساعدة المتخصصة للأفراد والجماعات الذين يواجهون بعض الصعوبات والمشكلات النفسية والاجتماعية. (أبو عبادة ونيازي، 2000، ص53)

- كما يعرف الأخصائي النفسي بأنه الشخص المخطط للعملية الإرشادية وهو شخص مؤهل تأهيلاً متخصصاً. (عبده، 2000، ص29)

- وكذلك يعرف بأنه الشخص الحاصل على الشهادة الجامعية في أحد فروع العلوم الإنسانية التالية (إرشاد نفسي، توجيه وإرشاد، صحة نفسية، تربية وعلم النفس، خدمة اجتماعية)، الذي امتحن مهنة الارشاد التربوي وتدريب عليها في مساعدة الطالب على حل مشاكله وفهم نفسه وتطوير قدراته إلى أقصى حدّ ممكن. (الأحرش وآخرون ، 2020، ص32)

الحاجة التي أدت إلى وجود الأخصائي النفسي:

إن الفرد والجماعة يحتاجون إلى الإرشاد النفسي في مراحل مختلفة من حياتهم، فالمتعلم من خلال نموه يمر بمشكلات وأزمات حرجة يحتاج فيها إلى توجيه وإرشاد، فانقلبه من مرحلة الطفولة إلى المراهقة، ومن المراهقة إلى الرشد، ومن الرشد إلى الشيخوخة والكهولة، ومن الحياة التعليمية إلى الحياة العملية، وفي هذا الانتقال يقابل المتعلم العديد من المشكلات التي بحاجة إلى الإرشاد النفسي التي يقوم بها الأخصائي النفسي، وما يؤكد الحاجة إلى الأخصائي أو المرشد التغييرات العديدة التي تحدث للفرد منها التغييرات التي طرأت على الأسرة حيث طرأت الكثير من التغييرات على الأسرة ووظائفها وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض، لذلك فقد تتعرض الأسرة إلى بعض المشاكل الجديدة نتيجة ظهور الأسر الزوجية الصغيرة بدلاً من الأسر الممتدة، وخروج المرأة للعمل وابتعاد الأم عن بيتها وأطفالها، وكذلك التغييرات التي طرأت على الحياة المهنية، الأمر الذي زاد ظهور مشكلات لم تكن معروفة منها القلق والضغط النفسية والتوتر، واتساع الطموح، والتبدل السريع للقيم والتقاليد والأعراف السائدة، وكذلك أيضاً تطور التعليم، حيث اختلفت طرائق التعليم عما كانت عليه في الماضي، ذلك لأن أهدافه قد تغيرت وطرائقه قد تعددت، حيث أصبح التعليم يشجع المتعلم على التفكير، ويهتم بشخصيته في جميع جوانبها، فقد أصبح المتعلم محور العملية التعليمية. (الأحرش، 2009، ص53-54)

أهداف الأخصائي النفسي: إن الهدف السنة للأخصائي النفسي هو تحقيق الصحة النفسية والسعادة للفرد، ويرتبط هذا الهدف بحل مشكلات المتعلم (المسترشد) ومساعدته على حل مشكلاته بنفسه، وعلى تحقيق ذاته، سواء كان هذا المتعلم عادياً أو متفوقاً أو ضعيف العقل أو متأخراً دراسياً أو متفوقاً، (الأحرش، وآخرون، 2002، ص35-37) لأن الإرشاد النفسي يهدف إلى نمو مفهوم موجب للذات الذي يتحقق عند تطابق مفهوم الذات الواقعي مع مفهوم الذات المثالي، ومفهوم الذات هو المحدد الرئيس للسلوك، كما يهدف الأخصائي النفسي إلى استبدال العادات الخاطئة التي كان المسترشد قد اكتسبها خلال عملية النمو بعادات صحيحة مرغوب فيها تؤدي إلى التوافق السليم مع الذات ومع الآخرين. (الأحرش، 2009، ص57-59) وهناك أهداف عامة للأخصائي تنحصر في:

- 1- تسهيل عملية تغيير السلوك: إن الهدف من الإرشاد النفسي هو الوصول إلى تغيير السلوك مما يمكن المسترشد أن يحيا حياة أكثر إنتاجية ومرضية.
- 2- زيادة مهارات المواجهة والتعامل مع المواقف والضغوط: يمر الإنسان بمجموعة من الصعوبات خلال نموه والقليل لا يواجهون مواقف ضاغطة، وهذه المشكلات تحتاج إلى المرشد النفسي الذي يهتم بمساعدة المسترشد على تنمية تلك المهارات.
- 3- المساعدة على تنمية طاقات المسترشد: أي يوفر له امكانياته لينمو بطاقته عن طريق استخدام قدراته وميوله، وبذلك يحسن الفاعلية الشخصية. (العاسمي، 2011، ص61-62)

الصعوبات التي يواجهها الأخصائي النفسي في المدرسة: يواجه الأخصائي النفسي صعوبات متعددة أثناء تأديته لعمله الإرشادي العلاجي في المدرسة، وتختلف هذه الصعوبات باختلاف مصدرها نعرضها فيما يلي:

- 1- **صعوبات مصدرها الاخصائي ذاته:** يختلف الأخصائيون من حيث سماتهم الشخصية وقدراتهم المهنية وتخصصاتهم ومستوياتهم التدريسية، فبعض الأخصائيين ليس لديهم القدرة على الصبر وتحمل أعباء العمل ومساعدة الآخرين، وبعضهم يحمل مؤهلاً علمياً بعيداً عن التربية وعلم النفس والإرشاد النفسي مما يجعلهم يواجهون صعوبات فنية وعملية في التعامل مع قضايا الطلبة بسبب اختلاف خلفياتهم العلمية، وعدم توفر المراجع الإرشادية.
- 2- **صعوبات مصدرها الطلبة:** عدم وضوح دور الأخصائي النفسي في أذهان الطلبة، وعدم تعاونهم معه، وإنه من العيب مراجعة الأخصائي أو المرشد، واعتبار من يزور الأخصائي هو شخص مريض.
- 3- **صعوبات مصدرها المعلمون:** عدم فهم بعض المعلمين لطبيعة عمل الأخصائي أو المرشد في المدرسة وعدم رغبتهم في التعاون معه، أو التقليل من أهمية دوره في المدرسة، كما يقوم بعضهم بتحريض الطلبة عليه وحثهم على عدم التعاون معه، وعدم إيمان بعضهم بجدوى العمل الإرشادي.

- 4- صعوبات مصدرها الأهل والمجتمع المحلي: عدم معرفتهم بطبيعة عمل الأخصائي النفسي، وتدني توقعاتهم من الخدمات التي يقدمها الأخصائي أو المرشد، وعدم اقتناعهم بالعمل الإرشادي، أو عدم تعاون بعض أولياء الأمور مع الأخصائي في حل قضايا الطلبة.
- 5- صعوبات مصدرها نقص الإمكانيات المدرسية: بعض المدارس لا يوجد فيها غرفة للأخصائي، أو لا تستطيع توفير ثمن سجلاته الإرشادية أو توفير المراجع له لإعداد بحث أو تصوير أو سحب بعض نشراته أو توفير قاعة خاصة لاستقبال أولياء الأمور. (الشرفا، 2011، ص65-67)

مما سبق يمكن القول بأن الأخصائي النفسي هو الشخص المعين من قبل وزارة التربية والتعليم، ليقوم بعملية إرشاد الطلبة وتوجيههم في المدارس ومساعدتهم في تحقيق أكبر قدر من التكيف داخل المدرسة وخارجها. وما يؤكد الحاجة إليه التغيرات العديدة التي تحدث للفرد منها التغيرات التي طرأت على الأسرة والحياة المهنية، وكذلك أيضاً تطور التعليم، حيث اختلفت طرائق التعليم عما كانت عليه في الماضي، الأمر الذي زاد ظهور مشكلات لم تكن معروفة منها القلق والضغوط النفسية والتوتر، واتساع الطموح، والتبدل السريع للقيم والتقاليد والأعراف السائدة، هذا ما يؤكد على حاجة المؤسسات التربوية والتعليمية إلى الإرشاد النفسي المتمثل في الأخصائي النفسي.

المحور الثالث- الأخصائي النفسي وفق نظرية البرت اليس:

إن العملية الإرشادية عامةً وبرامج الإرشاد النفسي خاصةً لا يقوم بها الأخصائي النفسي أو المرشد النفسي والاجتماعي وحده، ولنجاح العملية الإرشادية فهناك نظريات لها دور كبير وحيوي في هذه العملية ومنها نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي (البرت اليس) لأهمية هذه النظرية في العملية الإرشادية من خلال الطرق والفنيات والإجراءات التي يتبعها الأخصائي النفسي، مما يؤدي إلى نجاح دوره في العملية الإرشادية داخل المؤسسة التعليمية (المدرسة).

أهمية تطبيق نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي للأخصائي النفسي:

- 1- التعرف على أسباب المشكلة، أي الأسباب غير المنطقية التي يعتقد بها المسترشد والتي تؤثر على إدراكه وتجعله مضطرباً.

- 2- إعادة تنظيم إدراك المسترشد وتفكيره عن طريق التخلص من أسباب المشكلة ليصل إلى مرحلة الاستبصار للعلاقة بين النواحي الانفعالية والأفكار والمعتقدات والحدث الذي وقع فيه المسترشد.
- 3- إقناع المسترشد على جعل الأفكار في مستوى وعيه وانتباهه ومساعدته على فهم اللامنطقية منها.
- 4- تدريب المسترشد على إعادة تنظيم أفكاره وإدراكه وتغيير الأفكار اللامنطقية الموجودة لديه ليصبح أكثر فعالية واعتمادياً على نفسه في الحاضر والمستقبل.
- 5- استخدام أساليب الارتباط الإجرائي والمناقشات الفلسفية والنقد الموضوعي في أداء الواجبات، وهذه من أهم جوانب العملية الإرشادية.
- 6- مهاجمة الأفكار والحيل الدفاعية التي توصل الأخصائي إلى معرفتها من خلال الجلسات الإرشادية مع المسترشد وإبدالها بأفكار أخرى مقبولة اجتماعياً. (عيسى، 2015، ص16-17)

طرق الإرشاد العقلاني الانفعالي التي يتبعها الأخصائي النفسي: من الميزة التي تتمتع بها نظرية البرت اليس يمكن أن يستخدمها الأخصائي بشكل فردي أو جماعي كما يستخدمها بشكل مختصر وفقاً للاحتياجات والمتطلبات الموجودة، ومن أبرز هذه الطرق الآتي:

1- الإرشاد الفردي: وفقاً لنظرية اليس فإن أسلوب الإرشاد الفردي يكون بين الأخصائي والمسترشد (العميل) فقط، وذلك في حالة الأفراد الذين ليست لديهم القدرة على مواجهة الآخرين ويفضلون الإرشاد الفردي، ويحاول الأخصائي النفسي تعليم المسترشد أساس اضطرابه وكيفية مهاجمة المصادر الأساسية لمشاكله وتتركز في توضيح نموذج (ABC) للمسترشد، وقد حدد اليس بأن معظم العملاء يأخذون من (5-50) جلسة إرشادية، بواقع جلسة واحدة أسبوعياً، ويتخلل الجلسات إعطاء واجبات سلوكية، وذلك حسب المشكلة التي يعاني منها، في حين المتعالج الذي لديه اضطرابات انفعالية حادة قد تمتد الإرشاد الفردي معه إلى السنة، حتى يستطيع التدريب على المهارات التي تعلمها.

2- الإرشاد الجماعي: يعرض اليس في كتابه (العلاج النفسي الإنساني - المنظور العقلاني الانفعالي) فصلاً كاملاً بعنوان: "العقلانية واللاعقلانية في عمليات العلاج الجماعي"، يشير إلى أن العلاج العقلاني الانفعالي يصلح بفاعلية للإرشاد الجماعي، حيث يتعلم جميع أعضاء الجماعة كيف يمكنهم تطبيق مبادئه على الأعضاء الآخرين في الجماعة، فالكل يتعلم جميع المبادئ بصورة أحسن ويتدرب عليها، وذلك تحت الإشراف المباشر من قائد الجماعة (الأخصائي النفسي)، ومن خلال الجماعة يكون هناك الفرصة لتطبيق الأعمال المنزلية والتدريب على لعب الأدوار مع الآخرين، والتعلم من خبرات الآخرين والتعامل الاجتماعي والعلاجي في الجلسات وبعدها، وملاحظة سلوك الأعضاء بشكل مباشر عن طريق الأخصائي النفسي والأعضاء الآخرين، وذلك أفضل من مجرد تقديم تقارير عنه بعد وقوع السلوك، كما تتيح الجماعة للفرد الاندماج في العمليات الجماعية الأخرى التي تخطط لدعم المشاركة الإيجابية، وكيف يؤثر كل منهم في تفكير الآخرين ومشاعرهم وسلوكياتهم، كما أنه في نفس الوقت يتأثر بهم.

3- الإرشاد العقلاني الانفعالي المختصر: يذكر اليس أن الإرشاد العقلاني الانفعالي المختصر يتألف بشكل نموذجي من (10-20) جلسة، ويهدف بطبيعته إلى أن يكون علاجاً للأفراد الذين يعانون من اضطرابات شديدة مواصلة العلاج الفردي والجماعي لستة شهور أو لسنة على الأقل حتى تتاح لهم فرصة لممارسة ما يتعلمونه، ولكن بالنسبة للأفراد لا يستطيعون لسبب أو لآخر مواصلة العلاج العقلاني الانفعالي لأكثر من فترة قصيرة فإنه يمكن للأخصائي أن يعلمهم خلال جلسة أو عشر جلسات نموذج (ABC) لفهم أي مشكلة انفعالية. (صالح، 2017، ص 39-41)

فنيات الإرشاد العقلاني الانفعالي التي يتبعها الأخصائي النفسي: يرى البرت اليس بأن الهدف من الإرشاد العقلاني الانفعالي يتمثل في مساعدة المسترشد (العميل أو المتعالج أو المفحوص) على أن يحقق أهدافه من خلال التطبيق المنظم للأساليب المعرفية والانفعالية والسلوكية، فقد تعددت الفنيات التي يمكن الاستعانة بها خلال الجلسات الإرشادية (العلاجية)، وجدير بالذكر أن كلاً من المعالج (الأخصائي - المرشد) والمسترشد (المتعلم)

يعتمدان بشكل كبير على الحوار اللفظي في المواجهات التي تتم خلال الجلسات، وتنقسم هذه الفنيات الإرشادية التي يتبعها الأخصائي النفسي:

1- فنيات معرفية: وهي التي تساعد المسترشد على تغيير أفكاره اللاعقلانية واتجاهاته وفلسفته غير المنطقية إلى أفكار واتجاهات عقلانية جديدة وتبني المسترشد فلسفة واضحة في الحياة تقوم على العقلانية، وتعلم المسترشد أن يفصل بين معتقداته العقلانية (غير المطلقة) ومعتقداته اللاعقلانية (المطلقة)، وكيف يستخدم الطريقة المنطقية في العلم بالنسبة لذاته ولمشكلاته، وكيف يتقبل الواقع حتى إذا كان كئيبيًا، ويدعو المسترشد إلى التفكير بأنه حتى لو ساءت الأمور إلى أقصى حد، وتعدّ فنية المناقشة والحوار من أهم الفنيات المعرفية تأثيراً في الموقف التعليمي، لما لها من الآثار الإيجابية المتنوعة التي تتمثل في إثارة اهتمام المتعلم نحو المتحدث، والعمل على تركيز الانتباه وعدم تشتته، كما تعمل على توجيه الصحيح للقيام بنشاط معين.

2- فنيات انفعالية: هي التي تتناول مشاعر المسترشد وأحاسيسه والمواقف الصادمة المثيرة والخبرات الماضية المتعلقة بمشكلته وتستخدم للمساعدة في تغيير قيم المسترشد المحورية، ويعبر عنها إليس بأنها فنيات العلاج الانفعالي الإظهارية التي تتمثل في إظهار الحقائق والأكاذيب كي يستطيع المسترشد التمييز بينها بوضوح ويستخدم المرشد لعب الأدوار، والنمذجة والفكاهة، وحث المسترشد وإنذاره وإقناعه بالتخلي عن هذه الأفكار اللاعقلانية وتشجيع المسترشد على المخاطرة، بالإضافة إلى قيام علاقة تتسم بالحب والتقدير والاحترام والألفة بين المرشد والمسترشد.

3- الفنيات السلوكية: هي التي تساعد المسترشد في التخلص من السلوك المختل وظيفيًا وحث المسترشد على تغيير سلوكه وتعديله وتعزيز السلوك التوافقي ومساعدته على التغيير الجذري لمعارفه ومفاهيمه المتعددة عن ذاته وعن الآخرين. ويعبر عنها إليس بأنها فنيات العلاج العقلاني السلوكي، وهي متعددة منها الواجبات المنزلية المباشرة، والتحصين التدريجي والنشاط الموجه وضبط الذات، والاستبصار والتعليم والاسترخاء والتخيل العقلاني والإرشاد الإجرائي لتدعيم تغيير الفرد لسلوكه. (الصميلي، 2009، ص 51-53)

إجراءات الارشاد العقلاني الانفعالي التي يتبعها الأخصائي النفسي: حدد "ألبرت ليس" عدداً من الإجراءات التي يستخدمها الأخصائي النفسي (المرشد) في تحقيق أهداف عملية الإرشاد وهذه الإجراءات هي:

1. بناء علاقة إرشادية مهنية بين الأخصائي النفسي والمسترشد.
2. أن يقوم المسترشد بعرض مشكلته وأعراضه المرضية واستجاباته نحوها وعلى الأخصائي النفسي تحديد الأفكار والمعتقدات اللاعقلانية ومعرفتها التي توجد لدى المسترشد، وأن يوضح للمسترشد العلاقة بين الأفكار اللامنطقية واضطراباته الانفعالية.
3. أن يوضح الأخصائي النفسي للمسترشد أن استمرار الاضطرابات الانفعالية لديه هي بسبب الاستمرار في التفكير غير العقلاني وليس الأحداث السابقة.
4. أن يساعد الاخصائي النفسي المسترشد على مهاجمة الأفكار اللاعقلانية واستبدالها بأفكار أكثر عقلانية.
5. مساعدة الأخصائي النفسي المسترشد على تبني فلسفة للحياة أكثر عقلانية بحيث يمكن أن يتحاشى المسترشد الوقوع ضحية أفكار أخرى غير عقلانية. (سالمي وسعد الله، 2022، ص173-174)

دور الأخصائي النفسي وفق نظرية البرت ليس: إن الأخصائي النفسي أو المعالج العقلاني الانفعالي شخص نشط يتسم بقوة التأثير على المسترشد وبقدرته على الإقناع وعلى مهاجمة الأفكار غير المنطقية وتحليل فلسفات المسترشدين في الحياة واتجاهاتهم ونسق التفكير لديهم، كما يكون بوسعه استخدام الأساليب المعرفية والعاطفية والسلوكية في التأثير على أفكار المسترشدين ومشاعرهم وتصرفاتهم، ويمكن تحديد دور الأخصائي النفسي عند "ألبرت ليس" فيتلخص في الخطوات الآتية:

1. إقناع المسترشد بأنه المسؤول عن مشكلاته وطريقة تفكيره.
2. استبدال أفكار المسترشد غير المنطقية بأفكار منطقية.
3. الأخصائي النفسي دوره دور المعلم وعليه إعادة البناء المعرفي المنطقي للمسترشد. (سالمي وسعد الله، 2022، ص175)

فمن خلال ما سبق يمكن استنتاج أن مهمة الأخصائي النفسي وفق نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي تنحصر في الكشف عن الأفكار والمعتقدات غير المنطقية التي يتبناها المسترشد، ويوضح له أن هذه الأفكار قد أدت به إلى الاضطراب النفسي، ويبين له أن الأفكار التي يقولونها لأنفسهم والتي تتسم بعدم المنطقية هي التي تساعدهم على الاستمرار في الاضطرابات الانفعالية، ومن ثمَّ يجب على الأخصائي النفسي أن يقوم بمهاجمة هذه الأفكار والمعتقدات المؤذية للذات وتحويلها إلى أفكار أكثر منطقية وعقلانية مستخدماً في ذلك العديد من الطرق والفنيات التي يقوم عليها الإرشاد العقلاني الانفعالي.

نتائج البحث:

- 1- إن الإرشاد العقلاني الانفعالي هو أسلوب من أساليب العلاج النفسي رائده "ألبرت أليس" بدأ في سنة (1954)، يعتمد على تنفيذ أفكار المسترشد اللاعقلانية واستبدالها بأفكار أكثر عقلانية تساعده على تجنب الاضطرابات النفسية مما يؤدي إلى تحقيق الصحة النفسية.
- 2 - تُعدُّ نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي التي وضعها: (البرت أليس) أحد أهم الأساليب الإرشادية المعرفية السلوكية التي انطلقت من أن ما يعانيه الفرد من مشكلات واضطرابات نفسية ما هي إلا نتيجة سوء تفسيره وتأويله للأمور، وذلك بناء على الأفكار اللاعقلانية والمعتقدات غير المنطقية.
- 3-الأخصائي النفسي هو الشخص المعين من قبل وزارة التربية والتعليم، ليقوم بعملية توجيه الطلبة وإرشادهم في المدارس ومساعدتهم في تحقيق أكبر قدر من التكيف داخل المدرسة وخارجها، وما يؤكد الحاجة إليه التغيرات العديدة التي تحدث للفرد منها التغيرات التي طرأت على الأسرة والحياة المهنية، وكذلك أيضاً تطور التعليم.
- 4- أن مهمة الأخصائي النفسي وفق نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي تنحصر في الكشف عن الأفكار والمعتقدات غير المنطقية التي يتبناها المتعلم (المسترشد).
- 5- دور الأخصائي النفسي وفق نظرية البرت أليس يتمثل في توضيح الأفكار والمعتقدات غير المنطقية التي قد أدت بالمتعلم (المسترشد) إلى الاضطراب النفسي.

6- الأخصائي النفسي أن يقوم بمهاجمة الأفكار والمعتقدات المؤذية للمتعلم (المسترشد) وتحويلها إلى أفكار أكثر منطقية وعقلانية مستخدماً في ذلك العديد من الطرق والفنيات والإجراءات التي تتم وفق نظرية الإرشاد العقلاني الانفعالي.

توصيات البحث: في ضوء نتائج البحث يمكن الخروج بالتوصيات التالية:

1. ضرورة الحث على الاستمرار في بذل الجهود وتطوير الأداء للوصول إلى أفضل مستوى من أجل تطوير العملية الإرشادية.
2. ضرورة عقد دورات تثقيفية وتوعوية في مجال الإرشاد النفسي لفئة مديري المدارس والمعلمين لتوضيح المفهوم وأدوار الأخصائي النفسي.
3. تخصيص ميزانية مستقلة لتنفيذ أهداف التوجيه والإرشاد النفسي في المؤسسات التعليمية، إضافة إلى توفير المراجع والنشرات الخاصة بالأخصائي النفسي حتى يتسنى للمعلمين والمديرين الاطلاع عليها.

مقترحات البحث:

- نظراً لأهمية العملية الإرشادية عامةً ونظريات الإرشاد النفسي خاصةً ولما لهما من فوائد جمة، وبناء على ما أسفر عنه هذا البحث من نتائج يقترح الباحث إجراء بعض الدراسات من أجل توضيح دور نظريات الإرشاد النفسي في نجاح الأخصائي النفسي داخل المؤسسة التعليمية وتحسينها وتطويرها، وهذه المقترحات هي:
1. إجراء دراسة يمكن من خلالها التعرف على واقع العملية الإرشادية في ليبيا من وجهة نظر المديرين والمعلمين والأخصائيين والمرشدين.
 2. إجراء دراسة على حاجة المؤسسات التعليمية إلى دور الأخصائي النفسي، من وجهة نظر المديرين والمعلمين.
 3. استغلال وسائل الإعلام كالإذاعة المرئية وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) لتوضيح دور الإرشاد النفسي المتمثل في الأخصائي النفسي داخل المؤسسات التعليمية.

المراجع:

- 1- أحمد هاشم، وشاكر جاسم، أثر استعمال الوسائل التعليمية للكتاب المدرسي ورسومات المعلم التوضيحية في تحصيل المعلومات التاريخية واستبقائها، مجلة البحوث التربوية والنفسية، المجلد 9، العدد 32، 2012.
- 2- أشرف على عبده، الإرشاد النفسي بين النظرية والتطبيق، جامعة أسيوط، القاهرة، 2000.
- 3- بشير صالح الرشدي، مناهج البحث التربوي، دار الكتاب، القاهرة، 2000.
- 4- حسن بن إدريس الصميلي، فاعلية برنامج إرشادي عقلاني انفعالي في خفض السلوك الفوضوي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمنطقة جازان التعليمية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2009.
- 5- خيرى على القمودي الأحرش، مدى حاجة مؤسسات التعليم الأساسي إلى خدمات الإرشاد النفسي بمدينة الزاوية، رسالة ماجستير، جامعة الزاوية، الزاوية، 2009.
- 6- خيرى علي القمودي الأحرش، وآخرون، الإدارة المدرسية ودورها في نجاح المرشد النفسي، مجلة مسارات علمية، العدد 13، الجزء الثاني، يونيو 2020.
- 7- رياض نايل العاسمي، الأسس العامة للتوجيه والإرشاد النفسي، دمشق، 2011.
- 8- صالح بن عبدالله أبو عبادة، وعبدالمجيد بن طاش نيازي، الإرشاد النفسي والاجتماعي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2000.
- 9- عباس الصادق محمد، بعض نظريات التوجيه والإرشاد، أكاديمية علم النفس، تاريخ الاطلاع 2020-1-8 www.google.com
- 10- عبير فتحي الشرفا، الذات المهنية للمرشدين النفسيين في العمل الإرشادي التربوي بقطاع غزة، رسالة ماجستير، جامعة غزة، غزة، 2011.
- 11- عماد حسين المرشدي، وعقيل خليل الطفيلي، الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها بموقع الضبط لدى طلبة الجامعة، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العراق، 2015.

- 12- عماد عبد الحميد صالح، فاعلية برنامج عقلائي انفعالي سلوكي لخفض قلق المستقبل وتنمية الإيجابية، رسالة دكتوراه، جامعة المنصورة، مصر، 2017.
- 13- غالية عيد عيسى، الأفكار غير العقلانية وعلاقتها بالتوافق الزوجي لدى معلمي ومعلمات التعليم الأساسي في مدينة إجدابيا، جامعة بنغازي، بنغازي، 2015.
- 14- فتحية بلعسلة، فاعلية برنامج إرشاد جماعي معرفي سلوكي في تنفيذ الأفكار اللاعقلانية الداعمة للعدوان وتعديل السلوك العدواني عند المراهق المتمرس، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 2013.
- 15- محمد إبراهيم عطا الله، فعالية برنامج إرشادي عقلائي انفعالي سلوكي في تنمية الشعور بالأمن النفسي والرضا عن الحياة لدى المراهقين المكفوفين، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 164، الجزء الرابع، يوليو 2015.
- 16- مسعودة سالمى، والطاهر سعد الله، العملية الإرشادية وفق نظرية "ألبرت أليس" للإرشاد العقلائي الانفعالي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 14، 2022.
- 17- نشوة كرم عمار دردير، فاعلية برنامج إرشادي عقلائي انفعالي في تنمية أساليب مواجهة الضغوط الناتجة عن الأحداث الحياتية لدى طلبة الجامعة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 2010.
- 18- يوسف أبو القاسم الأحرش، وآخرون، المدخل إلى التوجيه والإرشاد النفسي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2002.

حق الدولة المضيفة في حماية أمنها من التجسس الدبلوماسي

أ.محمد علي المبروك الفرجاني
كلية القانون الرحيبات - جامعة نالوت

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على حق الدولة المضيفة في حماية أمنها الوطني من ظاهرة التجسس الدبلوماسي، وذلك من خلال ماهية التجسس، وأنواعه، وبيان مدى شرعيته في القانون الدولي، ومن خلال التعرف على العلاقة بين التجسس والحصانات والامتيازات الدبلوماسية.

وكذلك مناقشة حق الدولة المضيفة في حماية أمنها الوطني من إساءة استعمال تلك الحصانات والامتيازات، وذلك للوصول إلى دراسة ظاهرة التجسس الدبلوماسي واحدة من أهم مظاهر إساءة استعمال الحصانات والامتيازات الدبلوماسية التي تهدد الامن الوطني للدولة المضيفة . ولكن أكثر المراحل التي ارتبطت بها ظاهرة التجسس الدبلوماسي هي مرحلة الحرب الباردة التي قسمت دول العالم إلى معسكرين شرقي وغربي، وكان من شأن التفتت الذي خلقته الحرب أن كلاً من المعسكرين ينظر إلى سفراء المعسكر الآخر على أنهم جواسيس بالدرجة الأولى.

كما تشكل ظاهرة إساءة استخدام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية أحد المتغيرات الخطيرة التي تعكر صفو العلاقات الدبلوماسية . إن سبب هذه الظاهرة يعود إلى ازدياد عدد الأشخاص المتمتعين بالحصانة، ونقص التأهيل المناسب للمبعوثين الدبلوماسيين، ونقص المعايير الأخلاقية. إن كل هذه العوامل ساهمت في تفاقم ظاهرة إساءة استخدام المبعوثين الدبلوماسيين للحصانات والامتيازات الدبلوماسية، الأمر الذي أدى بالدول إلى التشدد في تطبيق القواعد الخاصة بالحصانات والامتيازات الدبلوماسية، من خلال اتخاذ الإجراءات المنصوص عليها في اتفاقية فيينا لعام 1691، واقتراح الحلول الممكنة لمواجهة هذه الإساءات والتجاوزات .

Study summary :

This study attempts to identify the right of the host country to protect its national security from the phenomenon of diplomatic espionage , through the nature and types of espionage , and an indication of the extent of its legitimacy in international law , and by identifying the relation ship between espionage and diplomatic immunities and privileges .As will as discussing the right of the host country to protect its national security , the misuse of those immunities and privileges , in order to reach the study of the phenomenon of diplomatic espionage as one of the most important manifestations of the misuse of diplomatic immunities and privileges that threaten the national security of the host country . But most of what has passed on with which the phenomenon of diplomatic espionage is associated is the study of the cold war , which divided the countries of the world into two camps look at the ambassadors of the other camp as spies in the first place .

The phenomenon of misuse of diplomatic immunities and privileges constitutes one of the dangerous variables that disturb diplomatic relations . the reason for this phenomenon is due to the increase in the number of persons enjoying immunity , the lack of proper qualification for diplomatic envoys , and the lack of ethical standards . All of these factors contributed to the exacerbation of the phenomenon of diplomatic envoys misuse of diplomatic immunities and privileges , which led states to tighten the application of the rules of diplomatic immunities and privileges , by taking the measures

stipulated in the 1691 vibna convention , and proposing possible solutions to confront these abuses and abuses.

مقدمة:

نتج عن الحرب العالمية الأولى بداية عصر جديد للعلاقات الثنائية بين الدول، حيث تبدلت موازين القوى على الصعيد العالمي . كما تغيّرت تقنيات الاتصالات أيضاً، فبدأت تحت عنوان "الدبلوماسية" التي تعتبر وسيلة للإدارة السياسية، تطبيق الأعراف وتنفيذها لتسوية الخلافات بين الدول المتنازعة ، تعتبر هذه الأعراف المدخل الأساسي للقانون الدولي، لذلك استقر العرف الدولي، منذ وقت بعيد على التسليم للمبعوث الدبلوماسي بمجموعة من الحصانات والامتيازات الدبلوماسية التي تكفل له وضعاً متميزاً وتمكنه من النهوض بأعباء وظيفته على الوجه الأمثل ومع استقرار المجتمعات البشرية ظهرت الحاجة إلى تقنين القواعد الخاصة بهذه الحصانات والامتيازات، وقد جرت عدة محاولات لتقنين الأعراف الدبلوماسية، ولعل من أهم هذه المحاولات هو الاتفاق الذي حصل في مؤتمر فيينا عام 1815 ، فقد وقعت الدول المشاركة في هذا المؤتمر على معاهدة تبين اختصاصات السفراء والامتيازات والحصانات التي تمتعون بها .

تلت ذلك عدة محاولات في هذا الشأن خلال القرن العشرين على يد عصبة الأمم عام 1922 لم يكتب لها النجاح، وقد تزامن هذا الفشل الدولي في تدوين الأعراف الدبلوماسية مع نجاح إقليمي تمثل بنجاح الدول الأمريكية اللاتينية بتبني اتفاقية هافانا عام 1928 حول الموظفين الدبلوماسيين. غير أن الحاجة إلى تقنين القواعد العرفية المراعاة في التعامل الدولي ظهرت بشكل أكثر إلحاحاً عقب الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي جعل الجمعية العامة للأمم المتحدة تدعو لعقد مؤتمر دولي لدراسة موضوع تدوين أعراف القانون الدبلوماسي، حيث أقر هذا المؤتمر اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية في 18 نيسان عام 1961.

كما أن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية كانت قد شهدت تغيرات أساسية في مجال العلاقات الدولية في مقدمتها الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وازدياد عدد الدول حديثة الاستقلال، وازدياد عدد المبعوثين الدبلوماسيين، وظهور المنظمات الدولية

الجديدة، وتحول الدبلوماسية التقليدية إلى الدبلوماسية الحديثة، بالإضافة إلى الثورات العلمية والتكنولوجية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية كل تلك العوامل وغيرها أدت مجتمعة إلى انحراف الدبلوماسية بشكل عام والحصانات والامتيازات الدبلوماسية بشكل خاص عن مسارها الحقيقي التي وضعت من أجلها، وذلك بانتشار ظاهرة إساءة استخدام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية .

مشكلة الدراسة:

إن مشكلة هذه الدراسة تتمثل في إلقاء الضوء على دور القانون الداخلي في مواجهة ظاهرة قيام المتمتعين بالحصانة الدبلوماسية بأنشطة تجسس، ومناقشة ما إذا كانت القواعد والأعراف الدولية في هذا المجال كافية لمواجهة مشكلة التجسس الدبلوماسي ومجابهة آثارها والحد منها، خصوصاً في ظل الثورة التكنولوجية والتطور الهائل في وسائل الاتصال الحديثة، الأمر الذي جعل من موضوع التجسس أمراً بالغ التعقد يصعب حصره والحد منه، خصوصاً إذا ما جاءت ممارسة أنشطته من قبل المبعوثين الدبلوماسيين الذين ضمننت لهم القوانين والأعراف الدولية مجموعة من الحصانات والامتيازات يصعب معها مساءلتهم عن الأعمال التي تهدد أمن الدولة المضيفة، فدور القانون الداخلي في هذا المجال هو دور معقد يتمثل في الموازنة بين الحفاظ على حصانات المبعوثين الدبلوماسيين وامتيازاتهم التي تكفل لهم الحرية التامة بما يمكنهم من النهوض بأعباء وظائفهم على الوجه الأكمل، وبين ضمان حق الدولة المضيفة في الحفاظ على أمنها الوطني ضد الأعمال التي قد تهدد وجودها واستقرارها وسيادتها، وأخطر هذه الأعمال وأكثرها مساساً بسيادة الدولة واستقرارها هو التجسس.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لجملة من الأهداف أهمها:

1. بيان المقصود بالتجسس من خلال توضيح ماهيته، وخطورته، وأنواعه، ونبذة عن تاريخه، والتعريف بالتجسس الدبلوماسي صورةً من صور التجسس وتوضيح خصوصيته، والنقائص التي تقوم بارتكابه، وكيفية التعامل معه، إضافة لذكر مجموعة من السوابق الدولية في هذا المجال.

2. توضيح الآثار والنتائج التي يمكن أن تترتب على ممارسة التجسس الدبلوماسي.
3. تحديد الآليات الدولية لمواجهة مشكلة التجسس الدبلوماسي.
4. تحديد المسؤولية الدولية للدولة الموفدة في حال ثبوت واقعة التجسس ضد أفراد بعثتها الدبلوماسية.
5. بيان مدى مسؤولية المنظمة الدولية عن أعمال التجسس التي يرتكبها الموظفون الدوليون.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في إثراء البحث وإسهابه في مشكلة التجسس الدبلوماسي باعتبارها أخطر أنواع إساءة استعمال الحصانات والامتيازات الدبلوماسية إذا ما قورنت بغيرها من أنواع الجريمة الدبلوماسية ، كون مسألة التجسس الدبلوماسي تمس أمن الدولة في الصميم وتهدد كيانها واستقرارها وسيادتها، ولاشك أن دراسة هذه المسألة ومحاولة اقتراح الحلول الناجعة لمواجهتها يمكن أن يسهم في سد النقص البحثي في هذا المجال، خصوصا مع ظهور صور جديدة للتجسس الدبلوماسي لم تكن معروفة سابقاً وذلك نتيجة للتطور السريع والهائل في الوسائل التكنولوجية الحديثة في مجال الاتصالات ونقل المعلومات بسرعة ودقة فائقة مما زاد في تعقيد مشكلة التجسس وصعوبة مواجهته ومواجهة آثاره الخطيرة .

منهجية الدراسة:

سنحاول في هذه الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي لوصف مفهوم التجسس بشكل عام، ومفهوم التجسس الدبلوماسي، كما سنحاول الاعتماد في منهجية دراستنا على التحليل العلمي القانوني لنصوص المعاهدات الدولية والأعراف الدولية المتبعة والمرتبطة بمواجهة ظاهرة التجسس الدبلوماسي، كذلك سنحاول الاستعانة في هذه الدراسة بالمنهج التاريخي في رصد نشوء الظاهرة موضوع البحث وتطورها. ولدراسة هذا الموضوع سيقسم هذا البحث إلى مبحثين يتناول المبحث الأول نظرية التجسس في القانون الدولي العام، وما المقصود بالتجسس الدبلوماسي؟

أما المبحث الثاني فيتناول الموازنة بين الحصانة الدبلوماسية وحق الدولة في حماية أمنها .

المبحث الاول- نظرية التجسس في القانون الدولي العام:

أولاً - المقصود بالتجسس الدبلوماسي:

المقصود بالتجسس الدبلوماسي تلك النشاطات التجسسية التي يمارسها الأفراد المتمتعون بالحصانات والامتيازات الدبلوماسية المتمثلة في جمع المعلومات بطرق غير قانونية، مع العلم بأن هؤلاء الأفراد يمارسون هذا النوع من التجسس دون إخفاء صفتهم الدبلوماسية، وهذا ما يميزه عن صور التجسس الأخرى، ويمكن تصنيف التجسس الدبلوماسي ضمن التجسس وقت السلم على أساس أن العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين الموفدة والمضيفة تقطع بمجرد نشوب الحرب بينهما .

ثانياً- العوامل التي تساعد على ممارسة التجسس الدبلوماسي:

- 1- يتمتع المبعوث الدبلوماسي بمقتضى اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 بحصانة قضائية مطلقة في مجال القضاء الجنائي (مادة 31/1) اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961) وبحرمة شخصية مطلقة، وبناءً على ذلك ففي حالة ضبط المبعوث السياسي أثناء ارتكابه فعل التجسس من قبل سلطات الدولة المضيفة فلا تستطيع تلك الأخيرة القبض عليه أو اعتقاله، بل يتعين عليها معاملته بالاحترام اللائق واتخاذ جميع التدابير المناسبة لمنع أي اعتداء على شخصه أو حرمة أو كرامته، لأنه يتمتع بحرمة شخصية مطلقة (مادة 29) اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961).
- 2- قد تسهم دار البعثة الدبلوماسية في تسهيل عملية التجسس باعتبارها حصناً يحتمي به أفراد البعثة الدبلوماسية، ويستفيدون من حرمتها في ممارسة عملية التجسس، فدار البعثة تتمتع طبقاً لاتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية بحرمة مطلقة تتمثل في عدم جواز دخولها إلا برضا رئيس البعثة، وحمايتها من أي ضرر أو إخلال بأمنها أو مساس بكرامتها، كما تعفى دار البعثة وأثاثها وأموالها من إجراءات التفتيش أو الاستيلاء أو الحجز أو القبض (مادة 22).

3- قد يستعين المبعوث الدبلوماسي في عملية التجسس بالحقيبة الدبلوماسية في نقل المعلومات التي قد يجمعها بوسائل غير مشروعة من الدولة المضيضة إلى الدولة الموفدة، وبسبب الحرمة المطلقة التي تتمتع بها الحقيبة الدبلوماسية بموجب اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية (مادة 3/27)، فإنها تعد من أهم الوسائل التي تضمن حرية الاتصال للبعثة الدبلوماسية، حيث إن عدم جواز فتح الحقيبة وحجزها من قبل سلطات الدولة المضيضة يضمن وصول المعلومات كاملة ودون التمكن من كشف مضمونها أو مراقبتها، وبذلك تعد من أهم الوسائل التي يمكن أن تسهل عملية التجسس الدبلوماسي.

4- إن تمتع المبعوث الدبلوماسي بموجب اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية بحرية التنقل في كامل إقليم الدولة المضيضة باستثناء المناطق المحظورة (مادة 26 اتفاقية فيينا)، يساعد على الحصول على معلومات دقيقة، كما أن الالتزام الخاص الذي يقع على عاتق الدولة المضيضة بموجب الاتفاقية المذكورة بتقديم جميع التسهيلات اللازمة لمباشرة وظائف البعثة (مادة 25)، يجعل المبعوث الدبلوماسي في وضع مناسب لممارسة عملية التجسس.

المطلب الأول- مفهوم التجسس في القانون الدولي العام:

أولاً- المقصود بالتجسس الدبلوماسي:

يقصد بالتجسس الدبلوماسي تلك النشاطات التجسسية التي يمارسها الأفراد المتمتعون بالحصانات والامتيازات الدبلوماسية المتمثلة في جمع المعلومات بطرق غير قانونية، مع العلم بأن هؤلاء الأفراد يمارسون هذا النوع من التجسس دون إخفاء صفتهم الدبلوماسية، وهذا ما يميزه عن صور التجسس الأخرى، ويمكن تصنيف التجسس الدبلوماسي ضمن التجسس وقت السلم على أساس أن العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين الموفدة والمضيضة تقطع بمجرد نشوب الحرب بينهما (حرش ، 2003) .

نشأة التجسس في القانون الدولي العام:

يمثل التجسس ظاهرة بشرية صاحبت المجتمع الإنساني منذ نشأته الأولى، وظلت تلازمه عبر التاريخ، وقد تطورت في عصرنا الحاضر وأصبحت من الممارسات الاعتيادية التي تعتمد عليها الدول في حماية أمنها ووجودها .

الفرع الاول- تعريف التجسس:

1/ تعريف التجسس في اللغة: التجسس من الجس، والجس هو اللمس باليد، وموضعه المجسّ، وجس الشخص بعينه: أحد النظر إليه ليستبينه ويستثنيه. وجس الخير: بحث عنه وتفحص (ابن منظور، م 6).

2/ تعريف التجسس في الاصطلاح: لم تورد كتب الفقه تعريفاً اصطلاحياً محدداً ومتفقاً عليه للتجسس، وربما بسبب ظهور معناه ووضوحه لم يجعل الفقهاء للتجسس معنى زائداً على المعنى اللغوي، كما لم يجعلوا له موضعاً معيناً شملوا فيه أحكامه، إنما جاءت أحكامه في أكثر من موضع، وذلك لاختلاف الميادين التي يتصل بها.

3/ تعريف التجسس في الفقه الجزائري: لم يتفق فقهاء القانون الجنائي على تعريف موحد للتجسس، وانقسموا في ذلك إلى فريقين، اتجه الأول إلى التضييق من مدلول التجسس، بأن قصره على وقائع جمع المعلومات العسكرية التي تقيد العدو باستعمال طرق احتيالية وصفات كاذبة (حافظ، مجدي محمود، 1990)، بينما اتجه فريق آخر صوب التوسع في مدلول التجسس بحيث يشمل في رأيهم كل فعل يخدم مصالح الدولة الأجنبية (البقور، فواز، 1993). وعرف الفقيه "جارو" التجسس بأنه: "قيام الأجنبي بجمع الوثائق والمعلومات السرية المتعلقة بالوضع السياسي والاقتصادي والموارد العسكرية والتنظيم الدفاعي والهجومى للدولة، وذلك بقصد تسليم تلك الوثائق والمعلومات إلى الدول الأجنبية سواء كان ذلك مجاناً أو بمقابل (حافظ، مجدي محمود، 1990). أما الفقيه "ديتوربيه" فيرى أن التجسس هو: السعي سراً صوب جمع المعلومات المتعلقة بالدولة وذلك بنية تسليمها إلى حكومة أجنبية، ويكون من شأن ذلك الإضرار بالدولة" (السنيدار، عصام احمد علي، 2001).

ونرى هنا أن هذا التعريف قد وسّع من نطاق التجسس ليشمل شتى أنواع المعلومات التي يكون من شأن تسليمها إلى دولة أجنبية الإضرار بالدولة.

وقد عرّف التجسس كذلك بأنه: "نوع من أنواع العمل الاستخباري هدفه البحث والحصول على المعلومات المتعلقة بدولة ما ونقلها بطرق خاصة من مكانها إلى مكان آخر بواسطة عملاء دولة أخرى" (البقور، فواز، 1993).

4/تعريف التجسس في القانون الدولي: لقد ثار خلاف بشأن تعريف التجسس على مستوى الفقه والممارسة الدوليين بخصوص التجسس وقت السلم، وبالنسبة للتجسس وقت الحرب وضعت المادة (29) من لائحة لاهاي للحرب البرية لسنة 1907 تعريفاً صريحاً للجاسوس بقولها: "يعد جاسوساً ذلك الذي يعمل سراً من وراء ستار زائف للحصول على معلومات في منطقة الأعمال الحربية بنية تبليغها للفريق الخصم" (نصر، صلاح، 2002). ويمكن أن نستخلص من هذه المادة تعريفاً للتجسس وقت الحرب بأنه: "واقعة تهدف إلى جمع المعلومات بطريقة سرية وتتم في منطقة الأعمال الحربية المعادية" (حافظ، مجدي محمود، 1990).

أما التجسس وقت السلم فلا توجد في القانون الدولي أية نصوص تتناول التجسس على أسرار الدولة وقت السلم، ذلك أنه لم تبرم بعد أية اتفاقات دولية تلتزم بمقتضاها الدول بعدم التجسس على أسرار بعضها البعض (نصر صلاح، 2002).

الفرع الثاني- التفرقة بين التجسس وما يشابهه:

المعيار الأول: يعتمد هذا المعيار في التفرقة بين الخيانة والتجسس على طبيعة الركن المادي أو طبيعة الفعل، فالتجسس هو السعي صوب الحصول على الأسرار، أما الخيانة فهي تسليم الأسرار المتحصل عليها إلى دولة أجنبية، أي أن التجسس ينصرف إلى البحث والتتقيب، بينما الخيانة تنصرف إلى التسليم⁶.

المعيار الثاني: ينظر هذا المعيار في موضوع التفرقة على أساس الباعث أو الدافع، فإذا ثبت أن الفاعل كان يهدف إلى الاعتداء على سلامة الدولة وأمنها وسيادتها الإقليمية فهو خائن وجرمه خيانة، أما لو كان دافع حب المال أو الطمع هو المحرك أو الباعث له فهو جاسوس وجرمه تجسساً، وقد تعرض هذا المعيار للنقد، فقد قيل إنه من الصعوبة بمكان التعرف على بواعث أو دوافع الفاعل، وتحليل ظروف كل فاعل أو شريك والبحث في نواياه وملابسات جريمته، لذا كان لابد من البحث عن معيار آخر.

المعيار الثالث: ويستند أنصار هذا المعيار على جنسية الفاعل للتمييز بين الخيانة والتجسس، فالأفعال في كل من الخيانة والتجسس واحدة، ولكن العبرة في التكييف القانوني هي جنسية الفاعل، فإذا كان مرتكب الفعل يتمتع بجنسية الدولة المجني عليها تعتبر

الجريمة خيانه، بينما تعتبر الجريمة تجسساً إذا كان مرتكب الفعل أجنبياً. وبرغم نقد هذا المعيار بأنه يعتبر الفعل الوحيد تجسساً لو قام به أجنبي وخيانة لو قام به وطني، إلا إنه يمتاز بالسهولة والوضوح والانضباط، ولذلك فقد أيده غالبية الفقه (حافظ ، مجدي محمود، 1990)

المطلب الثاني- صور التجسس التقليدي في القانون الدولي العام:

هناك نوعان من النشاط التجسسي التقليدي الذي يهدف إلى جمع المعلومات، أحدهما إيجابي ويهدف إلى الحصول على كافة المعلومات في جميع الميادين الخاصة بالدول الأخرى، وذلك لإمداد المسؤولين بالحقائق والتقديرات التي تكفل لهم وضع سياسة الأمن القومي وقت السلم، والتخطيط للعمليات الحربية وقت الحرب .

أما النوع الثاني من النشاط التجسسي المعروف، فهو ما يعرف بالتجسس الوقائي، الذي يشمل الجهود الموجهة ضد عمليات التجسس الأجنبية المعادية، وتلك التي تهدف إلى منع تسرب معلومات محددة إلى غير المسؤولين وعرقلة كل المحاولات التي تبذل للحصول عليها⁷ .

الفرع الاول- أبرز نشاطات التجسس الدبلوماسي:

التجسس السياسي: ويقصد به مراقبة أوضاع وسياسات الدول على الصعيد الداخلي و الخارجي، وذلك من خلال رصد تحركات ونشاطات القادة والزعماء والحكام والأحزاب والمنظمات السياسية والأمنية واستطلاع مواقف زعماء الدول وقادتها السياسيين واتجاهاتهم ومبادئهم وآرائهم (احمد، محمد نادر، 2009)، كذلك يهدف إلى تقدير القوى المعنوية ومواطن الضعف في الأمة، وعوامل الفرقة والاتحاد بين الأحزاب والمنظمات، وطاقتها، كل ذلك في إطار البحث عن الوسائل التي تمكن الدول من كسب المعركة إذا ما وقعت⁸ .

الفرع الثاني- صور التجسس الحديث في القانون الدولي العام⁹:

لقد كان التجسس في الماضي بسيطاً تبعاً لطبيعة الحياة البسيطة السائدة آنذاك، فكانت الجاسوسية تنصب على النواحي العسكرية، أما في وقتنا الحاضر فقد أصبحت أنشطة التجسس أكثر تنوعاً وتقنناً، كما أن الحروب أصبحت أكثر تنوعاً وشراسة، فهناك الحروب الاقتصادية والنفسية وغيرها، ويتطور هذه الحروب وتنوع أساليبها واتساع نطاقها برزت

الحاجة إلى إبقاء أمور عديدة ومعلومات متنوعة طي الخفاء والكتمان باعتبارها أسرار ينبغي إخفاؤها عن كل أجنبي، فلم تعد الأسرار قاصرة على الأسرار العسكرية وإنما أصبحت تتناول النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية والصناعية لما قد ينجم عن اقتنائها من إضعاف لقوة الدولة سواء في السلم أو الحرب .

وبشكل عام هناك نوعان من النشاط التجسسي التقليدي الذي يهدف إلى جمع المعلومات، أحدهما إيجابي، ويهدف إلى الحصول على كافة المعلومات في جمع الميادين الخاصة بالدول الأخرى، وذلك لإمداد المسؤولين بالحقائق والتقديرات التي تكفل لهم وضع سياسة الأمن القومي وقت السلم، والتخطيط للعمليات الحربية وقت الحرب .

أما النوع الثاني من النشاط التجسسي المعروف، فهو ما يعرف بالتجسس الوقائي، الذي يشمل الجهود الموجهة ضد عمليات التجسس الأجنبية المعادية، وتلك التي تهدف إلى منع تسرب معلومات محددة إلى غير المسؤولين وعرقلة كل المحاولات التي تبذل للحصول عليها .

التجسس الإيجابي-التجسس العسكري:

يعد التجسس العسكري من أول أنواع التجسس وأهمها وأكثرها وجوداً ، فكل دولة تسعى للحصول على المعلومات العسكرية الضرورية عن الدول المعادية و الصديقة على حد سواء (أحمد، محمد نادر، 2009م)، فالتجسس العسكري يهدف إلى الكشف عن أسرار الدفاع والخطط الحربية ومعرفة أصناف الأسلحة والعدة العسكرية من الصواريخ والقنابل الذرية والتجهيزات ومقاديرها ومواقعها وأنظمة استخدامها وعدد أفراد القوات المسلحة وترتيباتها ومواقع تحصينها وأجهزة اتصالاتها

المبحث الثاني- الموازنة بين الحصانة الدبلوماسية وحق الدولة المضيفة في حماية أمنها:¹⁰ ارتكزت العلاقات الدبلوماسية منذ نشأتها على مبادئ وأسس جعلت من الدبلوماسية أسلوباً ومنهجاً ومهنة ذات وظائف متنوعة، وقد تمحورت جميع تلك الأسس والمبادئ على قاعدة أساسية واحدة تقوم على منح الدبلوماسيين حصانات وامتيازات معينة ومحددة تهدف إلى تأمين الأداء الفعال لوظائف البعثات الدبلوماسية على أكمل وجه، وتحقيق أهدافها التي تتمثل بإدارة الشؤون الخارجية للدول وتعزيز العلاقات الودية فيما بينها.

إلا أن الواقع والتعامل الدولي قد أفرزا واقعاً جديداً تمثل في إساءة استعمال الحصانات والامتيازات الدبلوماسية من جانب المتمتعين بها، واستغلالها لارتكاب أفعالاً تهدد أمن الدولة المضيفة، ومن أبرز تلك الأفعال القيام بأنشطة التجسس، الأمر الذي ولد ردود فعل عكسية لدى الدول المضيفة أدى بها في بعض الأحيان إلى إهدار ما يتمتع به المبعوث الدبلوماسي من حصانات وامتيازات، وقد اعتمدت الدول في تصرفاتها هذه على ما تقتضيه اعتبارات حماية أمنها القومي وسلامتها وسيادتها، ولاشك في وجود مصلحتين يجب التوفيق بينهما هما مصلحة البعثة الدبلوماسية والمبعوث الدبلوماسي في التمتع بالحصانات والامتيازات اللازمة لأداء وظائفها على الوجه المطلوب، ومصلحة الدولة المستقبلة في عدم تأثير هذه الحصانات والامتيازات على أمنها وسيادتها ومقتضيات نظامها العام الداخلي من جهة أخرى.

المطلب الأول- الحصانة الدبلوماسية واستغلالها للقيام بأعمال تجسس:

لقد جرى العرف الدولي منذ العهود الغابرة على منح الممثلين الدبلوماسيين تدرجياً بعض الحصانات والامتيازات التي تفسح لهم المجال للقيام بأعباء مهامهم في جو من الاستقلال دون الخضوع لقوانين الدولة المعتمدين لديها .

الفرع الأول : تحديد مفهوم الحصانات والامتيازات الدبلوماسية :

مفهوم الحصانة :

الحصانة في اللغة يرجع أصلها إلى فعل حَصَنَ أي مَنَعَ والحصن هو كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه، وتحصن إذا دخل الحصن واحتوى به (الفتلاوي، سهيل حسين، 2010م)، والحصانة هي حالة الحصين، والحصين هو المنيع أي من حصن، والحصن هو مكان محمي ومنيع، إذن كلمة حصانة ترادف كلمة منعة والمنعة هي القوة التي يريد أحدا بسوء (الشامي، علي حسين، 2007م).

أما في المعنى الاصطلاحي لكلمة الحصانة فقد ورد في قاموس روبير أن القانون الحديث يعطي كلمة حصانة معنى الإعفاء من القواعد العامة في مادة القضاء والمالية (ابو هيف، على الصادق، 1975م)، وتعني الحصانة في اصطلاح القانون الدولي منح حماية للمبعوث الدبلوماسي بهدف عدم التعرض لشخصه (الشامي، ؟)، أما مصطلح " الحصانة

القضائية " فيقصد به إعفاء أو استثناء أو عدم خضوع المبعوث الدبلوماسي للاختصاص القضائي المحلي (الفتلاوي، سهيل حسن، 2010م)، وفيما يخص تعريف الحصانة الدبلوماسية، فقد وردت العديد من التعريفات لها، منها من يعرّف الحصانة الدبلوماسية بأنها: "مجموعة القواعد القانونية الدولية الملزمة للدول التي يجب تطبيقها بالكامل على البعثات الدبلوماسية الدائمة بجهازها المادي والبشري، وهذه القواعد القانونية الدولية تنشأ إلزاماً قطعياً على الدولة المعتمدة لديها بحماية حملة الحصانات من المخاطر التي قد يتعرضون لها أثناء قيامهم بممارسة مهامهم الوظيفية وتوفير الأمن والحماية والاحترام الواجب لهم وعدم الإساءة لسمعتهم أو إهانتهم، وكذا لمقراتهم ووسائل نقلهم واتصالاتهم ووثائقهم وأموالهم (خلف، محمود، 2008م)، "ومنهم من يرى أن الحصانة الدبلوماسية هي تمتع الممثل الدبلوماسي بقسط وافر من الحرية أثناء أدائه لعمله، وعلى نحو يرفع به عن مستوى ما يتمتع به الإنسان العادي من حرية فيما يقوم به من تصرفات (زهرة، عطا محمد صالح، 2008م) أما إدارة المراسم بوزارة الخارجية المصرية فقد عرّفت الحصانة الدبلوماسية بأنها: "تلك الإعفاءات من بعض الأعباء المالية والنظم الإجرائية التي يخضع لها المواطن، ويقرها التشريع الوطني لتلك الفئة الأجنبية احتراماً لمبدأ المعاملة بالممثل المعمول به دولياً، وتجاوباً مع أحكام القانون والعرف الدوليين تسهياً لقيام هذه البعثات وأعضائها بمهام وظائفها (الملاح، فاوي، مصدر سابق). ونرى أن هذا التعريف أكثر دقة وصحة من التعريفات الأخرى التي أوردناها.

الفرع الثاني - مفهوم الامتيازات:

الامتيازات لغةً جمع امتياز، فهي تشتق من كلمة مَيَّرَ، وكلمة مَيَّرَ، وكلمة ميز أو أماز الشيء أي انفصل عن غيره أي فضله على سواه، وامتاز عن الشيء أي انفصل عن غيره وانعزل، فالامتياز يدل على التمييز بين الأشياء بعزل بعضها عن بعض أو بتفضيل بعضها على بعض (الشامي، على حسن، مصدر سابق) .

أما اصطلاحاً فقد ورد في قاموس روبيير أن كلمة امتياز تعني قانوناً ميزة (أي أفضلية) خاصة تمنح لفرد أو لفئة من الأفراد مع إمكانية التمتع بها خارج إطار القانون العام (الشامي، علي حسين، المصدر السابق). والامتيازات في الاصطلاح القانوني هي أولوية يقرها القانون

لحق معين مراعاة منه لصفته، ولا يكون للحق امتياز إلا بمقتضى نص في القانون، كما يحدد القانون مرتبة الامتياز بالنسبة للامتيازات الأخرى .

أما في القانون الدولي فيقصد بمصطلح الامتيازات التمتع بمزايا وإعفاءات معينة تسمح للمبعوث الدبلوماسي بتأمين وتحقيق أهداف مهمته وهي أمور تمنحها الدولة زيادة على الحصانات، فهي اختيارية ومرجعها إرادة الدولة في تحديدها ومنحها (ابو هيف، علي الصادق، 1975م).

المطلب الثاني - الموازنة بين الحصانة الدبلوماسية وحق الدولة المضيفة في حماية أمنها.

نلخص في هذه الدراسة بنود كلٍ من - الحصانة الدبلوماسية - وحق الدولة المضيفة في حماية أمنها.

أولاً: الحصانة الدبلوماسية : ثانياً : حق الدولة المضيفة في حماية أمنها:

1. تخفيض حجم البعثة الدبلوماسية: إن تحديد حجم البعثة الدبلوماسية يختلف من بعثة لأخرى تبعاً لقدرة وأهمية المصالح التي تربط الدولة الموفدة للبعثة بالدولة الموفد إليها، حيث يترك للدولة الموفدة تقدير ذلك وتحديد عدد الأشخاص الذين ترى لزوم إيفادهم للقيام بمهامهم الدبلوماسية¹¹ .

الفرع الأول: الأساس القانوني لتخفيض حجم البعثة: نصت المادة 11 من اتفاقية فيينا على أنه " في حالة عدم وجود اتفاق خاص بحجم البعثة - فللدولة المعتمد لديها أن تحتم أن يكون العدد محدداً في نطاق ما تعتبره معقولاً - مع ملاحظة الظروف والملابسات القائمة في هذه الدولة، ومع الأخذ بعين الاعتبار حاجة البعثة المعنية. وللدولة المعتمد لديها في نفس الحدود وبدون تفرقة - أن ترفض تعيين موظفين من فئة معينة".

الفرع الثاني: السوابق الدولية لتخفيض حجم البعثة الدبلوماسية: أكدت الممارسات الدولية اعتماد كثير من الدول الإجراء المتعلق بتحديد أو تخفيض عدد أفراد البعثة الدبلوماسية، ويمكن الإشارة للحالات التي لجأت فيها الدولة إلى اعتماد هذا الإجراء على النحو التالي:

- أكدت الحكومة البريطانية في قضيتي اختطاف اللاجئ النيجيري (Dikko) وحادثة السفارة الليبية عام 1984م على استعدادها في استعمال حقها الوارد في نص المادة 11 من اتفاقية فيينا.

المطلب الثاني: إعلان المبعوث الدبلوماسي شخصيا غير مرغوب فيه: تلجأ الدول في علاقاتها المتبادلة خصوصاً إذا مارس رئيس البعثة أو أي شخص دبلوماسي فيها أفعالاً لا تتفق وطبيعة الوظيفة الدبلوماسية إلى إعلان شخصاً غير مرغوب فيه¹².

وفي هذه الحالة وإن رأت الدولة الموفدة بأن هذا القرار غير مبرر ودفاعاً عن موقفها تتخذ أحياناً نفس الموقف فتطلب سحب المبعوث الدبلوماسي المعتمد لديها من تلك الدولة ومن نفس درجة مبعوثها الذي اعتبر غير مرغوب فيه (15).

إن اعتبار المبعوث الدبلوماسي شخصاً غير مرغوب فيه حق مطلق للدولة المضيفة أقرته اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية في مادة 09 دون الحاجة لإبداء الأسباب التي اقتضت ذلك (16).

الفرع الأول: أسباب اعتبار المبعوث الدبلوماسي شخصاً غير مرغوب فيه: إن أسباب اعتبار المبعوث الدبلوماسي شخصاً غير مرغوب فيه كثيرة ومتنوعة فقد يكون تصريحاً أو موقفاً غير ودي اتجاه الدولة المعتمد لديها، أو مباشرة نشاط عدائي اتجاه سلطاتها، ومن الأسباب البارزة في هذا الشأن تجاوز المبعوث الدبلوماسي لنطاق وظائفه والحدود المشروعة لمهامه (18)، مثل التدخل في الشؤون الداخلية للدولة المضيفة وهي ممارسات حساسة ومهمة تحرص الدول على منعها ومواجهتها بكل الوسائل (19)، والتأمر لقلب نظام الحكم أو القيام بأعمال التجسس أو أعمال التخريب أو القيام بتهريب المواد المخدرة والأموال النقدية.

الفرع الثاني: السوابق الدولية على إعلان المبعوث الدبلوماسي شخصاً غير مرغوب فيه: إن تاريخ العلاقات الدبلوماسية حافل بالأمثلة والسوابق الدولية في لجوء الدول إلى آلية اعتبار المبعوث الدبلوماسي شخصاً غير مرغوب فيه ومن الأمثلة على ذلك: إعلان واشنطن في 2001/3/21م بأن 50 دبلوماسياً روسياً أصبحوا أشخاصاً غير مرغوب فيهم (21).

- إبعاد سفير الولايات المتحدة الأمريكية في جاكارتا لاتهامه بالتآمر ضد الحكومة الإندونيسية عام 1958م.

- إبعاد القائم بالأعمال المصري في ليبيا لاتهامه بالتدخل في الشؤون الداخلية (22).

الخاتمة:

من خلال دراستنا لمفهوم التجسس ومدى شرعيته والعلاقة بينه وبين الحصانات والامتيازات الدبلوماسية، نخلص إلى أن التجسس الدبلوماسي عمل يتعارض مع قواعد القانون الدولي الخاص بالحصانات والامتيازات الدبلوماسية لكونه يتعارض مع الوظائف الدبلوماسية التي أقرتها تلك لقواعد، وكذلك فهو يمثل انتهاكا لسيادة الدولة المضيفة واستقلالها وأمنها، ويعد كذلك جريمة في ظل القانون الداخلي لتلك الدولة، ومع ذلك لا يخضع المبعوث الدبلوماسي المرتكب لأعمال تجسس لقوانين الدولة المضيفة لكونه يتمتع بحصانة قضائية مطلقة.

وقد تبين من خلال هذه الدراسة كيف أن ظاهرة التجسس الدبلوماسي قد ارتبطت بشكل أساسي بمرحلة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، إلا أنها قد عادت وبشكل متزايد في الآونة الأخيرة، الأمر الذي يدل على ضعف الاجراءات التي تضمنتها اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 في مواجهة تلك الظاهرة.

ومن خلال البحث ، توصلت هذه الدراسة إلى النتائج والتوصيات التالية:

النتائج:

- 1- خلو قواعد القانون الدولي من أي نص يعالج مسألة التجسس وقت السلم.
- 2 - إن التجسس الدبلوماسي سلوك منبوذ يتنافى مع الأعراف الدبلوماسية والتقاليد الدولية، ولا ينسجم مطلقاً مع روح الوظائف الدبلوماسية التي أقرتها قواعد القانون الدولي، وأهمها توطيد العلاقات الودية وتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين الدولة الموفدة والدولة المضيفة، غير أن العمل الدولي قد أثبت للأسف شيوع ظاهرة التجسس بشكل واسع النطاق، ولاتكاد تمر فترة دون أن تطالعنا وسائل الإعلام بخبر قيام دولة بطرد عدد من الدبلوماسيين المعتمدين لديها بتهمة التجسس.

- 3 - خلو اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 من أي نص ينظم طريقة التعامل مع المبعوث الدبلوماسي الذي يسيء استخدام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية التي تكفلها له تلك الاتفاقية، باستثناء منحها الدولة المضافة الحق في إعلان المبعوث الدبلوماسي شخصاً غير مرغوب فيه في أي وقت ودون إلزامها بذكر الأسباب، وكذلك ألزمت الاتفاقية الأشخاص المتمتعين بالحصانات والامتيازات الدبلوماسية بواجب احترام قوانين الدولة ولوائحها المعتمدين لديها وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدولة.
- 4 - تطور أساليب التجسس الدبلوماسي بشكل متوازي مع التطور الهائل الذي أحدثته الثورة المعلوماتية u1608 والأساليب التكنولوجية الحديثة في مجال الاتصالات والمواصلات، واستفادة هذا النوع من النشاط من أحدث تلك الوسائل في خدمة هذا النوع من التجسس.
- 5 - تمتع الدولة المضافة بسلطة تقديرية مطلقة في تقدير ما إذا كان سلوك المبعوث الدبلوماسي المعتمد لديها يشكل عملاً تجسسياً يمثل خطراً على أمنها الوطني من عدمه، كذلك عدم وجود أي قاعدة من قواعد القانون الدولي تلزم الدولة المضيفة ببيان أسباب إعلانها الدبلوماسي المعتمد لديها شخصاً غير مرغوب فيه وإبعاده عن إقليمها . غير أن تفسير بعض الدول المضيفة للحصانات والامتيازات الدبلوماسية قد يؤثر على أداء المبعوث الدبلوماسي والقيام بأعباء وظيفته على الوجه المطلوب، وذلك نتيجة لزيادة حالات إساءة استعمال الحصانات والامتيازات من جانب المبعوثين الدبلوماسيين بارتكاب أعمال تخل بالأمن الوطني للدول المضيفة وأخطرها التجسس، وما نتج عن ذلك من رد فعل عكسي من جانب تلك الدول والذي أدى في بعض الأحيان إلى إهدار ما يتمتع به المبعوث الدبلوماسي من حصانات وامتيازات .
- 6 - عدم خضوع المبعوث الدبلوماسي المرتكب لأعمال التجسس في غالب الأحيان للعقاب، لكونه يتمتع بحصانة قضائية داخل إقليم الدولة المضيفة، وعدم إمكان محاكمته أمام محاكم دولته في معظم الأحيان لأنه في الغالب إنما يمارس أعمال التجسس في الدولة المضيفة لصالح دولته وبإذن منها، كما أن العمل الدولي قد أثبت أن الدول المضيفة التي تكون ضحية التجسس الدبلوماسي لا تلجأ في العادة إلى المحاكم الدولية لمقاضاة الدول التي يثبت ارتكاب ممثلوها الدبلوماسيون المعتمدون في تلك الدول لأعمال تجسس، وأن الدول

المضيفة في هذه الحالة تكنفي بالإجراءات الفردية كإعلان المبعوث الدبلوماسي شخصاً غير مرغوب فيه وطرده، كما قد تلجأ إلى إجراءات أخرى كمطالبة دولة الدبلوماسي بتخفيض حجم البعثة الدبلوماسية المعتمدة لديها أو القيام بقطع العلاقات الدبلوماسية في حالات نادرة. 7- عدم التعامل على مستوى واحد مع الموظفين الدوليين الذين يتهمون بارتكاب أعمال تجسس، والتميز بين طائفة كبار موظفي المنظمة وغيرهم من الموظفين، فبالنسبة لطائفة الأولى تكنفي دولة المقر) كما هو الحال مع المبعوثين الدبلوماسيين (بإعلانهم أشخاص غير مرغوب فيهم وإجبارهم على مغادرة أرضها، بينما تقوم غالباً بتقديم موظفي الطائفة الأدنى للقضاء في حال ارتكابهم لأعمال تجسس تمس أمن دولة المقر وترفض شمول حصانتهم لمثل تلك الأعمال.

التوصيات:

- 1 - في ظل خلو القانون الدولي من قواعد تعالج مسألة التجسس وقت السلم، ومع عودة زيادة أنشطة التجسس الدولي بأوجه حديثة، بعد أن بلغت ذروتها بالأوجه التقليدية إبان فترة الحرب الباردة، ومع بلوغها حداً خطيراً مع بداية هذا القرن، وقيام العديد من الدول بتبرير ممارستها لأنشطة التجسس بعدة مبررات أهمها مكافحة الإرهاب الدولي وحماية الأمن القومي، تبرز في هذه المرحلة أهمية عقد مؤتمر دولي لمناقشة سبل مكافحة التجسس والعمل على تحريم ممارسة أنشطته دولياً.
- 2 -نقترح قيام الجمعية العامة للأمم المتحدة بتكليف لجنة القانون الدولي لإعداد مشروع مواد تخص موضوع التجسس وقت السلم.
- 3 -إن الحصانات والامتيازات الدبلوماسية قابلة للتطور والتبدل وفقاً لتغير الظروف والبيئة التي تمارس فيها، وبعد نصف قرن على تنفيذ اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 ، ونتيجة للتغيرات السياسية التي طرأت على المجتمع الدولي، وفي ظل التطور التكنولوجي الهائل والثورة المعلوماتية التي غيرت وجه العالم، ظهرت الكثير من المستجدات التي لم تكن سائدة وقت إبرام تلك الاتفاقية، كما أن التطبيق الدولي منذ سريان تلك الاتفاقية وحتى يومنا هذا أظهر العديد من أوجه النقص في تلك الاتفاقية ومن أهمها مسألة كيفية مواجهة إساءة استعمال الحصانات والامتيازات الدبلوماسية من قبل المتمتعين بها في ارتكاب أعمال تمس

الأمن الوطني للدولة المضيفة وأهمها القيام بأنشطة تجسس، فضرورة وجود نص صريح يعالج مثل تلك المسألة وغيرها يدعو إلى إعادة النظر في تلك الاتفاقية، سواء بإبرام اتفاقية جديدة أو على الأقل الاتفاق على تعديل الاتفاقية السارية ومعالجة جميع أوجه النقص فيها.

4 - ضرورة تطبيق الإجراءات الواردة في اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية بشكل صارم الأمر الذي يعكس الاتجاه الدولي الحديث الذي يدعو إلى ضرورة تقييد الحصانات والامتيازات الدبلوماسية ذات الطبيعة المطلقة لغرض مواجهة مشكلة التعسف في استعمالها بأعمال تجسس من خلال مجموعة إجراءات منها تشديد الرقابة على البعثات الدبلوماسية.

5 - عدم السماح لأي مبعوث دبلوماسي تم إعلانه شخصا غير مرغوب فيه في دولة ما باعتماده في دولة أخرى، وهذا الإجراء الأخير يتطلب نوعا من التنسيق والتعاون بين جميع الدول.

6 - ضرورة قيام المسؤولية الدولية الموفدة للمبعوث الدبلوماسي الذي يثبت ارتكابه أعمال تجسس، فمن المعلوم أنه إذا ضبط المبعوث u1575 الدبلوماسي وهو يمارس أعمال تجسس فلا يمكن متابعته أمام قضاء الدولة المضيفة بسبب حصانته الدبلوماسية، ولذا فإن مسؤولية الدولة الموفدة تظل قائمة في ظل القانون الدولي عن أعمال التجسس التي ارتكبها مبعوثها الدبلوماسي باعتباره عملا غير مشروع، وتستند هذه المسؤولية إلى اعتبار الأعمال الرسمية التي يقوم بها المبعوث الدبلوماسي بمثابة أعمال صادرة عن الدولة الموفدة باعتبار أن المبعوث الدبلوماسي ممثل لدولته، وأن المستفيد الحقيقي من أعمال التجسس التي يمارسها المبعوث الدبلوماسي هي دولته الموفدة.

7 - ضرورة وجود نظام خاص للتعامل مع الموظفين الدوليين الذين يتهمون بارتكاب أعمال تجسس.

قائمة المراجع:

- 1) صباريني، غازي حسن. (2009) الدبلوماسية المعاصرة، دار الثقافة، عمان.
- 2) المرجع السابق .
- 3) المرجع السابق .
- 4) دور القانون الدولي في مواجهة التجسس الدبلوماسي ، ص 86 (لحرش، 2003).

- (5) (نصر ، صلاح ، 2002) حرب العقل والمعرفة ، الوطن العربي للنشر ، بيروت
- (6) المرجع السابق .
- (7) المرجع السابق .
- (8) (البقور ، فوز ، 1993) التجسس في التشريع الاردني دراسة مقارنة، طبعة (3) عمان (د.ن) .
- (9) المرجع السابق .
- (10) (البقور ، فوز ، 1993م) التجسس في التشريع الاردني دراسة مقارنة، طبعة (3) عمان (د.ن) .
- (11) (فادي الملاح : سلطات الأمن و الحصانات والامتيازات الدبلوماسية ، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية ، مصر، 1993 .
- (12) (احمد أبو الوفا: قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية علما وعملا مع إشارة لما هو مطبق في مصر، ط 3، دار النهضة العربية، مصر 2012 .
- (13) التعريف اللغوي ص 16 الحصانة القضائية المبعوث الدبلوماسي (كمال ، بياع خلف ، الحصانة القضائية للمبعوثين الدبلوماسيين رسالة دكتوراه ، كلية الحقوق ، جامعة القاهرة ، 1998 .
- (14) (علي، حسين الشامي، الدبلوماسية، نشأتها وتطورها ونظام الحصانات و الامتيازات الدبلوماسية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، 1990 .
- (15) (Le droit à la sécurité absolue et complète aux restrictions, l'intangibilité de lapersonne en toute occasion".)
- (16) (بصراوي، الكراف، 1994م) الحصانة القضائية 18.
- (17) عبد الله بلقزيز، الأمن القومي العربي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 1989.
- (18) علي الصاوي، مرجع سبق ذكره.
- (19) منذر سليمان، مرجع سابق .



20) د. عبد المنعم المشاط، "الإطار النظري للأمن القومي العربي في د. عبد المنعم المشاط (محرر)، الأمن القومي العربي أبعاده ومتطلباته (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية ، 1993) .

منظمة الأمم المتحدة وازدواجية المعايير في التدخل الإنساني وحماية حقوق الإنسان.

د. نصر امحمد نصر الغول
كلية القانون والعلوم السياسية غريان

مقدمة:

تسعى المنظمات العالمية والإقليمية والدولية إلى توفير الظروف الملائمة للتعاون الدولي، وتحرص في نشاطها على معالجة قضايا تهتم المجتمع الدولي كله، حيث لم يكن بمقدور دولة منفردة أو عدة دول معالجتها لوحدها، مثل قضايا حماية البيئة، وحل النزاعات والمجاعات، والدور المهم الذي تقوم به هذه المنظمات هو التخفيف من حدة التوتر في العلاقات الدولية من خلال العمل على إحلال الأمن الجماعي السلمي محل الصراع، وذلك بحل المنازعات بالطرق السلمية والحوار والتفاوض والتدخل الإنساني، وعلى رأس هذه المنظمات تأتي منظمة الأمم المتحدة التي قامت على الكثير من المبادئ النبيلة والأهداف السامية التي تسعى من خلالها لجعل العالم واحة من الأمن والسلام، وتسعى لتحقيق رفاهية الإنسان. هذه الواحة وهذه الرفاهية لا يمكن أن تقوم إلا في عالم خالٍ من النزاعات والحروب يحترم حقوق الإنسان ويعززها. ولعل ما قامت به المنظمة من جهود وأعمال إيجابية كان له أثر كبير في إحلال السلام في أجزاء مختلفة من العالم وفي الحد من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وذلك من خلال ما قامت به من تدخلات سلمية عن طريق المبعوثين وجمع الأطراف المتنازعة للتفاوض والحوار، وأيضاً من خلال دور أهم أجهزتها وهو جهاز مجلس الأمن المخول بحفظ السلم والأمن الدوليين عن طريق ما يصدره من قرارات بالتدخل لوقف النزاعات الداخلية وحماية حقوق الإنسان وفقاً للفصل السابع من الميثاق. إلا أن بعض حالات التدخل كانت تخضع لازدواجية المعايير، والكيل بمكيالين، بحسب أهميتها للدول الكبرى ويقدر ما تمثله لها من مصالح، وتحققه لها من أهداف، ولم تكن وفقاً لمعايير

وضوابط يكسوها الحياد والشفافية ومبادئ الأمم المتحدة، الأمر الذي يضعف ثقة مختلف دول العالم وخاصة الصغيرة منها في منظمة الأمم المتحدة وتدخلاتها، في الوقت الذي يجب أن تكون تدخلات الأمم المتحدة ومجلس الأمن شفافة ونزيهة، وفقا لما قامت عليه من مبادئ وأهداف، حتى تكون بالفعل معززا لاحترام حقوق الإنسان، وممانعة لانتهاكها وممانعا للدول الكبرى من استغلال الأمم المتحدة وإخضاعها لهيمنتها، واتخاذها وسيلة وغطاء لتحقيق مصالحها وأهدافها، وإبعاد عمليات التدخل الإنساني عن بعدها الإنساني في حماية حقوق الإنسان، وهذا ما سيتناوله البحث من خلال عدة مباحث ومطالب وفروع.

أولا- المشكلة البحثية:

- 1- هل ساهم قيام منظمة الأمم المتحدة عام 1945 بتخفيف حدة التوتر في العلاقات الدولية ووقف النزاعات والحروب وحماية حقوق الإنسان؟
- 2- هل تمت عمليات التدخل الدولي الإنساني المسلح في إطار النزاهة والشفافية أم نفذت بازدواجية المعايير والكيل بمكيالين؟
- 3- إلى أي حد أخضعت الدول الكبرى عمليات التدخل الدولي الإنساني لهيمنتها وتحقيق مصالحها بعيدا عن أبعادها الإنسانية؟

ثانيا- فرضية البحث:

- 1- أسهم قيام منظمة الأمم المتحدة في تحقيق الكثير من النجاحات فقد نجحت في تصفية الاستعمار، وحصول الكثير من دول العالم على الاستقلال، وإنهاء نظام الميز العنصري وأصدرت العديد من القرارات بشأن تسوية المنازعات في العالم، وإعادة السلام إلى المناطق التي تعاني من تلك النزاعات وخاصة النزاعات الداخلية، كما أصدرت مئات القرارات والاتفاقيات التي تلزم باحترام حقوق الإنسان وحمايتها.
- 2- قامت منظمة الأمم المتحدة بعشرات من عمليات التدخل الدولي الإنساني لإنهاء النزاعات، وحماية حقوق الإنسان إلا أن أغلب هذه النزاعات خضعت لازدواجية المعايير والكيل بمكيالين، وما يثبت ذلك هو عدم التدخل الفاعل في إنهاء معاناة الشعب الفلسطيني التي امتدت لعقود من الزمن.

3- نتيجة لانتهاج الحرب الباردة وهيمنة قطب واحد على العالم خضعت أغلب عمليات التدخل لهيمنة الدول الكبرى واتخذتها وسيلة لتحقيق مصالحها الاقتصادية والجيوسياسية.

ثالثا- أهمية البحث:

1- تعزيز المكتبة العلمية بمثل هذه الدراسات في ظل الزيادة فيما يشهده العالم من فوضى وتدخلات وانتهاكات لحقوق الإنسان ونزاعات مسلحة خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة.
2- الكشف على الالتباسات التي رافقت عمليات التدخل الدولي الإنساني من حيث عدم نزاهتها وشفافيتها والانتقادات التي تعرضت لها.

رابعا- أهداف البحث:

1- الكشف عن أن بعض حالات التدخل الدولي الإنساني لمنظمة الأمم المتحدة شابها بعض القصور والإخفاق في حماية حقوق الإنسان، الأمر الذي جعلها محل نقذ خاصة من الدول الصغيرة.
2- تبيان المبادئ والأهداف النبيلة التي قامت عليها منظمة الأمم المتحدة، والتي ينبغي ان تلتزم بها لا أن تتحول إلى أداة لتحقيق مصالح الدول الكبرى وأهدافها.

خامسا- منهجية البحث:

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي وصف بعض الحالات التي كانت محلا لازدواجية المعايير والكيل بمكيالين، كما تم تحليل ما تعرضت له هذه التدخلات من هيمنة من الدول الكبرى ومدى الاستغلال الذي تعرضت له لتحقيق مصالحها.

وقد قسم البحث الي مبحثين المبحث الاول: نشأة منظمة الأمم المتحدة ومبادئها وأهدافها. والمبحث الثاني: ازدواجية المعايير في عمليات التدخل الدولي الإنساني وحماية حقوق الإنسان، وخاتمة توصلنا من خلالها إلى مجموعة من النتائج والتوصيات.

المبحث الأول- نشأة منظمة الأمم المتحدة ومبادئها وأهدافها:

المطلب الأول- نشأة منظمة الأمم المتحدة:

تعتبر عصابة الأمم أول منظمة سياسية دولية ذات طابع عالمي تتمتع بالشخصية القانونية المستقلة والنواة الأولى للمنظمات الدولية المعروفة الآن.

وعلى الرغم من أن عصبة الأمم تعتبر أول تنظيم دولي عالمي، إلا أنها لم تتمكن من حل المنازعات الدولية التي أدت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939م. واندلاع الحرب العالمية الثانية انهارت عصبة الأمم، وانهارت أول تجربة للتنظيم الدولي، واتجه تفكير المجتمع الدولي وفي مقدمته دول الحلفاء إلى إقامة نظام أفضل وأجدي بديلاً عن التنظيم الدولي المنهار يقوم على مبدأ الأمن الجماعي، والتعايش السلمي، ونبذ الحرب وسيلة لحل المشكلات الدولية.

ومن هنا عقدت العديد من الاجتماعات التمهيدية لإنشاء المنظمة الدولية الجديدة (الأمم المتحدة) منها اجتماع الأطنطي سنة 1941، وقامت الحركة المناهضة للفاشية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بإجبار حكومتها على التقرب من موقف الاتحاد السوفيتي الذي كان يدعو إلى تشكيل منظمة دولية فاعلة.

وفي عام 1941 أعلن الرئيس الأمريكي (روزفلت) عن حاجة العالم إلى إنشاء منظمة دولية جديدة قادرة على منع استخدام القوة في العلاقات الدولية، كما جاء في خطاب (تشرشل) رئيس الوزراء البريطاني في 21 مارس 1943 ما يشير إلى هذا التوجه .

وقد ظهرت الأمم المتحدة إلى الوجود بعد مراحل من التفكير والسعي للاتفاق على الأسس العامة التي تقوم عليها، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، ويمكن تقسيم مراحل نشوء ميثاق الأمم المتحدة إلى مرحلتين متميزتين هما:

أولاً- مرحلة التصريحات الدولية:

لم تقف فكرة الأمم المتحدة عند الإعلانات الفردية لقادة دول الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وإنما اتخذت مجال أكثر اتساعاً، وهذه التصريحات هي:

1-تصريح الأطلسي: وهو التصريح الصادر في 14(سبتمبر) 1941 عن كل من الرئيس الأمريكي (روزفلت) ورئيس وزراء بريطانيا الذي تضمن الإشارة إلى ضرورة وضع تنظيم دولي يقوم على أساس تحريم استخدام القوة في حل المشاكل والنزاعات الدولية، ويحقق نظام أمن دولي يكفل التقدم الاقتصادي والاجتماعي. كما تضمن الإشارة إلى الأهداف التي ترمي إليها سياسة أمريكا وبريطانيا والتي تقوم على احترام حق الشعوب في اختيار أنظمة الحكم التي تريدها، وضمان المساواة بين الدول.

2-تصريح الأمم المتحدة: صدر هذا التصريح في (يناير) عام 1942 ووقع عليه ممثلو 26 دولة اتفقت على إنشاء منظمة دولية تعمل من أجل الدفاع عن الحرية والحياة والاستقلال وحقوق الإنسان، وقد انضمت إلى هذا التصريح في وقت لاحق 21 دولة.

3-تصريح طهران: صدر هذا التصريح عن الرئيس الأمريكي روزفلت والرئيس السوفيتي (ستالين) ورئيس وزراء بريطانيا (تشرشل) وأكد موقعو هذا التصريح على عزمهم على التعاون من أجل تحقيق السلم والأمن الدوليين، وجرى التأكيد على تبني الأفكار التي تضمنتها التصريحات السابقة.

ثانيا-مرحلة المؤتمرات الدولية:

وهي مرحلة أخرى متقدمة في إنشاء الأمم المتحدة ويمكن حصرها في المؤتمرات التالية:

1-مؤتمر موسكو: شارك فيه كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والاتحاد السوفيتي والصين وتم عقده في 30 من (نوفمبر) 1943 في مدينة موسكو.

ويعتبر هذا المؤتمر من أهم المؤتمرات حيث عبّر بشكل قاطع عن الأفكار الرئيسة للتنظيم المقترح، ويعتبر كذلك من أولى الخطوات العملية لتحقيق مشروع المنظمة الدولية.

2-مؤتمر دومبارتن اوكس عام 1944: عقد هذا المؤتمر في مدينة دومبارتن أوكس وحضره ممثلو أربع دول هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي والصين وبريطانيا، وتركزت أعماله على بحث الأسس التي تقوم عليها المنظمة الدولية المزمع إنشاؤها ونظام عملها وانتهت المرحلة الثانية من أعمال هذا المؤتمر بتقديم اقتراحات تفصيلية حول مبادئ الأمم المتحدة وأهدافها وفروعها ومنهج العمل التي تسير بموجبه.

3-مؤتمر يالطا 1945: عقد في مدينة يالطا بالاتحاد السوفيتي في شهر (فبراير) عام 1945 واتفق في هذا المؤتمر على تنظيم المرحلة الأخيرة من الحرب وتوزيع مناطق النفوذ، والتوصل إلى الاتفاق بمسائل التصويت في مجلس الأمن واحتفاظ الدول الخمسة الكبرى بحق الفيتو، ونظام الوصاية والأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي.

4-مؤتمر سان فرانسيسكو 1945: عقد هذا المؤتمر في شهر (أبريل) 1945 وحضرته خمسين دولة ومنها جميع الدول التي وقعت على تصريح الأمم المتحدة عام 1942 وتم في

هذا المؤتمر إقرار المقترحات التي صدرت عن مؤتمري دومبارتن اوكس وبالطا وأخذ بقاعدة الأغلبية في التصويت كما أقر المؤتمر تمتع الدول الخمس الكبرى بحق النقض على القرارات الموضوعية التي تصدر عن مجلس الأمن كما انتهى المؤتمر إلى الموافقة على الصياغة النهائية لميثاق الأمم المتحدة الذي تم التوقيع عليه بإجماع الحاضرين في 26 يونيو عام 1945 ودخل حيز التنفيذ اعتباراً من 24 شهر (أكتوبر) 1945 وفي العاشر من يناير عام 1946 عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة أول اجتماع لها في لندن، وتم الاتفاق على أن تكون مدينة نيويورك مقراً دائماً للمنظمة الدولية (عبد العظيم عبد الأمير وآخرون، القانون الدولي العام، 1996، ص98).

المطلب الثاني - مبادئ الأمم المتحدة:

لقد تضمنت ديباجة الميثاق ونصوصه جملة من المبادئ التي يتعين على المنظمة الالتزام بها واحترامها، وهي بمثابة الركيزة الأساسية لتحقيق الأهداف التي قامت المنظمة من أجل تحقيقها وقد حددت المادة الثانية من الميثاق هذه المبادئ في الآتي:

1- المساواة في السيادة بين جميع الدول الأعضاء: وهذا المبدأ من أهم المبادئ التي يقوم عليها التنظيم الدولي، ويقصد به: أن كل دولة تتمتع بالحقوق المترتبة على سيادتها، وأن شخصية الدولة مضمونة وكذلك سلامة إقليمها واستقلالها، ولا يجوز أن تجبر بعض الدول بعضها الآخر على اتباع سلوك معين لا توافق عليه أو لا يتفق مع مصالحها.

وعلى الرغم من ورود هذا المبدأ إلا أنه وردت في الميثاق نصوص أخرى تميز الدول الكبرى، ومكنتها من أن تضع استثناءً على هذا المبدأ لازال يؤثر في صدور كافة القرارات التي تتخذ من طرف مجلس الأمن، وأعطت تلك الدول الكبرى لنفسها الحق في حق استعمال الفيتو تجاه كل قرار لا يتمشى مع مصالحها وإرادتها.

2- تنفيذ الالتزامات الدولية بحسن نية: ويعتبر هذا المبدأ من المبادئ الضرورية لتحقيق فاعلية الأمم المتحدة، ذلك أن هذه الفاعلية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال تنفيذ الأعضاء لالتزاماتهم الواردة في الميثاق بحسن نية، وبالصورة التي تحقق إعمال نصوص الميثاق.

- 3- مبدأ تسوية المنازعات بالطرق السلمية: جاء هذا المبدأ في الفقرة الثالثة من المادة الثانية من الميثاق، حيث جاء في نصه على أن (يفض جميع أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر).
- وبينت المادة الثالثة والثلاثون الفقرة الأولى من الميثاق الطرق التي يمكن أن تحل بها الدول المنازعات التي تنشأ بينها منها المفاوضات والتحقيق والوساطة والتحكيم والتسوية القضائية. كما أن على الدول أن تلجأ إلى المنظمات الدولية أو تختار أي طريقة أخرى لحل هذه المنازعات غير استخدام القوة.
- 4- مبدأ حظر استخدام القوة في العلاقات الدولية: واستعمال القوة المنصوص عليه في هذا المبدأ قصد به منع استعمال كافة أشكال العنف المسلح، أو التهديد باستعمال القوة واستخدامها ضد سلامة الأراضي لأية دولة، أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة.
- 5- مبدأ معاونة الدول للأمم المتحدة في الأعمال التي تقوم بها: جاء في المادة الثانية الفقرة الخامسة (بأن يقدم جميع الأعضاء كل ما في وسعهم من عون إلى الأمم المتحدة في أي عمل تتخذه وفق هذا الميثاق، كما يتمتعون عن مساعدة أي دولة تتخذ الأمم المتحدة إزاءها عملاً من أعمال المنع أو القسر).
- 6- مبدأ عدم تدخل الأمم المتحدة في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء: -تضمن الفقرة السابقة من المادة الثانية من الميثاق على أنه (ليس في الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بحكم هذا الميثاق)، ويتضح من النص أن اختصاصات الأمم المتحدة وأجهزتها ليست مطلقة وإنما مقيدة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة.
- 7- مبدأ إلزام الدول غير الأعضاء في المنظمة بالعمل وفقاً لمبادئها: إن هذا المبدأ يعني أن على الدول غير الأعضاء بأن تلتزم بمنهج الأمم المتحدة فيما يتعلق بصيانة السلم والأمن الدوليين.

المطلب الثالث - أهداف الأمم المتحدة:

لقد نص الميثاق على جملة من الأهداف التي أنشئت من أجلها الأمم المتحدة وهي:

1- حفظ السلم والأمن الدولي: إن ظهور منظمة الأمم المتحدة كان في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وقد أراد أصحاب فكرة إنشائها، تجنب العالم من كوارث الحرب وذلك من خلال حفظ السلم والأمن الدوليين. وهذا يعني منع قيام الحروب، والقيام بأعمال إيجابية لتوفير الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الضرورية للمحافظة على السلام التي تجعل كل دولة تعيش مطمئنة على سلامتها، فقد تضمنت المادة الأولى من الميثاق حدود نظام المحافظة على السلم والأمن الدولي عن طريق منع قيام الأسباب التي تهدد السلم وإزالتها إذا قامت، وحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية أو عن طريق الوسائل والتدابير المشتركة التي تتخذها الأمم المتحدة والتي تعرف بالأمن الجماعي.

2- تنمية العلاقات الودية بين الدول: جاء في المادة الأولى الفقرة الثانية من الميثاق بأن من أهداف الأمم المتحدة إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام مبادئ المساواة في الحقوق بين الشعوب ولكل منهما الحق في تقرير مصيرها.

كذلك تحقيق التعاون الدولي لحل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، وتعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعا بلا تمييز في الجنس أو اللغة أو الدين أو تفرقة بين الرجال والنساء، وتحقيق كل ذلك يجعل هيئة الأمم المتحدة مركزاً لتنسيق أعمال الأمم من خلال المنظمات الدولية المرتبطة بالأمم المتحدة والتعاون بينها.

3- تحقيق التعاون لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية:

إن اهتمام الأمم المتحدة لم ينحصر في الجوانب السياسية للعلاقات الدولية، بل يمتد كذلك إلى مختلف مجالات هذه العلاقات وتقرير احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعا والتشجيع على ذلك بلا تمييز وهذا يؤدي إلى رفع مستوى المعيشة للناس عندما يؤدي لصيانة السلام العالمي وكل ذلك نتيجة إدراك واعٍ من أن هناك ارتباطا وثيقا بين تحقيق الأهداف السياسية وغير السياسية.

4- جعل الأمم المتحدة مركزًا لتنسيق جهود الدول من أجل تحقيق الغايات المشتركة: جاء في المادة الأولى في الفقرة الرابعة من الميثاق بأن يتم (جعل هذه الهيئة مرجعًا لتنسيق أعمال الأمم نحو إدراك هذه الغايات المشتركة (د، عرفة عبدالسلام، التنظيم الدولي، 1996، ص86).

والهدف من النص هو حث الدول والمنظمات الإقليمية على عدم القيام بإعمال تتعارض مع أهداف الأمم المتحدة ومبادئها وضرورة التنسيق معها حتى لا يحصل هذا التعارض.

وكذلك حث الدول على اتباع سياسة لا تتناقض مع أهداف الأمم المتحدة ومبادئها سواءً من خلال علاقاتهم السياسية أو من خلال مشاركة التنظيمات الدولية ذات الطابع الإقليمي، وهذا لا يعني أن تكون الأمم المتحدة كأنها حكومة مركزية فوق الدول، ولكنه يعني إلزام الدول بأن لا تتبع نهجا مخالفا لمبادئ الميثاق، لأن الميثاق هو معاهدة دولية جماعية وافقت عليها الدول الأعضاء.

المطلب الرابع- الأجهزة الرئيسية بالأمم المتحدة:

أولاً- الجمعية العامة:

تعتبر الجمعية العامة الجهاز الرئيس الأول بالنظر إلى عدد الأعضاء في هذا الجهاز، إذ يمثل فيه جميع الدول الأعضاء على قدم المساواة وفقا للمادة التاسعة الفقرة (1) دون تمييز بين الدول الكبرى والدول الصغرى، ولكل دولة صوت واحد بغض النظر عن حجم الدولة أو مدى تقدمها وبهذا تحقق الجمعية العامة مبدأ المساواة بين الدول الأعضاء، وتعد دوراتها العادية سنويا، وهناك اجتماعات غير عادية تتم بناء على طلب عضو تؤيده غالبية الأعضاء، وتختار الجمعية العامة رئيسا لها في كل دورة انعقاد من بين المندوبين، وكذلك تختار واحدًا وعشرين نائبًا للرئيس، ونظام التصويت في الجمعية العامة محكوم بمبدأين: مبدأ المساواة، ومبدأ الأغلبية. ومن أهم اختصاصات الجمعية العامة:

1- مناقشة الموضوعات المتعلقة بحفظ السلم والأمن من خلال النظر في مبادئ التعاون الدولي، ومناقشة المسائل الملموسة المتصلة بالأمن والسلم، وتنبيه مجلس الأمن إلى ما يهدد

السلم والأمن العالمي، وبحث المواقف المتعلقة بحفظ السلم والأمن التي يعجز مجلس الأمن عن اتخاذ قرار حولها بسبب استخدام حق الفيتو من قبل أحد الأعضاء الدائمين.

2- تنمية التعاون الدولي ويكون ذلك من خلال وضع الدراسات وإصدار التوصيات من أجل إنماء التعاون الدولي في الميدان السياسي والمجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتعليمية والإعانة على تحقيق حقوق الإنسان.

3- استقبال التقارير من مجلس الأمن وأجهزة الأمم المتحدة وإصدار التوصيات اللازمة بخصوصها.

4- إقرار ميزانية المنظمة وتحديد نسب اشتراكات أعضائها في بعض الاختصاصات الأخرى مثل انتخاب الأعضاء غير الدائمين في مجلس الأمن، وانتخاب كافة أعضاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي، وتشارك مجلس الأمن في انتخاب قضاة محكمة العدل الدولية.

ثانيا- مجلس الأمن:

يعتبر مجلس الأمن من أهم أجهزة الأمم المتحدة، ذلك لأنه يمثل الأداة التنفيذية لها، ويعمل بشكل مستمر وعلى مدار السنة، ويملك حق إصدار القرارات الملزمة في مواجهة جميع الدول، سواء كانت أعضاء في الأمم المتحدة أو غير أعضاء، كذلك تأتي أهميته من خلال توليه لمهمة تحقيق أهداف الأمم المتحدة ألا وهي المحافظة على السلم والأمن الدوليين.

1- تكوين مجلس الأمن:

يتكون من خمسة عشر عضوا من أعضاء الأمم المتحدة منها خمسة دول دائمة العضوية وهي (الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية والصين وفرنسا وبريطانيا)، أما الأعضاء العشرة فهم غير دائمي العضوية في المجلس ويتم انتخابهم من الجمعية العامة لمدة سنتين فقط، ويراعي في انتخابهم التوزيع الجغرافي العادل، ولقد أصرت الدول الخمسة الكبرى على أن يتضمن ميثاق الأمم المتحدة نصا صريحا بأسمائها وبكونها أعضاء دائمة في مجلس الأمن، ولقد وجهت عديد الانتقادات لهذا التمييز في عضوية مجلس الأمن أهمها:

أ- أن التمييز أمر يتعارض مع مبدأ المساواة الذي أقرته الأمم المتحدة كأحد المبادئ الرئيسية لها.

ب- أن الدول دائمة العضوية ورد ذكرها بالاسم في نص الميثاق، وهذا يعني لا يمكن تغييرها إذا ما تغيرت الظروف والموازن الدولية إلا من خلال تعديل الميثاق نفسه، وهذا أمر فيه الكثير من الإجراءات والتعقيدات.

ج- أن ورود النص على تحديد أسماء الدول دائمة العضوية أمر يتصف بالجمود، وعدم المرونة، وهذا مخالف لقوانين التطور والتبدل الذي يسود العالم.

2- اختصاصات مجلس الأمن:

يمارس مجلس الأمن بموجب الفصلين السادس والسابع من الميثاق عدة اختصاصات

وهي:

1- حل المنازعات بالطرق السلمية: ويكون ذلك من خلال قيام المجلس بإصدار التوصيات اللازمة لحل المنازعات حلا سلميا، وقد تكون التوصية من خلال دعوة الأطراف المتنازعة إلى تسوية ما بينهم من منازعات بالطرق السلمية، كالمفاوضة والتحكيم والوساطة والتسوية القضائية، أو عن طريق المنظمات الإقليمية.

2- حفظ السلم والأمن الدولي: أوكل له الميثاق هذا الاختصاص في حالة فشل الأطراف المتنازعة في حل النزاع القائم، ومنحه الحق في حالة عرض النزاع عليه في اتخاذ تدابير القمع الوقائية والاحتياطية والنهائية، إذا ما تبين له بأن النزاع القائم من شأنه أن يؤدي إلى تهديد السلم والإخلال به ووقوع عمل من أعمال العدوان.

3- الاختصاصات التنظيمية: وهي اختصاصات أخرى يتولاها المجلس إما لوحده أو بالاشتراك مع الجمعية العامة مثل قبول الأعضاء الجدد ووقف العضوية وفصل الأعضاء في المنظمة الدولية واختيار الأمين العام وانتخاب قضاة محكمة العدل الدولية كل هذا يعتبر من المسائل التي يختص بها مجلس الأمن بالاشتراك مع الجمعية العامة. أما القيام بمهام الوصاية على المناطق الاستراتيجية ورفع التقارير السنوية عن نشاطه إلى الجمعية العامة فهي من اختصاصه لوحده.

4- عمل مجلس الأمن يكون دائما وليس في دورات معينة، وذلك من أجل ضمان سرعة الأداء واللبث فيما يعرض عليه من أمور. ورئيس المجلس هو الذي يدعو إلى الاجتماع في أي وقت يراه مناسبا أو في حالة طلب أحد الدول الأعضاء.

المبحث الثاني- ازدواجية المعايير في عمليات التدخل الدولي الإنساني وقضايا حقوق الإنسان:

تسهم عمليات التدخل الدولي الإنساني للأمم المتحدة في تعزيز احترام حقوق الإنسان، ومنع انتهاكها، ولكن بعض حالات التدخل خضعت لازدواجية المعايير، والكيل بمكيالين وذلك حسب أهميتها للدول الكبرى وما تمثله لها من مصالح وتحققه لها من أهداف ولم تكن وفقا لمعايير وضوابط يكسوها الحياد والشفافية.

هذا الأمر يضعف ثقة مختلف دول العالم وخاصة الصغيرة منها في منظمة الأمم المتحدة وتدخلاتها، في الوقت الذي يجب أن تكون تدخلات الأمم المتحدة ومجلس الأمن شفافة ونزيهة، حتى تكون بالفعل معززا لاحترام حقوق الإنسان ومانعا لانتهاكها، ومانعا للدول الكبرى من اتخاذ هذه التدخلات وسيلة وغطاء لتحقيق مصالحها وأهدافها على حساب سيادة الدول. وهذا ما سيتناوله الباحث في هذا المطلب من خلال عدة فروع.

المطلب الأول- ازدواجية المعايير في التدخل الدولي وحماية حقوق الإنسان:

لقد تبين من خلال النشاط المهم الذي قامت به منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن في مجال التدخل لحماية حقوق الإنسان، في مرحلة الأحادية القطبية وفي إطار الشرعية الدولية، أن بعض هذه التدخلات شابها الانتقائية بدل العمومية، وتحقيق المصالح الذاتية للدول الكبرى، والازدواجية في تحديد أولويات التدخل بغرض الحماية بدل الموضوعية.

هذه التوجهات كان لها الدور الأكبر في القيام بعمليات التدخل الدولي الإنساني، وهذا ما جعل أغلب قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالتدخل عرضة للنقد كونها قرارات انتقائية، (محمود أحمد، الأمم المتحدة وحفظ السلام في أفريقيا، 1995، ص123) حيث تم تطبيق أحكام الفصل السابع من الميثاق لمواجهة حالات معينة على حساب حالات أخرى تتماثل معها في درجة الخطورة وفي تهديدها للسلام والأمن الدوليين.

ففي الوقت الذي أعرب فيه مجلس الأمن عن قلقه البالغ إزاء ما تتعرض له حقوق الإنسان في العراق والصومال من انتهاكات وبشكل مبالغ فيه إلى درجة اعتباره مخلا ومهدداً للسلام والأمن الدوليين نجده يلتزم الصمت عن انتهاكات حقوق الإنسان في فلسطين على يد الإسرائيليين وعن انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان من طرف روسيا في عام 1996 وسكوته عن حملة الإبادة التي قام بها الجيش الروسي اتجاه الشيشان عام 1999 حيث هلك فيها عشرات الآلاف من المدنيين.

لا شك أن التحول الذي طرأ على موازين القوى الدولية نتيجة انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة والابتعاد النسبي عن سياسة استعمال الفيتو أدى إلى تغيير جوهرى في سرعة تعامل مجلس الأمن وأسلوبه مع الأزمات الدولية، مما ترتب عليه تطبيقاً لزدواجية المعايير في استعمال الفصل السابع. ففي الكثير من الحالات تجاهل مجلس الأمن الانتهاكات القاسية لحقوق الإنسان في بعض البلدان مثل ما يتعرض له المسلمون في الصين وفي الهند وفي إقليم كشمير وكذلك مسلمي الروهينغا في ميانمار من طرف حكومتها وأجهزتها المختلفة.

كما تجسدت ازدواجية المعايير في تأخر استجابة مجلس الأمن لمنع أعمال الإبادة الجماعية في رواندا إذا ما قارناها بسرعة استجابته للتدخل في ظروف مشابهة هذه الإبادة التي تعرضت لها أقلية التوتسي على يد الأغلبية من الهوتو الذين يشكلون 85% من إجمالي سكان رواندا البالغ عددهم ثمان ملايين نسمة وكذلك أعمال القتل البشعة، هذه الإبادة التي وصفها عدد من المحللين بأنها وصمة عار في جبين البشرية وكان التأخر في الاستجابة لمنع هذه الانتهاكات وإيقافها سبباً في سقوط مئات الآلاف من الضحايا في فترة زمنية قصيرة، وفي نزوح أكثر من مليون من الرواندي المجاورة في ظروف صعبة وقاسية وفي نفس الوقت لاحظنا سرعة استجابة الأمم المتحدة في التدخل في مناطق لم ترق فيها انتهاكات حقوق الإنسان للحد الذي يبيح ويؤيد ويعمل على انفصال بعض الأقاليم عن دولها مثلما حدث في إندونيسيا. (الحديثي صلاح وآخرون، حقوق الإنسان بين الامتثال والإكراه، 2009، ص108).

عندما تدخلت الدول الغربية وأرغمت دولة إندونيسيا على إجراء استفتاء K تقوم هذه الدول بنفسها بالإشراف عليه في تيمور الشرقية، وأرغمتها على الامتثال له وأتهمتها بارتكاب مذابح جماعية، وهددت بتوقيع عقوبات عليها اذا لم تستجب بإعطاء الجزيرة استقلالها وكذلك ما رأيناه في تدخل الأمم المتحدة في حالة انفصال جنوب السودان عن دولة السودان، وذلك عندما أرغمت الحكومة السودانية على عقد اتفاقية في كينيا تقرر حق شعب جنوب السودان على عمل استفتاء على الاستقلال في نهاية فترة انتقالية مدتها خمسة سنوات، الأمر الذي أدى إلى انفصال جنوب السودان، بالفعل كل هذه السياسات والاهتمام المزعوم بحقوق الإنسان الذي هو مبني على مصالح لدول معينة في معظمه لم نراه يتم في الدول الكبرى أو الحليفة لها رغم وجود مبررات التدخل كمعاناة مسلمي الأغور في الصين وإقليم كتالونيا في إسبانيا وإقليم الاسكندرونة السوري الذي تحتله تركيا والجزر العربية والأحواز التي تحتلها إيران. وغيره من الأمثلة وفي نفس السياق جاء موقف الأمم المتحدة متراخيا ولم يكن سريعا وحاسما في التدخل في النزاع المسلح في إقليم بيافرا في نيجيريا سنة 1967 وما تسبب فيه من ضحايا وانتهاكات مروعة لحقوق الإنسان لسكان هذا الإقليم ومن تهديد للسلم والأمن في المنطقة في ظل ما قد سببته مثل هذه الصراعات من عمليات نزوح كبيرة قد تنعكس سلبا على استقرار البلدان المجاورة اقتصاديا وسياسيا وأمنيا.

ومع ذلك لم يتخذ مجلس الأمن أي موقف من شأنه العمل على وقف الصراع خاصة ونحن نعلم أن الصراعات غير ذات الطابع الدولي إضافة إلى ما تسببه من انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان كثيرا ما تتحول لصراعات إقليمية تنذر بتهديد السلم والأمن الدوليين بسبب الأعراف والانتهاكات المتداخلة، وما يؤكد هذا الموقف المتراخي وتجاهل منظمة الأمم المتحدة لهذا الصراع وعدم نية التدخل فيه لإيقافه هو ما أعلنه الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك السيد (اوتانت) أن الصراع في نيجيريا شأن داخلي لا يجوز التدخل فيه ولا يمثل تهديدا للسلم والأمن الدوليين، وترك الأمر كليا لمنظمة الوحدة الأفريقية وهذا الموقف تعرض لانتقاد بعض الدول التي كانت ترى في النزاع تهديداً للسلم والأمن الدوليين، ويتوجب تدخل الأمم المتحدة وإضافة إلى هذا مازال العالم يعج بالكثير من الصراعات التي تنتهك فيها أبسط حقوق الإنسان التي نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة ومنها

ما جاء في المادتين 13 و16 من الإعلان العالمي التي تكفل حرية التنقل بين الأفراد وتكفل تجميع العائلات كما أن هذه الصراعات تمثل تهديدا للسلم والأمن الدوليين، ومع ذلك لازالت مستمرة دون تدخل الأمم المتحدة ومجلس الأمن بشكل فاعل ووضع حد لها، ومن هذه الصراعات: معاناة سكان إقليم كشمير حيث قسمت العائلات الواحدة بين قسمي كشمير إضافة لما يمثله من تهديد للأمن والسلم الدوليين، وخاصة أن طرفي النزاع من الدول النووية.

ولا يزال مجلس الأمن يتعامل بازدواجية مع قضية الشعب الفلسطيني منذ عشرات السنوات ومن خلال عشرات القرارات التي أصدرها، هذه الازدواجية وهذا الانحياز لطرف دون آخر أسهم بصورة قوية في حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه المشروعة وعلى رأسها حق العودة لبلاده، الأمر الذي جعل هذا الشعب مشتتاً بين دول العالم المختلفة ومخيمات الشتات في لبنان وسوريا هذه المخيمات التي تفقر لأبسط حقوق الإنسان وبين من هم تحت سلطة الاحتلال ويتعرضون لأشد انتهاكات حقوق الإنسان وبين من يعيش في قطاع غزة والضفة الغربية ويعاني أشد درجات الحصار في ظل غياب كامل لأبسط حقوقه التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، على الرغم أن إسرائيل صادقت على العهدين الدوليين وكذلك صادقت على اتفاقية جنيف الرابعة، التي تنطبق على الأراضي الفلسطينية وفقاً للفقرة الأولى من المادة الثانية إضافة إلى أن أراضي الضفة والقطاع ظلت على مدار أكثر من 54 سنة تخضع لولايتها الإقليمية باعتبارها القوة القائمة بالاحتلال، (الحديثي صلاح وآخرون ، حقوق الإنسان بين الامتثال والإكراه، 2009، ص284)، مما يلزمها بعدم وضع أي عراقيل أمام الحق في التنقل والخروج والدخول بكل سهولة ويسر وحرية.

هذا الحق الذي حرم منه الفلسطينيون بفعل بناء الجدار الفاصل الذي بدأه الكيان الصهيوني 16/ 6/ 2003 وأصدرت فيه محكمة العدل الدولية رأيها الاستشاري في 14-7-2004م، والذي أقر بعدم مشروعية بنائه ويعد انتهاكا للقانون الإنساني الدولي وقانون حقوق الإنسان وبدعوة إسرائيل لوقف بنائه وهدم المقاطع التي تم بنائها.

هذه السياسات الإسرائيلية المستمرة منذ قرار التقسيم التي تمثل أبشع انتهاكات حقوق الإنسان الفلسطيني لم تلق الرد المناسب من منظمة الأمم المتحدة أو مجلس الأمن وذلك بسبب ازدواجية المعايير التي تحكم قرارات الأمم المتحدة في أغلب الأحيان.

هذه المعايير المزدوجة التي بسببها لم تعد الكثير من الدول الصغيرة والنامية تطمئن إلى قرارات مجلس الأمن، بل أضحى مواقفها دائماً مشوبة بالحذر والخوف، كون أن مثل هذه القرارات والتدخلات قد تتم على أساس ومبرر إنساني في الظاهر، ولكنها تتطوي على مساس بالسيادة الوطنية ومفعمة بالآثار الخطيرة ، وأصبحت تعي أن نظام الأمن الجماعي من الناحية النظرية يقوم على إجراءات جماعية ضد أي دولة ارتكبت إحدى الأفعال الواردة في المادة 39 من الميثاق بغض النظر عن موقع ومركز هذه الدولة، لكن من الناحية السياسية والعملية والواقعية الموجودة ترى أن هذه التدخلات لا تتم بناء على مضمون مبدأ الأمن الجماعي، وإنما تتم في أغلبها على المبادئ التي تقوم عليها السياسة الخارجية للدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وهي المبادئ التي تميز بين نزاع وآخر بحسب التأثيرات التي يمكن أن يلحقها هذا النزاع بمصالحها الحيوية والاستراتيجية أو مصالح حلفائها.

إن هذا الخلل الذي أصاب نظام الأمن الجماعي هو الذي فتح المجال نحو التصرف بمعايير مزدوجة، والتدخل بانقائية، بسبب التفسير الواسع للفصل السابع من الميثاق من جهة، ونتيجة المفاهيم المتعددة للمصادر التي تهدد السلم والأمن الدوليين من جهة أخرى.

هذا التفسير الواسع للفصل السابع من ميثاق منظمة الأمم المتحدة وهذه المفاهيم المتعددة والمتنوعة للمصادر التي تهدد السلم والأمن الدوليين، هي التي أظهرت لنا نوعية جديدة من التدخلات على الساحة الدولية لم تكن معروفة من قبل إلا بعد انتهاء الحرب الباردة وهيمنة قطب واحد على مجلس الأمن وخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر عام 2001 بالتحديد، وهي التي ارتكزت على عدة مبررات ودوافع ومنها الاعتبارات الإنسانية ، والضربات الوقائية، وإعلاء لواء الديمقراطية ومحاربة الإرهاب، ومنع انتشار الأسلحة النووية، والدفاع عن حقوق الإنسان. هذه التدخلات طبقت ونفذت في عديد الدول وبسببها تم غزو العراق سنة 2003 بحجة منع انتشار الأسلحة النووية وبسببها تم احتلال أفغانستان بحجة محاربة الإرهاب، وتم غزو هايتي تحت مبرر حماية الديمقراطية، وغيرها الكثير من

التدخلات التي لها حالات مماثلة في العالم (أبو خزام إبراهيم ، اقواس الهيمنة ، 2005 ، ص297) .

أي أن هذه التدخلات لم تخل من ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين، فالسلاح النووي موجود فعلا لدى إسرائيل والهند وعدة دول حليفة للولايات المتحدة، ولهذا لم يتم التدخل فيها. كذلك ليست دولة هايتي وحدها شهدت انقلابا عسكريا على حكم ديمقراطي بل حدث كثير من الانقلابات في أفريقيا وأمريكا اللاتينية ولم يتم التدخل بشأنها.

هذه التدخلات أثارت جدلا واسعا سياسيا وقانونيا حول خطورتها وأضحت تمثل ممارسة الوصاية من قبل الدول الأقوى على الدول الأضعف تحت ستار من الذرائع المتنوعة.

المطلب الثالث-التدخل الدولي والابتعاد عن البعد الإنساني لعمليات التدخل:

أثار عدم وضوح الأساس القانوني لبعض عمليات التدخل الإنساني العديد من الاتهامات التي وجهت لعمليات الأمم المتحدة، بتغليب العوامل السياسية على العوامل الإنسانية في اتخاذ قرارات التدخل، كما أثرت مشكلة الأسس التي ينبغي وفقا لها القيام بعمليات التدخل الإنسانية، هذه الأسس القانونية التي يسبب الخروج عليها فتح الباب أمام الضغوط والاعتبارات السياسية والمصلحية، التي قد تعمل في النهاية على إهدار المبادئ القانونية التي يعتمد عليها التدخل، وتجعل من عمليات التدخل الدولي الإنساني أبعد ما تكون عن الحياد والشفافية، وتتجه بها نحو الابتعاد عن البعد الإنساني لهذه التدخلات ، وتجعل منها تدخلات سياسية ومصلحية وهذا ما أدى إلى فشل أغلب عمليات التدخل الدولي الإنساني في تحقيق أهدافها، في منع انتهاكات حقوق الإنسان والحفاظ على السلم والأمن الدوليين.

من خلال تتبع بعض النماذج وتحليلها من عمليات التدخل الدولي الإنساني التي نفذت تحت مظلة الأمم المتحدة بقرارات مجلس الأمن، أو تلك التي نفذت خارج إطار مجلس الأمن ولكنها بموافقة الأمم المتحدة ورضاها وجد أن هذه العمليات التدخلية وخاصة التي حدثت بضغط أو تحت هيمنة الدول الكبرى شابها الكثير من الانحرافات سواء من خلال الذرائع والمبررات التي ساقتها تلك الدول وأسست عليها التدخل من خلال قرارات أصدرها

مجلس الأمن وأحيانا بشكل فردي كما لاحظ الباحث أنها مارست الكثير من التجاوزات البعيدة كل البعد عن الشعارات التي رفعت للتدخل وذلك من خلال النتائج المدمرة لبعض عمليات التدخل والآثار السلبية التي تسببت فيها في الدول التي تم استهدافها بالتدخل. ومن الممكن أن يساهم التدخل الدولي الإنساني في منع نشوب الحروب والمنازعات ومن الممكن أن يساهم في تعزيز حقوق الإنسان واحترامها، ولكن ذلك إذا حسن استخدامه من جهة شرعية ووفقا لمعايير وضوابط موضوعية يكسوها الحياد والشفافية، ولكن من جهة أخرى قد يكون وسيلة تتستر وراءها الدول المغرضة من أجل التدخل في شؤون الدول الأخرى أو زعزعة الاستقرار والأمن فيها لمآرب خاصة وتكون النتائج كارثية على هذه الدول تفقد فيها سيادتها وتفقد فيها استقرارها ويتعطل فيها النمو الاقتصادي وتعطل فيها الحياة السياسية وينتشر فيها العنف وهذا ما أكدته التجارب كما أن الواقع العملي لعمليات التدخل الدولي الإنساني من جانب الأمم المتحدة يؤكد أن هذه العمليات لم تكمل جميعها بالنجاح في إنهاء انتهاكات حقوق الإنسان. (سامح السيد، التدخل الدولي الإنساني 2012، ص220) فالتدخل الدولي الإنساني الذي رفع راية حماية حقوق الإنسان في أغلب تدخلاته قد أضرب بها من الناحية العملية أشد الضرر، فالأضرار التي نجمت عن بعض عمليات التدخل الإنساني باستخدام القوة من جانب الأمم المتحدة فاقت في بعض الأحيان بكثير حجم المنفعة التي كان من المفترض أن يحققها هذا التدخل ذو الصبغة الإنسانية، سواء أكان ذلك من خلال ارتفاع نسبة أعداد الضحايا المدنيين أثناء حالات التدخل جراء استخدام القوة وسيلة لتطبيق قرارات الحماية الصادرة عن مجلس الأمن أو الجمعية العامة، إضافة إلى وقوع خسائر جمة في البنية العامة حيث اتسعت رقعة التدمير التي لحقت بالمباني العامة والخاصة، والأخطر من ذلك ما رافق تلك التدخلات من انهيار لكثير من مؤسسات الدول وتعطلها، وانتشار حالة من الفوضى العامة بما يهدد بشكل مباشر الحالة الأمنية جراء انتشار السلاح والعصابات الإجرامية والميليشيات المسلحة، وهو ما يفتح المجال لاستشراء حالة من الفساد داخل الدوائر الحكومية وما يتعلق بها من نهب لأموال الدولة، وانتشار لظاهرة التهريب والاتجار بالبشر والهجرة غير الشرعية، ناهيك عن انتهاك لسيادة الدولة المتدخل فيها و إفراغ لمؤسساتها من محتواها وإضعافها. وإضافة إلى ذلك يُلاحظ في بعض من الحالات التي تم بحققها تطبيق

مبدأ التدخل الإنساني زيادة في انتشار المعتقلات السرية وغياب دور واضح للمؤسسات الأمنية ولتطبيق القانون وما يرتبط بذلك من غياب أي دور للقضاء بشكل فاعل يحد من انتشار معدلات الجريمة، وبشكل عام فإن الواقع الذي عرفته تلك الحالات التي عاصرت استخدام القوة في تطبيق مبدأ الحماية خاصةً في مرحلة ما بعد التدخل، هو واقع مخالف تماماً لما كانت عليه قبل عمليات التدخل، والدليل على ذلك ما تعانیه العديد من الدول التي تمت فيها عمليات تدخل من انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان.

فدولة الصومال مثلاً التي شهدت واحدة من أقوى عمليات التدخل منذ عشرات السنوات لازال شعبها يعاني من انتهاكات جسيمة لحقوقه إلى اليوم في مختلف مناحي الحياة، وأسوأ هذه الانتهاكات هو انتشار عمليات التفجير والقتل والاعتقالات وهي التي تمس حق الحياة، وهو أهم حقوق الإنسان التي نص عليها الإعلان العالمي في مادته الثالثة " لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامته الشخصية" وأكد عليها ميثاق الأمم المتحدة، ناهيك عن النزوح والهجرة والمجاعة وانتشار الجهل والأمراض والفقر والفساد وغياب القانون.

علماً بأن وجود مثل هذه الأوضاع ينتفي معه وجود أي حق من حقوق الإنسان، إلى جانب ذلك فإن ما يحدث في دولة العراق التي لا تزال تعاني من آثار ما حدث من تدخلات وانعكاساتها رغم مرور عشرات السنوات على تدخل الأمم المتحدة سنة 1991م، بل إن ما عاناه الشعب العراقي خلال السنوات الماضية ولازال يعانيه هو أكثر قسوة بأضعاف المرات مما عاناه قبل التدخل الدولي، فأعداد الأرواح التي أزهقت بعد عمليات التدخل نتيجة فقدان الأمن، هي أكثر بكثير من تلك التي أزهقت فيما قبل.

كما أن معدلات الاعتقالات والتعذيب والتغييب والسجن زادت بشكل غير مسبوق مقارنة بما كانت عليه الأمور ما قبل التدخل الدولي، ولعل صور سجن أبي غريب ستظل في ذاكرة الناس ودليلاً على غياب أي حق من حقوق الإنسان، وكذلك أعمال التشريد والنزوح والهجرة والفقر ومعاناة الناس في حياتها اليومية من تردّد لجميع الخدمات التي تعني ببساطة غياب حقوق المواطن العراقي من الحرية والتعليم والصحة، إضافة إلى الفساد الذي طال جميع المؤسسات والوزارات في الدولة، ناهيك عما خلفته هذه التدخلات من انهيار

للدولة ولمؤسساتها، الأمر الذي جعلها عرضة للغزو المباشر وغير المباشر من أطراف خارجية منها الولايات المتحدة الأمريكية وإيران.

وعلى الرغم من كل ما تم استعراضه من نتائج سلبية لأغلب عمليات التدخل من طرف الأمم المتحدة إلا أنه كان من الممكن أن يؤدي التطور الكبير الذي شهدته حقوق الإنسان والاهتمام المتزايد بها من خلال الدول والمنظمات والمواثيق واللجان المختلفة وخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة إلى منح الأمم المتحدة فرصة نادرة لتأكيد قدرتها على حماية حقوق الإنسان والدفاع عن الإنسانية لكن بعض الدول الكبرى وغيرها من الدول الأعضاء الأمم المتحدة مازالت تتحرك على غرار الحال في مرحلة الحرب الباردة وتتحرك وفق إدراكها لنوعية الفائدة المتوقعة أو بناء على ما تتعرض له مصالحها أو مصالح حلفائها من تهديد وخطر وتعتبر عملية الأمم المتحدة في البوسنة عن جدلية توسيع الأعباء وضالة الموارد فقوات الأمم المتحدة هناك لم تتوافر حتى على إمكانيات حماية نفسها ناهيك عن رغبتها في حماية الشعب البوسني(الحديثي صلاح ، حقوق الإنسان بين الامتثال والإكراه، 2009، ص 214). ولم يكن عدم وجود هذه الإمكانيات بمعزل عن تأخر العديد من الدول عن الوفاء بالتزاماتها المالية وامتناعها، ما جعل الأمم المتحدة رهينة لإرادة الدول الكبرى ورغباتها ولتوجهاتها، بل ربما كانت أداة لتحقيق مصالحها ووسيلة لهذه الدول تمنحها غطاء الشرعية لتحقيق مصالحها، فهيمنة الدول الكبرى على الأمم المتحدة ومجلس الأمن دفعها نحو إلزام مجلس الأمن تحت شعارات مختلفة كتهديد السلم والأمن الدوليين للتدخل في حالات دون الأخرى على الرغم من وجود تماثل تام بينهم.

فكيف نستطيع أن نفسر تدخل مجلس الأمن لحماية أكراد العراق من الانتهاكات لحقوقهم وعدم تدخلهم في الشيشان وأنغولا ولمسلمي الصين والروهينغا ومسلمي الهند ورغم أن أداء مجلس الأمن في مجال المحافظة على السلم والأمن الدوليين وحماية حقوق الإنسان ومنع الانتهاكات الجسيمة وحماية الديمقراطية تم تفعيله بصورة أفضل مما كان عليه في فترة الحرب الباردة، ورغم ما تم تحقيقه من بعض النجاحات في بعض التدخلات إلا أن هذه الفاعلية التي شهدها مجلس الأمن كثيرا ما تميزت بالانتقائية تارة والانحراف تارة أخرى، فهناك منازعات تدخل فيها المجلس بشكل فعال، وأخرى بشكل منحرف، بينما بقيت قضايا

أخرى مهمة، وهذا ما يبين ارتباط فاعلية مجلس الأمن بمصالح القوى الكبرى داخل المجلس، كما أن النفوذ الأمريكي أصبح يسمح لتفسير أي مادة من ميثاق منظمة الأمم المتحدة وتأويلها، وخاصة تلك المرتبطة بالفصل السابع منه بالشكل الذي يتيح إمكانية تسخير المجلس في خدمة المصالح الخاصة، الأمر الذي أثر سلبا في مصداقية الأمم المتحدة بصفة عامة ومجلس الأمن على وجه الخصوص.

المطلب الثالث: هيمنة الدول الكبرى على عمليات التدخل

لهيمنة الدول الكبرى على عمليات التدخل الدولي الإنساني أثر بالغ الخطورة، خاصة حين تطغى الاعتبارات السياسية على الاعتبارات الإنسانية في هذه التدخلات العسكرية التي كانت كثيرا ما تهدف إلى تحقيق مصالح سياسية أو اقتصادية أو ما إلى ذلك، ولعل ما قامت به الولايات المتحدة في عديد عمليات التدخل الدولي الإنساني من سعي لتحقيق مصالحها ومصالح حلفائها دليلا على ذلك فقيام الولايات المتحدة بالتدخل العسكري في العراق في سنة 1991 جاء امتدادا وإلحاقا لحرب الخليج الثانية التي شُنَّتْ على العراق تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وعُدَّ وسيلةً للضغط على النظام السياسي في العراق، ولعل توسيع الولايات المتحدة بمفردها لمنطقة الحظر الجوي في جنوب العراق إبان تدخل سنة 1991 دون تفويض من الأمم المتحدة دليل على ذلك الأمر الذي يعدّ مساسا بسيادة العراق وخرقا لمبدأ عدم التدخل، (عبد الرحمن محمد ، التدخل الإنساني في العلاقات الدولية، 2005 ، ص212). كذلك التخبط الذي شهدته عملية التدخل الدولي الإنساني في الصومال وما شابه من أخطاء، وفشل عملية التدخل في شكلها النهائي جاء بسبب تناقض مصالح الدول الكبرى، وسعي الولايات المتحدة إلى فرض استراتيجيتها وتحقيق مصالحها من خلال بعض أطراف النزاع على حساب أطراف أخرى K حيث سعت إلى التفاوض على الأسلحة الثقيلة لفصيل معين بهدف تقويته على حساب فصائل مسلحة أخرى، وعلى حساب تنفيذ خطة مجلس الأمن وقراراته في جمع الأسلحة مما يعكس تحيزات واضحة بين بعض الأطراف المعنيين في النزاع على حساب أطراف أخرى، الأمر الذي انعكس على توجهات عملية التدخل وأهدافها، وزاد من شدة الصراع وعنفه بين الفصائل المسلحة والقوات الأمريكية الأمر الذي عجل بانسحابها دون تحقيق مضامين قرارات مجلس الأمن، وهو ما يشكك في قدرات

مجلس الأمن لعدم تدخله لتصحيح المخالفات الجسيمة لحقوق الإنسان التي ارتكبتها القوات الأمريكية والدولية التي تدخلت أصلاً لحمايتها، رغم أنه هو من قام بتفويض الولايات المتحدة الأمريكية بمهمة القيام بأعمال الأمم المتحدة.

وبسبب ما رافق وشاب هذه التدخلات وغيرها من فشل ونتائج سلبية في الدول التي تم التدخل فيها، لم تعد أغلب الدول وخاصة الدول النامية تستسيغ فكرة التدخل الإنساني لأنها ترى فيها أنها أصبحت في بعض الحالات تشكل محاولات لبعث هيمنة وسيطرة استعمارية جديدة، مبعثها عوامل إنسانية في الظاهر، ولكن القصد الحقيقي منها هو فرض هيمنة وتحقيق مصالح الدول الكبرى المتدخلة التي لم يسمح لها مبدأ عدم التدخل بتحقيق ذلك بل أصبح المجتمع الدولي لا ينظر إلى التدخل الدولي الإنساني بنظرة تفاؤل، إذ ثبتت ممارسته خرق حقوق الإنسان بدل حمايتها، كذلك ما أصبح يواجه مجلس الأمن من صعوبة في مهامه فيما عجز عن حماية حقوق الإنسان من خلال الفصل السادس، وأصبح يتم معالجة هذه المسائل عن طريق التدخل المسلح الذي يُفضي إلى حلول ونتائج سيئة في ظل كل ما ذكر من سلبيات وانتقادات لعمليات التدخل من انتقائية وازدواجية، وانحراف عن البعد الإنساني في عمليات التدخل، وعلى منظمة الأمم المتحدة العمل على إصلاح نفسها وتجنب كل ما من شأنه يكون سبباً في فقدان ثقة شعوب العالم فيها.

الخاتمة :

لقد كان إنشاء منظمة الأمم المتحدة حدثاً مهماً في تاريخ البشرية بعد ما قاسته وعانته من ويلات ومآسي نتيجة للحروب والنزاعات خاصة الحربين العالميتين الأولى والثانية، وما قامت عليه من مبادئ وأهداف.

وعلى الرغم من بعض النجاحات النسبية التي حققتها منظمة الأمم المتحدة في منع الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان ووقف عمليات الإبادة الجماعية إلا أن تدخلات منظمة الأمم المتحدة والممارسة الدولية بيّنت وأثبتت أن تطبيق التدخل الدولي الإنساني اتسم بالازدواجية في المعايير والكيل بمكيالين وبالخروج عن الضوابط والقواعد القانونية والعرفية التي تحكمه.

حيث إن بعض عمليات التدخل الدولي الإنساني قد شابها بعض الانحراف عن البعد الإنساني، واتجه لمصالح بعض الدول الكبرى كما هو الحال في التدخل في العراق بقرار مجلس الأمن رقم 688 كما أن عمليات التدخل الدولي بصورة عامة شهدت في تنفيذها ازدواجية المعايير، حيث شهدنا مآسي وانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان في بعض مناطق العالم الفقيرة وغير المهمة، وكانت بأمر الحاجة للتدخل السريع والحاسم، ولكن لم يحدث ذلك مثل مسلمي الروهينغا، وإن حدث فهو يحدث بشكل بطيء وضعيف ومتأخر، ولعل ما حدث في رواندا من مأساة يعدّ دليلاً على ذلك، في حين شهدنا تدخلات سريعة تحت مبررات قد تكون واهية مثل التدخل في هايتي بحجة حماية الديمقراطية، في الوقت الذي شهد العالم عشرات الانقلابات العسكرية التي استهدفت أنظمة ديمقراطية في أفريقيا وغيرها لم يتم التحرك بشأنها . كما تعرضت منظمة الأمم المتحدة إلى الانتقادات الكثيرة خاصة حين شهد القرن الماضي فضائع جماعية هزت الضمير العالمي، ووجد المجتمع الدولي نفسه عاجزاً عن مواجهتها كلياً أو جزئياً. وانطلاقاً من هذه الاعتبارات وبالنظر إلى إخفاق التدخل الدولي الإنساني في تحقيق الحماية الإنسانية وحل النزاعات بكل حيادية وشفافية، لجأت الأمم المتحدة من خلال اللجنة الدولية للتدخل وسيادة الدول إلى طرح مفهوم دولي جديد عرف باسم مسؤولية الحماية، الذي علقت عليه الكثير من الدول الصغيرة أملاً كبيرة من خلال ما تضمنه من مفاهيم جديدة تقوم على إنقاذ الشعوب التي تعاني من الظلم من حكوماتها الاستبدادية أو النزاعات المسلحة أو كوارث القتل الجماعي والتطهير العرقي والتجويد المتعمد، وهي ما يمثل نهجاً جديداً لحماية المدنيين من الفظائع الجماعية يتولاها المجتمع الدولي عندما تكون دولة ما غير راغبة في حماية مواطنيها أو غير قادرة على حمايتهم من خسائر في الأرواح على نطاق واسع مع نية إبادة جماعية أو بدونها أو تطهير عرقي.

التوصيات:

1- ضرورة عمل المجتمع الدولي على إصلاح منظمة الأمم المتحدة وآلية عملها، وخاصة جهاز مجلس الأمن بما يضمن التعامل النزاهة والشفافية والمحايد مع جميع أزمات العالم على حدّ سواء .

- 2- على الدول والحكومات أن تحترم حقوق الإنسان في بلدانها، وحقوق الأقليات وأن يكون نظام الحكم ديمقراطياً يؤمن بالتداول السلمي على السلطة، وحماية الحريات، وسيادة القانون والعدالة، حتى تجنب البلاد التدخل الخارجي، وأن تلتزم الدول بتطبيق ما صادقت عليه من اتفاقيات ومعاهدات وما جاء في دساتيرها من التزامات أمام شعوبها.
- 3- على الدول الكبرى عدم استخدام الأمم المتحدة وأجهزتها وسيلة لتحقيق مصالحها وأهدافها.
- 4- يجب أن يكون حجم التدخل العسكري المزمع تنفيذه وشدته عند الحد الأدنى الضروري لضمان تحقيق الهدف الإنساني، وأن تكون الوسائل متناسبة مع الغايات.
- 5- ضرورة ابتعاد الأمم المتحدة عن سياسة ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين مع أزمات العالم.

المصادر والمراجع:

أولاً- الوثائق .

- 1- ميثاق الأمم المتحدة، متاح على الموقع <https://www.un.org>
- 2- ميثاق منظمة الدول الأمريكية الصادر في أبريل 1948.
- 3- اتفاقية مناهضة التعذيب، متاح على الموقع <https://www.cochr.org>.
- 4- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، متاح على <https://un.org>
- 5- العهدين الدوليين للحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية متاح على الموقع <https://ar.m.wikipedia>
- 6- تقرير الأمين العام للأمم المتحدة، تنفيذ المسؤولية عن الحماية (677/a/63) بتاريخ 2009/1/12
- 7- القانون التأسيسي للاتحاد الأفريقي <http://www.africa-union.org/root/au/about>
- 8- تقرير كوفي عنان في الدورة السنوية للجمعية العامة لسنة 98، متاح على <https://undocs.org>
- 9- تقرير الأمين العام كوفي عنان في 1999/9/30 بعنوان مواجهة التحدي الإنساني، متاح على الموقع <https://www.albayan.ae> .
- 10- التقرير العالمي للجنة حقوق الإنسان حول اليمن لسنة 2021 على الموقع <https://www.hrw.org>

- 11- التقرير العالمي للجنة حقوق الانسان حول اليمن لعام 2019
<https://www.hrw.org>
- 12- تقرير اللجنة الدولية المعنية بالتدخل وسيادة الدول، <https://undocs.org>
- 13- قرار مجلس الأمن رقم 688 الصادر في 1991/4/5 حول العراق، متاح على موقع الأمم المتحدة <https://www.un.org>
- 14- قرار مجلس الأمن رقم 774 لسنة 1973 حول الصومال، متاح على الموقع <https://www.mogatel.com>
- 15- قرار مجلس الأمن حول هايتي، رقم 841 في 1993/6/17 متاح على الموقع <https://www.un.org>
- 16- قرار الجمعية العامة رقم 1318 لسنة 1959 بخصوص نزع السلاح النووي، متاح على الموقع <https://www.un.org>
- 17- قرار الجمعية العامة رقم 1761 لسنة 1962 بشأن فرض عقوبات على جنوب أفريقيا، متاح على الموقع <https://www.un.org>
- 18- قرار مجلس الأمن رقم 1593، لسنة 2005 بإحالة متهمي جرائم حرب دارفور إلى المحكمة الجنائية الدولية، متاح على الموقع <https://undocs.org>
- 19- قرار مجلس الأمن رقم 955، بإنشاء محكمة رواندا متاح على الموقع <https://www.undocs.org>
- 20- قرار مجلس الأمن رقم 978 لسنة 95 19 متاح على الموقع <https://www.undocs.org>
- 21- قرار مجلس الأمن، رقم 940 لسنة 19 94 بالتدخل في هايتي، متاح على الموقع <https://www.un.org>
- 22- قرار مجلس الأمن، 1264 لسنة 1999 بالإذن للتدخل في تيمور الشرقية <https://www.un.org>
- 23- قرار مجلس الأمن، رقم 1270 في 1999 حول سيراليون، متاح على الموقع <https://www.hrw.org>
- 24- قرار الجمعية العامة 32، 31 لسنة 1965 بعدم جواز التدخل <http://legal.un.org>
- 25- قرار الجمعية العامة رقم 141/48 بإنشاء منصب مفوض سامي متاح على الموقع <http://stringfixer.com>
- 26- قرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي 1235 الصادر في 1967 متاح على الموقع <https://undocs.org>
- 27- قائمة بقرارات منظمة الامم المتحدة بشأن فلسطين متاح على الموقع <https://ar.wikipedia.org>
- 28- اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية على الرابط <https://www.icrc.org>

- 29- قراري مجلس الأمن رقم 814 ورقم 770 حول الصومال، متاح على <https://un.org>.
- 30- قراري مجلس الأمن، أرقام 841 و873 بخصوص هايتي متاح على الموقع <https://www.un.org>.
- 31- قراري مجلس الأمن 1970 و1973 لسنة 2011 حول ليبيا، متاح على الموقع <https://www.un.org>.
- 32- قراري مجلس الأمن أرقام 2140 و2216 حول اليمن لسنة 2015 متاح على الموقع <https://www.un.org>.
- 33- قرار تشكيل لجنة تحقيق بشأن العدوان على غزة في 2021 متاح على <https://www.aa.com.tr>.
- 34- موجز الاحكام والفتاوي الصادرة عن محكمة العدل الدولية من 1948 الى 1991 متاح على <https://legal.un.org>.

ثانياً: الكتب

- 1- إبراهيم ابو خزام، أقواس الهيمنة، ليبيا، بنغازي ط1، يناير 2005.
- 2- إبراهيم محمد العناني، القانون الدولي العام، المطبعة التجارية الحديثة، (دط) 1990.
- 3- أحمد ابو الوفاء، جامعة الدول العربية كمنظمة إقليمية دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ط)، سنة 1999.
- 4- أحمد رفعت مقدمة لدراسة القانون الدولي لحقوق الانسان، دار النهضة العربية 1985 القاهرة.
- 5- أحمد عبد الحميد وعمر بوبكر الوسيط في القانون الدولي العام، الإسكندرية، 1990.
- 6- إسماعيل الغزال " القانون الدولي العام، ط بلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986.
- 7- أشرف توفيق شمس الدين، مبادئ القانون الجنائي الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، د، ت.
- 8- بوراس عبد القادر، التدخل الدولي الإنساني وتراجع مبدأ السيادة، دار الجامعة الجديدة (د.ط)، الجزائر
- 9- بوكرا إدريس، مبدأ عدم التدخل في القانون الدولي المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
- 10- تونكين، القانون الدولي العام، قضايا نظرية، ترجمة أحمد رضا، مراجعة عزالدين فودا، الهيئة العربية للكتاب، 1972.
- 11- جعفر عبد السلام، قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية 1981.
- 12- جمال حمود الضمور، مشروعية الجزاءات الدولية، والتدخل الدولي ضد ليبيا، السودان، الصومال مركز القدس للدراسات السياسية، عمان، الأردن، 2004.

- 13- جوزيف ناي الابن، المنازعات الدولية، مقدمة للنظرية والتاريخ، ترجمة أحمد أمين الجمل مجدي كامل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، 1997.
- 14- حازم محمد عتلم، أصول القانون الدولي العام، دار النهضة العربية القاهرة، 2004.
- 15- حامد سلطان، القانون الدولي العام وقت السلم، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1 1987،
- 16- حسام أحمد هندراوي، التدخل الدولي الإنساني وتطبيقه في قواعد القانون الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997.
- 17- حسام حسن حسان، التدخل الانساني في القانون الدولي المعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة، 2004.
- 18- حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن، دراسة في تطور التنظيم الدولي منذ عام 1945، عالم المعرفة، الكويت، 1995.
- 19- حسين ابراهيم صالح عبيد، القضاء الدولي الجنائي، دار النهضة العربية القاهرة، 1977.
- 20- حسين حنفي عمر، التدخل في شؤون الدول بذريعة حماية حقوق الانسان، دار النهضة العربية، ط1، مصر، 2005.
- 21- حمودة منتصر سعيد، المحكمة الجنائية الدولية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2009.
- 22- حورية مجاهد، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، القاهرة 1999.
- 23- رمضان بن زاير، العلاقات الدولية في السلم، دار الجماهيرية للنشر و التوزيع، مصراتة، 1998،
- 24- سامح عبد القوي السيد، التدخل الدولي الإنساني بين المنظور الإنساني والبيئي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2012.
- 25- سامح عبد القوي السيد، التدخل الدولي بين المشروعية وعدم المشروعية وانعكاساته على الساحة الدولية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية 2012.
- 26- سعد حقي، مبادئ العلاقات الدولية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الطبعة الأولى 2000.
- 27- سهيل حسين الفتلاوي، الأمم المتحدة، أهداف الامم المتحدة ومبادئها، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
- 28- شافعي محمد بشير، القانون الدولي العام في السلم والحرب، الطبعة السادسة، مكتبة الجلاء، المنصورة، 1998.
- 29- صلاح الدين عامر، قانون التنظيم الدولي، دار النهضة العربية، (د.ب)، القاهرة 2002.

- 30- صلاح عبد البديع شلبي، التدخل الدولي ومأساة اليوسنة والهرسك، ط1، دار النهضة العربية القاهرة، 1996.
- 31- صلاح عبد الرحمن الحديثي وسلافة طارق الشعلان، حقوق الإنسان بين الامتثال والإكراه في منظمة الأمم المتحدة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2009.
- 32- عادل محمد عبدالعزيز حمزة، الطبيعة القانونية لحقوق الإنسان في القانون الدولي العام، جامعة عين شمس، بلا ت ن
- 33- عبد الحميد متولي، المفصل في القانون الدستوري، مطبعة دار نشر الثقافة، الإسكندرية.
- 34- عبد العزيز محمد سرحان، الغزو العراقي للكويت، دار النهضة العربية، القاهرة 1991.
- 35- عبد الله الأشعل، الأمم المتحدة والعالم العربي في ظل تحول النظام الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997.
- 36- عبد الواحد محمد الفار، حقوق الانسان
- 37- علي إبراهيم، الحقوق والواجبات الدولية في عالم متغير، دار النهضة العربية، (ط1)، القاهرة، 1997.
- 38- علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، منشأة المعارف (د،ط)، الإسكندرية، 1995.
- 39- علي ضوي، القانون الدولي العام، دار الكتب الوطنية، بنغازي، (د.ط) مكان النشر لا يوجد، 2000.
- 40- علي يوسف الشكري، حقوق الإنسان بين النص والتطبيق، ط1، مصر، 2009.
- 41- غسان الجندي، القانون الدولي لحقوق الإنسان، مطبعة التوفيق، (د،ط) ، عمان، 1989.
- 42- محمد أبو سلطان، مبادئ القانون الدولي العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1994.
- 43- محمد حافظ غانم، الوجيز في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، 1979.
- 44- محمد خليل الموسى، استخدام القوة في القانون الدولي المعاصر، دار وائل للنشر، 2004.
- 45- محمد سامي عبد الحميد، أصول القانون الدولي العام، الجماعة الدولية، الجزء الأول الطبعة الخامسة دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 1996.
- 46- محمد طلعت الغنيمي، الغنيمي في قانون السلام، منشأة المعارف (د.ت) ، (د.ط) ، الإسكندرية.
- 47- محمد فهيم درويش، الحقوق الإنسانية بين سيادة السلطة وحكم القانون، (د.ن)، (د.ط)، 2007 .
- 48- محمد مصباح عيسى حقوق الإنسان في العالم المعاصر، دار أكاكوس، طرابلس ليبيا، سنة 2001
- 49- مسعد عبدالرحمن زيدان، تدخل الأمم المتحدة في النزاعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي، دار الكتاب القانوني، الإسكندرية، 2008 .

- 50- منصور ميلاد يونس، مقدمة لدراسة العلاقات الدولية، مطبعة الوثيقة الخضراء، ليبيا، ط2، 1998.
- 51- منى محمود مصطفى، استخدام القوة المسلحة في القانون الدولي بين الحظر والاباحة، دار النهضة العربية، 1989، .
- 52- نبيل أحمد حلمي، الإرهاب الدولي وفقا لقواعد القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988.
- 53- نجاتة أحمد محمد ابراهيم، المسؤولية الدولية عن انتهاكات قواعد القانون الدولي الإنساني، منشأة المعارف، (د.ب.ط) ، الإسكندرية ، سنة 2009.
- 54- هنادي خضراوي، أبرز قضايا السياسة الدولية المعاصرة، دار الكتب الحديثة (د.ن) ، 2002.
- 55- وائل غلام، حماية حقوق الاقليات في القانون الدولي، دار النهضة العربية، 1994.
- 56- ياسر حضر الحويشي، مبدأ عدم التدخل واتفاقيات تحرير التجارة العالمية، منشورات الحلبي الحقوقية، ط1، 2005.
- 57- يوسف حسن يوسف، المحاكمات الدولية المعاصرة لمجرمي الحرب وجرائم الإبادة، المركز القومي للإصدارات القانونية، ط1، 2011،
- رابعاً: الدوريات**
- 58- أحمد حسن الرشيدى، حقوق الانسان في أربع عقود، مجلة السياسة الدولية، يوليو 2005
- 59- ايف ماسينغهام، التدخل العسكري لأغراض إنسانية من تعزز عقيدة مسؤولية الحماية ومشروعية استخدام القوة لأغراض إنسانية مختارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، القاهرة، مصر المجلد 91، العدد 876 ديسمبر 20158.
- 60- بطرس غالي، الأمم المتحدة في ظل التحولات الراهنة للنظام الدولي، مجلة البحوث والدراسات السياسية، العدد 115، جامعة القاهرة، 1994.
- 61- بوكرا إدريس: شرعية وسائل الضغط أثر انتهاكات حقوق الانسان، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، ط بلا ، جامعة الجزائر 2002 .
- 62- حازم محمد عتلم، أصول القانون الدولي العام ، دار النهضة العربية القاهرة ، 2004 ،
- 63- حسن أبو طالب: العراق والبحث عن السيادة الشرعية، السياسة الدولية، عدد158، أكتوبر 2004.
- 64- خالد حسان، تدخل الأمم المتحدة في النزاعات الأثنية، المجلة الأكاديمية للبحث القانوني، جامعة عبد الرحمن، ميرا، بجايا، العدد 2 سنة 2010.
- 65- خالد حنفي علي، محنة الديمقراطية في ساحل العاج، السياسة الدولية، المجلد 38، العدد 151، يناير 2003.
- 66- خليل العناني: العراق في مفترق طرق، السياسة الدولية، عدد 157، يوليو 2004.
- 67- - سمعان بطرس، الجمود والتغير في منظمة الدول الأمريكية، السياسة الدولية، العدد 16، أبريل، 69.

- 68- صلاح سالم زرنوقة، أثر التحولات العالمية على مؤسسة الدولة في العالم الثالث ، السياسة الدولية ، العدد 122 ، القاهرة 10 ، 1995 .
- 69- عبد الله العمري، المفهوم القانوني للحرب، مجلة الشؤون الاجتماعية، العدد 45، سنة 95.
- 70- غسان الجندي، نظرية التدخل لصالح الإنسانية في القانون العام، المجلة المصرية للقانون الدولي، 1987.
- 71- فرج الله، سمعان بطرس، الجرائم ضد الإنسانية، إبادة الجنس البشري وجرائم الحرب، دراسات في القانون الدولي الإنساني، تقديم مفيد شهاب، دار المستقبل العربي، القاهرة، سنة 2000.
- 72- محمد إبراهيم الأصيبي، مجلة دراسات حقوق الانسان في ظل العولمة ، العدد السابع ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع والإعلان ، ليبيا ، 2000
- 73- محمد الطراونة، مدى مشروعية التدخل لاعتبارات إنسانية، المجلة القانونية والقضائية، مركز الدراسات القانونية والقضائية الدوحة، العدد 2، العام 2004.
- 74- محمد بن العربي، التدخل الإنساني ومسؤولية الحماية، الحوار المتمدن، العدد 4080، سنة 2013.
- 75- محمد قدرى سعيد، الأفكار والأسرار 11/سبتمبر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية للأهرام، ط2، القاهرة، 2002.
- 76- محمد مخادمة، الحق في المساعدة الإنسانية، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، عدد2، الجزائر، 1997.
- 77- محمد يعقوب عبد الرحمن، التدخل الإنساني في العلاقات الدولية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دبي، ط1، 2005.
- 78- محمود قاسم، حقوق الانسان بين النظرية والتطبيق، مجلة السياسة الدولية، الأهرام، العدد 175، يناير 2009.
- 79- مروى نظير، السياسة و العلاقات الدولية، الحوار المتمدن، العدد 3174، 2010/3/11.
- 80- منار الشور بجي، حقوق الانسان، دعوى للخوض في التفاصيل، مجلة السياسية الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، العدد 117، القاهرة، يوليو 1994.
- 81- نجوى الفواله، الأزمة الصومالية وعام من التدخل، السياسة الدولية، ع115، مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ، سنة 94 .
- 82- وحيد رأفت، القانون الدولي وحقوق الإنسان، المجلة المصرية للقانون الدولي، عدد 1977.
- 83- وليد محمود عيد الناصر، أدوار جديدة للأمم المتحدة، داخل بلدان العالم الثالث، السياسة الدولية، العدد 122، اكتوبر 1995.
- رابعاً: الرسائل العلمية:

- 1- إبراهيم زهير الدراجي، جريمة العدوان ومدى المسؤولية القانونية الدولية عنها، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، 2002.
- 2- خرزان مصطفى، مبدأ مسؤولية الحماية وتطبيقاته في ظل مبادئ وأحكام القانون الدولي، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، 2014.
- 3- سالم زايد الفيتوري، التدخل الدولي الإنساني بين أحكام القانون الدولي العام وسياسة الدول الكبرى، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا طرابلس، 2009.
- 4- سعد محمد زايد، المسؤولية الدولية في حماية المدنيين في حالة الصراعات الداخلية، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، عام 2014.
- 5- الطاهر بلقاسم فرج، التدخل الدولي الإنساني عبر المنظمات الدولية، وأثره على سيادة الدول، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، مدرسة الدراسات الاستراتيجية الدولية، جنزور 2008.
- 6- عبد المنعم محفوظ غريبي، دور الأمم المتحدة، في إدارة الازمة الليبية من سنة 2011 الى 2016، رسالة غير منشورة، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا، مدرسة الدراسات الاستراتيجية والدولية، جنزور، ليبيا. 2016.
- 7- علي خليفة الذويب، التدخل الدولي لأسباب إنسانية وتطبيقاته في المنطقة العربية، رسالة ماجستير، منشورة، جامعة المرقب، 2008، منشورات جامعة الجبل الغربي، 2012.
- 8- علي عمر أبو جعفر، التدخل الدولي الإنساني في الأزمة الليبية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الأكاديمية الليبية، جنزور، 2016.
- 9- عماد الدين عطا الله محمد، التدخل الإنساني على ضوء مبادئ وأحكام القانون الدولي، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة دمشق، 2007.
- 10- كينسي هاماساكي. نظرية الأمن الإنساني في القانون الدولي المعاصر، رسالة دكتوراه في القانون العام، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، مصر 2008.
- 11- محمد تبون، التدخل الدولي الإنساني المسلم بين القانون التقليدي والمعاصر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية بن عكنون
- 12- محمد عوض الغمري، مبدأ السيادة ونظام الحماية الدولية لحقوق الإنسان، رسالة دكتوراه في القانون العام، كلية الحقوق جامعة القاهرة، مصر، سنة 2007
- 13- محمد مصطفى يونس، النظرية العامة للتدخل في شؤون الدول، رسالة فقهية وتطبيقية في ضوء مبادئ القانون الدولي المعاصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الحقوق جامعة القاهرة، القاهرة 1985.
- 14- معاوية عياد السوالفة، التدخل العسكري الإنساني، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، كلية الحقوق، الاردن، 2009.



سادسا: المؤتمرات والندوات
1 المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1973 المنعقد في فيينا متاح على الموقع
<https://www.chchr.org>

إثبات القصد الجنائي في جريمة القتل العمد واستظهاره

د. أحمد مصباح الحراري

كلية القانون والعلوم السياسية - غريان

ملخص البحث:

يعتبر القصد الجنائي من أكثر الموضوعات تعقيداً في مجال الإثبات الجنائي، وخاصة في جريمة القتل العمد باعتباره سلوكاً نفسياً داخلياً تتجه فيه إرادة الجاني إلى اقرار الجريمة، وحيث إنه لا يوجد معيار محدد تم وضعه من جانب المشرع يمكن للقاضي الجنائي الاعتماد عليه، لذلك غالباً ما واجه هذا الأخير صعوبة في استنباط القصد الجنائي واستكشافه، حيث إن السلوك المادي الخارجي الظاهر قد لا يكون كافياً في الاستدلال على القصد الجنائي وفي ذلك اتجهت محكمة النقض في أحكامها مؤيدة في جانب من الفقه إلى أن القصد الجنائي في جريمة القتل العمد هو من قبيل القصد الخاص، ولا يتحقق قانوناً إلا إذا ثبت إلى جوار القصد العام، والمعبر عنه بالباعث أو الغاية من ارتكاب الجريمة مخالفاً في ذلك القاعدة العامة في القانون الجنائي التي تقتضي عدم الاعتداد بالبواعث في قيام الجريمة. وفي ذلك أعطي القاضي سلطة واسعة في تقدير نية القتل أو عدم قيامها لدى المتهم والتحدث عنه واستخلاصها استقلالاً واستظهاراً بإيراد الأدلة والقرائن التي تكشف عنه من خلال ظروف الدعوى وملابساتها وواقعها، وأن يكون هذا الاستخلاص بطريق اللزوم العقلي والمنطقي التي تقود إلى النتيجة التي استخلص منها الحكم ومنطوقه، وتبدو هذه الأهمية في إتاحة الفرصة لمحكمة النقض في الرقابة على حسن تطبيق القانون، كما افترض على المشرع الليبي الأخذ بنظام القاضي المختص لكي يكون أكثر فطنة ودراية وخبرة في إثبات القصد الجنائي، وخاصة في جريمة القتل العمد التي تعبر عن الخطورة الإجرامية للجاني، وكذلك التأكيد على المشرع بأن يخص القرائن القضائية أهمية كبرى في الإثبات الجنائي من خلال تعيين نصوص خاصة لها تضبط معالمها وتنظم أحكامها.

المقدمة:

لعل من أصعب الأمور التي تواجه القضاء في قضايا القتل العمد مسألة إثبات نية القتل لدى المعتدي، بالنظر لأن النية أمر خفي يتعين إثباتها بمظاهر خارجية حتى يمكن القول بتوافرها لدى القاتل المتعمد. وما تسير عليه المحكمة العليا الليبية في أحكامها هو إعطاء قاضي الموضوع سلطة واسعة في تقدير قيام نية القتل أو عدم قيامها لدى المتهم، وتطلبها من قاضي الموضوع أن يعنى بالتحدث عنه استقلالاً واستظهاره بإيراد الأدلة التي تدل وتكشف عنه من خلال ظروف الدعوى وملابساتها ووقائعها، وتتجه العناية في الوقت الحاضر، وطبقاً للاتجاه السائد في الفقه الجنائي بتزايد مطرد نحو التركيز على القصد الجنائي، إذ أن القصد بعناصره من علم وإرادة وباعث أو غاية في بعض الجرائم هو نقطة الارتكاز الحقيقية في دراسة نفسية المجرم التي أساسها النية الداخلية للجاني، والتي هي بدورها عنصر داخلي غير ملموس يضمه الجاني في داخله، يصعب استظهاره أو الاستدلال عليه، والذي يعتبر الفاصل والمميز بين كل من الجرائم العمدية، والجرائم غير العمدية، حيث تعتبر جريمة القتل العمد التي نحن بصدها من أخطر الجرائم التي تقع على النفس البشرية، والذي يتطلب القصد الجنائي فيه توأمة نية القتل عند الجاني، وخطورته الإجرامية وخاصة عند اقتران نية القتل مع سبق الإصرار أو التردد .

لما سبق.. يتضح مدى أهمية إثبات واستظهار القصد الجنائي في جريمة القتل العمد وهو ما دفع مختلف التشريعات العربية والليبية منها على وجه الخصوص أن تعطي هذا الموضوع قدراً من الخصوصية، وذلك نظراً لاعتبار القصد الجنائي في جريمة القتل العمد، قد أثار العديد من المشكلات العملية والعلمية في مجال إثباته، وإصدار الحكم الذي هو عنوان الحقيقة من خلال الأدلة المطروحة على بساط البحث في الدعوى الجنائية، هذا الجهد لا يزال محتفظاً بأهميته القصوى، وبدوره الحاسم في مصير الدعوى الجنائية باعتباره همزة الوصل بين الجريمة المرتكبة والعقوبة المستحقة (أبوعامر، الإثبات الجنائي، 2011، ص20).

وبالرغم من التقدم الهائل الذي حدث في مجال التجريم والعقاب، إلا أن جريمة القتل العمد مازالت تمارس بأبشع صورها وفي كل مرة تظهر أشكال جديدة لها، وكذا اختلاف

وسائل ارتكابها وتنوعها دون إغفال الخطورة الإجرامية الكامنة في نفس الجاني ودهائه مما جعلها تكتسب أهمية بالغة جديرة بالدراسة في علم الإجرام والإثبات الجنائي، وذلك كونها تمس بحق ثابت وهو حق الإنسان في الحياة.

ويعتبر هذا البحث مساهمة تضاف إلى المساهمات التي تبحث في موضوع إثبات واستظهار القصد الجنائي في جريمة القتل العمد، وما يتصل به من موضوعات أخرى، وخاصة ما تعلق بعبء الإثبات وطرق قبول الأدلة وشروطها، ومدى حجيتها، وكذلك قيمة الرقابة التي تباشرها المحكمة العليا على حسن تطبيق القانون من خلال تسبيب الأحكام الجنائية وذلك لحسن سير العدالة، وإذا كانت محكمة الموضوع بمنأى عن أدنى رقابة على منطوق استخلاصها للوقائع؛ إذ أن مثل هذه الموضوعات ما تزال تحتاج في بعض من جوانبها لإيجاد حل صريح بشأنها، خاصة أن قانون الإجراءات الجنائية الليبي وبعض الدول العربية لم يتعرض للنظرية العامة للإثبات الجنائي، واقتصر على جانبها الإجرائي فقط فكان لذلك تأثير واضح على نوع الدراسات التي تناولت موضوع الإثبات الجنائي بحيث جاءت في شكل موضوع عادي يندرج ضمن الشروح التي تناولت قانون الإجراءات الجنائية .

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أن إثبات القصد الجنائي في جريمة القتل العمد بشكل عام وبحسب طبيعته نشاط نفسي داخلي تتجه فيه الإرادة الأثمة إلى ارتكاب الجريمة؛ لذلك كثيراً ما يكون السلوك الإجرامي غير كافٍ وحده للدلالة على وجوده، خاصة إذا لم يرد على ثبوت الواقعة دليل مباشر يمكن استظهار القصد الجنائي من خلاله، كما أن عدم قدرة المشرع ذاته على حسم هذه المسألة على نحو قطعي عام، مما أدى إلى مطالبة القاضي بالتدخل للاضطلاع بهذا الدور، ومنحه سلطة تقديرية يقينية في استظهار القصد الجنائي وإثباته، ولذلك فمن التساؤلات التي تطرح نفسها في هذا الإطار وتحاول هذه الدراسة أن تجيب عنه:

- 1- ما هي السبل التي تلتجئ إليها المحكمة في سبيل استظهار القصد الجنائي في جريمة القتل العمد وإثباته؟

- 2- ما هي حدود وسلطات القاضي الجنائي التقديرية في ذلك؟

وما يعقد المشكلة أكثر عندما يشترط المشرع أبعد من ذلك بوجود إثبات القصد الجنائي الخاص لدى الجاني في ارتكاب الجريمة من أجل اعتبار الجريمة عمدية أو موجودة بالأساس، ومن هنا كانت الصعوبة والتعقيد في كيفية إثباته واستظهار القصد الجنائي في جريمة القتل العمد .

أهداف البحث:

وقد ابتغيت من هذه الدراسة تحقيق جملة من الأهداف تتمثل أساساً في بيان الإشكالية في استظهار القصد الجنائي في جريمة القتل العمد، وتحديد مدى خطورة القتل العمد، وتأثيرها في زعزعة استقرار المجتمع .

كما سعت من خلال هذا البحث إلى تسليط الضوء على النصوص القانونية المجرمة لهذا الفعل، والعقوبات المقررة لها، وأحكام المحكمة العليا الليبية، ناهيك عن تباين الأسباب والأسس، وكذا الظروف والأعدار الخاصة بهذه الجريمة من تشديد وتخفيف.

نطاق البحث:

ينحصر نطاق البحث في دراسة استظهار القصد الجنائي في جريمة القتل العمد في حدود قانون العقوبات الليبي وبعض القوانين المقارنة لها، هذا فضلاً عن استشهد ببعض أحكام المحكمة العليا الليبية لبيان موقفها من استظهار القصد الجنائي في جريمة القتل العمد وإثباته.

منهج البحث:

ينحصر نطاق هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال وصف القوانين والنصوص التي تبحث في القصد الجنائي وسبل استظهاره، ومن ثم تحليل تلك النصوص وتمحيصها في سبيل إظهار وجه القصور مسترشداً في ذلك ببعض أحكام المحكمة العليا الليبية.

خطة البحث:

تتطلب دراسة هذا البحث تقسيمة إلى ثلاثة مباحث، نتطرق في المبحث الأول إلى: دور القصد الجنائي في البنين القانوني والعقوبة لجريمة القتل العمد وذلك من خلال مطلبين، نيين في المطلب الأول: دور القصد الجنائي في البنين القانوني لجريمة القتل

العمد، ونوضح في المطلب الثاني: دور القصد الجنائي في بنیان العقوبة في جريمة القتل العمد. ونبين في المبحث الثاني: حدود سلطة القاضي الجنائي في استظهار القصد الجنائي وذلك من خلال مطلبين، نتناول في المطلب الأول: استظهار القصد من خلال القرائن القضائية، ونتطرق في المطلب الثاني إلى استظهار القصد الجنائي عن طريق الاستدلال. ونبين في المبحث الثالث: تسبیب الحكم الجنائي ورقابة محكمة النقض وذلك من خلال مطلبين، نبين في المطلب الأول تعريف تسبیب الأحكام الجنائية، ونتناول في المطلب الثاني: الخصائص الجوهرية في تسبیب الأحكام، ثم نتناول في المطلب الثالث: التزام القاضي بتسبیب حكمه، ومن ثم تنتهي الدراسة بخاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات والمقترحات.

المبحث الأول- دور القصد الجنائي في البنیان القانوني والعقوبة في جريمة القتل

العمد:

مقدمة:

يبدو دور القصد الجنائي سواء في البنیان القانوني للجريمة أو العقوبة من خلال صورته، وللقصد الجنائي صور متعددة حسب الزاوية التي ينظر إليها، فمن حيث الغاية أو الدافع ينقسم القصد الجنائي إلى قصد عام وقصد خاص، ومن حيث درجة القصد الجنائي ينقسم إلى: قصد بسيط (الأنّي)، والقصد المقترن بسبق الإصرار، وأخيراً ينقسم القصد الجنائي من حيث إرادة النتيجة الجريمة إلى قصد مباشر وآخر احتمالي، ومن أجل تباين دور القصد الجنائي في البنیان القانوني والعقوبة سوف نقسم هذا المبحث إلى مطلبين نتناول في المطلب الأول دور القصد الجنائي في البنیان القانوني لجريمة القتل العمد، ونبحث في المطلب الثاني دور القصد الجنائي في البنیان القانوني للعقوبة .

المطلب الأول- دور القصد الجنائي في البنیان القانوني لجريمة القتل العمد:

إن دور القصد الجنائي في البنیان القانوني في جريمة القتل العمد يتوقف على مدى فاعلية القصد في وجود الجريمة العمدية بالأساس، أو عدم وجودها، وفي ظل ذلك لا نرى لصورة القصد الجنائي دوراً في تكوين الجريمة إلا من صورته المقسمة على أساس الغاية أو الهدف لقصد عام وقصد خاص ومن هذا المنطق فإننا سوف نقسم هذا المطلب من حيث

نطاق القصد الجنائي إلى الفرع الأول: إثبات القصد جنائي عام، والفرع الثاني: إثبات القصد جنائي خاص وهي كالاتي:

الفرع الأول- إثبات القصد الجنائي العام:

وهو اتجاه إدارة الجاني إلى السلوك والنتيجة مع العلم بهما ولكل العناصر التي يشترطها القانون لوجود الجريمة، وكذلك نحو تحقيق نتيجة إذا ما تطلب المشرع توافر نتيجة معينة للعقاب (عبدالقادر، عبى الإثبات في المواد الجنائية، ص154). ويتطلب توافر علم الجاني بكل العناصر اللازمة لوجود الجريمة كما حددها نص التجريم وبهذا قد أقام القصد الجنائي بمفهومه العام على عنصرين بالاستناد إلى نظريتين العلم والادارة .

1 : إثبات عنصر العلم :

إذا كانت الإرادة هي جوهر القصد الجنائي، إلا أنها لا تكفي وحدها لقيام القصد، فالقصد إرادة واعية. ولذلك فهو لا يكتمل إلا إذا تمثل الجاني في ذهنه الواقعة الإجرامية بكل عناصرها القانونية، وعلى ضوء ما سبق سنحدد الوقائع التي يتعين أن يحيط علم الجاني بها على النحو التالي:

أ- العلم بالوقائع التي يتعين العلم بها: قصد بعنصر العلم "التصور لحقيقة الشيء على نحو يطابق الواقع (عوض محمد، قانون العقوبات العام، 2002، ص92). العلم بخطورة الفعل على المصلحة المحمية جنائياً: وهذه الحقيقة المجرمة تتمثل في ذهن الجاني وتوقع العلاقة التي يمكن أن تتوافر بين فعله والنتيجة، وإذا تصورنا حدوث واقعة لم يتوقعها الجاني، ولم يدر بخلده حدوثها، فإن ذلك يعني حتماً أن إرادته لم تتجه إليها، وفي ذلك نصت الفقرة الأولى من (المادة 62 ق.ع.ل) بقولها: "ترتكب الجناية أو الجنحة عن قصد عمدي إذا كان مقترفاً يتوقع ويريد أن يترتب على فعله أو امتناعه حدوث الضرر أو وقوع الخطر الذي حدث، والذي يعلق عليها القانون وجود الجريمة .

ب - العلم بموضوع الحق المعتدي عليه: لا يتوافر القصد الجنائي إلا إذا علم الجاني بأن من شأن فعله إحداث مساس بمال الغير وإتلافه، وفي ذلك قضت المحكمة العليا الليبية بأنه: "من المقرر أن الإتلاف العمدي هو عبارة عن اتجاه نية الجاني إلى مباشرة فعل مادي من شأنه تصيير مال الغير غير نافع كلياً أو جزئياً، ولا عبرة بالوسيلة التي بها ذلك الفعل أن

يستوي أن يقوم به الجاني بنفسه أو يُسخر غيره أو شيئاً آخر للقيام به وكان القانون لا يتطلب في جريمة الإلتلاف توافر قصد جنائي خاص بل إنها تتحقق بتوافر القصد الجنائي العام وهو انصراف نية الجاني إلى الإلتلاف (طعن جنائي جلسة 1991/1/1، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص 182).

ج - العلم بالشروط المفترضة أو الأولوية للجريمة: إذا تطلب المشرع شرطاً أولياً أو مفترضاً فلا يقوم البنيان القانوني للجريمة إلا به في ذلك قضت المحكمة العليا الليبية: " إن المشرع لم ينص على قصد الإساءة إلى الغير في الجريمة المنصوص عليها في (المادة 457ق.ع.ل) ومن ثم لا يتطلب في هذه الجريمة قصداً خاصاً ويكفي لتوافر القصد الجنائي أن يكون الجاني قد تعمد بالفعل الذي وقع منه مقارفة الجريمة بجميع عناصرها كما هي معرفة في القانون أي يعتمد الإلتلاف بغض النظر عن العوامل المختلفة التي تكون قد دفعته إلى ذلك إذ أن القانون لا يعتمد في قيام الجريمة بالباعث على ارتكابها (طعن جنائي جلسة 1976/3/23، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص 147).

وبناء على ما سبق، إن علم الجاني بكل الوقائع المبينة أعلاه شرط أساسي لوجود القصد الجنائي، وبالتالي قيام الأساس القانوني للجريمة الذي حددها النموذج القانوني، وعليه فإن الجهل أو الغلط في أي واقعة يلزم القانون العلم بها كانت لها دور في قيام الجريمة ينتفي القصد الجنائي، ولا يسأل إلا عن جريمة غير عمدية.

د - العلم بزمن ارتكاب الفعل: القاعدة العامة أن المشرع لا يحفل بالزمن الذي يقع فيه الفعل الإجرامي، فهو يجرم الفعل دون اعتداد بزمن ارتكابه أي يجرمه أيماً كان الزمن الذي ارتكب فيه. حيث تخضع الجريمة لحكم هذه القاعدة العامة فإن علم الجاني لا يشترط أن يحيط بزمن ارتكاب الفعل، فهو يسأل عن جريمته عمداً، ولو جهل هذا الزمن أو اعتقد أنه يقترب فعله في زمن معين فإذا به يأتيه في زمن آخر وتطبيقاً لذلك قضت المحكمة العليا الليبية بأن: " العبرة في التدليل على توفر نية القتل العمد في حق الجاني من عدم توفرها هو وقت اقتراف الجريمة المسندة إليه لا بعده، وما قام به المطعون ضده نحو المجني عليه من محاولة إسعافه كان بعد ذلك، مما يكون معه ما تنعي به النيابة العامة على الحكم المطعون فيه في محله (طعن جنائي جلسة 2006/5/23، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص 188).

ع - العلم بمكان ارتكاب الفعل: القاعدة العامة أن المشرع لا يحفل بالمكان الذي يقع فيه الفعل الإجرامي، فهو يجرم الفعل دون اعتبار لمكان ارتكابه، أي يجرمه أياً كان المكان الذي ارتكب فيه، فهو عندما يجرم القتل يستوي لديه أن يقع الأخير في أي مكان. وعليه فإن علم الجاني لا يشترط أن يحيط بمكان ارتكاب الفعل، فهو يسأل عن جريمته عمداً ولو جهل هذا المكان أو اعتقد أنه يقترب فعله في مكان معين فإذا به يأتيه في مكان آخر.

غ - علم الجاني بماهية الوسيلة التي يرتكب بها الجريمة: الأصل ألا يعتد المشرع بالوسيلة التي يستخدمها الجاني لارتكاب جريمته، فيستوي في القتل أن يقع بسلاح قاتل بطبيعته، كالمسدس، أو السكين الحاد أو غير قاتل كالعصا. وبهذا قضت المحكمة العليا: "أن القصد الجنائي في جريمة حيازة السلاح هو قصد عام يتحقق بعلم الجاني أنه يحمل سلاحاً، ومن المقرر أنه ليس بلازم على الحكم أن يتحدث استدلالاً على كل ركن من أركان الجريمة متى أوردت ما يتضمنه (طعن جنائي في جلسة 1981/3/17، مجموعة أحكام المحكمة العليا للبيبة، س 18/1، ق 23/28، ص 191).

ولذلك علم المتهم بطبيعة الوسيلة التي يستخدمها لارتكاب جريمته لا يعتبر عنصراً في القصد الجنائي، وقصور علمه عنها لا يؤثر في قيام هذا القصد، فالعلم والجهل بها سواء. ولذلك، لا يقع على سلطة الاتهام إثبات إحاطة الجاني علماً بطبيعة الوسيلة التي استخدمها لتنفيذ جريمته.

ف - علم الجاني بالصفة التي يتطلبها القانون في المجني عليه: الأصل أن المشرع لا يتطلب في الجاني صفة معينة، ولكنه قد يستثنى من هذا الأصل بعض الجرائم فلا يرتكبا إلا من اتصف بحالة قانونية أو فعلية معينة مثل إجهاض المرأة نفسها (م 392ق.ع.ل) تعاقب الحامل التي تسبب إسقاط حملها بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر.

ق - علم الجاني بالصفة التي يتطلبها القانون في المجني عليها: الأصل أن المشرع لا يتطلب في المجني عليه صفة معينة، فهو يبسط حمايته على كل شخص، ولكنه قد يستثنى من هذا الأصل بعض الجرائم ولا يكون مجنياً عليه فيها إلا من توافرت فيه صفة معينة، فإذا اتهم شخص بجريمة من هذه الجرائم، تعين أن يحيط علمه بهذه الصفة، فإن كان جاهلاً بها انتفى القصد لديه، ولذلك يقع على عاتق سلطة الاتهام عبء إثبات هذا العلم، وفي هذا

قضت المحكمة العليا بأن: "يترتب على تحديد سن المجني عليها في الواقعة بالرضا تحديد الفعل في الدعوى على أوجه ثلاثة فهي إن لم تبلغ الرابعة عشر ما جاز للجاني أن يحتج بهله سنها وغلظ له العقاب، وإن بلغت الرابعة عشر ولم تتم الثامنة عشر وجب لتوافر العقاب ثبوت علم الجاني بحقيقة سنها وحق له أن يدفع الجرم متى انتفى علمه هذا (المواد 304، 2، 322 ق.ع.ل)، وهي إن تجاوزت الثامنة عشر ما كان هناك محل للعقاب لعدم تجريم الفعل إلا بتوافر شروط (م 410 ق.ع.ل) (طعن جنائي جلسة 1971/4/21، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص 236) .

ل - علم الجاني وتوقعه بالنتيجة الإجرامية: إذا كان القانون يشترط لوقوع الجريمة نتيجة معينة، فإن توافر القصد الجنائي يتطلب أن يتوقع الجاني حين يأتي فعله تحقيق النتيجة الإجرامية أثرًا لهذا الفعل، وفي هذا قضت المحكمة العليا بأنه: "إذا تعدد الفاعلون للضرب المفضي للموت ولم يكن بين المتهمين تفاهم سابق على الضرب، فإن كلاً منهم يكون مسؤولاً عن فعله فقط فيسأل عن الوفاة كل من ساهم عمله في إحداث تلك النتيجة ولو كانت ضربته وحدها لم تكن كافية لإحداثها، أما إذا لم يثبت أن ضربة المتهم قد ساهمت في إحداث (الوفاة) النتيجة، فإنه لا يسأل عنها وإنما يسأل عن الضرب فقط باعتباره القدر المتيقن في حقه (طعن جنائي جلسة 1965/6/10، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص 220) .

ولا ينسب في المجال الجنائي . إلى أي إنسان الآثار الحاصلة في العالم الخارجي إلا إذا كانت واقعة نتيجة لفعله، وهو ما ينطبق على جرائم القتل عموماً. وهذا ما تنص عليه صراحة (م 1/157 ق.ع.ل)، بقولها: "لا يعاقب أحد على فعل يعتبر جريمة قانوناً إذا كان الخطر الذي يترتب عليه وجود جريمة لم ينشأ عن عمله أو تقصيره". وهو ما يعني أنه لتوافر الركن المادي في جريمة القتل يجب أن يكون السلوك المرتكب هو الذي أدى إلى إزهاق روح المجني عليه. ولا يكون ذلك إلا إذا كانت هناك علاقة سببية مادية بين السلوك والنتيجة للحادثة.

هـ - الوقائع التي لا يتطلب القانون العلم بها:

1- لا يتطلب القانون العلم بظروف الجريمة: وكذلك لا يتطلب القانون علم الجاني بالظروف المشددة التي تفضي إلى نتيجة ذات جسامه معينة، فيوقع العقاب المشدد على

الجاني ولو لم يكن قد توقع النتيجة الجسيمة التي أفضى إليها فعله مادام قد انصرف قصده إلى النتيجة الأقل جسامة وهي ما يعرف (بالجرائم المتعدية القصد) (محمود مصطفى، شرح قانون العقوبات العام، 1985، ص299). فمن يرتكب جريمة جرح أو ضرب أو إعطاء مواد ضارة فأفضى فعله إلى الموت أو العاهة المستديمة يشدد القانون العقاب عليه دون أن يتطلب توقعه وقت ارتكاب الفعل. حدوث إحدى هاتين النتيجتين مكتفياً بتوقعه وإرادته النتيجة الأقل جسامة التي نالت جسد المجني عليه أول الأمر ثم أفضت إلى الموت أو العاهة وهو الإيذاء البدني البسيط .

2: عناصر الأهلية الجنائية: لا يستلزم القانون أن يشمل علم الجاني بالوقائع التي تتصل بعناصر الأهلية الجنائية، وتتوافر هذه العناصر إذا بلغ المتهم سناً معينة وانقضت عنه موانع المسؤولية الجنائية. فالشروط التي يحددها القانون لكي تتوافر الأهلية الجنائية هي شروط تنتج أثرها القانوني سواء علم بها المتهم أو لم يعلم وتخضع للسلطة التقديرية للقاضي الموضوع، ولا يشترط أن يكون عالماً بها، والتي لا يستلزم القانون أن يشمل علم الجاني بالوقائع التي ترتبط بالركن المعنوي للجريمة، كبلوغ سن الأهلية الجنائية، أو اكتمال القوى العقلية (أبوعفية، شرح قانون العقوبات 2002م، ص320).

2: إثبات عنصر الإرادة: وهي العنصر الثاني من عناصر القصد الجنائي العام ووفقاً لهذه النظرية يتطلب القصد الجنائي توجيه الجاني إرادته نحو ارتكاب السلوك المعاقب عليه سواء كان إيجابياً أم سلبياً وكذلك نحو تحقيق نتيجته الإجرامية إذا ما تطلب التشريع توافر نتيجة ما للعقاب (حسني، شرح قانون العقوبات العام، 1982، ص561). وتعتبر الإرادة العنصر الثاني من عناصر القصد الجنائي في جريمة القتل العمد، حيث لا يتصور توافر القصد الجنائي دون أن تتجه إرادة الجاني إلى سلك العمد، وذلك أنه بدونها لا تكتمل للقصد مقوماته.

وإذا كانت الإرادة ملزمة لقيام القصد الجنائي فهي ملزمة بالضرورة لقيام البنيان القانوني لسائر الجرائم سواء المادية منها أي التي يستلزم القانون لقيامها حدوث نتيجة إجرامية كما هو الحال في جرائم المخدرات هو أن تتجه إرادة الجاني إلى ارتكاب الركن المادي للجريمة مع انصراف علمه إلى عناصر الجريمة والعلم المقصود هو أن يعلم الجاني بطبيعة المادة المحذرة (حسن، الدفع بانتفاء القصد الجنائي، 1995، ص157). لذلك وحتى يمكن القول بأن إرادة

الجاني قد اتجهت نحو ارتكاب الفعل المجرم على نحو يتحقق به القصد الجنائي من جانبه يستلزم أن تتوفر لدى الجاني إرادة اتخاذ النشاط أي إرادة اتخاذ النشاط المجرم أي إرادة الفعل أو الامتناع المنصوص عليها في القانون، وإرادة النتيجة الجرمية المترتبة على نشاطه الإجرامي.

3: الباعث والغاية من القتل: قلنا إن القصد الجنائي في جريمة القتل هو توجيه الجاني لنشاطه ابتغاء إزهاق روح إنسان حي، وهو ركن أساسي في هذه الجريمة (القصد الجنائي الخاص)، وبغيره لا يمكن مساءلة الشخص عن قتل عمد، وإن قام بإمكان توافر جريمة أخرى كالقتل الخطأ أو الضرب المفضي إلى الموت، أما الباعث فهو الشعور الباطني، والانفعال النفساني، والرغبة والحافز الذي يدفع بالشخص إلى مقارفة الجريمة. ويختلف النظر إلى الباعث وفقاً للمقاييس النفسية والاجتماعية المحيطة بشخص المجرم، فقد يعده المجتمع شريفاً كما إذا كان الدافع على القتل هو محو عار وقد يعده شريراً كما في القتل ابتغاء السرقة، وهو على أية صورة من الصور لا يؤثر في قيام جريمة القتل أو توافر أركانها⁽¹⁾. فعدم الوقوف على باعث المتهم إلى القتل لا يحول دون العقاب عليه، لأنه لا يعد من عناصر القصد في جريمة القتل ولا يؤثر في قيام الجريمة ولو كان باعثاً شريفاً، فإن القاضي بوسع أن يقيم وزناً للباعث الشريف عند تقديره للعقوبة استعمالاً لسلطته التقديرية فهذا الباعث الشريف قد يعده القاضي مبرراً للحكم بالحد الأدنى للعقوبة، أو ظرفاً من الظروف المخففة التي تجيز له تنزيل العقوبة، وإذا سكت الحكم عن بيان الباعث على ارتكاب القتل فإنه لا يعيبه بيان هذا الباعث بعبارة تشكيكية ما دامت المحكمة قد أوردت الأدلة على قيام القصد ذاته (الشاذلي، شرح قانون العقوبات العام، 1994، ص 501).

الفرع الثاني- إثبات القصد الجنائي الخاص: إن القانون قد يتطلب قصداً خاصاً إلى جانب القصد العام في الجريمة، وهو أن مرتكب الجريمة قد أتاها بباعث خاص، أو بقصد تحقيق غاية معينة، أي أن الإرادة التي تمثله هي أكثر دقة، ويرى البعض في هذا القصد أنه

¹ - الباعث على الجريمة ليس ركناً فيها، ومن ثم لا يقدر في سلامة الحكم الخطأ فيه أو إنتفاؤه على الظن أو إغفاله جملة (نقض جنائي 1970/12/2 مجموعة أحكام محكمة النقض المصرية، س 126، ق 88/196، ص 220).

ضروري لارتكاب جرائم معينة، وهكذا في جريمة القتل مثلاً، القصد الجنائي الخاص يكمن في نية إزهاق روح إنسان حي، فكلما جاء النص الجنائي متضمناً للفظ " بقصد " أو " بنية " أو " بغرض " أو " من أجل " وما شابه ذلك من الألفاظ الدالة على دافع معين أو بلوغ غاية بعينها، فهذا الدافع وهذه الغاية هي ركن في الجريمة توجد بوجوده وتنفي بانتفائه (الرازقي، مرجع سبق ذكره، ص 265)، هذا ما يسميه البعض بالقصد الجنائي الخاص، فكلما اشترط القانون هذا القصد الخاص كانت الجريمة من جرائم الخطر، إذ أن الباعث هو القوة المحركة للإرادة أو العلة النفسية التي دفعت الجاني إلى إشباع حاجات معينة كالبعضاء والحقد والاستفزاز والانتقام والثأر والحب... إلخ، أمّا الغاية فهي الغرض البعيد الذي يهدف إليه الجاني أو المصلحة التي يسعى التي تحققها الجاني من وراء نشاطه، والقاعدة العامة في القانون هي عدم الاعتداد بالغايات والبواعث في مبدأ التجريم⁽¹⁾، إلا أن ذلك لا يعني ألا أثر له إطلاقاً، بل يبدو له أهميته من ناحيتين: أولهما: في مقدار العقوبة، حيث يؤخذ بعين الاعتبار في ملائمتها وفي تفريدها بين الحد الأقصى والأدنى، وثانيهما : في وجود الجريمة ذاتها حيث يدخل عنصراً في القصد الجنائي استثناءً وهكذا في جريمة القتل مثلاً، فالقصد الجنائي الخاص يكمن في نية إزهاق الروح⁽²⁾، الذي يلزم توافره في القتل العمد، ويلزم انتفاؤه في الجرم المفضي إلى الموت، وخاصة إذا لحق هذا القصد عنصري سبق الإصرار والترصد.

المطلب الثاني- دور القصد الجنائي في بنیان العقوبة في جريمة القتل العمد:

يختلف الجناة في جريمة القتل العمد لكن النتيجة تبقى واحدة، ألا وهي إزهاق روح إنسان حي، فالجاني في جريمة القتل العمد قد يدفعه لارتكاب الجريمة ظروف وعوامل وملابسات متعددة تختلف من شخص لآخر وخاصة في ركنها المعنوي " القصد الجنائي " من حيث درجته المدى الزمني الذي يفصل بين القصد والسلوك المجرم والتي لها أهمية

¹ - أنظر في على سبيل المثال المواد(166-167-176-199-238-296-299-235) من قانون العقوبات الليبي.

² - أنظر نص المادة (38) من قانون العقوبات العراقي .

وتأثير مباشر على منطوق الحكم الجنائي والعقوبة المقرر فيه من حيث التشديد والتخفيف العقوبة، وكذلك عبء الإثبات .

الفرع الأول- ظروف التشديد في العقوبة: اجتماع الأركان العامة للقتل العمد دون توافر سبب من أسباب الإباحة يحقق جريمة القتل العمد في صورته البسيطة التي حدد لها . وأن القانون لا يتطلب علم الجاني بالوقائع التي تقوم عليها الظروف المشددة التي تغير في العقوبة دون أن تغير وصف الجريمة (حسني، النظرية العامة للقصد الجنائي، 1988م، ص75-77). وفي ذلك قضت المحكمة العليا: " أن استخلاص توفر القصد الجنائي في جريمة القتل هو مسألة واقعية لا مسألة قانونية يكفي أن يورد الحكم المطعون فيه العناصر التي استخلص منها توفر نية القتل إذا استند في استخلاصه إلى فهم صحيح للواقعة؛ مستمد من أصول ثابتة في الدعوى، ومن شأنه أن يؤدي إلى النتيجة التي خلص إليها؛ فإذا قرر الحكم أن نية القتل لم تنشأ لدى المتهم إلا مصادفة عندما شاهد المجني عليه الذي حركته رؤيته في نفسه فجأة عوامل الشر وصورته ما لحقه من عار؛ ثم استظهرت نية القتل فدلت عليها من وجود الضغينة في نفسه، ومن أن الطاعن لم يكتف بإطلاق عيار واحد بل أطلق عيارين فلا محل للنعي عليه (طعن جنائي جلسة 1956/2/29، المحكمة العليا الليبية، ص297). وخاص إذا توفر عنصر سابق الإصرار والترصد وهي كما يلي:

1 . سبق الإصرار في جريمة القتل العمد: عرف المشرع الليبي القتل العمد مع سبق الإصرار في (م 368) من قانون العقوبات الليبي، بقوله " كل من قتل نفساً مع سبق الإصرار يعاقب بالإعدام؛ والإصرار السابق هو القصد المصمم عليه قبل الفعل، ويكون غرض المصر منها إيذاء شخص معين أو شخص غير معين وجده أو صادفه، سواء كان القصد معلقاً على حدوث أمر أو موقوفاً على شرط. ويقوم سبق الإصرار على عنصرين:

أ- **عنصر نفسي:** وهو جوهر سبق الإصرار، ومؤداه أن يكون الجاني قد فكر في الجريمة تفكيراً هادئاً قبل التصميم عليها وتنفيذها، بحيث يتدبر عواقبها ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة، ثم يعقد العزم على ارتكابها.

ب: **عنصر زمني:** ومؤداه أن يكون التفكير في الجريمة قد سبق الإقدام على تنفيذها بوقت كاف، فسبق الإصرار يقتضي مرور فترة زمنية بين نشوء فكرة الجريمة في ذهن الجاني،

وعزمه عليها، وبين تنفيذها، وهذه الفترة الزمنية غير محددة، أي الفترة التي تسمح للجاني بالتفكير الهادي في الجريمة قبل الإقدام عليها.

2 . **الترصد في جريمة القتل العمد:** أما التردد فقد عرفه المشرع الليبي في (370) من قانون العقوبات بقوله "الترصد هو تربص الإنسان لشخص في جهة أو جهات كثيرة مدة من الزمن طويلة كانت أو قصيرة ليتوصل إلى قتل ذلك الشخص أو الاعتداء عليه بعمل من أعمال العنف"، يتضح من هذا أن جوهر التردد هو تربص الجاني وترقبه للمجني عليه فترة من الزمن، طالت أو قصرت، في مكان يعتقد ملاءمته لتنفيذ الجريمة تنفيذاً مباغتاً. وفي ذلك قضت المحكمة العليا الليبية بأنه: "ليس بلازم أن يتحقق شرط الانتظار في مفهوم التردد وإنما ينبغي أن تتحقق مباغته الجاني للمجني عليه متى كانت هذه المباغته نتيجة تصميم وتدبير سابق وعلى ذلك فإذا كان الجاني قد انتوى قتل المجني عليه واتجه إلى حيث يقيم وكان يحمل أداة الاعتداء ثم باغته واعتدى عليه فإن ذلك يتحقق به معنى التردد طرفاً مشدداً طبقاً للمادة 370 ق ع ل" (طعن جنائي جلسة 1973/7/24، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص 132) .

3 - **عبء إثبات القصد الجنائي:** الجرائم التي يشترط القانون فيها قصداً خاصاً، فإن هذا القصد لا يغني عن توافر القصد الجنائي العام، إلا أنه لا بد من إثباته، لذلك لا محل للبحث عن القصد الخاص، ما لم يثبت توافر القصد الجنائي العام أولاً في حق الجاني (سرور، مرجع سبق ذكره، ص 8)، ولذلك يجب على سلطة الاتهام النيابة العامة أن تثبت أولاً القصد الجنائي العام في حق المتهم، فإن فرغت من هذا الإثبات تنتقل إلى القصد الجنائي الخاص أي إزهاق روح إنسان حي، وهو ما قضت به المحكمة العليا بقولها: "إذا كان الحكم بصدد تبيان القصد الجنائي أشار إلى واقعة إزهاق روح قد تمت بيد الجاني مستعملاً في ذلك وسيلة تؤدي إلى الوفاة ونتج عنه وفاة المجني عليها فعلاً كما ثبت من اعترافه ومن تقرير الصفة التشريحية مستخلصة كل ذلك من الثابت لديها من الأوراق ودون خروج عن المنطق أو المألوف فإن الحكم وقد جاء على هذا النهج يبني على فهم المحكمة للوقائع فهماً صحيحاً وعن استخلاص سليم للنتائج، وأعمال القانون في موقعة"، (طعن جنائي جلسة 1971/1/12، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص 132). أي إثبات النية الخاصة الواردة بنص التجريم.

الفرع الثاني: ظروف تخفيف العقوبة: تخضع جنائية القتل العمد لحكم الأعذار القانونية المخففة، التي يترتب عليها تطبيق عقوبة الجنحة وجوباً أو جوازاً بدلاً من عقوبة الجنائية. من ذلك عذر صغر السن، وعذر تجاوز حدود الدفاع الشرعي إذا كان التجاوز قد حدث بنية سليمة (الشاذلي، شرح قانون العقوبات، مرجع سبق ذكره، ص 543)، وكذلك قتل الوليد صيانة للعرض (م 273 ق.ع.ل)، والقتل حفظاً للعرض (م 375 ق.ع.ل)، والتحريض والمساعدة على الانتحار (م 376 ق.ع.ل). واعتبار هذه الجرائم صوراً خاصة لجريمة القتل العمد، جعل الظروف المشددة لعقوبة القتل العمد كظرف سبق الإصرار أو التردد في ظل تطبيق نصوص قانون العقوبات لا تطبق على مرتكبي هذه الجرائم، وترجع علة تخفيف العقاب في هذه الحالات إلى الاستقزاز الذي يتعرض له الجاني والذي يخلق لديه ثورة نفسية، وحالة من الغضب الشديد والانفعال الشديد، تجعله يندفع إلى الاعتداء على المجني عليه ويقتله، أي أن هول المفاجأة وبشاعة الجريمة وانكسار حالته النفسية لا تمكنه من التفكير الهادي ولا تدع له أي قدر من الاختيار، فيأتي أشد الأفعال التي يمكن أن تسولها له نفسه وهو في هذه الحالة.

المبحث الثاني- حدود سلطة قاضي في استظهار القصد الجنائي:

القصد الجنائي ركن من أركان جريمة القتل العمد لا تقوم بدونه، ومن هنا يلزم بيانه والتدليل عليه حتى يتسنى للمحكمة العليا إنزال رقابته على صحة تطبيق القانون، ويتعين على محكمة الموضوع عند الحكم بالإدانة استظهار هذا القصد الجنائي، إلا أنها غير ملزمة بإثباته في حكمها على استقلال متى كانت ما أوردته عن وقوع الفعل المادي يكشف بذاته عن توافر القصد الخاص الذي يتطلبه القانون، وذلك ما لم يكن متعيناً حينئذٍ على محكمة الموضوع بيانه صراحة إيراد الدليل على توافره حتى تكون بيدها مكنة لإدانة الجاني على ارتكاب الجريمة بقصد، وتشديد العقوبة عليه في حالات أو ظروف معينة، والقصد الجنائي بحسب طبيعته نشاط داخلي يبطنه الجاني ويضمه في نفسه، وكثيراً ما يكون السلوك الإجرامي غير كاف وحده للدلالة على وجوده، لذا وجب الرجوع إلى مصادر أخرى لإثباته واستظهار توافر القصد الجنائي، كالفرائن، والاستنتاج، والاستدلالات الأخرى التي من شأنها أن تشير إليه وتسهل إثباته. عليه سوف يتم تقسيم هذا المطلب إلى فرعين نبين في الأول:

استظهار القصد الجنائي من خلال القرائن القضائية، وندتاول في الفرع الثاني: استظهار القصد الجنائي عن طريق الاستدلال عليه.

المطلب الأول- استظهار القصد الجنائي من خلال القرائن القضائية: تعتبر القرائن القضائية وسيلة القاضي في الاهتداء إلى القصد الجنائي وإثباته، وهي دليل من أدلة الإثبات غير المباشر، وهي تلك الصلة الضرورية التي ينشئها القانون بين وقائع معينة، أو بالأحرى هي نتيجة يتحتم على القاضي أن يستنتجها من واقعة معينة، فهي استنتاج واقعة مجهولة المطلوب إثباتها من واقعة أخرى معلومة قام عليها دليل إثبات، وهذا الاستنتاج يكون إما بناء على صلة ضرورية يفترضها القانون بين وقائع معينة، أو على صلة منطقية بين الواقعتين يتعين على القاضي أن يستخلصها بطريق اللزوم العقلي والمنطقي (قنديل، حرية القاضي في تكوين اقتناعه، 1012، ص488)، وفي الأولى تعتبر القرينة قانونية، وفي الحالة الثانية تعتبر القرينة قضائية، والقرائن بأنواعها من طرق الإثبات غير المباشر. عناصر القرائن القضائية: تقوم القرينة القضائية على عنصرين مادي وآخر معنوي.

الفرع الأول- العنصر المادي للقرينة: وهو الاستنباط الذي يتولاه القاضي الجنائي ويتخذه من وقائع معلومة بهدف الوصول إلى كشف واقعة مجهولة، وللقاضي سلطة واسعة في اختبار هذه الوقائع التي يمكن أن يستخلص منه القاضي القرائن القضائية، وفي هذا الصدد قضت المحكمة العليا الليبية بأن: " قضاء هذه المحكمة قد استقر على أن سلطة محكمة الموضوع أن تأخذ بالقرائن وتستخلصها من الوقائع المطروحة عليها بغير رقابة عليها من محكمة النقض مادام استخلاصها سائغاً عقلاً وحتماً من وقائع ثابتة اطمأن لها وجدانها وكان الحكم المطعون فيه قد استند في تقوية الإلهام ضد الطاعن الأول إلى أن القرائن التي أوردها وفصلها والتي لها معين ثابت في تحقيقات النيابة ومن ثم لا جناح عليه إن أخذ بها مجتمعة باستخلاص سائغ ومستند من وقائع لها أصل في الأوراق، مما يكون معه تشكيك الطاعن في صحتها كلها أو صحة إحداها لا يعدو أن يكون منه مجادلة لحق المحكمة في تقدير الأدلة مما لا يجوز إثارته أمام محكمة النقض ويضحى النعي على الحكم في هذا الشأن في غير محله" (طعن جنائي جلسة 1983/12/1، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص126).

ومن أكثر القرائن شيوعاً في استظهار القصد الجنائي في جريمة القتل العمد، قرينة الوسيلة المستعملة، وكيفية استعمالها، ومكان الإصابة في جريمة القتل العمد .

1: قرينة الوسيلة المستعملة: وسائل القتل متعددة، منها ما يكون قاتلاً بطبيعته، ومنها ما لا يكون كذلك، لكنه يؤدي إلى القتل استثناءً في ظروف خاصة. ومن أمثلة الوسائل القاتلة بطبيعتها استعمال السلاح الناري أو آلة حادة أو السم أو الحرق أو الصعق الكهربائي. أما الوسائل غير القاتلة بطبيعتها نادرة الحدوث وقلما يستعملها القاتل، ومن أمثلتها لكم المجني عليه في صدره أو ضربه بعصا رفيعة على رأسه، وهي لا تحول دون القول بتوافر جريمة القتل العمد قبل الجاني متى قام الدليل المقنع على توافر القصد لديه.

ويستوي أن يقع القتل بوسيلة قاتلة أم غير قاتلة في شأن استظهار نية القتل لدى الجاني، وإن كان للوسيلة المستعملة قيمة خاصة في استظهار هذه النية، فالوسيلة القاتلة بطبيعتها غالباً ما تكون هي الدليل الأول في إثبات قصد القتل، في حين أن الوسيلة غير القاتلة بطبيعتها قد تكون هي الدليل الأول في نفي هذا القصد. ولذا قضى بأنه: "تستخلص المحكمة نية القتل لدى المتهم الأول من قرائن عديدة مستمدة من أوراق الدعوى تتمثل في ثبوت انسحابه من المشاجرة وذهابه مسرعاً إلى منزل والده لإحضار بندقية صيد ثم وضع الذخيرة بها واستعماله لهذا السلاح الناري الذي يتوقع منه إحداثاً للقتل وتصويبه على المجني عليه من مسافة قريبة ونحو موضع حساس من جسمه من شأن إصابته بمثل مقذوف تلك البندقية تحقيق قتله حسب الجري العادي للأمر، وقد أثبت تقرير الصفة التشريحية علاقة السببية بين هذه الإصابة ووفاته المجني عليه حيث ثبت أن الوفاة ناشئة عن الإصابة ببندقية صيد بالبطن مما أدى إلى نزيف وصدمة... وكان هذا الذي استظهر به الحكم توفر قصد القتل لدى الطاعن يؤدي إلى القول بتوافر في حقه ولا يتنافى مع العقل والمنطق وما هو ثابت بالأوراق" (طعن جنائي جلسة 1986/4/9 ، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص147).

2: مكان الإصابة في جسم المجني عليه: تعمد القتل مسألة موضوعية لم يعرفها القانون، وهي أمر داخلي يتعلق بالإرادة ويرجع تقرير توفره أو عدم توفره إلى سلطة قاضي الموضوع وحرية في تقدير الوقائع من خلال المظاهر الخارجية التي يمكن أن يستدل منها عقلاً ومنطقاً على وجود قصد إزهاق الروح، ومنها تعمد الجاني توجيه الإصابة إلى موضع في

جسم المجني عليه يعد مقتلاً، أو تكرار طعن المجني عليه عدت مرات، أو تكرار الطعن بألة حادة قاتلة بطبيعتها وتوجيه الطعنات في مقتل، أو باستعمال سلاح ناري. ويعتبر المقتل أو مكان الإصابة من القرائن البالغة الأهمية في مجال استظهار القتل العمد، فمثلاً من الجلي أن التصويب إلى المقتل من جسم المجني عليه كالرأس أو الرقبة أو الصدر أو البطن أو القلب كل ذلك يشير إلى توافر هذا القصد ما لم يثبت أن الجاني قد أخطأ التصويب.

الفرع الثاني- العنصر المعنوي للقرينة: وهو الاستنباط الذي يتولاه القاضي الجنائي من الواقعة المعلومة بهدف الوصول إلى كشف الواقعة المجهولة (عوض، الإثبات الجنائي، 1984م، ص488، نمور: أصول الإجراءات الجنائية، 2005م، ص520). من خلال ظروف الدعوى وعلاماتها، بحيث يكون الاستنباط للزوم العقلي والمنطقي وألا يخرج عن سنن الشريعة وقواعدها العامة، والقاضي هو مصدر هذه القرينة، وتطبيقاً لذلك قضت المحكمة العليا في شأن استظهار الركن المعنوي من حيث توافره من عدمه من الأمور الموضوعية التي تستقل به محكمة الموضوع بلا معقب، طالما كان استدلالها سائغاً وله أصل في الأوراق" (طعن جنائي جلسة 2004/1/12، أحكام المحكمة العليا الليبية ص غ.م).

وتسمى بالقرائن العقلية أو الإقناعية، والقرائن القضائية هي المصدر التاريخي للقرائن القانونية، أو كما يقول البعض فإن: " القرينة القانونية ليست في الواقع من الأمر إلا قرينة قضائية قام القانون بتعميمها وتنظيمها (هلالي عبدالله أحمد، النظرية العامة للإثبات، 2011، ص1081). والقرائن القضائية التي استنبطها الفقهاء الذين قالوا بجواز الاعتماد عليها وحدها في بناء الأحكام القضائية باعتبارها دليلاً من أدلة الإثبات في المسائل الجنائية، فشهادة الشهود ليست هي السبيل الوحيد للإثبات في المواد الجنائية بل قد تكفي القرائن لتكوين عقيدة المحكمة في قضائها " طعن جنائي جلسة 1956/4/11، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص 304). وإذا كان القاضي حراً في اختيار أية واقعة من الوقائع الثابتة في الدعوى ليستنبط القرينة القضائية فهو حر أيضاً في تقدير ما تحمله هذه القرينة من أدلة ومن أمثلة القرائن القضائية وجود بقعة دموية من نفس فصيلة دم القتيل على ملابس المتهم؛ أو مشاهدة الجاني يخرج من منزل المجني عليها في ساعة متأخرة من الليل بعد سماع صوت الاستغاثة، فهذه كلها قرائن يستخلص منها القاضي أن المتهم لا بد و أن

يكون هو مرتكب الفعل الإجرامي، ويعتبر من قبيل القرائن أيضا استعراض الكلب البوليسي، وأن توعده المتهم المجني عليه بالإيذاء وهما داخل السينما وإعلانه أنه سيقوم بإيذائه خارج السينما، ثم سبقه بالانصراف وانتظره بالطريق العام في مكان الحادث واعتدى عليه فور مشاهدته، يعد دليلاً كافياً على توفر سيق الاصرار " (نقض جنائي 1983/3/19 ، أحكام النقض المصرية، ص 295) .

المطلب الثاني- استظهار القصد الجنائي عن طريق الاستدلال عليه:

تتفق الدلائل أو بالأحرى الاستدلالات مع القرائن، في أنهما استنتاج وقائع مجهولة من أخرى معلومة وثابتة، غير أنهما تختلفان من حيث إن القرائن يكون استنتاج الواقعة المجهولة من واقعة ثابتة تؤدي إليها بالضرورة وبحكم اللزوم العقلي على نحو لا تقبل تأويلاً آخر، وتصلح أن تكون دليلاً كاملاً يجوز الاستناد إليها وحدها في الإدانة، أما الاستدلال فإنه استنتاج الوقائع المجهولة من الوقائع الثابتة لا يكون حتماً بحكم اللزوم العقلي، وإنما قد يحتمل أكثر من تفسير، وتقبل أكثر من احتمال. ولما كان الاستنتاج لا يكون على سبيل الجزم واليقين بل على سبيل الإمكان والاحتمال، فإنه لا يجوز أن يبنى على الدلائل وحدها الحكم بالإدانة، بل يجب أن تدعم بأدلة مباشرة، أو غير مباشرة، ولذلك فإن دور الاستدلال في مرحلة الحكم ينحصر في تعضيد أو تعزيز أدلة الدعوى ولذلك تسمى " بالقرائن التكميلية" (قنديل. حرية القاضي في تكوين إقتناعه، ص 500) .

ويتضح بذلك أن الدلائل ليست دليلاً يكفي لإثبات التهمة، ذلك أن الأحكام يجب أن تبنى على الجزم واليقين، وليس على الاعتقاد والتخمين، وكل حكم يبنى على الدلائل وحدها هو حكم باطل، وفي ذلك قضت المحكمة العليا بأن: " (متى كان يبين مما ساقه الحكم وهو بصدد إثبات تهمة القتل العمد في حق الطاعن. أن المحكمة لم تبين عقيدتها بإدانة الطاعن بقتله المجني عليها على دليل جازم اقتنعت بصحته، وإنما بنتها على ظروف وملابسات قالت المحكمة عنها أنه يترجح معها أن الطاعن هو الذي قتل المجني عليها من ذلك قول الطاعن أن المجني عليها قتلت ذباً في منزلها ووجود آثار دماء في حمام بيت الطاعن وفي وسط بيته ومن كون الطاعن قرر أنه مسك المجني عليها وكتمّ فمها ومسك رجليها ليتمكن المتهم الثاني من ذبحها فالحكم بالرغم من قضاؤه ببراءة المتهم الثاني من جريمة

القتل، إلا أنه أخذ بإقرار الطاعن الذي قرر فيه أن الذي قام بالذبح هو المتهم الثاني. وهذا يدل على عدم استقرار عناصر الإثبات في عقيدة المحكمة على سبيل اليقين، وكان على الحكم وقد رأى أن الطاعن هو القاتل الوحيد للمجني عليها أن يقيم الدليل على أن الطاعن هو مرتكب لفعل الذبح وأن يكون اقتناعه بذلك مبنياً على الجزم واليقين، وليس على الظن والترجيح لما هو مقرر أنه ينبغي لصحة الحكم بالإدانة أن تكون المحكمة قد بنت عقيدتها على سبيل الجزم واليقين، والحكم بالإدانة على سبيل الظن والترجيح يعتبر قصوراً في الحكم" (طعن جنائي جلسة 1984/4/17، أحكام المحكمة العليا الليبية، ص221). وبيان دور الاستدلال في استظهار القصد الجنائي من خلال الآتي:

الفرع الأول- المسافة بين القاتل والمجني عليه: ويظهر دور الاستدلال بصورة واضحة في حالات إطلاق الأعيرة النارية، فيمكن اعتبار المسافة التي تم إطلاق النار منها بواسطة الجاني أنها تخلف أثراً كبيراً في هذا الشأن - الإثبات - ففي حالة ما كانت المسافة أبعد من مرمى السلاح فمن الجائز القول بأن قصد الجاني كان تهديداً لا القتل إضافة إلى الاعتماد على نوعية السلاح المستخدم في القتل، ومدى إجادة الجاني في استعماله، وهو ما قضت به المحكمة العليا الليبية بأن: "متى كانت المحكمة المطعون في حكمها قد استظهرت نية القتل لدى الطاعن بقولها: وحيث اتجهت إرادة المتهم إلى إزهاق روح المجني عليه وهذه هي نية القتل العمد وقد أظهرت هذه النية بمظاهر خارجية منها استعمال المتهم لأداة قاتلة وضربه للمجني عليه في مقتل بأن أطلق عليه عيارين ناريتين أصاباه في قلبه وورثته ثم ضربه بالبندقية حتى كسرت على رأسه وأزهقت روحه واستمر في ضربه حتى تأكد أنه فارق الحياة وأزهقت روحه . بالإضافة إلى وجود العداوة بين المتهم والمجني عليه وتهديده بالقتل بارتكاب جريمة القتل (فإنها تكون قد دلت على توفر نية القتل في حقه تدليلاً سائغاً بني على فهم صحيح للواقع وإعمال القانون في موقعه " (طعن جنائي جلسة 1963/2/22، أحكام المحكمة العليا الليبية ، ص210) .

الفرع الثاني: تقرير الطبيب الشرعي: تقرير الطب الشرعي، يصدر عن طبيب شرعي منتدب من قبل المحقق أو المحكمة في ذات الدعوى الجنائية المطروحة، ويتضمن بيانات دقيقة ومفصلة عن حالة المصاب، يعد تقرير الطب الشرعي، وهذا ما قضت به المحكمة

العليا بأن: "تعمد الجاني إزهاق روح المجني عليها يتوافر في الدعوى من إحدائه أكثر من إصابة بالمجني عليها أصابها في مقتل، وتماديه في الاعتداء عليها رغم ذلك" (طعن جنائي جلسة 1964/6/27، أحكام المحكمة العليا الليبية ص5). إن استظهار نية القتل هي مسألة واقعية لا مسألة قانون يستظهرها قاضي الموضوع من نوع الأدلة المستعملة في الاعتداء ومن موقع الإصابة في جسم المجني عليه ولما كان الحكم المطعون فيه استظهر نية القتل من أخذ الطاعن سكين وتوجهه إلى حيث ينام المجني عليه على سريرة وطعنه في موضع قاتل كما هو واضح في التقرير الطبي. وحيث إن ما أورده الحكم في هذا الصدد مستمداً من أصول ثابتة في الأوراق ومنطوقاً على استخلاص سائق لتوافر نية القتل لدى الطاعن فإنه يكفي للتدليل على توافرها دون أن يكون الحكم مشوباً بالقصور، ويعتبر التقرير الشرعي من أعمال الخبرة التي أوجب قانون الإجراءات الجنائية مراعاة قواعد شكلية معينة عند أدائها.

المبحث الثالث - أهمية تسبب الحكم الجنائي ورقابة محكمة النقض عليه:

يعتبر تسبب الأحكام الجنائية من أقوى الضمانات والضوابط على سلطة القاضي التقديرية في الاقتناع بهدف الوصول لكشف الحقيقة، فلزوم تسبب الأحكام الجنائية فيه ضمانة لا غنى عنها لحسن سير العدالة، فهو يعطي للخصوم ومحكمة النقض رقابة مباشرة على الحكم (أشرف جمال فنديل، حرية القاضي الجنائي، مرجع سبق ذكره، ص 507). وعلى ذلك نتناول في هذا الفرع أولاً: تعريف تسبب الأحكام الجنائية وخصائصها.

الفرع الأول - تعريف تسبب الأحكام الجنائية وخصائصها:

التسبب عند الرأي الغالب في الفقه: "هو بيان الأسباب الواقعية والقانونية التي قادت القاضي إلى الحكم الذي نطق به، (سلامة، الإجراءات الجنائية في التشريع المصري، مرجع سبق ذكره، سنة 2016، ص 248). وقد بينت المحكمة العليا المراد بالتسبب بأنه: "تحديد الأسانيد والحجج التي بني الحكم عليها، والمنتجة له سواء من حيث الواقع أو من حيث القانون. (طعن جنائي جلسة 1970/4/19، مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية ص21، ق32، ص146). أو بمعنى أوضح فأسباب الحكم هي مجموعة الحجج الواقعية والقانونية التي استخلص منها الحكم منطوقاً. أو هي مجموعة الأسانيد والمقدمات المنطقية التي تقود إلى النتيجة التي خلص إليها الحكم من حيث إدانة المتهم أو براءته.(رمضان.

شرح قانون الإجراءات الجنائية، 1991، ص 205). فيقصد بتسبب الأحكام التزام القاضي بذكر الاعتبارات والأسانيد القانونية والواقعية التي بنى عليها حكمه. والأسباب الواقعية هي التأكيدات والإثباتات التي تتصل بالواقع في ماديته، وفيما يتعلق بوجود الواقعة أو عدم وجودها وإسنادها إلى القانون. أما المقصود بالأسباب القانونية فهي: خضوع الواقعة الثابتة للقانون ثم تكيفها التكييف القانوني الذي ينطبق عليها، وتشتمل على المعنى العام المجرد للقاعدة القانونية، وعلى العنصر الخاص المحدد الفردي للواقعة (حسني). شرح قانون الإجراءات الجنائية، المرجع السابق ذكره، ص 511) أما إذا انحرف القاضي في إنزال الحكم الصحيح للقانون على الواقعة كما صورها بأن طبق نصاً خطأ بدلاً من النص الصحيح أو أنزل عقوبة بالجاني غير المنصوص عليها قانوناً أو تجاوز مقدار العقوبة أو فسر القانون على وجه لا يتفق مع النظر السليم فإنه يكون قد أخطأ في تطبيق القانون (طعن جنائي جلسة 1966/11/5، مجموعة أحكام المحكمة العليا، س3/2، ق11/13، ص25).

ويعتبر التسبب وسيلة للقاضي في التدليل على صحة النتائج التي انتهى إليها في منطوق حكمه الذي أصدره من حيث إدانة المتهم أو براءته، أو الإفراج عنه، أو عدم مسؤوليته، أي من حيث فعله في موضوع الدعوى على نحو معين، فهي تتمثل التسجيل الدقيق والكامل للنشاط القضائي المبذول من قبل القاضي لإصدار الحكم (زيدان محمد، سلطة القاضي الجنائي في تقدير الأدلة، مرجع سبق ذكره، ص336).

الفرع الثاني: الخصائص الجوهرية في تسبب الأحكام:

من أهم هذه الخصائص أن يكون الحكم مدوناً بخط مقروء جلياً غير مفرغ في عبارات معماة متسقاً في مجموعة لا يقع فيه التناقض الذي يكشف عن قصد المحكمة، منطقياً يؤدي فعلاً إلى ما انتهى إليه منطوقه، ولا يتعارض مع ما هو ثابت في محضر الجلسة أو غيره من أوراق الدعوى، ومن اللازم أن تنطوي الأسباب على الأسانيد الواقعية والقانونية التي اعتمدت عليه المحكمة في تكوين عقيدتها، والرد على الطلبات المهمة والدفع الجوهرية التي يقدمها الخصوم، وهو ما عبرت عنه المحكمة العليا في حكمها بأنه: " متى كان الحكم المطعون فيه قد أدان الطاعن، ولم يورد دليلاً لثبوته في حقه مكتفياً بسرد الواقعة وأقوال المجني عليه والشاهد، ولم يبين في أسبابه مضمون الدليل الذي بني عليه حكمه بأسباب

ساعة تتمكن معه المحكمة العليا من بسط رقابتها عليه من حيث التطبيق الصحيح للقانون، وهو ما يجعل النعي على الحكم بعدم بيان مصادر الثبوت اليقيني على الاتهام وبمخالفة القانون في محلة" قصور (طعن جنائي جلسة 2004/5/30 ، أحكام المحكمة العليا الليبية، س/غ.م، ق 48/370، ص.غ.م).

الفرع الثالث - التزام القاضي بتسبيب حكمه:

ويعتبر التسبيب وسيلة قاضي الموضوع في التدليل على صحة النتائج التي انتهى إليها في منطوق الحكم الذي أصدره؛ إذ هو التسجيل الدقيق والكامل للنشاط المبذول من القاضي حتى النطق بالحكم، وبموجبه يلتزم القاضي بصياغة مقدمات تؤدي وفق مقتضيات العقل والمنطق كما ذكرنا سابقاً إلى النتيجة التي انتهى إليها (عبدالرؤوف مهدي. شرح قانون الإجراءات الجنائية، المرجع السابق ذكره، ص1413). وفي ذلك قضت المحكمة العليا بأنه: "إذا كان الحكم وهو بصدد تبيان القصد الجنائي أشار إلى أن إزهاق روح المجني عليها قد تمت بيد الجاني مستعملاً في ذلك وسيلة تؤدي إلى الوفاة، ونتج عنه وفاة المجني عليها فعلاً كما ثبت من اعترافه ، ومن تقرير الصفة التشريحية مستخلصة كل ذلك من الثابت لديها من الأوراق ودون خروج من المنطق أو المؤلف فإن الحكم وقد جاء على هذا النهج يبني على فهم المحكمة للوقائع فهماً صحيحاً وعن استخلاص سليم للنتائج وأعمال للقانون في موقعه (طعن جنائي جلسة 1971/1/12 مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية، س7/3، ق27/17، ص132). ولقد أوجب المشرع الليبي في (م283) إجراءات جنائية أن يشتمل الحكم على الأسباب التي بني عليها وإلا كان باطلاً، ويعد تسبيب الحكم ضماناً أساسية لتطبيق القانون⁽¹⁾. وتتص (المادة 284) إجراءات جنائية ليبي على أنه: "يجب على

(1) وهو ما يعادله في القانون المصري المادة (310) من قانون الإجراءات الجنائية والتي تنص "يجب أن يشتمل الحكم على الأسباب التي بني عليها، وكل حكم بالإدانة يجب أن يشتمل على بيان الواقعة المستوجبة للعقوبة والظروف التي وقعت فيها، وأن يشير إلى نص القانون الذي حكم بموجبه " ؛ وفي هذا الخصوص نص المشرع الإماراتي في المادة (216) من قانون الإجراءات الجزائية على تسبيب الحكم. وجاءت صيغة هذه المادة مطابقة لنص المادة (310) السابق الإشارة لها حرفياً. ثم جاءت المادة (347) من قانون المسطرة الجنائية = المغربي على الأسباب الواقعية والقانونية التي يبني عليها الحكم، ولو في حالة البراءة. وكذلك ذكرت المادة (310) من قانون أصول المحاكمات الجزائية السوري على "أن يشتمل

المحكمة أن تفصل في الطلبات التي تقدم لها من الخصوم، وتبين الأسباب التي تستند إليها؛ كما نصت (المادة 285 إ. ج. ج. ل) على أنه: "يجب أن يحزر الحكم بأسبابه كاملاً في خلال ثمانية أيام من تاريخ صدوره بقدر الإمكان، ويوقع عليه قاضي المحكمة وكاتبها، وإذا حصل مانع للقاضي الذي أصدره ووضع أسبابه بخطه، يجوز لرئيس المحكمة الابتدائية أن يوقع بنفسه على نسخة الحكم الأصلية أو يندب أحد القضاة للتوقيع عليها بناء على تلك الأسباب، فإذا لم يكن القاضي قد كتب الأسباب بخطه يبطل الحكم لخلوه من الأسباب". وبذلك نجد هذه المواد تطلب من القاضي بيان الأسباب التي قام عليها حكمه، فما المقصود بأسباب الحكم؟ وما غاية التسيب ومزاياه؟ إن المقصود بأسباب الحكم هي الأسانيد القانونية والواقعية التي يقوم عليها الحكم الجنائي، أو بمعنى هي الحجج الواقعية والقانونية التي استخلص منها الحكم منطوقة فهي الأسانيد والمقدمات المنطقية التي تقود إلى النتيجة التي خلص إليها الحكم من حيث إدانة المتهم أو براءته أو الإفراج عنه أو عدم مسؤوليته، أي من حيث فعله في موضوع الدعوى على نحو معين، فهي تمثل التسجيل الدقيق والكامل للنشاط القضائي المبذول من القاضي لإصدار الحكم.

الخاتمة:

يعتبر القصد الجنائي في جريمة القتل العمد بمثابة حجر الأساس في مجال إثبات واستظهار أي جريمة، ذلك كون القصد الجنائي هو منبع كل إرادة آثمة، ومرآة عاكسة للوجه الباطني والنفسي للجاني، ومنه بيان خطورته الإجرامية التي من خلالها يتسنى للقاضي التصدي للجريمة وإصدار العقوبة المقررة على الجاني وذلك اعتبار بمدى خطورة نواياه الإجرامية التي تترجم في شكل سلوك مادي مناطه الإرادة الآثمة . وبعد أن انتهينا من كتابة هذا البحث توصل الباحث إلى جملة من الاستنتاجات والمقترحات نلخصها في الآتي:

أولاً : الإستنتاجات :

الحكم على ملخص الوقائع الواردة في قرار الاتهام في المحاكمة العلنية وعلى الأسباب الموجبة للتجريم أو عدمه، وعلى المادة القانونية المنطبق عليها الفعل في حالة التجريم، وعلى تحديد العقوبة والالتزامات المدنية "

1- إن استظهار القصد الجنائي في جريمة القتل العمد، أو عدم توافرها مما يدخل في نطاق السلطة التقديرية لمحكمة الموضوع والتي تتأى عن مراقبة المحكمة العليا متى كان استظهارها واستخلاصها سليماً ولا يجافي المنطق والعقل، مستمداً من أوراق الدعوى الجنائية.

2- عدم الخلط بين القصد الجنائي والباعث والغاية، فالباعث هو السبب الذي يدفع الجاني إلى ارتكاب جريمته، والغاية هي الغرض النهائي الذي يرمي إليه الجاني بارتكابها، وليس للباعث أو الغاية أي تأثير على المسؤولية الجنائية. والقصد الجنائي هو الذي يعتد به في القانون فيدخل في تكوين الجريمة بصفته ركناً من أركانها، وهو وحده الذي تتحقق به الإرادة الجنائية، ويتعين على القاضي في حالة استظهار عدم توافره الحكم بالبراءة .

3- تتميز جريمة القتل العمد عن غيرها من الجرائم التعدي على النفس بعنصر خاص وهو إزهاق روح المجني عليه، وهذا العنصر ذو طابع خاص يختلف عن القصد الجنائي العام الذي يتطلبه القانون في سائر الجرائم.

4- يقوم القصد الجنائي في جريمة القتل العمد على توفر عنصر العلم والإرادة، وهو بطبيعته أمر يبطنه الجاني ويضمرة في نفسه - ومن ثم فإن الحكم الذي يقضي بإدانة المتهم في هذه الجناية أو الشروع فيها يجب أن يعنى بالتحدث عنه استقلالاً واستظهاراً بإيراد الأدلة التي تدل عليه وتكشف عنه.

5- للقرائن القضائية دور مهم وفعال في استظهار القصد الجنائي الذي يعتبر من كوامن النفس غير ممكن إثباته بشهادة الشهود، كما أنه من الصعوبة بمكان في معظم الوقائع إثبات القصد الجنائي إذا ما اقتصر أمر استظهاره على الأدلة المباشرة، لذا فإن المسار الصحيح والطبيعي لإثباته يكون من خلال استنتاج المجهول من المعلوم استناداً إلى القرائن القضائية.

6- ليس هناك معيار محدد يعتمد عليه القاضي الجنائي في استظهار القصد الجنائي عموماً، وبالتالي يمكن تقييد القاضي الموضوع فيه، وإنما يتوقف مسألة الكشف عنه على أحوال وملابسات كل واقعة على حده، بالإضافة إلى الدور الأساسي للقاضي الجنائي الذي يتوقف بصفة جوهرية على مدى فطنته ودهائه وذكائه وخبرته في استخلاص واستنباط

- القصد الجنائي من القرينة الدالة عليه، فقد تصيب محكمة الموضوع في استظهاره أو قد تخطئ مرات أخرى وحسب ظروف وملابسات كل قضية.
- 7- من خلال البحث توصل الباحث إلى أن عبء الإثبات في المواد الجنائية يختلف عنه تماماً في المواد المدنية، وأنه يقع على عاتق سلطة الاتهام المتمثلة في النيابة العامة نقطة أولى ويشركه معها المتهم وذلك بتقديم دوافع وقرائن يتسنى من خلالها إثبات براءته التي تبقى خاضعة للسلطة التقديرية لقاضي الموضوع إثباتاً أو نفيًا، تحت أعين المحكمة العليا من حيث التطبيق الصحيح للقانون .
- 8- يعتبر تسبب الأحكام الجنائية من أقوى الضمانات والضوابط على سلطة القاضي الجنائي ولا غنى عنها لحسن سير العدالة.
- 9- يشترط لحكم الإدانة أن يبين القاضي في حكمه أدلة الإثبات التي استند إليها، ولا ينبغي الاكتفاء في بيان الإشارة إليها في أوراق الدعوى.

ثانياً : التوصيات :

1. يوصي الباحث على المشرع الليبي أن يتحاشى من جعل القصد الجنائي الخاص الذي يقول به بعض الفقه؛ هو في الحقيقة النتيجة في جريمة القتل العمد، والنتيجة - كما نعلم - هي أحد العناصر المكونة للركن المادي للقتل العمد التي يجب أن يشملها القصد الجنائي العام .
2. نقترح على المشرع الليبي أن يخص القرائن القضائية أهمية أكبر كباقي الأدلة الأخرى في مجال الإثبات الجنائي من خلال تعيين نصوص خاصة لها تضبط بها معالمها وتنظم أحكامها.
3. نقترح أن يصار إلى إصدار قانون خاص بالإثبات الجنائي، كما هو الشأن في الإثبات المدني، بدل الاعتماد على بعض النصوص ذات العلاقة بهذا الإثبات، والمتفرقة ما بين قانون العقوبات، وقانون الإجراءات الجنائية، وبعض أحكام المحكمة العليا، وبخاصة بعد ظهور الأساليب الإجرامية الحديثة في ارتكاب الجرائم .

4. نقترح على المشرع الليبي الاعتماد على القاضي الجنائي المختص لكي يكون أكثر دراية وخبرة في مجال تخصصه الجنائي الذي من خلاله يسهل على قاضي الموضوع استظهار القصد الجنائي وبالتالي يمكنه من إثبات وجوده .

5. نوصي بضرورة فتح دورات تدريبية ومؤتمرات علمية وتكثيفها من أجل تراكم الخبرة العلمية لدى القاضي الجنائي لمساعدته على الاستنتاج والاستنباط الصحيح للقرائن القضائية الموجودة والمطروحة أمامه كطريق ممد ومسهل في استظهار القصد الجنائي وإثباته .

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب :

1. د. محمد زكي أبوعامر. الإثبات في المواد الجنائية" محاولة فقهية وعملية لإرساء نظرية عامة"، دار الجامعة الجديدة، الأزاريطة، الأسكندرية، سنة 2011 .
2. د. محمد الرازقي، محاضرات في القانون الجنائي العام، محاضرات في القانون الجنائي " القسم العام"، أوبا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس .
3. د. خالد صفوة ناجي عبدالقادر، الإثبات في المواد الجنائية (دراسة مقارنة) كلية الحقوق، جامعة بني سويف، سنة 2012 .
- 4 - د. عوض محمد عوض، قانون العقوبات (القسم العام)، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية ، سنة 2002.
5. د. محمود محمود مصطفى ، شرح قانون العقوبات (القسم العام)، الطبعة العاشرة، مطبعة جامعة القاهرة، سنة 1983م .
6. د. طلال أبوعفوية، شرح قانون العقوبات (القسم العام)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان: الأردن، سنة 2020 .
7. د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات ((القسم العام)) النظرية العامة للجريمة والنظرية العامة للعقوبات والتدبير الاحترازي، الطبعة الخامسة، دار النهضة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1982 .
8. د. علي عوض حسن، الدفع بانتفاء القصد الجنائي في جرائم قانون العقوبات والتشريعات الجنائية الخاصة، دار محمود للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1995 .
9. د. أحمد فتحي سرور، الوسيط في القانون العقوبات،" القسم العام " الطبعة السادسة

- المعدلة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1953 .
10. د.فتح عبدالله الشادلي، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة: سنة 1994 .
11. د. نقيب حسني، النظرية العامة للقصد الجنائي، دراسة تأصيلية مقارنة الركن المعنوي في الجرائم العمدية، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1988 .
12. محمد الرازقي، محاضرات في القانون الجنائي " القسم العام"، أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، 1999م
13. د. أشرف جمال قنديل، حرية القاضي الجنائي في تكوين اقتناعه، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، سنة 2012 .
14. عوض محمد عوض، الإثبات الجنائي بين الازدواج والوحدة، مطبوعات جامعة القاهرة ، الخرطوم، سنة 1984، 710 د. محمد سعيد نمور، أصول الاجراءات الجنائية، دار الثقافة والنشر، ب. م سنة 2005 .
15. د. هلال عبد الإلاه أحمد، النظرية العامة للإثبات الجنائي (المجلد الثاني) دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة .
16. مأمون محمد سلامة ، الإجراءات الجنائية في التشريع المصري " الجزء الثاني"، الطبعة الخامسة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 2016 .
- 17 . عمر السعيد رمضان، شرح قانون الإجراءات الجنائية، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1991 .
18. فاضل زيدان محمد، سلطة القاضي الجنائي في تقدير الأدلة" دراسة مقارنة "، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، سنة 1991. .
- ثانياً: أحكام المحكمة العليا:
- 1 . طعن جنائي جلسة 1991/1/1، جلسة المحكمة العليا الليبية ، س4-27/5 و ق329/35، ص 182.
- 2 . طعن جنائي جلسة 1976/3/23، مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية ، س 13/1، ق 257/22، ص 147.

3. طعن جنائي جلسة 2006/5/23، مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية، س . غ.م، ق 51-762 ، ص 188
4. طعن جنائي في جلسة 1981/3/17، مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية ، س 18/1، ق 23/28، ص 191.
5. طعن جنائي جلسة 1970/4/21، مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية ، س 6/4، ق 9/17، ص 236
6. طعن جنائي في جلسة 1959/6/10، مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية ، س ج/2، ق 14/4، ص 220.
7. طعن جنائي جلسة 1970/12/2، مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية، س 126، ق 88/196، ص 220 .
8. طعن جنائي في جلسة 1956/2/29، أحكام المحكمة العليا الليبية، س ج.1/ج، ق 36/2 ، ص 297 .
9. طعن جنائي جلسة 1973/7/24، مجلة المحكمة العليا الليبية ، س 4/9، ق 20/79، ص 236.
10. طعن جنائي في جلسة 1971/1/12، أحكام المحكمة العليا الليبية، س 7/3 ، ق 27/17، ص 132
11. طعن جنائي جلسة 1983/12/1م مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية ، س 21/2، ق 216/26، ص 126 .
12. طعن جنائي جلسة 1986/4/9م مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية ، س 3 . 24/4، ق 42/32، ص 147 .
13. طعن جنائي جلسة 2004/1/12م مجموعة أحكام المحكمة العليا الليبية، س غ.م، ق 159/46، ص غ.م
14. طعن جنائي جلسة 1956/4/11، مجموع أحكام المحكمة الليبية ، س ح 1/ج ، ق 109/2، ص 304.
15. نقض جنائي مصري جلسة 1983/3/19، مجموعة أحكام النقض ، س 29، ق 56،

- ص295.
16. طعن جنائي جلسة 1984/2/17، مجلة المحكمة العليا الليبية، س 4/21، ق 27/304، ص221.
17. طعن جنائي جلسة 1963/2/22، مجلة المحكمة العليا الليبية، س 2/21، ق 27/22، ص210.
18. طعن جنائي جلسة 1964/6/27، مجلة المحكمة العليا الليبية، س 10/100، ق 2/1، ص5.
19. طعن جنائي جلسة 1970/4/19، مجلة المحكمة العليا الليبية، س21، ق 32، ص146.
- 20 . طعن جنائي جلسة 1966/11/5، مجلة المحكمة العليا الليبية، س2/3، ق 13/11، ص25 .

الهجرة إلى أوروبا عبر ليبيا

د. محمد العماري الفيتوري
كلية الآداب - جامعة طرابلس

الملخص:

Summary: Migration to the North via the Mediterranean Sea

The world today is witnessing successive developments in political and economic fields, resulting in the emergence of various phenomena, including illegal migration. The causes of migration vary from one country to another, and they are subject to the push-pull theory, which represents the communications and relationships between countries (push) and factors such as poverty, oppression, famines, and wars (pull), as well as opportunities for employment.

Migration has transformed into a complex issue involving networks supported by local and international powers that engage in politics and fundraising. Europeans appreciate the demographic decline but have not considered the future risks, such as the conflicts in Iraq. They fear that the entry of extreme ideas may undermine their consumption power for immigrants. The dangers of illegal migration in Libya lie in the opening of doors for demographic change and settlement. Libya should not be forced to become the gatekeeper of Europe.

It is suggested to conduct field studies on immigrants to understand their requirements. Secondly, countries with communities

in Europe should be preserved, focusing on education and maintaining cultural identity. Thirdly, intensify patrols, install cameras at borders, provide night-time communication means, and tighten legal procedures at all land, sea, and air entry points.

يشهد العالم اليوم تطورات متلاحقة، في مجالات سياسية واقتصادية واجتماعية، نتج عنها بروز ظواهر عديدة يهمننا منها هنا الهجرة غير الشرعية، تتعدد أسبابها من بلد إلى آخر، تخضع لنظرية الطرد والجذب أبرز النظريات المفسرة لها، وهي تتمثل في الاتصال والعلاقات بين الدول(الطرد) وتتمثل في الفقر والاضطهاد والمجاعات والحروب(الجذب) وتتمثل في فرص العمل.

تحولت الهجرة إلى الاحتكار من قبل شبكات مدعومة من قوى محلية ودولية، تمارس السياسة وجمع الأموال، الأوروبيون يعوضون النقص الديموغرافي لكنهم لم يحسبوا أخطار المستقبل (الصراعات العرقية) (بطار:7،2007) هم متخوفون من دخول الافكار المتطرفة، ربما تغريهم قوة الاستهلاك للمهاجرين، خطورة الهجرة غير الشرعية على ليبيا أنها تفتح باب التغير الديموغرافي وباب التوطين، يجب لا تقبل ليبيا أن تكون حارس بوابات أوروبا.

المقدمة:

الإطار النظري ويضم المقدمة ومشكلة الدراسة أن الهجرة أصبحت موضوعا دوليا تدعمه دول كبرى ويدفع ثمنه الشعوب الصغيرة، وأهميتها في تبيان خطورة الهجرة على دول المصدر بإفراغ بعض السكان، وعلى دول العبور ودول الاستقبال والتغير الديموغرافي، وأهدافها في كل المجالات والمآرب، ومفهوم الهجرة كما جاء في الأسطر الأولى في مشكلة الدراسة، وضع تساؤلات الدراسة المشاكل التي قد تحدث والمآرب التي تغرسها قوى غريبة لغايات في نفسها، وتبين الدراسة الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحدثها الهجرة غير الشرعية للبلدان ذات العلاقة.

تحتوي المقدمة على نظريات متعددة في الهجرة اقتصادية واجتماعية وأسبابها والسياسية والاقتصادية.. الخ، ونظريات الجذب والطرده والعلاقات بين الدول المرسله والجاذبة والعبور، ثم فروض الدراسة تتمثل في التغيرات الثقافية في دول الاستقبال، والنقص

الديموغرافي في دول التصدير وزيادته في الأولى، وتحتوي على الدراسات السابقة، ثم تبين منهجية البحث والآثار السلبية للهجرة مثل الاتجار بالبشر وتكوين شركات احتكارية تجمع المال وتمارس السياسة، وتبين المقدمة المراحل التي تمر بها الهجرة من بلدان أفريقيا إلى ليبيا بلد المعبر إلى أوروبا.

تذكر المقدمة دور الأمن الليبي وعجزه أمام تعاقب قوافل البشر الأفارقة، والمعالجات القانونية وانعكاسات الهجرة على ليبيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وأمنيا، وتختتم بالخاتمة والنتائج والتوصيات والمقترحات.

مشكلة الدراسة:

إن موضوع الهجرة اللاشعرية من أفريقيا إلى أوروبا بدأ ينحدر نحو التدويل، معظم دول أوروبا وأمريكا متدخلة فيه بل إن دول غربية بسبب معاناتها لنقص المواليد والفراغ السكاني تشجع الهجرة وتنتقي الشباب، بهذا سوف تسبب الهجرات مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية في بلدانها أولا وبلدان العبور كما ليبيا ثانياً، لقد كثرت مشاكل الهجرة بعد 2011 بسبب انهيار المنظومة الأمنية في ليبيا.

تلويح بتوطين أعداد هائلة من الأفارقة في ليبيا، الغرب يطرح أن ليبيا مساحتها قرابة مليوني كيلو متر مربع وتحتاج إلى مليون أفريقي يعيدون إعمار ليبيا وهو طرح غير صادق، هم يريدون يغيرون ديموغرافيا الوطن العربي وتغيير هوية المواطن العربي وربما يخافون عودة الدور العربي، الموضوع يحتاج إلى دراسات معمقة وأخذ الانتباه لذلك.

إن معظم العقبات التي تواجه الشباب الأفريقي كانتشار البطالة يجدون صعوبة في الحصول على فرص عمل، صعوبة في بناء مساكنهم وفي الزواج وبناء أسر، وفي غياب توفر هذه الضرورات يصعب مساهمة الشباب في تحقيق التنمية التي تخلق الاستقرار في بلدان أفريقيا، وفي ظل الهجرة اللاشعرية (السرية) نتجت ظاهرة الاتجار بالبشر، ولأنها لقيت رواجاً مالياً مريحاً فقد يزداد تفاقم المشكلة، شكلت الهجرة غير الشرعية مشكلة ذات أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وأمنية.

أهمية الدراسة:

تكمن الأهمية في الوعي بأبعاد مشكلة الهجرة غير الشرعية، أيضا توضيح الآثار

السلبية للأجيال القادمة لمخاطر هذه الهجرة، وفي ذات الوقت إيجابيات الهجرة إذا وضعت خطة عملية تستوعب المهاجرين في العمل العضلي المنتج، تتم وفق إجراءات قانونية لدخول المهاجرين وتأمين تحويلاتهم المالية إلى بلدانهم، إلى جانب مراعاة الإجراءات الصحية. معظم دول أوروبا بنيت مدنهم ومزارعهم بسواعد الأفارقة، كما تكمن أهمية الدراسة في استقرار واقع بلدان الطرد، ووضع مقترحات عملية للحد من قوافل الهجرة إلى الشمال، معظم الدراسات حول الهجرة ركزت على الجوانب الديموغرافية والاقتصادية وأهملت الجانب الاجتماعي والتغير القيمي ومشكلة الانتماء إلى الوطن.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- 1- التعرف على الأسباب التي دفعت الأفارقة بتركوا بلدانهم ويهاجرون إلى أوروبا، والوقوف على الآثار السلبية التي تخلفها الهجرة اجتماعيا.
- 2- التعرف على الأسباب التي دفعت المهاجرين إلى تغيير عاداتهم وتقاليدهم، ومعرفة هل سيكون انتماءهم وولاءهم إلى بلدانهم أم إلى البلد المضيف.
- 3- معرفة هل يحصل استلاب ثقافي وحضاري للمهاجرين الأفارقة إلى أوروبا؟

مفهوم الهجرة:

الهجرة تعني التنقل من منطقة إلى منطقة أخرى، ومن مدينة إلى مدينة أخرى، وهذه تسمى هجرة محلية أو داخلية، لأنها داخل المدينة الواحدة وداخل البلد الواحد، ومن بلد إلى بلد وتسمى الهجرة الدولية، ويعرف علماء النفس الهجرة هي استعداد فطري يملكها الإنسان بدون تعلم، وكما جاء في علم السكان (الديموغرافيا هي الانتقال بشكل فردي أو جماعي، بحثا عن وضع يكون أفضل لعيش الإنسان، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ثم دينيا وأمنيا من المكان الذي كان يعيش فيه، ويرى بعض العلماء) (بونوة: عدد 14، 21-22) أن الهجرة تعني تغير الحالة الاجتماعية، وذلك لتحقيق الاستقرار، تهاجر الناس لأجل العمل أو الدراسة أو الإقامة الدائمة.

تعريفها قانونا هي ظاهرة معروفة في الحدود الدولية، تعني اجتياز حدود الدولة من غير الحصول على إذن مسبق من السلطات، سواء سلطة الدولة المستقبلية أو الدولة الأصل، لأن المهاجر لا يستطيع دخول أي بلد دون اتباع قوانين البلد القادم منها، وكذلك

البلد المسافر إليها وفقاً لإجراءاتها القانونية الخاصة بالهجرة، وإذا خالف ذلك تكون هجرته غير قانونية، ومعلوم أن الهجرة القانونية حق طبيعي للإنسان لما نص عليه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1949 (يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده، كما يحق له العودة إليها)، أما المهاجر غير الشرعي يعرفه المكتب الدولي (BIT)، بأنه (كل شخص يدخل أو يقيم أو يعمل خارج وطنه دون حيازة الترخيص القانوني اللازم، لذلك يعتبر مهاجراً غير شرعياً، أو سرياً أو بدون وثائق، أو في وضعية غير قانونية (محمد وآخرون: عدد 14، 47).

اليوم يشهد العالم تطورات وتغيرات متلاحقة، في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، وقد تسببت هذه في ظهور العديد من الظواهر السلبية والإيجابية، وأثرت في المجتمعات العربية وغير العربية، والهجرة غير الشرعية أحد الظواهر السلبية في بعض المجتمعات، وبغض النظر عن الأحقية القانونية للمواطن في الهجرة من مكان إلى آخر، يدور سؤال كبير في الأفق، هل عمد الاستعمار منذ القدم ألا يحدث تطوير ولا تحديث في بلدان القارة الأفريقية؟، وهل من القدر أن تبقى شعوب هذه القارة رهينة الاستعمار الغربي؟ ولماذا تزحف شعوب أفريقيا باتجاه أوروبا، ألم نرها تُنْسَطُ الفاقد الديموغرافي وبرامج التنمية؟.. أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات.

نظرية الطرد والجذب من أبرز النظريات المفسرة للهجرة غير الشرعية تجاه أوروبا، حيث حددت الأسباب الرئيسة في عاملين أولهما الإرسال (الطرد) وثانيهما المستقبلية (الجذب)، وقد اعتبر بوج (bogue) (نجاح : 2008، 117) إن سمتي الطرد والجذب التي تتميز بها الدول المستقبلية لهما متغيران يساعدان على اختيار جماعات معينة حتى تهاجر من بلد إلى آخر، تتمثل عوامل الطرد في الفقر والعازة والبطالة والاضطهاد والحرب، كما في رواندا ونيجيريا والصومال والكوارث والمجاعات.

أما عوامل الجذب فتكمن في الزيادة الملحوظة على العمل في بعض القطاعات والمهن، أسواق العمل تستورد مهاجرين من بلدان خارجية عربية وأفريقية، وكذلك عامل الشيخوخة الذي يضعف البنية الديموغرافية لدول أوروبا مما يفرض عليها أن تستقبل المهاجرين الأفارقة .. ان عوامل الطرد التي اشرنا اليها تشكل مشكلة سيكولوجية لدى هؤلاء

المهاجرين وهم يبحثون عن فضاء آمن يحقق لهم كرامتهم ويضمن لهم حياة آدمية، عامل الديموغرافيا هو الآخر مع ندرة الموارد الاقتصادية يشكل ازمات اقتصادية، تنعكس سلبا على الاستقرار السكاني وبالتالي تصبح الهجرة امراً واقعاً، اما عوامل الجذب تعتبر اقل اهمية في تفسير وتحليل دوافع الهجرة غير الشرعية نحو أوروبا مقارنة بعوامل الطرد، ومن عواملها ايضاً الانبهار بالنمط المعيشي الغربي.

تساؤلات:

- 1- ماهي الاسباب التي أدت إلى هجرة الأفارقة من بلدانهم إلى أوروبا عبر ليبيا؟.
 - 2- كيف يمكن مكافحة ظاهرة الهجرة والتي هي غير شرعية على الصعيدين الوطني والدولي؟.
 - 3- ما هي الآثار المترتبة على هجرة مئات الالاف سنوياً من بلدانهم إلى أوروبا عبر الاراضي الليبية؟
 - 4- الرغبة تحقيق ثروة سريعة؟ وهل هو الهروب من كوارث الحروب والمجاعة والامراض؟
 - 5- هل هجرة الأفارقة نحو أوروبا بسبب انتشار البطالة والحروب والمجاعة داخل البلدان الافريقية؟.
 - 6- هل ضعف الانتماء والولاء لدى المواطن الافريقي الذي يترك بلده ويهاجر؟ واذا هذا صحيحاً فلماذا ضعف الولاء عند المواطن الأفريقي؟.
- هذه الاستفسارات مهمة جدا في موضوع الهجرة غير الشرعية، والاجابة عنها والتي ستكون في مادة الدراسة ترينا المشكلة ودوافعها واسبابها.

متى ظهرت ظاهرة الهجرة؟

معلوم ان ظاهرة هجرة البشر تاريخياً بدأت منذ القدم، وهي مرتبطة بحركة الناس وظروف حياتهم، تهاجر عادة من مكان إلى مكان اخر افضل من سابقه، وفي العقود الاخيرة هاجر مئات الشباب على وجه الخصوص من بلدان عربية وافريقية وآسيوية إلى أوروبا وامريكا، ولأسباب مختلفة منها ظروف امنية ومنها ظروف حروب كما في الصومال والعراق وليبيا والكونغو وليبيريا .. الخ، وكذلك الفقر والامراض وغيرها مقابل جاذبية تلك البلدان المستقبلية للمهاجرين.

تقوم مكاتب ووكالات بتهريب البشر من بلدان افريقيا عبر الصحراء الليبية، ومعلوم ان ليبيا تشترك بحدود برية بطول حوالي خمسة آلاف كيلومتر مع مصر والسودان والنيجر وتشاد والجزائر وتونس، ويعتبر السودان معبرا رئيسيا للهجرة غير الشرعية من مناطق شرق ووسط إفريقيا، كأثيوبيا وأوغندا وإريتريا وكينيا ومنها إلى الصحراء المصرية ثم إلى ليبيا، هناك عصابات ومؤسسات وشركات منظمة تقوم بالهجرة غير الشرعية حيث يقوم الشاب بدفع مبلغ مالي لمكاتب معروفة في الخرطوم تتستر تحت مسمى وكالات السفر والسياحة لإيصاله إلى إيطاليا، يتم تفويض جزء من الهجرة من منطقة سوق ليبيا غرب أم درمان عبر سيارات صحراوية تحمل المهاجرين، وتوجد وكالات السفر ومكاتب السياحة التي تعمل في التهريب خاصة بمنطقة كسلا حيث هناك عصابات معروفة للجميع.

ومن ليبيا يتم تسفير المهاجرين عبر البحر المتوسط، بواسطة عبارات وقوارب وزوارق مطاطية إلى دول أوروبا، وفي السنوات الاخيرة تحول المهربون إلى شركات اكبر تقوم بهذا العمل تحصل منه على اموال طائلة، هناك شرطة لدول أوروبية جنوب المتوسط تقاوم هذه الهجرة ولديها امكانيات مادية هائلة، وقد يموت الالاف من هؤلاء المهاجرين في البحر المتوسط ، وترى الدول الأوروبية هؤلاء المهاجرين بلا تأشيرات دخول وأوراق ثبوتية، وذلك يعد عملاً غير قانوني يتطلب توقيفهم واحالتهم إلى الاعتقال واعادة ترحيلهم إلى الاماكن التي قدموا منها.

تدني معدلات التشغيل:

قبل عقد ونصف بلغ عدد سكان الوطن العربي الذين هم ما دون سن الخامسة عشر حوالي 35,2% من مجموع السكان، وتجاوز عدد القوى العاملة في بلدان الوطن العربي 122 مليون عامل يمثلون 28% من اجمالي عدد السكان في بلدان الوطن العربي امام معدل 3.2% خلال عام 2000م (طلعت: 2014، 34)، خلافا لهذا فما تزال نسبة العمالة من اجمالي سكان الوطن العربي ادنى مقارنة بالأقاليم الرئيسية في العالم ربما من اسباب ذلك اتساع قاعدة الهرم السكاني في الوطن العربي، ومعلوم ان نسبة كبيرة من السكان اعمارهم ما دون الخامسة عشر، كذلك انخفاض مشاركة المرأة في سوق العمل بالإضافة إلى أن العمالة العربية غير مدربة جيداً.

مجتمع الوطن العربي مجتمع ذكوري مكانة المرأة فيه ضعيفة، لم يتجاوز تمثيل المرأة في البرلمان المصري أكثر من 2%، مقابل 40% في الأرجنتين، 43% في كوبا، 42% في فلندا، 19% في غينيا، 8% في ليبيا، و23% في تونس (نجاح، مصدر سابق، 125) وهناك دولا عربية أقل من هذه النسبة، والمشكلة أن المجتمعات العربية تستهلك الكثير من الغذاء والدواء والملابس، المجتمعات العربية تحب الخدمات أكثر مما تنتج.

الآثار الاقتصادية والاجتماعية للهجرة غير الشرعية:

أولا- في بلد المنشأ:

تأتي قوافل صغيرة وكبيرة وربما أفراد عبر البر، وعلى سيارات وجمال من بلدان أفريقية، يتعرض كثيرهم للمرض والموت في الطريق، وفي البحر إلى الغرق وإلى الابتزاز المالي والسطو والقرصنة، ثم إلى الزج بهم في السجون خلال تسللهم عبر الحدود البرية والبحرية.

معاناة أسرهم وذوهم صعوبة إثبات الوفاة لمن توفي في الطريق أو البحر، وصعوبة حصولهم على جثث هؤلاء، والسبب أنه لا يوجد توثيق في معابر الدخول، ومعاناة بعضهم أيضا في استرداد تكاليف المجيء إلى ليبيا أو غيرها التي ينطلق منها المهاجرون إلى أوروبا، وهناك اعتقاد خاطئ بأن المهاجرين جهلة والحقيقة أن فيهم خريجي معاهد وكليات جامعية يحملون مؤهلات فنية، نحن لم نعرف كيف نستفيد منهم وشغلناهم في أعمال هامشية.

نظريات في مجال الهجرة: البيئة الاجتماعية بعواملها المختلفة تلعب دورها المؤثر، في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، المجاعة والحروب والصراعات الدينية والطبقية والقبلية وكذلك الأمراض، هذه عوامل يراها الناس خاصة الشباب تساهم بشكل كبير في دفع الناس للهجرة وعليه يجب العمل للتخلص منها.

النظرية الاقتصادية:

الإنسان بطبعه يسعى إلى حياة أفضل، حياة بلا أمراض ولا بطالة ولا فقر ولا حروب ولا صراعات قبلية أو طائفية، العوامل الاقتصادية الجيدة هي التي تساعد على ارتفاع دخل المواطن، وبالتالي تحسين مستوى حياته واستقراره في منطقتة وإذا لم تتحقق له هذه

الأساسيات في بلده، ويرأها في بلد آخر فإنه يهاجر إليها، ويجب أن نعي أن سوء توزيع الثروة بين أبناء المجتمع يخلق فوارق طبقية ويخل بالسلم الاجتماعي (شعبان: 2016: 58). نظرية التنمية التي طورها كل من دانييل ابوت ومارشال كلينارد تؤكد على وجود علاقة بين التنمية والجريمة، التحضر أسهم في وجود صراع القيم والحراك الاجتماعي والتحرر من القيود الاجتماعية والتقليدية، ويقول ارنست رافنستين أن عوامل الدفع والجذب هي التي تتحكم في الهجرة لأن الظروف الاقتصادية الصعبة تدفع أبناء المجتمع إلى ترك أوطانهم والهجرة.

النظرية الاجتماعية:

من النظريات الاجتماعية نظرية (التفكك الاجتماعي)، التي ترى أن أفراد المجتمع عندما يكونون في حالة تفكك يفكرون في الهجرة إلى بلد فيه فرص عمل واستقرار، وتفيد نظرية اللامعيارية بأن الهجرة تحدث نتيجة للظروف الاجتماعية، التي يمر بها المجتمع بسبب الفوارق الاجتماعية، وقد أوضح دوركايم (الدوري: 1973، 49) أن الزيادة في سكان البلد تنقص من ثروتها بسبب الزيادة في الاستهلاك، وربما في الوقت الحالي لا تؤثر الزيادة السكانية الناتجة عن الهجرة لبلدان أوروبا، ولكن في المستقبل لابد أن يحصل تغيير في السلوك المجتمعي الأوروبي.

نظرية الشبكات (دوام الهجرة):

إن شبكات الهجرة عامل مهم في تفسير ظاهرة الهجرة، إنها المسؤولة عن بناء الروابط الاجتماعية بين المهاجرين وغيرهم من السكان، وترتبط البلدان التي خرجت منها الهجرة وبلدان استقبال المهاجرين، الذين يهاجرون يقدمون تسهيلات لأفراد أسرهم وأقربائهم للهجرة خارج أوطانهم (موسى : بلا تاريخ، 47) تساعد الشبكات في التقليل من تكلفة الهجرة وتقليل المخاطر، كلما كانت شبكة الهجرة متطورة انخفضت التكلفة للمهاجرين، ومعلوم أن الوسطاء الذين ينقلون المهاجرين من بلدانهم إلى ليبيا يتقاضون أموالا طائلة، والذين ينقلونهم من ليبيا إلى إيطاليا أو بلدان أخرى بزوارق أو قوارب أو غيرها عبر البحر المتوسط يتقاضون أيضا أموالا طائلة، ويصعب على هؤلاء المهاجرين الحصول على الأموال، معظمهم يأتون إلى ليبيا يعملون فيها فترة حتى يحصلون على المبالغ التي تكفي لترحالهم.

نظرية الطرد والجذب:

هذه النظرية من أهم النظريات التي فسرت الهجرة، ترى أن العلاقات القائمة بين الدول المرسله والمستقبله للمهاجرين عامل مهم في عملية الهجرة، وهي تعتبر متغيرات تساعد في انتقاء جماعات معينة للهجرة، يمثل الفقر والاضطهاد والعزلة الاجتماعية عوامل طرد بسيطة، وتمثل المجاعات والحروب والكوارث الطبيعية عوامل طرد قوية، وتمثل الهوة بين دول الشمال المرفهة وبين دول الجنوب التي فيها الحروب والفقر والمرض والبطالة عامل محرك في عملية الهجرة، والمعادلة معكوسة من حيث سوق العمالة إذ أن دول الجنوب تمثل السوق الغني بالعمالة، وتمثل الدول الصناعية في أوروبا الفراغ للعمالة بسبب التراجع الديموغرافي.

نظرية تخطي الحدود:

تسرح جماعات وأفراد من دول افريقيا باتجاه الشمال وعبر دول شمال أفريقيا، تقطع مسافات في الصحراء تعاني فيها الشقاء والتعب والمرض والجوع والعطش والموت، وهم يقطعون حدود دول بطرق قانونية أو غير قانونية خاصة أنه لا توجد بوابات في حدود الصحراء، وتذكر النظرية أن المهاجرين لم ينقطعوا عن مجتمعاتهم الأصلية، فهم على تواصل عبر وسائل الاتصالات التقنية، ويقومون بزيارات بعد أشهر أو سنوات.

فروض الدراسة:

من المتوقع أن يكون مستوى أسباب الهجرة غير الشرعية مرتفعا، ومن المتوقع على المدى البعيد أن تكون مشكلة سرعات قومية داخل دول أوروبية، وربما حروبا بين السكان الأصليين وبين السكان المهاجرين وتغيرات ثقافية ستحصل.

إن تسليط الضوء على موضوع الهجرة من البلدان الأفريقية إلى ليبيا يعتبر من القضايا المهمة في زمن 2014اليوم على كافة الصعد دراسة الموضوع، وإذا كانت دول الاستقبال وهي أوروبا تستفيد في التعويض عن نقص الزيادة السكانية (المصرياتي: عدد 59مجلد ، 2014، 19) وبالتالي في الإنتاج، فإن ليبيا لم تستفد لأنها لم تعد برنامجا جيدا لتسخير هذه العمالة في الإنتاج، المشكل الخطير أصبح الأفارقة يسيطرون على مساكن ومحال تجارية وغيرها، وبدأ خروج مواطنين ليبيا من الجنوب إلى الشمال، هذا سيحدث خلا في التوزيع

السكاني، والأخطر هو التغير في الهوية الليبية في الجنوب بزواج أفارقة من ليبيات. تكمن الأهمية في انعكاسات الهجرة إلى أوروبا في المدى القادم، حاليا قد تفرح بلدان أوروبا بتدفق الأفارقة عليهم والحصول على عمالة شابة وقوية، لكن الزواج من أوروبيات والتزايد الديموغرافي سوف يكون بعد عشرات السنين على حساب



صورة رقم (1) قارب غير آمن عليه كل هذا العدد يقطع البحر من ليبيا إلى إيطاليا. السكان الاصليين لبلدان أوروبا (فيوليت: 2008، 17) قوميه واجتماعيا ودينيا لأن بعض المهاجرين مسلمين، لا نستغرب أن يحصل تغيرا في الخارطة العرقية والدينية الأوروبية.

الدراسات السابقة:

أسباب الهجرة ودوافعها المتمثلة في أسباب اقتصادية واجتماعية والمعارك العسكرية القبلية والسياسية، أما في ليبيا فقد انتشرت الأمراض المعدية المنقولة من أفريقيا، وانتشرت السرقات في المنشآت مثل أسلاك الكهرباء، ثم عمليات التهريب والتجارة غير المشروعة في المواد المعمرة والغذائية والدوائية والوقود إلى خارج ليبيا.

هناك دراسة لساعد رشيد بعنوان (واقع الهجرة في الجزائر منظور الأمن الإنساني)، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على دوافع وأسباب الهجرة التي تحدث في الشباب الجزائري، هذه الهجرة ليست من الأفارقة بل هجرة شباب جزائريين إلى بلدان أوروبية، وبالمقارنة بين هجرة الأفارقة والجزائريين فإنه قد تكون الأسباب والدوافع واحدة أو متقاربة من حيث تردّي مستويات المعيشة والأمن والبطالة والفقر والحروب.

وفي دراسة لعلي سعاد بعنوان (الهجرة غير الشرعية وسبل وآليات مكافحتها في منطقة المتوسط) وقد هدفت الدراسة إلى معرفة أسباب الهجرة وآثارها المختلفة على بلدان المنشأ وبلدان الاستقبال، وطرق مقاومتها والقضاء عليها نهائيا من خلال وضع البرامج العملية، وأفادت الدراسة أن القوانين الصارمة التي وضعتها أوروبا لمنع الهجرة غير الشرعية إليها غير مجدية لمعالجة المشكلة، وفي دراسة لشخصية أجنبية Toaldo بعنوان الهجرة عبر ليبيا، تناولت الدراسة المتاجرة بالبشر الأسود وحملت أوروبا المسؤولية، وقد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة تربط الهجرة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية اذا ما حسن استثمارها.

دراسة للحوات بعنوان (الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر بلدان المغرب العربي) وقد استعرض الباحث قوافل الهجرة المنافية للقوانين الليبية، ويفيد الباحث أن هذه الهجرة يحركها الفقر والحاجة وانخفاض المستوى المعيشي في معظم البلدان الأفريقية، ويرى الباحث أن الهجرة غير الشرعية تتطلب النظر إليها مشكلةً اجتماعيةً وأمنيةً قبل النظر إليها مشكلة أمنية، هذه المشكلة لا يمكن لدولة افريقية أو أوروبية تعالجها بمفردها، بل إن الاتحاد الأوروبي والاتحاد الأفريقي معنيان بالمشكلة.

ودراسة أخرى للتير بعنوان (الهجرة غير المشروعة تهديدًا للأمن الليبي) هدفت إلى دراسة واقع التهديد الأمني الذي تواجهه ليبيا بسبب الهجرة غير الشرعية، وأوضحت الدراسة أن جغرافية المنطقة الليبية تجعلها فريدة بسبب اتساع مساحتها التي تقدر بمليونين إلا ربعا وصغر حجم سكان لا يتجاوز سبعة مليون نسمة، والحدود الليبية جنوبا شاسعة وطويلة من الغرب إلى الشرق، تحتاج إلى جيش من الأمن، وإلى تقنية حديثة.

ما يميز هذه الدراسة:

من خلال الاطلاع على عديد الدراسات حول الهجرة غير الشرعية، من افريقيا إلى

أوروبا عبر ليبيا أو عبر بلدان أخرى، تبين أنها تلتقي في تاريخ الهجرة وتعريفها والحصص الشكلي للأسباب، وهو الفقر والحروب وغيرها من العوامل المشابهة، هذه وحدها فقط اشارت إلى أن الاستعمار الأوروبي الذي استعمر بلدان أفريقيا وامتص ثرواتها إلى مصانعه في بلدانه.

أشارت هذه الدراسة إلى أحقية الأفارقة في الهجرة إلى بلدان أوروبا يلاحقون ثروتهم، وهذه الدراسة وحدها وبجراًة حللت ما ينتج من نزاعات عرقية داخل كل بلد أوروبي يحتضن مهاجرين أفارقة، وأن بلدان أوروبا ستشهد قوميات وأديانا وألوانا بشرية وذلك بعد عشرات السنين.

منهجية البحث:

ترتكز هذه الدراسة على دراسة أسباب ظاهرة هجرة الأفارقة غير الشرعية عبر ليبيا باتجاه أوروبا وأثارها وطرق مكافحتها، وتسعى الدراسة إلى الإجابة على تساؤلات لعلاج ظاهرة الهجرة، استخدم في هذه الدراسة منهج التحليل الوصفي بالإضافة إلى المنهج التاريخي الذي يساعد على دراسة الظاهرة في إطارها الزمني، ورصد الأسباب التي أدت إلى الهجرة غير الشرعية ووضع الحلول العلاجية العملية لها.

الاتجار بالبشر:

ظاهرة الاتجار بالبشر كانت منذ القدم، وكانت أفريقيا مصدرا مهما لتجارة الرقيق، وكانت الرأسمالية في الغرب انتعشت من هذه المتاجرة في البشر، وليبيا أحد المعابر المهمة لهذه التجارة، وقد كان ميناء تاورغاء هو المكان الذي ينقل منه المهاجرين إلى اسواق العبيد في الغرب.

اليوم بسبب غلق القنوات المشروعة للهجرة، أمام الأفراد الذين يضطرون إلى اللجوء إلى عصابات متخصصة في المتاجرة في الأفارقة، وتسفيرهم بطرق غير مشروعة عبر البحر المتوسط إلى أوروبا، غالباً ما يخضع هؤلاء المهاجرون بالقوة أو الغش والخداع لأغراض الاستغلال في أعمال السخرة والرق، النساء والأطفال والهاربين من الفقر والعازة هم الذين تتم فيهم المتاجرة والسمنة، يجبرون على ممارسة الرذيلة وحياة السخرة والدعارة، يتم استغلالهم في حاجتهم للأكل والسكن والشرب والغطاء والدواء.

الفقر والحاجة وغياب التنمية في أفريقيا، شكلت أرضية خصبة للجماعات الإرهابية، وانتشار الأفكار المتطرفة والتنظيمات الإرهابية مثل (بوكو حرام) وتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وجماعة المرابطون وجيش الرب والتنظيمات الإرهابية في وسط القارة، ثم حركة الشباب الصومالية في شرق القارة، وحيث إن أفريقيا أفقر قارات العالم يعاني ثلث سكانها الجوع والأمراض والتعاسة، يموت نحو سدس أطفالها قبل سن الخامسة، وتذكر مثالا لا للحصر في مالي والنيجر يعيش 90% في فقر مدقع، كيف لا يهاجر الشباب في هذين البلدين بحثا عن الحياة؟.



شكل رقم (2) أحد مظاهر النزاعات المسلحة في مالي ، أخذت الصورة من النت بتاريخ 17،4، 2022

التهجير القسري:

إنه تهجير اضطراري يجبر عليه الفرد أو مجموعة إما لأسباب مجاعة أو فقر أو كوارث طبيعية، أو لأسباب سياسية أو لحروب أهلية ..إلخ، الهجرة من مكة إلى المدينة كانت هجرة قسرية فرارًا من اضطهاد الكفار، وفي العصر الحديث حدثت هجرات عدة من جراء أهوال كثيرة، الهجرة من مدن في رواندا وأخرى في الصومال، وكذلك هجرات من بغداد ومدن أخرى بسبب الحروب الأولى والثانية، وهجرات في ليبيا من معظم المدن الليبية عام 2011 وما بعدها.

انعكاسات حركة الهجرة:

تشكل الهجرة غير المشروعة مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية، للدول المصدرة والدول المستقبلية، وهنا نتناول المشاكل الاجتماعية، حيث اتضح أن دول أوروبا بقدر ما هي في حاجة لهؤلاء المهاجرين فهي سوف تعاني مشاكل تكلفها الكثير في المستقبل، وبدأت بعض الدول من الآن تضع خططها لمكافحة الهجرة، لأن الأعداد المتتالية من الجنوب تشكل عبئا وتندرج بمشاكل اجتماعية وثقافية ستثير قلقا مفرعا بين السكان الأصليين في كل بلد أوروبي، ولعلنا رأينا تشريعات مشددة لتنظيم الهجرة وتحجيمها، حاولت فرنسا إدماج أعداد كبيرة من المهاجرين الذكور تتراوح أعمارهم ما بين 20-45 سنة، من أفريقيا ولكنها لا تدري أن المشكلة لن تحل، وقد اهتمت الأمم المتحدة بالمشكلة وأصدرت تقريرا خاصا عن الهجرة الدولية والتنمية عام 2006(ريدي:2015، 18-21).



شكل رقم (3) قافلة من المهاجرين من بوركينا فاسو باتجاه ليبيا ومنها إلى أوروبا. مما يترتب على غيابها عن أوطانها سلبات عديدة أخرى أهمها (الطائ: 2013، 23). - ظاهرة الزواج من أوروبيات ومعظمها على غير قناعة، ولكن الهدف ضمان الوجود والإقامة، غالبا ما ينتج عنه إنجاب أطفال وأحيانا يعقبه طلاق، ومن ثم تظهر مشكلة نسب الأطفال وحياتهم وقد يخرج جيل غير سوي.

- زيادة نسبة الذكور في بلد المهجر تثير بعض المشاكل في تكدس الذكور مما يولد عنفا وانحرافا أخلاقيا وسلوكا إجراميا في بعض مناطق البلاد.

الأقليات الأفريقية في أوروبا:

كل مهاجري بلد معين يتجمعون في مكان في البلد الذي يهاجرون اليه، يكون مخيما أو حيا يقيمون فيه ويتزاوجون ويتكاثرون، يكونون فيه شكل تنظيمي ويختارون شخصا زعيما يكون مرجعية لهم، أحيانا يصيغون شبه لائحة تنظم العلاقة والتعامل بينهم، وهذه حصلت في جنوب طرابلس من الأفارقة وتم تفتيتها، وحصلت في الإمارات من تجمعات الآسيويين، حيث صعب على الأمن الإماراتي دخول التجمع في أحد أطراف دبي، وحصلت مشاغبات للأفارقة في تجمعات سكانهم عدة مرات في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا هذه تعتبر أقليات في كل بلد وتصرفاتهم محاولة لإثبات ذاتهم من خلال الضغط على المجتمع.

يهدف الاعتراف بهم بالطرق المشروعة وغير المشروعة التي تصل أحيانا إلى استخدام العنف.

- إن سفر الزوج خارج بيته بل خارج بلده النيجر أو مالي أو نيجيريا أو بوركينافاسو مثلا، وترك زوجته وأولاده يتربون بدون لهو أمر صعب مما قد ينجم عنه فقد نسبة كبيرة من الأطفال والشباب ينحرفون، كما تزيد حالات الطلاق في النساء بسبب غياب الزوج لمدة طويلة عن أسرته.

- حين يعود الزوج الأفريقي لأسرته بعد غياب سنوات طويلة، يشعر بالغربة بين أسرته ويفقد رغبة أبنائه في التمسك به وشعورهم بالأبوة، وأحيانا يفقد شخصية القيادة للأسرة وقد يجد وحدة الأم والأبناء خصمه خاصة إذا عرفت الأم أنه متزوج من امرأة أوروبية.

- نقص معدلات الخصوبة لدى الرجال المهاجرين، نتيجة العمل في أعمال ضارة بالصحة وبالخصوبة مثل العمل في المناجم وبعض المصانع التي فيها مواد كيميائية وإشعاعية.

- من الجانب الأمني تشكل ظواهر العنف، المتمثلة في المظاهرات والإضرابات والتدمير والعصيان، تهديدا للأمن القومي خاصة للبلد المستقبل، وهذه المظاهر يقصد بها الضغط على السلطة لتلبية مطالبهم في تحسين ظروف معيشتهم.

نشاط عصابات المافيا وتجار المخدرات وعصابات الاتجار بالبشر.

ليبيا معبر مهم للمهاجرين العرب والأفارقة نحو أوروبا، بسبب الموقع الجغرافي الذي جعلها الوجهة المفضلة لهم، ولأنها توفر لهم فرص العيش طيلة بقاءهم فيها، وبعد 2011 من خلال المعابر البرية والبحرية وجد المهاجرون فرصتهم في العبور نحو أوروبا، يعدون بعشرات الآلاف شهريا ناهيك عن الذين يدخلون البلاد بطريقة أو أخرى ويقيمون فيها أشهراً قبل عزمهم إلى أوروبا، ونضرب مثلاً بإحصائية شهري يناير وفبراير عام 2019 (مرسي: 2010، 25)، هذه الأرقام قد تزيد وقد تنقص ولكنها مؤشر، لقد دخل 666.717 مهاجراً عبر عدد من مداخل جنوب وشرق ليبيا، تعود جنسياتهم إلى أكثر من 38 دولة، منهم 626.627 جاءوا من 27 دولة أفريقية، وعدد 39.716 من عشر دول آسيوية وشرق أوسطية.

مراحل يمر بها المهاجر إلى أوروبا: يمر المهاجر من بلده يقطع الصحراء في عناء شاق إلى ليبيا ومنها إلى بلدان أوروبا وعادة إلى إيطاليا ومنها إلى فرنسا وألمانيا وبلجيكا وأسبانيا ودول اسكندنافيا وغيرها، يأتي المهاجرون من بلدان عربية وأفريقية وآسيوية إلى ليبيا عبر طرق مختلفة، يستغلون الدخول بلا تأشيرات للعرب والتسهيل للإقامة، والبعض يدخل بطرق التسلل حيث إن الحدود الليبية طويلة يصعب السيطرة عليها. والمراحل هي (حسين : 2017، 27).

المرحلة الأولى:

أ- منطقة الشرق الأوسط: أحيانا يأتي المهاجرون بل في أكثر الأحيان من منطقة الشرق الأوسط فرادى وجماعات عن طريق المنافذ الشرعية للدخول، وبعد دخولهم البلاد يتواصلون مع المختصين بالتهريب، هؤلاء يقومون بتهريبهم في قوارب وزوارق إلى حافة شواطئ إيطاليا أو فرنسا وأحيانا اليونان مقابل أموال.

ب- منطقة المغرب العربي: يدخل التونسية بسهولة عبر بوابتي رأس جدير وذهبية، مستفيدين من الدخول بلا تأشيرة وعن طريق التسلل عبر الحدود الليبية التونسية، ويدخل الجزائريون والمغاربة عبر البوابتين وبوابة غدامس قبل أن تقفل عام 2011، وكذلك عن طريق التسلل عبر الحدود الليبية الجزائرية.

ج- منطقة الساحل الأفريقي: في مدينة أغاديس شمال النيجر يتجمع مهاجرون من النيجر ومالي وبوركينا فاسو، ويقوم أفراد من الطوارق وآخرين من المغرب العربي بتهريبهم مقابل مبالغ مالية عن كل فرد في رحلات جماعية إلى القطرون والجنوب الليبي، ويكملون بقية المسافات التي تعد بعشرات الكيلومترات تحسبا لدوريات قوات حرس الحدود، ويموت عدد من هؤلاء بسبب العطش لأنها تتجاوز شهرا أحيانا، ومن نيجيريا والكاميرون يصل المهاجرون إلى تشاد، ومنها إلى مرزق وأوباري وسبها بواسطة مهربين، وهناك يستقرون أياما وأسابيع وبعضهم يشتغل ليجمع مبلغا يكمل به رحلته إلى أوروبا.

د- منطقة القرن الأفريقي: هذه المنطقة هي أثيوبيا والصومال وأريتريا والسودان، ويأتي المهاجرون عن طريق السودان على الأكثر ثم إلى ليبيا.

المرحلة الثانية: تبدأ من دخول المهاجرين إلى الأراضي الليبية من مداخل متعددة، ثم إلى المدن الليبية الساحلية، وكثيرا ما يقعون في أيدي السلطات الأمنية ويتعرضون للإجراءات القانونية وبالتالي إلى السجون وإلى الترحيل إلى بلدانهم.

المرحلة الثالثة: يقوم المهربون بتجميع هؤلاء المهاجرين في مزارع وغابات واستراحات ومنازل، في مدن ساحلية مثل الخمس والقره بوللي وطرابلس وصبراتة وزوارة، وعندما يكتمل العدد تبدأ رحلة القوارب التي كثيرا ما تنتهي بالغرق في البحر، وتقوم عصابات مسلحة تستعين بمهربين يمتنون التهريب بهذه الرحلات في الغرب الليبي، تجني منها أموال طائلة.

المرحلة الرابعة: ويقال عنها رحلة القوارب وأيضا رحلة الموت، يتم شحنهم في قوارب وسفن وزوارق قديمة ومتهالكة وسائقين لا يعرفون البحر ولا قيادة المركبات البحرية، تتجاوز أحيانا ضعف حمولتها، وسرعان ما تغرق ويموت الكثير، نسبة المهاجرين غير الشرعيين الذين وصلوا أوروبا عبر ليبيا تتجاوز 80%، معظم الميليشيات المسلحة متورطة في الاتجار بالبشر في ليبيا لكن الخطر الجدي الذي تراقبه دول الاتحاد الأوروبي بتوجس هو دور ميليشيات أنصار الشريعة؛ التي تقول التقارير الاستخباراتية: إنها لا تكتفي بجني العائدات المالية من وراء الاتجار بالبشر بل تتعدى ذلك إلى دس عناصرها المنتمين إلى تنظيم "داعش" بين صفوف المهاجرين المتجهين إلى أوروبا؛ حيث ذكر تنظيم "داعش" في موقعه الإلكتروني أنه تمكّن من إرسال ما يزيد على أربعة آلاف جهادي بين أعداد المهاجرين

وطالبي اللجوء إلى أوروبا خلال السنوات الثلاث الماضية؛ الأمر الذي جعل الاتحاد الأوروبي يولي الأمر اهتمامًا كبيرًا، لاسيما بعد تزايد تهديدات داعش مؤخرًا لدول الاتحاد الأوروبي.

اسباب ودوافع الهجرة الأفريقية غير الشرعية:

ينحصر الحديث عن الهجرة الأفريقية إلى أوروبا وليبيا معبرا رئيسا، وطالما هي حدث له شأنه وله آثاره الإيجابية عن طرف والسلبية عن آخر، يجب دراسته وتحديد الأسباب وإمكانية وضع المقترحات للمعالجة، لماذا الهجرة من أفريقيا إلى أوروبا؟ وأفريقيا هي الاغنى ثروة. (رياض: 2012، 123).

لم تكن مناطق الجذب التي هي أوروبا سبب هجرة الأفارقة إليها، ولكن الأوروبيين هم السبب وقد عقدوا مؤتمر برلين عام 1884 وتقاسموا قارة أفريقيا بينهم إذ بذلك تجنبوا التقاتل بينهم، بنوا مراكزهم بالقرب من شواطئ البحر المتوسط، ومن خلال كشوفاتهم الجغرافية توغلو في القارة، سيطرت البرتغال على أنغولا وموزنبيق وسيطرت إنجلترا على كيب تاون، وسيطرت فرنسا على الجزائر قبل مؤتمر برلين، ثم سيطرت البرتغال على الكونغو وتحولت إلى مزرعة ملك الكونغو.

دول أوروبا (فرنسا، إيطاليا، بريطانيا، بلجيكا، هولندا، اسبانيا، البرتغال) دول رئيسة في استعمار أفريقيا، وعليه هذه الدول سلبت إرادة الأفارقة السكان الأصليين وأصحاب الأرض، سرقت ثرواتهم وحولتها إلى مصانعها، لم توطن صناعات ولا حرف ولا معرفة تطور من حياة المواطن الأفريقي، وبالتالي الأفارقة يهاجرون ليلحقوا ثرواتهم التي سرقها المستعمر الأوروبي، هذه هي الاسباب الحقيقية لهجرة الأفارقة إلى أوروبا، ولكن هناك أسبابا أخرى قد تكون ثانوية تتمثل في (فياض : 1992، 121).

1- ظهور أزمات سياسية أو دينية أو اجتماعية، كما في نيجيريا والحرب الأهلية، وفي رواندا والصومال والسودان، ظروفٌ فرضت نفسها وفرضت على الناس تخرج من منازلها وقرأها بل من بلدانها وتهاجر إلى أوروبا.

2- وجود التشجيع من الهيئات والمنظمات الرسمية وغير الرسمية.

3- موجات العنف المتصاعدة في بعض البلدان التي تؤدي للهجرة الإجبارية.

4- زيادة النمو السكاني التي تعمل على تغيير التوازن الديموغرافي بشكل سريع، متوقع أن يرتفع عدد السكان في الجنوب إلى 84% خلال عام 2025م .

العوامل الطاردة للهجرة:

- عدة عوامل دفعت الأفراد إلى ترك أوطانهم والهجرة إلى أوروبا، المشاكل المختلفة وغير المساعدة للعيش في بلدانهم وتتمثل في:
- عامل سياسي: تكمن في الصراع السياسي على السلطة، دكتاتورية النظام الحاكم، والحروب الأهلية داخل البلد، والحروب بين دول الجوار كما بين اثيوبيا واريتريا، وبين بورندي ورواندا.
- عامل اقتصادي: يفسر الاقتصاديون أن الفقر والبطالة وغلاء المعيشة أحد أسباب الهجرة من بلدانهم إلى بلدان أوروبا، يخرجون ليجتثوا عن فرص عمل من أجل بناء المسكن والزواج والعلاج.



شكل رقم (4) مهاجرون من بلدان افريقية في الصحراء الليبية في هجرة غير شرعية باتجاه أوروبا

الأمن الليبي والهجرة غير الشرعية:

تصدعات وانهيارات أمنية كبيرة في المنطقة العربية كلها، لقد تأثرت منظومة الأمن الليبي هي الأخرى وحصل فيها انهيار واضطرب في المنطقة الحدودية على وجه الخصوص، تكونت عصابات لت تهريب السلع الغذائية والمركبات والوقود والسلاح والاتجار

بالبشر، والتتقيب عن الذهب من لبيين وغير لبيين وشركات أجنبية.

الانهيار الذي حصل عام 2011 لم يكن في الأمن فقط ولم يكن سياسيا فقط، إنه انهيار في القيم والمعايير الإنسانية وحتى الأخلاقية، النهب في المال العام وفي الممتلكات العامة للمجتمع والاعتداء على ممتلكات الناس، حتى الأفارقة اعتدوا على مزارع ومنازل وحيوانات اللبيين في الجنوب حيث تم الاعتداء على أصحاب هذه الممتلكات بالضرب والاعتداء والقتل، هذه الانهيارات ألحقت المساس بنظم الأمن التنظيمية والبشرية.

المعالجة القانونية في القانون الليبي:

لقد أشرنا سابقا أن الهجرة غير الشرعية شكلت حالة من القلق في العديد من الدول العربية والأوروبية، وتركت أثارا سلبية سياسية واقتصادية واجتماعية في البلدان المتعلقة بها وإن اختلفت هذه الآثار من بلد إلى آخر، وليبيا تضررت أكثر مما استفادت، وإذا كان الظن أن العمالة الأفريقية أفادت ليبيا فإنه تقييم خاطئ لأن العمالة العربية الموجودة في ليبيا كافية من جهة، ومن جهة أخرى لم تكن خطة علمية للاستفادة من هذه الطاقة السمرء، حالة شكلت تواجدا بشريا غير مفيد، وانطلاقا من أن الهجرة في شكلها العام حقا إنسانيا لكل البشر، وانطلاقاً من الاتفاقية الدولية التي أبرمتها منظمة الأمم المتحدة عام 1990م لحماية حقوق العمال المهاجرين التي فيها حملت الدولة المضيفة مسؤولية احترام حقوق المهاجرين وضمان حمايتهم.

ليبيا من البلدان العربية التي وقعت على اتفاقيات وبروتوكولات لمكافحة الهجرة غير الشرعية والجرائم المرتبطة بها، سواء كانت مرتبطة بتجارة البشر أو ما يمكن أن تحويه من خلايا إرهابية نائمة، أو أسباب ترتبط بأوبئة وأمراض يحملها المهاجرون، وهذه بعض الاتفاقيات والبروتوكولات التي شاركت فيها ليبيا (علوي: 2007 ، 19)

1- الوكالة الأوروبية لإدارة الحدود: وهي وكالة متخصصة لإدارة الحدود من قبل الاتحاد الأوروبي من خلال اتفاقية دبلن الأولى والثانية بين عامي 2000 و2001م واللذان أقرتا تقاسم المسؤولية بين الاطراف المعنية بالهجرة غير الشرعية، وتم التفاوض على إنشاء مراكز للمبعدين من أوروبا، وكانت ليبيا موافقة على احتضان هؤلاء حتى يتم إرجاعهم إلى بلدانهم أو الأماكن التي انطلقوا منها، وتتكفل المنظمة بدعم ليبيا بأجهزة ووسائل الرقابة وباحتياجات

الدوريات الليبية برية وجوية على الحدود الليبية.

2- اتفاق 5+5: تم الإعلان عن اجتماع وزراء خارجية (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا) و(إيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال ومالطا)، الذي عقد عام 1990، وقد ناقش ثلاثة محاور: (المبروك: 2015، 93).

أ- المحور الأمني: وهو يبحث عن حلول ناجعة للقضايا السياسية والأمنية ذات المصلحة المشتركة والعمل على الحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية، أما عمليا فقد حثت الاتفاقية على إنشاء فرق أمنية لتعزيز الرقابة على مستوى دول المغرب العربي، والدول المعنية في الاتحاد الأوروبي، بحيث تكون مجهزة بأحدث وسائل الاتصال والسيارات والمراكب البحرية لرصد الفارين من أوطانهم وملاحقتهم.

ب- المحور الاقتصادي: يؤكد هذا المحور على ضرورة معالجة التوازن في قضايا التنمية لليبيا، وفي ظل الفوضى والانفلات الأمني، فإن الدولة الليبية تخسر الكثير.

ج- المحور الاجتماعي والثقافي: ركزت الاتفاقية على مجال الهجرة والتربية والتكوين والاتصال وحماية التراث من مردود اقتصادي للدولة بسبب عدم ضبط الحدود.

3- اتفاق الشراكة الأوروبية: عقد الاجتماع بهذا الخصوص عام 1995 وسمي بمسار برشلونة، شملت بلدان المغرب العربي، وأكد الاتفاق تحقيق الديمقراطية والأمن والاستقرار وحقوق الإنسان وكذلك الجانب الاجتماعي والثقافي.

4- اتفاقية الجوار الأورو متوسطي: عام 2000م تم توقيع اتفاقية بين إيطاليا وليبيا، موضوع الاتفاقية الهجرة غير الشرعية باعتبارها تخص الدولتين (ليبيا وإيطاليا)، وفي عام 2003 و2004 شملت الشراكة الليبية الإيطالية اتفاقية أعداد ضباط الشرطة الليبية وحرس الحدود الليبي وتدريبها وتمويل إيطالي لبرامج المهاجرين غير النظاميين إلى ليبيا وإعادة توطينهم، وهكذا يلاحظ من خلال الاتفاقيات والبروتوكولات مدى اهتمامها والتزامها بمكافحة الهجرة غير الشرعية بالتعاون مع دول الاتحاد الأوروبية ودول المغرب العربي المجاورة.

بالطبع دخول المهاجر من النيجر أو نيجيريا أو مالي مثلا ليبيا، أو إيطاليا أو فرنسا أو أي بلد آخر، لم يعطه حق الإقامة القانونية لأن كل دولة - رغم معرفة أن الهجرة من بلد إلى بلد حق لكل إنسان - لها قوانينها السيادية، لها حرية من تسمح له بدخول أراضيها ومن

ترفضه.

انعكاس الهجرة غير الشرعية على ليبيا:

لا يمكننا القول عن الهجرة غير الشرعية إلى ليبيا محطة أولى إلا الضرر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني، فقد عانت ليبيا من تدفق المهاجرين من الجنوب بسلوكياتهم المختلفة وأمراضهم المعدية وغير المعدية، هذه أدت إلى حالات من الفوضى الأمنية والخلل بالاستقرار، ولقد سبق أن حللنا أسباب الهجرة ودوافعها.

فعلى المستوى الاقتصادي شهدت الدولة فوضى في الأسعار وقوافل التهريب إلى الجنوب في السلع المدعومة، وأدى غياب قدرة الحكومة في إدارة البلاد وتنظيم الهجرة إلى تشكيل أزمة اقتصادية، ومن خلال البعد الاقتصادي يلاحظ الآتي: (سرور: 2918، 2018، 35).

1- انهيار الدينار الليبي الذي كان بدينار وربع عام 2011، ارتفع حتى وصل عشرة دينار في بعض الأحيان، مما أدى إلى أزمة سيولة نقدية متمثلة في ندرة العملة الأجنبية يرافقها غلاء في السلع الأساسية، وتراجع في المخزون الاستراتيجي للمواد الأساسية.

2- تدخل مؤسسات اقتصادية أجنبية في شأن الاقتصاد الليبي، في 2017 تجاوز إنتاج النفط 500 ألف برميل يوميا لأول مرة بعد ثلاث سنوات ليصل المعدل الإجمالي لإنتاج ليبيا من النفط الخام إلى 750 ألف برميل يوميا، وتراجع عام 2016 إلى 200 ألف برميل (الموسوعة الجزائرية: 2012، 17).

3- الهجرة غير الشرعية سبب في تراجع الاقتصاد الليبي حيث شكلت الهجرة أزمة خانقة في الاقتصاد الليبي أدت إلى تدهور قيمة العملة المحلية، والتراجع الحاد في إيرادات المواد الخام وأصبح الاقتصاد الليبي على حافة الانهيار مما دفع البنك المركزي للسحب من الاحتياطيات النفطية لتغطية فاتورة الواردات.

4- الصراع داخل ليبيا: لقد واجهت حقول النفط الليبية أضرارا فادحة في البنى التحتية الرئيسة خلال فترة الصراع داخل الأراضي الليبية الذي ما يزال مستمرا منذ أكثر من ست سنوات ، مما أدى إلى توقف الصادرات النفطية، وتذكر مصادر غربية أن سيطرة الميليشيات على مرافئ النفط الرئيسة لمدة ثلاث سنوات كلفت ليبيا أكثر من مائة مليار دولار خسارة (عبد اللطيف: 2020، 17).

5- ارتفاع معدلات التضخم وضياع النشاط التجاري: وذلك ما أدى إلى تدهور الحياة الاقتصادية في البلاد، وقد زاد تدفق قوافل الهجرة غير الشرعية التي ساهمت في ارتفاع معدلات التضخم والبطالة، زاد عن ذلك نشاط القطاع الزراعي الذي يساهم بنسبة 25% من احتياجات الليبيين وأصبحت تعتمد على الاستيراد من الخارج لتغطية الاحتياجات.

على المستوى السياسي:

- كانت هجرة الأفارقة والعرب بشكل أقل ما قبل 2011 ، عبر الجنوب الليبي إلى أوروبا، تحت السيطرة الأمنية الليبية، دخولهم الأراضي الليبية لم يكن عجزا من المنظومة الأمنية، بل إنه غاية في بعض الأحيان، لاستخدامها ورقة سياسية للضغط على أوروبا في وقتها المناسب، كانت إيطاليا تقدم ما يشترطه النظام فيما يتعلق بالهجرة، من برامج تدريب وتركيب منظومة معلومات في الجنوب، ودوريات مشتركة في البحر.

أما اليوم فقد شكلت الهجرة غير الشرعية مشاكل أمنية واجتماعية وسياسية، في ظل عدم الاستقرار، فإنه من أهم تداعيات الهجرة غير الشرعية على الواقع السياسي الليبي المعطيات التالية (اليازجي : 2013، 187).

1- اختراق السيادة الليبية: شكلت الهجرة غير الشرعية مشاكل اختراقات أمنية في ظل ضعف منظومة الأمن الليبي بعد 2011، تدخلات خارجية بحجة مكافحة الهجرة غير الشرعية سعيا إلى تدويل المشكلة وإخراج القرار السياسي من القرار الليبي، ويكون مشتركا من دول أخرى.

2- عدم الاستقرار: أمام الفرق المتتابة للهجرة غير الشرعية على الحدود الليبية، وأمام ضعف المنظومة الأمنية الليبية، فإن الفوضى ومشاكل القتل والاختطاف والسطو والاختراقات الأمنية الخارجية حصلت واضعفت السيادة الليبية، وليس من المبالغة القول إن الهجرة غير الشرعية تهدد بعض مؤسسات الدولة.

3- عدم القدرة الاستيعابية للمؤسسات الليبية للمهاجرين غير الشرعيين في إيوائهم وعلاجهم وإطعامهم، وعدم استيعاب الدولة لهذه المشكلة وعواقبها، فتح المجال أمام تدخل دول أجنبية ومنها إيطاليا لمشاركة الأمن الليبي في مراقبة الحدود من داخل ليبيا وهذا انقاص من السيادة الوطنية حتى ولو باتفاق أو موافقة ليبية.

على المستوى الامني:

لقد حملت جماعات الهجرة غير الشرعية بعض الأفكار التخريبية، وانتشرت عصابات التهريب للأموال والسلع، وكذلك انتشار الإشاعات السيئة، كما أن الدولة الليبية تعاني استهلاك الأدوية على حساب الشعب الليبي، وقد شهدت ليبيا الخلافات السياسية المحلية والدولية وانتشار الأسلحة، وجرائم الارهاب والاتجار بالبشر وتهريب السلاح من وإلى ليبيا، وظاهرة غسيل الأموال وجرائم الدعارة والتزوير، أيضاً انتشار ظاهرة التسول في شوارع المدن والقرى الليبية، وقد سبق أن ذكرنا الآثار السلبية على هذه الهجرة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وأمنيا.

الخاتمة: شهدت الهجرة في منطقة البحر المتوسط تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية سريعة، وأفرزت أشكالاً جديدة أكثر تركيباً وتعقيداً من المراحل السابقة، على النحو الذي أنتج وضعاً مختلفاً تمثل في أن عدداً متزايداً من البلدان المتوسطة تصنف اليوم ضمن خانة الدول المعنية بعولمة التنقلات البشرية، كما هو الحال بالنسبة لليبيا التي هي بلد عبور وأحياناً بلد إقامة للمهاجرين غير الشرعيين.

وفي الظروف والمستجدات الدولية الراهنة، والوقائع الجديدة للهجرة، يبدو أنه من الضروري إجراء وقفة ومراجعة شاملة لأفاق التدبير التعاوني للهجرة بين ليبيا وجيرانها، حيث يمكن أن يستند هذا التعاون على أسس واقعية وموضوعية وعلى أرضية صلبة لا تتغير بتغير الظروف في علاقاتها مع جيرانها، فإنه لم يعد مستساغاً أن تستمر ليبيا شرطياً تهتم بالمهاجرين، بل يجب في الاعتبار أن لليبيا رؤيتها الخاصة في علاقاتها مع جيرانها الجنوبيين، ويتعين على دول الجوار أن تلتزم موقفاً مسؤولاً، لكونها المعنية بنفس القدر بإشكالية الهجرة على المستوى الإقليمي، فالدول المصدرة للهجرة كما دول الاستقبال والعبور، مطالبة بتدبير حكيم للهجرة.

تصنف ظاهرة الهجرة غير الشرعية المرحلة الثالثة، في خطورتها بعد المتاجرة بالمخدرات والمتاجرة بالأسلحة، وبعد الحرب الباردة تفاقمت بسبب التطور التكنولوجي في ميدان الاتصال ووسائل النقل، ونظراً لتعدد المرور من المعابر الرئيسة للدول وصعوبة الحصول على تأشيرات الدخول ظهرت تنظيمات وعصابات إجرامية مختصة تعرف بشبكات

الهجرة السرية، ولأن الظاهرة أصبحت خطيرة لا بد من تبيان أسبابها ودوافعها، وكذلك أنواعها وانعكاساتها على بلدان المصدر والعبور والمستقبل وطرق مكافحتها.

النتائج:

- 1- أظهرت الدراسات أن دوافع الهجرة البحث عن لقمة العيش والأمان في البلدان المضيفة.
- 2- أوضحت التحليلات للدراسات عن الهجرة أن الجيل الثاني من المهاجرين ملتزم بقيم حقوق الإنسان والتعددية الغربية وحوار المعتقدات.
- 3- صراع ثقافي بين الجيل الأول والجيل الثاني من المهاجرين.
- 4- أغلب الأسر تعاني صعوبة السيطرة على سلوكيات الأبناء في غياب الأب في البلد الأصلي للمهاجر.
- 5- تبين أن ثقافة البلد المضيف تؤثر في المهاجر إليها بتخليه عن عاداته وتقاليده.
- 6- الجيل الأول (الآباء) أكثر تمسكاً من الجيل الثاني (الأبناء) بعادات وتقاليد البلد الأم، وأن تعلم لغة البلد المضيف يسهم في عملية التكيف.
- 7- بسبب التقنيات الحديثة وسرعة إيصال المعلومات وتطورها وسائل، فإنه في كل عام تزداد معدلات الهجرة العالمية.

التوصيات:

- 1- وضع برنامج لتوعية الأسرة لأبنائها بضرورة الالتزام بقيم وعادات الآباء والأجداد.
- 2- على دول مصدر الهجرة فتح مدارس في دول الاستقبال لتعليم أبنائها منهج بلادهم، وفتح منتديات لجالياتها يتم اللقاء بهم وفق برنامج زمني منظم.
- 3- إعادة النظر في تخطيط السياسات المحلية الداخلية في بلدان المصدر والأفريقية بالعمل على توفير فرص عمل وتحقيق الأمن وفتح مجالات توعوية وخدمية للشباب.
- 4- على دول الاستقبال النهائي مراعاة ثقافة أهل المصدر، وعليها مراعاة ثقافة وحضارة هؤلاء إذا هي فعلا مراعية لقيم وعادات الشعوب.

المقترحات:

- 1- إجراء دراسات ميدانية على المهجرين والتعرف على متطلباتهم والانتقال إلى بلدان المصدر، والتأكد من وجود مشاكل طارئة، واللقاء مع مسؤولي البلد بخصوص موضوع

الهجرة.

- 2- الدولة التي لها جاليات في أوروبا لكي تحافظ عليها من الضياع، ملزمة بأن تضع برامج أمنية وثقافية وتعليمية تتابع بشكل دوري من قبل الدولة.
- 3- على كل دولة مصدر أو عبور أو استقبال اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لأحكام الرقابة والسيطرة على الحدود ومناطق الخروج والدخول وذلك بالتنسيق بين الجهات ذات العلاقة داخليا وخارجيا، لكنها لا تطبقه على الآخرين، ولكن ستعرف يوما ما أنها كانت مخطئة.
- 4- تكثيف الدوريات المرئية وغير المرئية على الحدود وتزويدها بأحدث وسائل الاتصال والرؤية الليلية، ويشمل ذلك السواحل والمداخل البحرية.
- 5- تشديد الاجراءات القانونية والأمنية على كافة المنافذ البرية والبحرية بواسطة الأجهزة الأمنية المعنية والفنية المختصة.

المراجع:

- 1- أحمد بدر: الاتصال بالجمهير بين الإعلام والتنمية، القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008،
- 2- المبروك، المهدي : الهجرة والمتاجرة بالبشر والعبودية في بلداننا، الجديد العربي، يناير، القاهرة، 2012.
- 3- العربي، وهيبة : المنظمات الدولية غير الحكومية كفاعل جديد في تطوير القانون الدولي والعلاقات الدولية، مذكرة ماجستير في القانون الدولي والعلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم الادارية، بن عكنون، الجزائر، 2014،
- 4- بول كوليري ا، وديفيد دولار: العولمة والنمو والفقير، بناء اقتصادي عالمي شامل، تقرير البنك الدولي عن بحوث السياسات، ترجمة هشام عبد هلال، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المركز الرئيسي، 2553.
- 5- عبدالقادر، بطاهر : حقوق المهاجرين غير النظاميين في إطار التعاون الأورو متوسطي، مذكرة للحصول على شهادة ماجستير في القانون العام، جامعة وهران ، الجزائر، 2015،
- 6- عزة على شحاتة فرج: الاتجار بالبشر والهجرة غير الشرعية للشباب المصري، بحث

- منشور في المؤتمر العلمي الدولي الثالث والعشرين، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، المجلد العاشر، 2515
- 7- فايز، حتو: عد الأمني للهجرة غير الشرعية في إطار العلاقات الأورو مغاربية، بحث، مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الاستراتيجية والأمنية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، الجزائر، 2012.
- 8- فهمي، لبيب: البرلمان الأوروبي، مساعدة المهاجرين غير الشرعيين ليست جريمة، العربي الجديد، يوليو، بروكسل، 2018 .
- 9- ربيع عبد التواب دسوقي: جهود الجمعيات الأهلية في التوعية بمخاطر الهجرة غير الشرعية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان،، 2115، ص، 127.
- 10- الحمروني، ونيسة رجب: الهجرة غير الشرعية والعلاقات بين دول غربي المتوسط دراسة التجمع الإقليمي ،رسالة دكتوراه غير منشور ،جامعه القاهرة ،كلية الاقصادي والعلوم السياسية،
- 11- ابو نوة ،جمال دوابي، اشكالية الهجرة غير، دراسة تحليلية نقدية، في المفاهيم والأساليب والحلول، مجلة معارف، قسم العلوم القانونية، عدد 14، جامعة البويرة، ص، 21-22.
- 12- محمد ، غربي واخرون: الهجرة غير الشرعية في البحر المتوسط، دار الروافد الثقافية، 2014، الجزائر، ص.47.
- 13- نجاح، فوزي: الهجرة غير الشرعية، الآثار السلبية، طرق معالجتها، ورقة قدمت في المؤتمر السابع والثلاثين حول قضايا السكان والتنمية، القاهرة، 2008، ص، 117.
- 14- طلعت، السروجي: التنمية الاجتماعية من الحداثة إلى العولمة، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2014، ص، 34.
- 15- شعبان، حمدي: الهجرة غير المشروعة، مركز الإعلام الأمني، القاهرة، 2006، ص، 58.
- 16- الدوري، عدنان: اسباب الجريمة وطبيعة السلوك الاجرامي، مطبوعات جامعة الكويت،

- 1973، 49.
- 17-مرسي، عبد الفتاح تركي: الهجرة غير الشرعية(الاسباب والاثار)، بحث منشور بالمؤتمر العلمي التاسع، (كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم)، مصر، بلا تاريخ، ص، 47.
- 18-المصراطي، عبد الله احمد عبد الله: الهجرة غير الشرعية بالمجتمع الليبي، دراسة اجتماعية ميدانية على المهاجرين غير الشرعيين بمركز قنفودة، بنغازي، المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب، مجلد، ثلاثين، عدد 59، الرياض، 2014، ص، 19.
- 19-فيوليت، داغر: الهجرة: اشكاليات وتحديات، فرنسا أنموذجا، اللجنة العربية لحقوق الإنسان، باريس، 2008، ص، 17.
- 20-زيدي، نسيم: الانفلات الأمني في النظم العربية - (ليبيا أنموذجا) رسالة لنيل الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2015، ص، 18-21.
- 21- الطائي، عبد الحسين: المهاجرون في مجتمع متعدد الثقافات ، دراسة ميدانية حول الجالية العراقية ، دار الحكمة ، لندن ، الطبعة الأولى، 2013، ص، 75.
- 22مرسي، مصطفى عبد العزيز: قضايا المهاجرين العرب في أوروبا، مركز الامارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ابوظبي، طبعة أولى، 2010، ص، 35.
- 23-حسين، احمد قاسم: ليبيا معضلة الهجرة غير القانونية في مصفوفة تتبع غير اللجوء، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات المستقبلية، 2017، ص، 34-45.
- 24-رياض، محمد - عبد الرسول كوثر: افريقيا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص، 123.
- 25-فياض، هاشم : افريقيا دراسات في حركة الهجرة السكانية ، مركز البحوث والدراسات الافريقية، 1992، ص، 123.
- 26علوي، فيصل محمد، التهجير القسري واثاره الاجتماعية على الاسرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد ، كلية الآداب، 2007، ص، 160.
- 27-المبروك، المهدي: الهجرة والمتاجرة بالبشر والعبودية في بلدان المغرب العربي، دار

- الكتاب ، القاهرة، 2015، ص، 93.
- 28-سرور، احمد: استنزاف الموارد، مسارات الاقتصاد الليبي في ظل الصراع المحتدم، مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2018، ص، 35.
- 29-الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، سياسة الاتحاد الأوروبي في مواجهة الهجرة غير الشرعية، 2012، ص، 17. 123.
- 39- عبد اللطيف، احميدة علي: دراسة تمهيدية عن المجتمع في ليبيا ، الواقع والتحديات والافاق، الاسكوا ، والامم المتحدة، 2020، ص، 180-19.
- 40-اليازجي، مجدي: الانفلات الامني وانتشار السلاح وتعدد الكتاب، معهد الدراسات العربية، الامارات العربية، 2013، ص، 187

مقارنة التغيرات المناخية خلال الفترة (1970- 2010) في ليبيا باستخدام معامل الجفاف (ديمارتون)

د. ربيعة فرج سالم المرغني
كلية الآداب والعلوم، مسلاته - جامعة المرقب

الملخص:

تناولت الدراسات موضوع الجفاف إحدى العناوين البارزة في الجغرافية الطبيعية التي تختص بالتغير المناخي، وقد جاء البحث ليكمل سلسلة أخرى من هذه الدراسات في ليبيا التي ضمت ستة عشر محطة مناخية موزعة على عموم منطقة الدراسة خلال فترتين هما (1970-1980) و(2000-2010) واعتمدت بذلك على البيانات المناخية من المركز الوطني الليبي للأرصاد الجوية.

ناقش البحث أهم العناصر المناخية المؤثرة في قيم معامل الجفاف، وهما (درجات الحرارة وكمية الأمطار). إذ تبين أن درجة الحرارة تزداد في الألفية عنها عن فترة السبعينات في أغلب محطات البحث. كما وجد أن معدل كمية الأمطار يقل في الألفية عن فترة السبعينات، وهذا التباين في درجة الحرارة وكمية الأمطار هو السبب الرئيس في تغير قيم معامل الجفاف وخاصة في محطة طرابلس التي كانت ضمن النطاق شبة الرطب أصبحت ضمن النطاق شبة الجاف.

وبتطبيق معادلة (دي مارتون) لحساب معامل الجفاف وجد أن هناك تغير في معامل الجفاف في محطات الشمال فكانت محطة طرابلس أعلى تغير أصاب معامل الجفاف فيها، إذ تغير من شبه الرطب إلى شبه الجاف، سجلت قيم معامل الجفاف من (14) إلى (8) خلال الفترتين على التوالي، أما محطة درنة فقد تغير من شبه الجاف إلى شبه الرطب، أما باقي المحطات فقد انخفض معامل الجفاف حتى استقرت على حالة الجفاف خلال مدة البحث.

الكلمات الدالة: التغير المناخي، معامل الجفاف، درجة الحرارة، معدلات الامطار، التباين.

Abstract:

The studies dealt with the issue of abstinence as one of the infrastructures in geographical nature that is related to climate change, and it came to complete another series of these studies in Libya, which included sixteen climate stations distributed over the general study area during two periods: (1970-1980) and (2000- 2010) and clearly based on climate data from the Libyan National Center of Meteorology.

The research discussed the most important climatic elements affecting the values of the aridity coefficient, which are (temperature and amount of rain). It was found that the temperature increases in the millennium than in the seventies in most research stations. It was also found that the average amount of rain is less in the millennium than in the seventies, and this variation in temperature and amount of rain is the main reason for the change in the values of the drought coefficient, especially in the Tripoli station, which was within the semi-humid range, now within the semi-dry rang

By applying the De Marton equation to calculate the drought coefficient, it was found that there was a change in the drought coefficient in the northern stations. The Tripoli station had the highest change in the drought coefficient, as it changed from semi-humid to semi-dry. The drought coefficient values were recorded from (14) to (8).) during the two periods in a row, as for Derna station, it changed from semi-dry to semi-humid, while for the rest of the stations, the

drought coefficient decreased until it stabilized in a drought state during the research period.

Key words: Climate change/drought coefficient/temperature/rainfall rates/variability.

المقدمة:

الجفاف هو أحد أهم المخاطر الطبيعية في العديد من دول العالم، ويختلف تعريف الجفاف حسب نوع التخصص الذي يدرس فيه، ولا يعني الجفاف الفقر أو الشحة في الموارد الطبيعية الاقتصادية وإنما هو حسب تعريف المناخيين أمثال (كوبن) بأن الأقاليم الجافة هي التي يكون فيها التبخر الكامن يفوق كمية الأمطار الساقطة التي تتراوح بين (10-30) بوصة سنوياً بحيث لا تشهد أي فائض مائي.

إن الجفاف ظاهرة مناخية لها آثارها السلبية في الحياة البشرية والنباتية والحيوانية في أي جهة أو منطقة تتعرض لها، وكذلك أن تكون كمية الأمطار الساقطة غير كافية لإنتاج المحاصيل الزراعية بانتظام.

وعلى الرغم من أن الجفاف يؤثر على جميع المناطق الجغرافية إلا أن آثاره أكثر حدة في المناطق الجافة وشبه الجافة، حيث توجد بالفعل تقلبات طبيعية شديدة في نمط سقوط الأمطار (جاسم واخرون، 181، 2019، ص182)، وتشكل فيه ارتفاعاً واضحاً في درجات الحرارة وارتفاع نسبة التبخر وقلة كمية الأمطار الساقطة وتذبذبها عن معدلها العام من سنة لأخرى. وفي هذه الدراسة يتم دراسة العوامل المؤثرة في معامل الجفاف للمحطات المناخية المختارة، وهي (درجة الحرارة والأمطار) خلال مدة الدراسة. ويتم تقييم معامل الجفاف في ليبيا خلال الفترتين (1970-1980) و(2000-2010) باستخدام معادلة دي مارتون لفهم التغير المكاني والزمني للجفاف.

مشكلة البحث:

- 1- هل أن قيم معامل الجفاف تمر في حالة استقرار أم كان هناك تغيراً أثناء مدة الدراسة في المحطات المناخية المختارة في ليبيا ؟
- 2- هل يؤثر التباين المكاني على قيم معامل الجفاف للمحطات المناخية؟

فرضية البحث:

1- لقد تعرضت قيم معامل الجفاف لتغير واضح في فترتي السبعينات والألفية في المحطات المناخية.

2- إن التباين المكاني يلعب دوراً مهماً في التغير لقيم معامل الجفاف.

هدف البحث:

إن الهدف الرئيس من هذا البحث هو دراسة التغير في قيم معامل الجفاف في المحطات المناخية خلال الفترتين المختلفتين هي فترة السبعينات والألفية، ومعرفة أعلى وأدنى قيم معامل الجفاف، وإيجاد العلاقة بين أهم العناصر المناخية المؤثرة في التغير في قيم معامل الجفاف في ليبيا.

أهمية البحث:

يمكن استخدام فهم التغير المكاني والزمني للجفاف لوضع خطة فعالة لإدارة الجفاف للمناطق المتضررة من الجفاف في ليبيا. إن التغيرات المناخية أثرت على تباين قيم الجفاف إذ ظهرت آثارها على مدة البحث، وبالتالي أثرها على جوانب الحياة المختلفة. لذلك تكمن أهمية الدراسة في التعرف على التغير في قيم معامل الجفاف ومحاولة تقديم تفسير علمي لهذه العلاقة.

منهجية وأدوات البحث:

- **المنهج التحليلي:** تعد مرحلة تحليل البيانات مرحلة مهمة لهذه الدراسة؛ حيث تمثل خطوة مهمة، ليس فقط في التحليل؛ بل أيضاً في استنباط النتائج النهائية لأنها تُظهر الملامح الوصفية للبيانات.

- **الأسلوب الإحصائي:** وقد تم استخدامه في تحليل البيانات والإحصاءات الموثقة من جهات الاختصاص، وذلك باستخدام بعض الأساليب الكمية المستخدمة في الجغرافيا المناخية، اعتمد البحث على البيانات المناخية الشهرية للأمطار والحرارة للفترتين (1970-1980) و(2000-2010) من المركز الوطني للأرصاد الجوية طرابلس ل 16 محطة موزعة على ليبيا خريطة (1).

-الأسلوب الكارتوجرافي: يُعدّ هذا الأسلوب من الأساليب المهمة في الدراسات الجغرافية؛ حيث يتم على أساسه رسم الخرائط الجغرافية المختلفة، على برنامج GIS ، وتم استخراج معدل درجات الحرارة ومجموع كمية المطر في كل محطة، وتم توضيحها بجداول وأشكال بيانية باستخدام برنامج(Excel)، بغية إعطاء صورة أوضح عن قيم معامل الجفاف موضعاً ذلك بالأشكال البيانية.

وقد تم تطبيق معامل دي مارتون للجفاف لمحطات الدراسة والمعادلة هي: -

$$\text{Drought Index} = p / (T + 10)$$

وتعني الرموز:

$$P = \text{كمية المطر السنوي (ملم)}$$

$$T = \text{معدل درجة الحرارة السنوي (مئوي)}$$

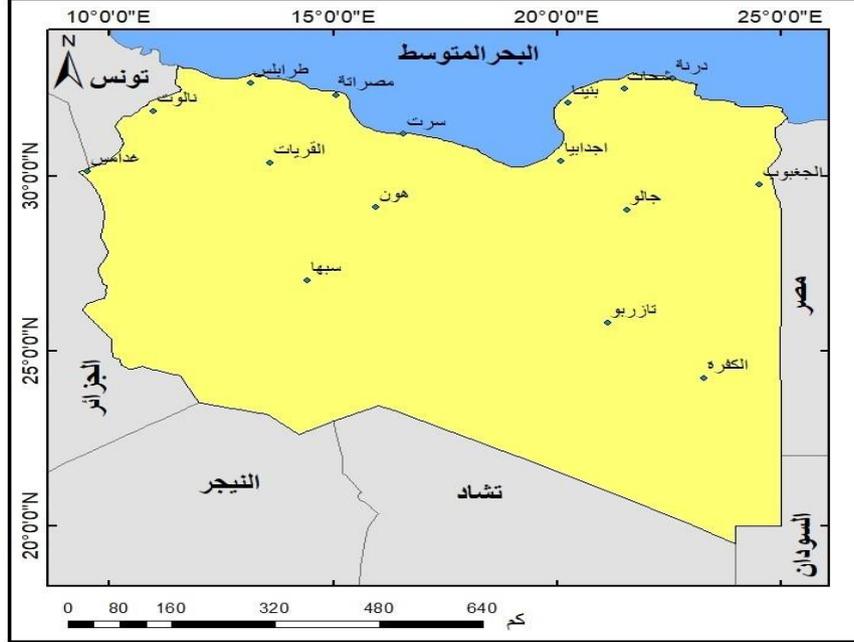
فاذا كانت نتيجة المعادلة (5.0) فما دون يعني مناخ جاف، وإذا كان بين (5.0-9.5) يعني مناخ شبه رطب، أما إذا كانت النتيجة بين (20-29.9) مناخ رطب وأكثر من 30 مناخ رطب جداً (سلامه، 2010، ص94)

حدود البحث: تتمثل حدود البحث في:

1-الحدود المكانية للبحث انظر الجدول (1) وخريطة (1).

2-الحدود الزمنية، شملت المدة بين (السبعينات والألفية).

خريطة (1) مواقع المحطات المناخية



المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على الخريطة الطبوغرافية، باستخدام برنامج Arc Map

جدول (1) المحطات المناخية لمنطقة الدراسة

المحطة	خط طول	دائرة عرض	الارتفاع عن مستوى سطح البحر (م)
طرابلس	13.15	32.66	81
مصراته	15.05	32.32	32
سرت	16.58	31.20	13
اجدايبا	20.10	30.43	7
بنينا	20.26	32.80	129
درنة	22.58	32.78	26
غدامس	9.50	30.13	357
القريات	13.58	30.38	
نالوت	10.98	31.86	621
هون	15.95	29.12	263
سبها	14.43	27.02	463

60	29.03	21.56	جالو
	25.80	21.13	تازربو
436	24.22	32.30	الكفرة
1-	29.75	24.53	الجغبوب
621	32.49	21.51	شحات

المصدر: المركز الوطني للأرصاد الجوية، إدارة المناخ، ليبيا، بيانات غير منشورة، 2022م

المحور الأول: - العوامل الطبيعية الثابتة المؤثرة في قيم معامل الجفاف في ليبيا: الموقع الفلكي:

تقع ليبيا بين خطي طول 40° 10' و 10° 25' شرقاً وبين دائرتي عرض 45° 18' و 56° 32' شمالاً، أي أنها تمتد على (15.7) خط طول، في حين أنها على امتداد (14.1) دائرة عرض، كما أن خط الساحل الشمالي للبلاد لا يتماشى مع درجة عرض واحدة، فبينما تمتد الأطراف الشمالية لساحل شبة جزيرة برقة إلى دائرة عرض 57° 32' فساحل خليج سرت يتوغل جنوباً إلى دائرة عرض 15° 30'؛ مما له أثر ملحوظ في اختلاف شدة وكمية الإشعاع الشمسي الواصل إلى سطح الأرض الليبية (الصواني، 2015، ص11) يتأثر مناخ ليبيا بمؤثرات متباينة من الظروف البحرية والقارية، وهذا أمر طبيعي بحكم موقعها بين كتلتين مختلفتين، وهما البحر المتوسط شمالاً، والصحراء جنوباً (أبوشينة، 2013، ص15).

وتقدر مساحة ليبيا 1660000 كيلومتر مربع شمال قارة أفريقيا؛ يحدها من الشمال الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، ومن الشرق جمهورية مصر والسودان، ومن الجنوب جمهورية تشاد والنيجر، أما غرباً فتحددها جمهورية الجزائر وتونس.

وترتب على هذه المساحة الشاسعة امتدادها في قارة أفريقيا نحو الجنوب لمسافة 1100 كيلومتر؛ وبناء على هذا الامتداد فإن القسم الأعظم منها يقع ضمن النطاق الصحراوي المداري الحار (ضوء وآخرون، 2006، ص26).

ويظهر تأثير الصحراء الكبرى إيجابياً في زيادة كمية الإشعاع الشمسي بسبب ندرة السحب والأمطار، وانخفاض الرطوبة النسبية، بينما التأثير السلبي في كمية الإشعاع

الشمسي من خلال التغميم، والعواصف الرملية والترابية التي يصاحبها زيادة في نسب المواد العالقة في الجو.

الموقع بالنسبة للمساحات المائية:

تبين من دراسة موقع ليبيا أنه يشرف ساحل طويل على البحر المتوسط يمتد من رأس اجدير غرباً إلى رأس الرملة شرقاً مسافة تزيد عن 1900 كيلومتر، وعليه فإن تأثيره كان محدداً على مناخها قياساً إلى مساحتها الواسعة؛ حيث لا يتعدى الجهات الساحلية من حيث العمل على خفض درجات الحرارة نسبياً في فصل الصيف وارتفاع الرطوبة النسبية وكمية التساقط خلال فصل الشتاء، في حين تكون الجهات الداخلية ذات مناخ متطرف يخضع في جملته للمؤثرات القارية، وقد انعكس هذا على سمات مناخها الحار الجاف صيفاً والبارد قليل الأمطار شتاءً نتيجة ما يصل إليه من مؤخرة أعاصير البحر المتوسط؛ بالإضافة إلى ذلك محدودية المؤثرات البحرية.

المحور الثاني - أهم العناصر المناخية المؤثرة في قيم معامل الجفاف:

1- الأمطار:

يعد عنصر المطر من العناصر الرئيسية في تحديد معامل الجفاف إذ تتميز أمطار ليبيا بمواصفات أمطار المناطق الجافة وشبه الجافة، إذ تتميز أمطارها بأنها سريعة في تساقطها فمثلاً يمكن أن تسقط نصف الكمية في يوم واحد ويتوزع نصف الكمية الآخر على ما تبقى من السنة.

تعاني منطقة الدراسة تذبذباً شديداً في سقوط الأمطار الساقطة فتشهد بعض السنوات تساقط كميات من الأمطار تزيد عن المعدل، وسنوات أخرى تقل عنه، ويزداد التذبذب في الأمطار بالاتجاه نحو الجنوب.

أما الميزة الأخرى لأمطار المناطق الجافة وشبه الجافة الأكثر أهمية هي يمكن أن تسقط معظم كمياتها السنوية خلال مدة ساعات أو يوم واحد أي أن كمية كبيرة من الامطار قد تسقط خلال مدة قصيرة جداً وتبقى المنطقة طول الموسم المطري بلا أمطار أو سقوط أمطار بكميات قليلة جداً وهذه الميزة لها أخطارها من حيث عدم الاعتماد عليها في النشاط

الاقتصادي كما أنها تكون فيضانات محلية وتجرف التربة؛ وهذا يؤثر على تغذية المياه الجوفية المحلية.

يتضح من الجدول (2) والشكل (2). أن معدل الأمطار في أغلب محطات منطقة الدراسة يقل في الألفية عن فترة السبعينات.

جدول (2) مقارنة التغير في معدل الأمطار بين (1980-1970) (2010-2000)

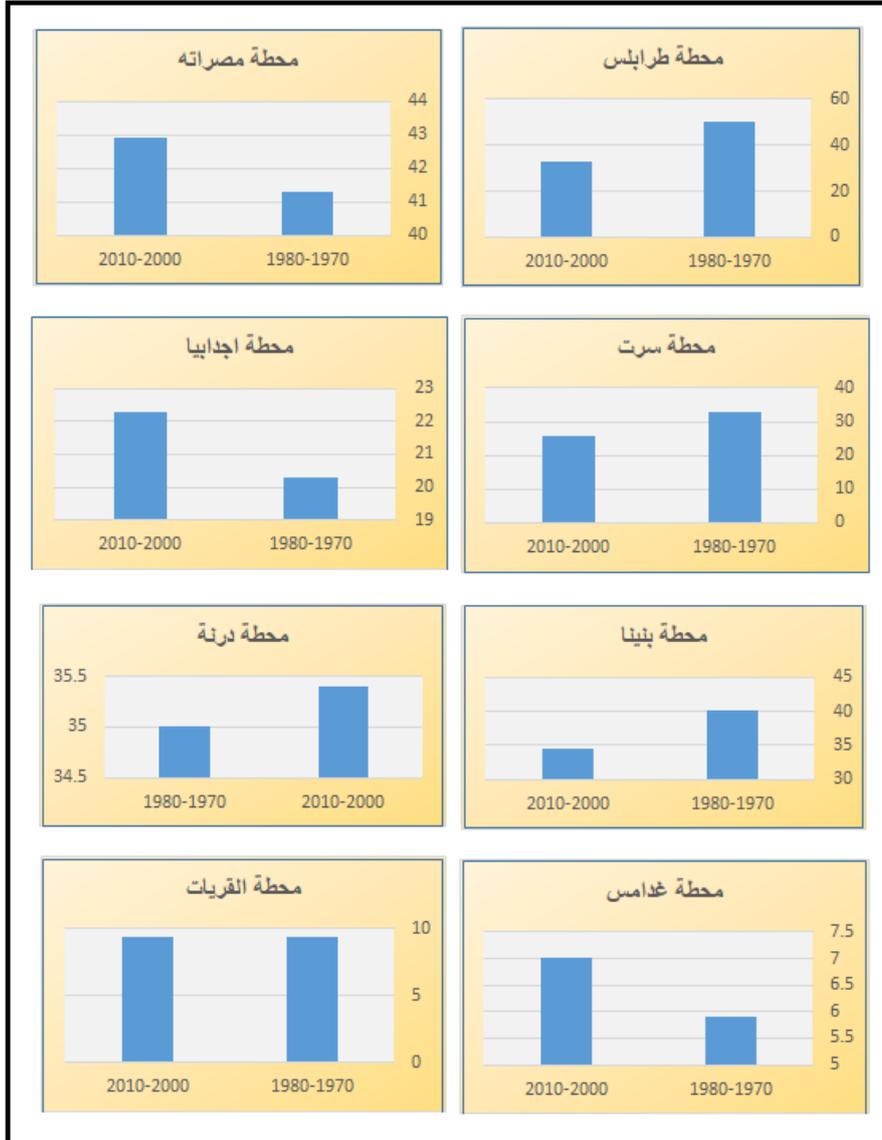
المحطات	المدة	مقارنة معدل الامطار بين المدتين	الفرق بينهما
طرابلس	1980-1970	50.5	18
	2010-2000	32.5	
مصراتة	1980-1970	41.3	1.6
	2010-2000	42.9	
سرت	1980-1970	32.8	6.9
	2010-2000	25.9	
اجدابيا	1980-1970	20.3	2
	2010-2000	22.3	
بنينا	1980-1970	40.2	5.7
	2010-2000	34.5	
درنة	1980-1970	35	0.4
	2010-2000	35.4	
غدامس	1980-1970	5.9	1.1
	2010-2000	7	
القريات	1980-1970	9.4	0
	2010-2000	9.4	
نالوت	1980-1970	28.2	9
	2010-2000	19.2	
هون	1980-1970	4	0.6
	2010-2000	3.4	
سبها	1980-1970	1.6	0.2
	2010-2000	1.4	
جالو	1980-1970	1.5	0.3



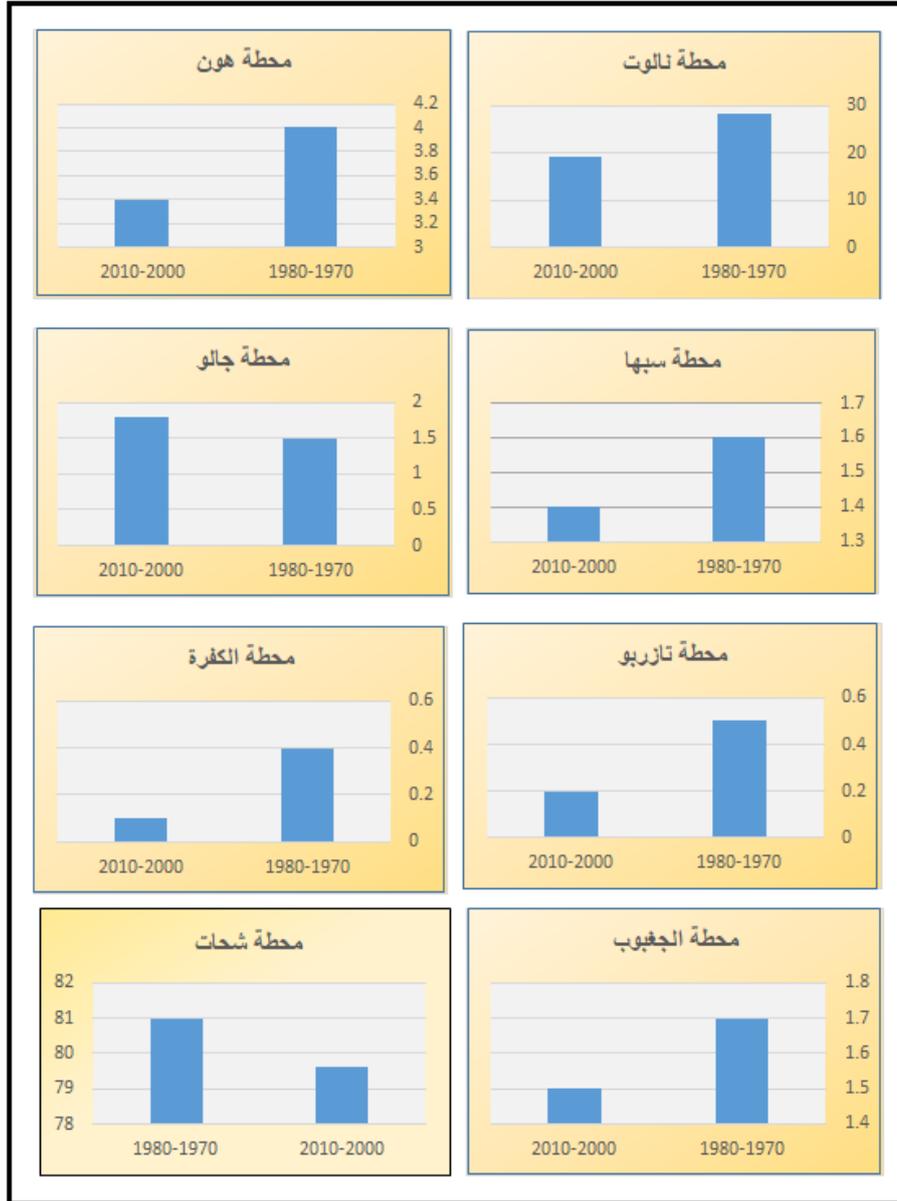
	1.8	2010-2000	
0.3	0.5	1980-1970	تازربو
	0.2	2010-2000	
0.3	0.4	1980-1970	الكفرة
	0.1	2010-2000	
0.2	1.7	1980-1970	الجغبوب
	1.5	2010-2000	
1.4	81	1980-1970	شحات
	79.6	2010-2000	

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات المركز الوطني الليبي للأرصاد الجوية، إدارة المناخ، بيانات غير منشورة، طرابلس، ليبيا

الشكل (2) مقارنة التغير في معدل الأمطار بين مدتي الدراسة



تابع الشكل (2)



المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على جدول (2)

2- درجة الحرارة:

تتميز منطقة الدراسة بالارتفاع في درجات الحرارة وخاصة في فصل الصيف بسبب تقدم الكتلة الهوائية القارية الحارة وكذلك بسبب حركة الشمس الظاهرية باتجاه مدار السرطان وكبر زاوية سقوط الإشعاع الشمسي ويتضح من الجدول (3) والشكل (3). أن درجة الحرارة تزداد في الألفية عنها في فترة السبعينات. إذ سجلت في محطتي طرابلس (34-36) م سبها (38.2-40.3) م، وهذه الزيادة في درجة الحرارة لم يكن وحده السبب في تغير قيم معامل الجفاف وإنما يعود إلى تغير في كميات الأمطار ومدة الإشعاع الشمسي والرياح وطبيعة السطح والغطاء النباتي.

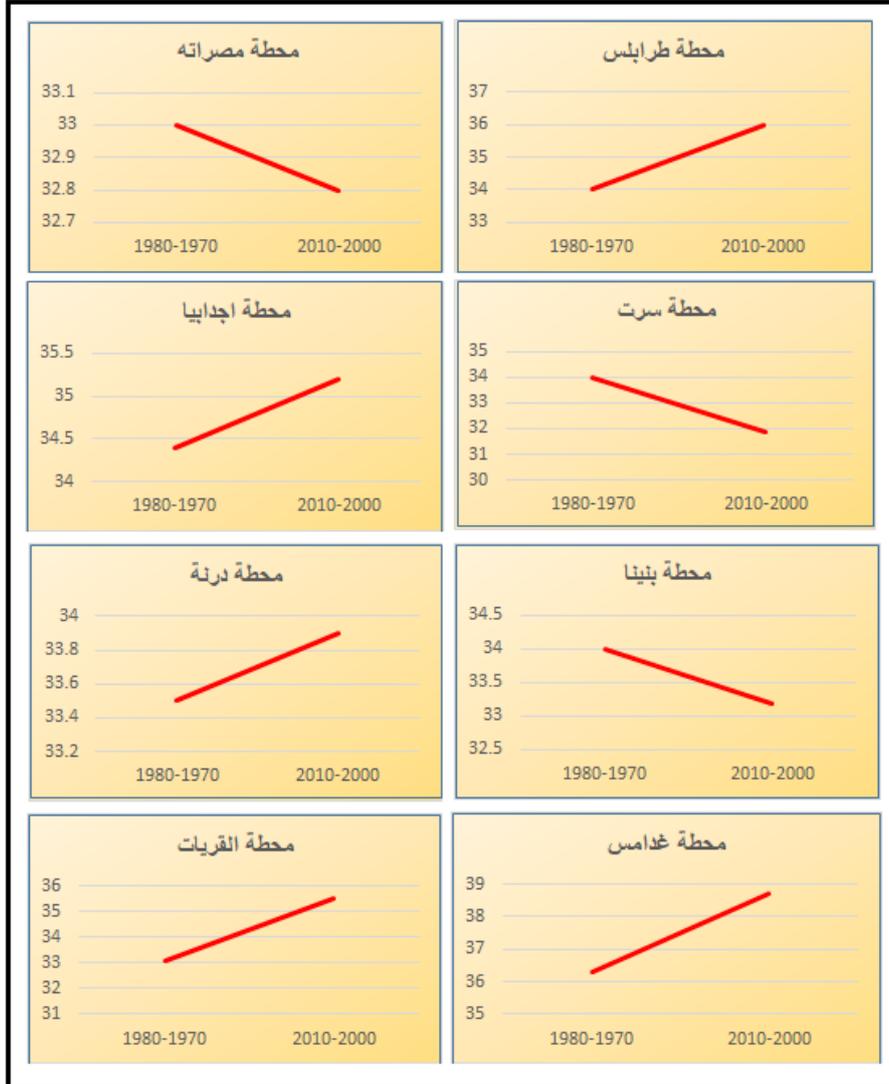
جدول (3) مقارنة التغير في معدل درجة الحرارة بين مدتي الدراسة

المحطات	المدة	مقارنة لمعدل درجة الحرارة بين المدتين	الفرق بينهما
طرابلس	1980-1970	34	2
	2010-2000	36	
مصراته	1980-1970	33	0.2
	2010-2000	32.8	
سرت	1980-1970	34	2.1
	2010-2000	31.9	
اجدابيا	1980-1970	34.4	0.8
	2010-2000	35.2	
بنينا	1980-1970	34	0.8
	2010-2000	33.2	
درنة	1980-1970	33.5	0.4
	2010-2000	33.9	
غدامس	1980-1970	36.3	2.4
	2010-2000	38.7	
القريات	1980-1970	33.1	2.4
	2010-2000	35.5	
نالوت	1980-1970	31.8	0.7
	2010-2000	31.1	
هون	1980-1970	35	1.2
	2010-2000	36.2	
سبها	1980-1970	38.2	2.1

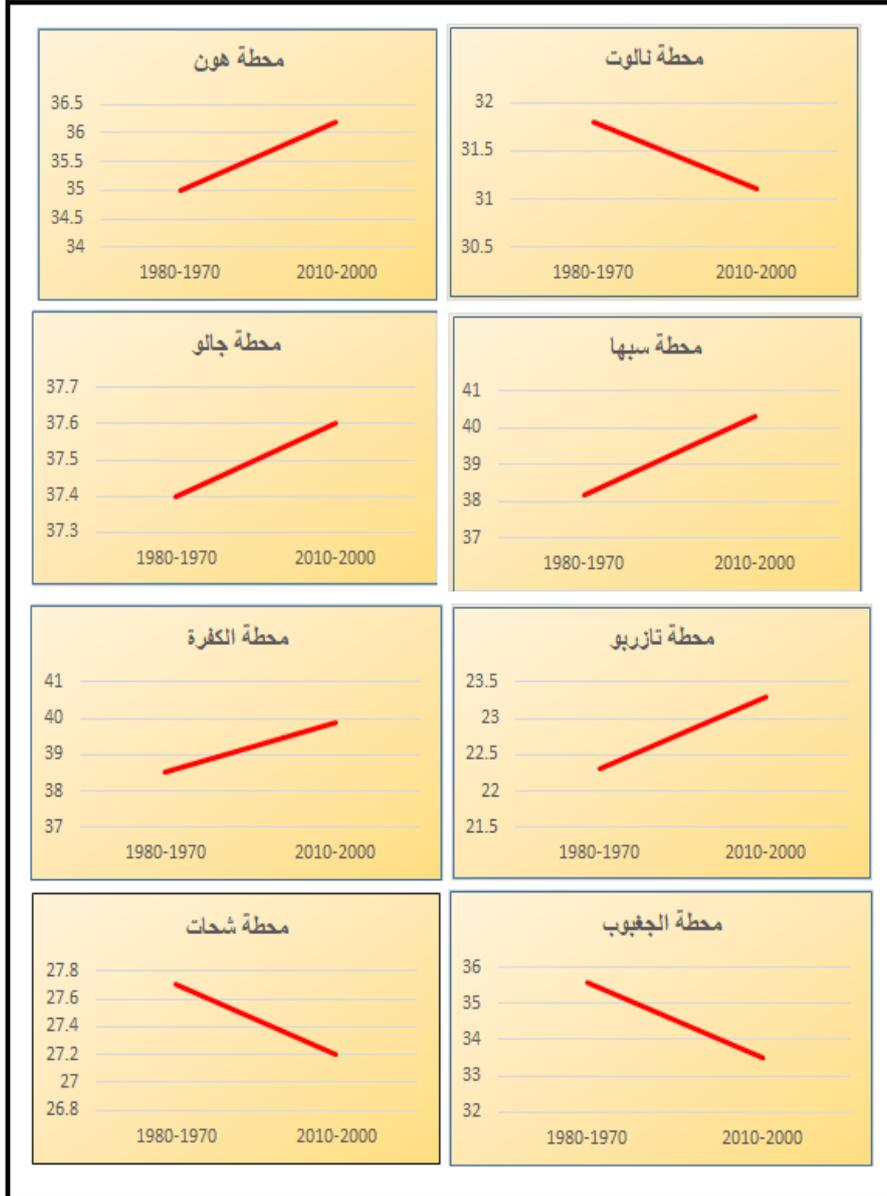
	40.3	2010-2000	
0.2	37.4	1980-1970	جالو
	37.6	2010-2000	
1	22.3	1980-1970	تازربو
	23.3	2010-2000	
1.4	38.5	1980-1970	الكفرة
	39.9	2010-2000	
2.1	35.6	1980-1970	الجغيبوب
	33.5	2010-2000	
0.5	27.7	1980-1970	شحات
	27.2	2010-2000	

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات المركز الوطني الليبي للأرصاد الجوية، إدارة المناخ، بيانات غير منشورة، طرابلس، ليبيا

الشكل (3) مقارنة التغير في معدل درجة الحرارة بين مدتي الدراسة



تابع الشكل (3)



المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على الجدول (3)

المحور الثالث - التغير في قيم معامل الجفاف:

يتضح من الجدول (4) والشكل (4) ما يأتي:-

1- محطة طرابلس:

إن معامل الجفاف تغير تغيراً واضحاً في محطة طرابلس؛ إذ بلغ معامل الجفاف في فترة السبعينات (14) أي يقع ضمن المناخ شبه الرطب تغير في فترة الألفية إلى (8) فأصبح ضمن المناخ شبه الجاف.

2- محطة مصراته:

أمّا معامل الجفاف في محطة مصراته لم يتغير فإن المحطة لازالت ضمن المناخ شبه الرطب في فترة السبعينات بلغ (11) وفي فترة الألفية بلغ (12)

3- محطة سرت:

معامل الجفاف في محطة سرت لم يتغير فإن المحطة لازالت ضمن المناخ شبه الجاف في فترة السبعينات بلغ (9) وفي فترة الألفية بلغ (7)

4- محطة إجدابيا :

معامل الجفاف في محطة إجدابيا لم يتغير فإن المحطة لازالت ضمن المناخ شبه الجاف في فترة السبعينات بلغ (5) وفي فترة الألفية بلغ (6)

5- محطة بنينا:

معامل الجفاف لهذه المحطة لم يتغير فإن المحطة لازالت ضمن المناخ شبه الرطب في فترة السبعينات بلغ (11) وفي فترة الألفية بلغ (10)

6- محطة درنة:

أمّا معامل الجفاف تغير تغيراً واضحاً في محطة درنة؛ إذ بلغ معامل الجفاف في فترة السبعينات (9) أي يقع ضمن المناخ شبه الجاف تغير في فترة الألفية إلى (10) فأصبح ضمن المناخ شبه الرطب.

7- محطة غدامس:

معامل الجفاف في محطة غدامس لم يتغير فإن المحطة لازالت ضمن المناخ الجاف لأن معامل الجفاف كان أقل من (5) في فترة السبعينات بلغ (1) وفي فترة الألفية بلغ (2).

8- محطة القريات:

معامل الجفاف في هذه المحطة لم يتغير فإن المحطة لازالت ضمن المناخ الجاف لأن معامل الجفاف كان أقل من (5) في فترة السبعينات بلغ (3) وفي فترة الألفية بلغ (2).

9- محطة نالوت:

معامل الجفاف في محطة نالوت لم يتغير فإن المحطة لازالت ضمن المناخ شبه الجاف في فترة السبعينات بلغ (8) وفي فترة الألفية بلغ (5).

10- محطة هون:

معامل الجفاف في محطة هون لم يتغير فإن المحطة لازالت ضمن المناخ الجاف لأن معامل الجفاف كان أقل من (5) في فترة السبعينات وفي فترة الألفية بلغ (1).

11- محطة شحات:

معامل الجفاف في محطة شحات لم يتغير فإن المحطة واقعة ضمن المناخ الرطب خلال الفترتين السبعينات والألفية بلغ (25).

أمّا معامل الجفاف في محطات سبها وجالو وتازربو والكفرة والجغبوب لم يتغير لأنها لازالت ضمن المناخ الجاف لفترة السبعينات وفي الفترة الألفية بلغ (0) وبهذا تقع ضمن المناخ الجاف.

جدول (4) متوسط معاملات الجفاف (DI) حسب معادلة دي مارتون للجفاف لمحطات

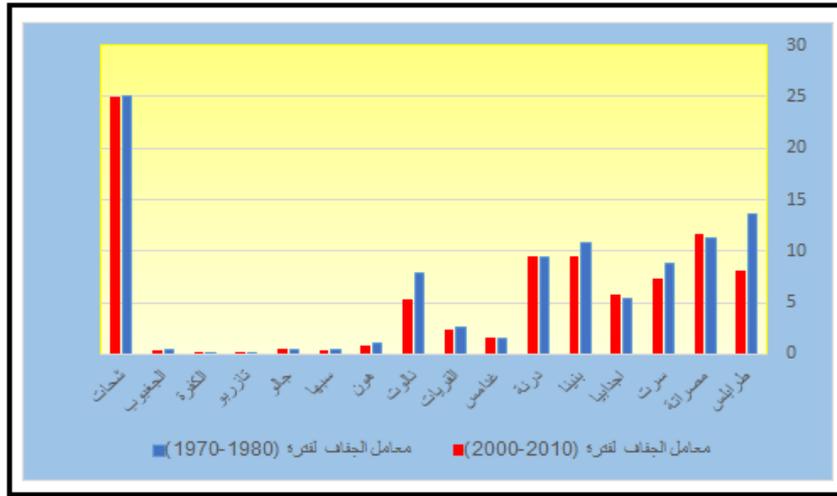
الدراسة لفترتي السبعينات والألفية

المحطات	معامل الجفاف لفترة السبعينات	معامل الجفاف لفترة الألفية
طرابلس	14	8
مصراة	11	12
سرت	9	7
اجدابيا	5	6
بنينا	11	10
درنة	9	10
غدامس	1	2
القريات	3	2
نالوت	8	5

1	1	هون
0	0	سيها
0	0	جالو
0	0	تازيرو
0	0	الكفرة
0	0	الجغوب
25	25	شحات

المصدر: من إعداد الباحثة اعتماداً على الجدولين (2)، (3)

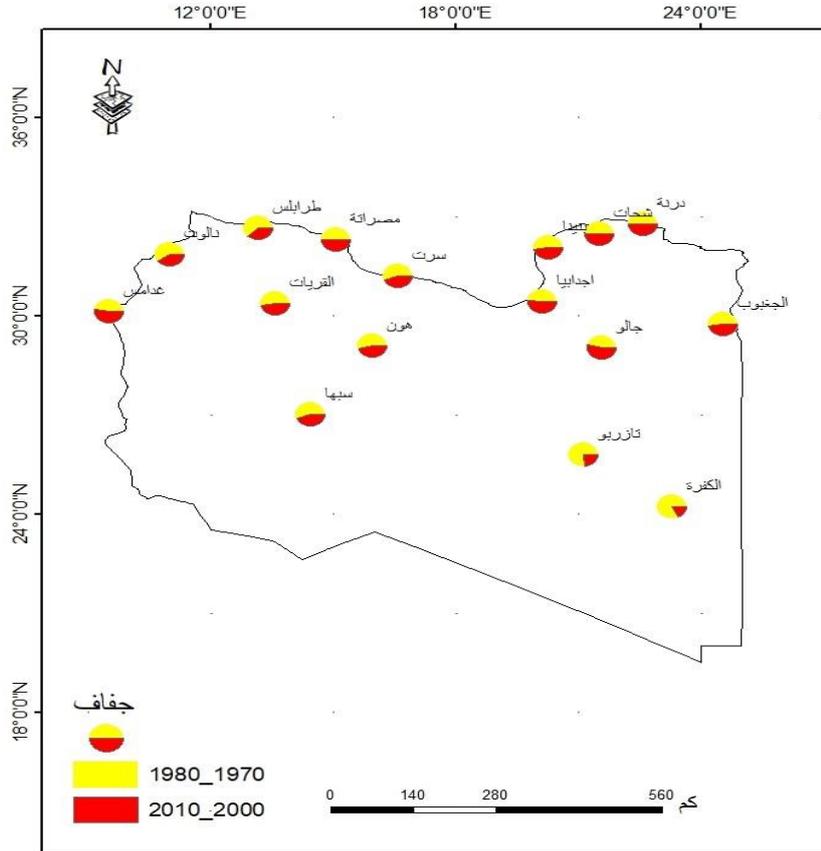
شكل (4) يوضح مقارنة بين متوسط معاملات الجفاف (1970-1980) و(2000-2010)



المصدر: من إعداد الباحثة اعتماداً على جدول (4)

نستنتج مما سبق أن متوسط معاملات الجفاف تغير تغيراً واضحاً في بعض المحطات الشمالية لمنطقة الدراسة فالمناطق التي كانت ضمن المناخ شبه الرطب في فترة السبعينات، يتضح أنه تغير وأصبح ضمن النطاق شبه الجاف كما في محطة طرابلس. والمناطق التي كانت ضمن المناخ شبه الجاف تغيرت لتقع ضمن النطاق شبه الرطب كما في محطة درنة، أما المحطات الوسطى والجنوبية فإنها لازالت ضمن النطاق الجاف ولم يحصل تغير في معامل الجفاف.

خريطة (2) مقارنة معامل الجفاف للمدة (1970-1980) و(2000-2010)



المصدر: من إعداد الباحثة اعتماداً على جدول (4) باستخدام برنامج Arc Map

النتائج والتوصيات:

- 1- أشارت النتائج إلى أن في فترة السبعينات كانت منطقة الدراسة أقل جفافاً في أغلب المحطات من فترة الألفية بسبب عوامل طبيعية تخص تغير المناخ في العالم بشكل عام.
- 2- أثر الموقع الفلكي لليبيا واقتصارها على تأثيرات البحر المتوسط خاصة في فصل الشتاء، هذا يعد من العوامل المهمة التي تسهم في سيادة الجفاف وقلة الأمطار وسيادة المناخ القاري الذي بدوره ينعكس على جفاف التربة وقلة الرطوبة فيها.

- 3- كشف المحور الإحصائي عن انخفاض في معامل الجفاف في المحطات المناخية الشمالية خاصة محطة طرابلس، إذ تحولت من المناخ شبه الرطب إلى شبه الجاف، في المدة المحصورة بين (1970-1980) و(2000-2010)، أما بقية المحطات في الأقسام الوسطى والجنوبية فهي في حالة جفاف مستمر ولنفس المدّة.
- 4- إن معدل الأمطار يقل في الألفية عن فترة السبعينات وأن درجة الحرارة تزداد في الألفية عنها عن فترة السبعينات في أغلب محطات منطقة الدراسة.
- 5- لازالت المحطات الوسطى والجنوبية تقع ضمن النطاق الجاف ولم يحصل تغير في معامل الجفاف وخاصة في محطات سبها وجالو وتازربو الكفرة والجغبوب، إذ لا يتعدى معامل الجفاف عن (0) خلال الفترتين السبعينات والألفية.

التوصيات:

- 1- تشجير المساحات الفارغة بالأشجار المعمرة وحماية الغطاء النباتي من الحرق والقطع عن طريق وضع قوانين تحد من قطع الأشجار وإقامة المحميات الطبيعية.
- 2- استثمار رؤوس الأموال لإنشاء المنتزهات التي من شأنها أن تزيد من الرقعة الزراعية وتحمي المنطقة من الجفاف.
- 3- توفير الخدمات الاجتماعية والرعاية الصحية للسكان وزيادة الوعي المستمر لمواجهة أخطار الجفاف والتغير المناخي وذلك بحماية الموارد الطبيعية والحفاظ على التربة والموارد المائية المتاحة.

المراجع:

- 1- نهله محمد جاسم، سندس محمد علوان، دراسة التغير في قيم معامل الجفاف بين فترتي السبعينات والألفية في العراق، مجلة الباحث، العدد الثاني والثلاثون، العراق، 2019.
- 2- حسن رمضان سلامه، الأقاليم الجافة منظور جغرافي- بيئي، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، دار المسرة، 2010.
- 3- سهيلة الطاهر جمعة الصواني، النفط وأثره على التنمية الاقتصادية في ليبيا دراسة في جغرافية الطاقة، كلية البنات، جامعة عين شمس، غير منشورة، 2015.



- 4- أنور عمر عبد السلام أبوشينة، سكان شعبية الجفارة في ليبيا (1954-2006) دراسة جغرافية، كلية الآداب جامعة القاهرة، غير منشورة، 2013.
- 5- محمد سالم ضوء، سعد جاسم محمد، دراسة في الجغرافية الطبيعية للأراضي الليبية وظواهرها الكبرى، دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الزاوية، 2006.

Histopathological and biochemical change evaluation of metronidazole-induced hepatotoxicity in male albino mice

Awatif S. Elgabaroni Nairuz Aboubaker Elsherif Walid Awgie

*Department of Medical Laboratories, College of Medical

Technology-Benghazi, Benghazi -Libya

Department of Pharmacology, Faculty of Medicine, Benghazi

University, Benghazi-Libya

Abstrac

The aim of this study was to assess the adverse effects of daily single injections of metronidazole (MTZ) at varying doses on liver functions and to investigate histopathological changes in the livers of male albino mice. The mice were divided into four groups, each group containing 6 animals. The first group received intraperitoneal (i.p) saline and served as the control, while the second, third, and fourth groups were administered MTZ at doses of 125 mg/kg, 250 mg/kg, and 500 mg/kg i.p. once a day for three consecutive weeks. Results demonstrated that the high doses of MTZ in groups 3 and 4 led to a significant increase in serum alanine aminotransferase (ALT), aspartate aminotransferase (AST), and alkaline phosphatase (ALP) values. Additionally, histopathological alterations were observed in the livers of mice in these groups. However, the MTZ dose of 125 mg/kg did not exhibit notable changes in these parameters. The study concludes that significant hepatic damage occurs with MTZ treatment at high doses, equivalent to 2 and 3 times the therapeutic dose in mice.

The findings from the current study suggest that Metronidazole (MTZ) at the standard therapeutic dose exhibits significantly low levels of hepatotoxicity. However, when the drug is administered at double and triple the normal dose, it leads to changes in biochemical parameters and histopathological alterations in the liver of male albino mice.

تقييم التغيرات النسيجية المرضية والكيميائية للسمية الكبدية المستحدثة بواسطة الميترونيدازول في ذكور الفئران البيضاء

*عواطف صالح الجبروني¹، نيروز أبوبكر الشريف وليد عوقي¹
قسم المختبرات الطبية، كلية التقنية الطبية- بنغازي، بنغازي ليبيا
قسم علم الصيدلة، كلية الطب، جامعة بنغازي، بنغازي ليبيا

المخلص:

الهدف من هذه الدراسة كان تقييم التأثيرات الضارة للحقن الفردية اليومية لميترونيدازول (MTZ) بجرعات متفاوتة على وظائف الكبد وفحص التغيرات النسيجية في كبد ذكور الفئران البيضاء. تم تقسيم الفئران إلى أربع مجموعات، حيث كانت كل مجموعة تحتوي على 6 حيوانات. تلقت المجموعة الأولى محلولاً ملحياً داخل البطن وكانت مجموعة الطبيعية، بينما تم إعطاء المجموعتين الثانية والثالثة والرابعة ميترونيدازول بجرعات تبلغ 125 ملغ/كغ، و250 ملغ/كغ، و500 ملغ/كغ على التوالي داخل البطن مرة واحدة يومياً لمدة ثلاثة أسابيع متتالية. أظهرت النتائج أن الجرعات العالية من MTZ في المجموعتين 3 و 4 أدت إلى زيادة كبيرة في قيم إنزيمات الكبد مثل (alanine aminotransferase (ALT)، aspartate aminotransferase (AST)، و alkaline phosphatase (ALP) في الدم. بالإضافة إلى ذلك، لوحظت تغييرات نسيجية في كبد الفئران في هذه المجموعتين. ومع ذلك، لم تظهر الجرعة البالغة 125 ملغ/كغ تغييرات ملحوظة في هذه المعايير. تلخصت الدراسة إلى أن الضرر الكبدي البارز يحدث مع علاج MTZ بجرعات عالية، والتي تعادل 2 و 3

مرات الجرعة العلاجية في الفئران.

يشير الاستنتاج من الدراسة الحالية إلى أن ميترونيدازول (MTZ) بالجرعة العلاجية القياسية تظهر مستويات منخفضة للغاية من سمية الكبد. ومع ذلك، عند إعطاء الدواء بجرعات متتالية من الجرعة العادية، يؤدي ذلك إلى تغييرات في المعايير الكيميائية وأيضاً من الممكن أن تسبب تغييرات نسيجية في الكبد لدى ذكور الفئران البيضاء.

INTRODUCTION:

Metronidazole (MTZ) is a synthetic medication widely recognized as the preferred treatment for infections caused by various protozoa, including amoebiasis, giardiasis, and trichomoniasis. This drug is specifically recommended for the treatment of intestinal and hepatic amoebiasis, as well as certain forms of urethritis and vaginitis resulting from *Trichomonas vaginalis*, and infections caused by anaerobic bacteria. (1&4). Metronidazole (MTZ) does not impact facultative aerobic bacteria, ensuring that its usage does not disturb the normal population of these organisms in the human body. The drug is swiftly and thoroughly absorbed from the gastrointestinal tract. Maximum concentrations in the bloodstream are typically reached a few hours post-administration. Metronidazole undergoes metabolism in the liver and is primarily excreted through the kidneys in urine, with a smaller amount eliminated through the intestinal wall in feces (6). The medication crosses the placenta and is present in breast milk at concentrations equivalent to those in the mother's bloodstream. It attains therapeutic levels in bones, abscesses, and the central nervous system (CNS). The drug easily traverses the placental barrier, entering the fetal circulation (9). Adverse effects of Metronidazole (MTZ) have been documented in both humans (as reported in references 2 and 11) and in various veterinary species, including rats (7).

In veterinary medicine, both treated cases and experimental studies

have reported common side

effects following the oral administration of Metronidazole (MTZ), which include lethargy,

anorexia, vomiting, and diarrhea. Limited reports are available regarding the hepatotoxicity (as mentioned in references 8 and 10) of Metronidazole derivatives. While (MTZ) is generally deemed safe and extensively utilized in both human and veterinary settings, it is essential to elucidate potential biological risks associated with its use. Furthermore, there is a scarcity of histopathological studies on (MTZ) toxicosis. Additionally Metronidazole (MTZ) is a widely used 5-nitroimidazole drug in both veterinary and human medicine, addressing conditions such as trichomoniasis, giardiasis, amebiasis, and anaerobic bacterial infections (14). Alongside its recognized anti-protozoal and bactericidal effects, MTZ is believed to exert immunomodulatory impacts and finds common use in managing inflammatory bowel disease (IBD) in dogs and cats (15,16). Rapid absorption through the gastrointestinal tract results in peak concentrations of MTZ in both serum and tissues. The drug undergoes hepatic metabolism and is primarily excreted through the kidneys in urine, with a minor portion eliminated through the intestinal wall in the animals' feces (17). It's crucial to acknowledge that MTZ, despite its therapeutic benefits, is not devoid of toxicity and has demonstrated a rapid ability to cross the blood-brain barrier (18). In dermatology, Metronidazole serves as a treatment for conditions like Rosacea and is commercially available under the trade names Rozex and Metrogel by

Galderna (19). Accessibility over the counter (OTC) in pharmacies and occasionally in the open market in Nigeria is observed. In the US, Pfizer markets it as Flagyl, while Sanofi-Aventis employs the same tradename Flagyl for international distribution (20). When orally administered, Metronidazole is selectively absorbed by anaerobic bacteria and sensitive protozoa. Following absorption by anaerobes, it undergoes nonenzymatic reduction through interaction with reduced ferredoxin, a product of pyruvate oxidoreductase (21). Consequently, the objective of this current study is to examine the side effects and histopathological alterations resulting from the administration of (MTZ) in male albino mice.

Materials and methods

Drugs and Chemicals

Metronidazole, obtained from ROTEXMEDICA in a 500mg/100ml formulation from Germany, was used for the study. A stock solution was prepared using distilled water, and subsequent dilutions were adjusted based on the recorded body weights of the animals. Liver and renal function tests were conducted at Al-Saleem Laboratory in Benghazi.

Samples:

The study involved 24 adult male albino mice, each weighing between 20-25 grams. These mice were accommodated in the standard laboratory facilities within the animal house of the Pharmacology Department at the University of Benghazi. The mice were placed in

plastic cages, maintained at a controlled temperature of $24\pm 2^{\circ}\text{C}$, and subjected to a 12:12-hour light/dark cycle.

They had unrestricted access to a standard rat diet and tap water. The mice were allowed a 2-week acclimatization period in these conditions before the initiation of the study. All experiments were conducted between 9:00 a.m. and 2:00 p.m.

Experimental design

The animals were randomly assigned to four groups, each consisting of six mice. They were treated intraperitoneally (i.p) daily for 21 consecutive days as follows:

Group 1 (Control): Mice in this group were administered 1 ml/kg of normal saline intraperitoneally once daily.

Group 2: Animals in this group received metronidazole at a dose of 125 mg/kg, i.p.

Group 3: Animals in this group were treated with metronidazole at a dose of 250 mg/kg, i.p.

Group 4: Animals in this group received metronidazole at a dose of 500 mg/kg, i.p.

Determination of biochemical parameters

At the end of the experiment, the overnight fasted animals (the control and experimental animals) were sacrificed by cervical dislocation followed by decapitation, The blood samples obtained were collected into plain sample tubes and centrifuged at 10000

rev/min for 2 minutes to separate serum. Serum was preserved in eppendorf tubes and sent to Al-Saleem medical laboratory for the assessment of serum alanine aminotrasferase (ALT), aspartate aminotransferase (AST), alkaline phosphates (ALP), using Roche diagnostic kits (USA). The absorbance of the reaction was determined at 690 nm by COBAS INTEGRA 400 PLUS.

Histopathological studies

After the animals were sacrificed, postmortem examination was performed and the mouse livers were identified and carefully dissected out en bloc for histopathological examination. After rinsing the dissected liver in normal saline, sections were taken from each organ. The tissue was fixed in 10% neutral-buffered formalin, dehydrated in gradual ethanol (50-100%), washed well in running tap water, dehydrated, cleaned in xylene and embedded in paraffin. Liver and kidney sections were cut into 4-5 μ m thickness and then stained with haematoxylin and eosin dye for photo microscopic observations.

Statistical analysis

Data obtained from the findings of the above experiments have been expressed as mean \pm Standard error (mean \pm SEM). Statistical analysis was done by Graph Pad Prism (version 6.01) for Windows using one way analysis of variance (ANOVA) followed by Tukey's multiple comparisons test to find whether or not scores of different groups differ significantly. The differences between groups were considered highly significant at $P < 0.001$, moderately

significant at $P < 0.01$ and significant at $P < 0.05$.

Results and Discussion

Serum biochemical analysis

This study was conducted to assess the adverse effect of MTZ toxicosis after prolonged use on laboratory male albino mice based on histopathologic and biochemical alterations for period of 21 days as a measure of chronic toxicity,(Table 1) showed that group 2 treated mice exhibited non significant alterations in serum AST, ALT and ALP levels compared to the control group. Conversely, there were marked increase in serum ALT, AST and ALP levels of group 3 treated mice ($P < 0.05$) ($P < 0.01$) and ($P < 0.05$) respectively, and group 4 treated mice ($P < 0.001$) ($P < 0.001$) and ($P < 0.001$) respectively.

Table 1: Effects of intraperitoneal administration of different doses of metronidazol on serum liver functions.

Parameter	Control	Metronidazol 125mg/kg	Metronidazol 250mg/kg	Metronidazol 500mg/kg
ALT(U/L)	34.16±1.85	38±0.91	41.5±1.34*	54.66±1.91***
AST(U/L)	141.16±2.47	148.16±1.7	160.33±2.5**	197.66±3.01***
ALP(U/L)	127.16±2.11	133.66±2.45	145.83±1.54*	193.5±2.5***

Values are expressed as mean±SEM.

***** represent significant decrease at $P < 0.05$, $P < 0.01$, $P < 0.001$, respectively, when compared to control group

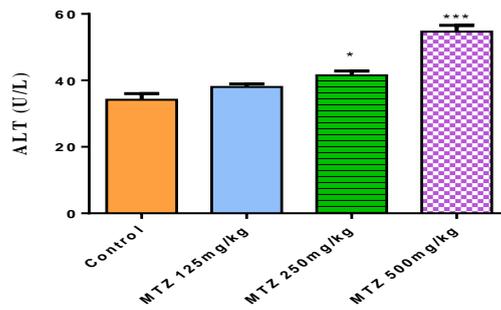


Figure 1: Showed the effect of metronidazole on the liver ALT level. Values are expressed as mean±SEM. *** (P<0.001) and * (P<0.05) denotes significant difference vs. control values.

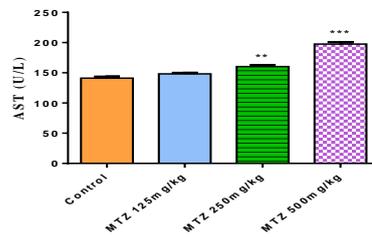


Figure 2: Showed the effect of metronidazole on the liver AST level. Values are expressed as mean±SEM. *** (P<0.001) and ** (P<0.01) denotes significant difference vs. control values.

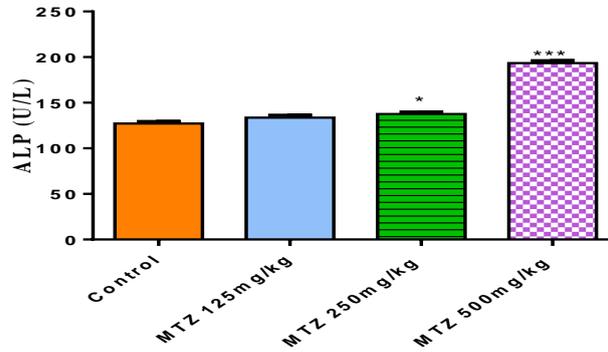


Figure 3: Showed the effect of metronidazole on the liver ALP level. Values are expressed as mean±SEM. *** (P<0.001) and * (P<0.05) denotes significant difference vs. control values.

Histopathological evaluation of Effects of metronidazole on liver:

Liver of the control group revealed normal arrangement of hepatocytes in the form of anastomosing plates of one to two cell thickness. These plates are separated by blood sinusoids (**Figure 4**). However, Liver of group 2 mice demonstrate cytoplasmic vacuoles (hydropic degeneration) (**figure 5**). In Group 3 there is hydropic degeneration and focal). inflammatory reaction (**figure 6**).on the other hand, liver of group 4 mice showed irregular area of abnormal hepatocytes with condensed pyknotic nuclei and hepatocyte necrosis (**figure 7**).

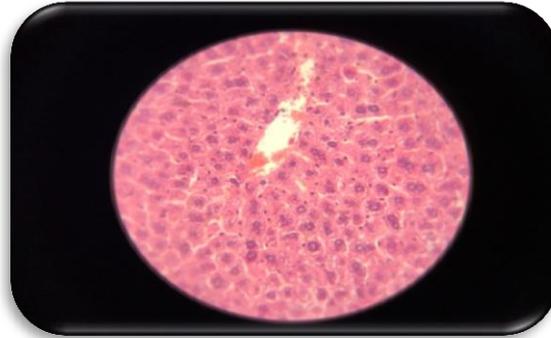


Figure 4: Histological section of liver of a control mouse stained by HE with normal structure

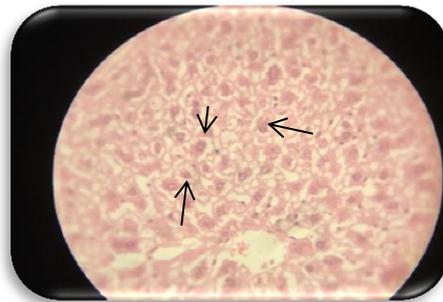


Figure 5: Photomicrograph of mice liver treated with 125 mg/kg metronidazole: hydropic degeneration of the hepatocytes (arrows).

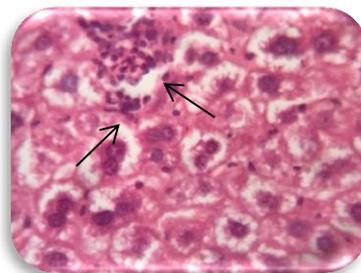


Figure 6: Photomicrograph of mice liver received 250 mg/kg metronidazole: showing hydropic degeneration of the hepatocytes inflammatory cells aggregates (Arrows).

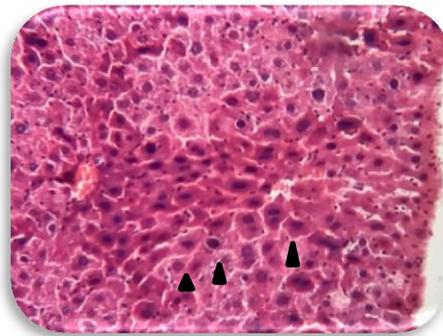


Figure 7: Histological section of mice treated with 500 mg/kg metronidazole: showing hepatocytic necrosis (head arrows).

The results of this study revealed the hepatotoxic effect of the high dose of MTZ treatment as there was significant elevation of the hepatic. The current study showed marked hepatotoxic effect of the high dose of MTZ (250 mg/kg and 500mg/kg) treatment as there was a significant elevation of hepatic enzymes (ALT, AST and APT). These findings were compatible with the histopathological results especially with group 4. Such observation is in accordance with the data reported by several studies when the albino rats were treated with MTZ (1,2,3).

The hepatotoxic effect of MTZ as reported could be due to its metabolites that may bind to RNA instead of DNA, possibly inhibiting

RNA protein synthesis.(4) on the face of this observation, Further possible mechanism may involve the mutagenic potential of this drug, which is related with the reduction of the metronidazole nitro group and the formation of reactive oxygen species.(5) literature reports indicate that reactive oxygen species generated during the use of antibiotics play a key role in their bactericidal activity, although they also indicate a mutagenic effect not only in relation to bacterial cells.(6,7) They have been reported that severe liver dysfunction due to cirrhosis would facilitate the occurrence of the side effects because MTZ is mainly metabolized by the liver (12). Noted (13) that MTZ-induced encephalopathy developed in patients with liver cirrhosis.

In Conclusion, The results of the present study concluded that MTZ at normal therapeutic dose has considerably low levels of hepatotoxicity. However, the administration of the drug at double and triple the normal dose for 21 days causes alterations in biochemical parameters and histopathological changes in liver of male albino mice.

Conclusion:

The study concludes that significant hepatic damage occurs with MTZ treatment at high doses, equivalent to 2 and 3 times the therapeutic dose in mice. At the standard therapeutic dose, MTZ exhibited significantly low levels of hepatotoxicity. Administration of double and triple the normal dose of MTZ resulted in changes in biochemical parameters and histopathological alterations in the liver of male albino mice. In summary, the research indicates a dose-dependent relationship between metronidazole administration and

hepatic damage in mice, emphasizing the importance of appropriate dosing to minimize adverse effects on liver function.

References:

- 1- Reynolds, A. V., J.M.T. Hamilton-Miller and W. Brumfill, 1975. A comparison of the in vitro activity of metronidazole, tinidazole and nimorazole against Gram-negative anaerobic bacilli. *Journal of Clinical Pathology*, 28:775-778.
- 2-Alvarez, R.S., Richardson, D.A., Bent, D.A. and Ostergard. D.R.(1983). Central nervous system toxicity related to prolonged metronidazole therapy. *Am. J. ObstetGynecol.* 145:640-641.
- 3-Bergan, T., 1985. Antibacterial activity and pharmacokinetics of nitroimidazole. A review. *Scandinavian Journal of Infectious Diseases*, 46:64-71.
- 4-Frey, H.H. and W. Loscher, 1996. *Lehrbuch der Pharmakologie und Toxikologie fur die Veterinar-medizin.* Enke, Stuttgart., pp:502-503.
- 5-Finch, R.G. and I.S. Snyder, 1986. Antiprotozoan drugs. In: *Modern pharmacology.* Eds: C.R. Craige and R.E. Stizel. Little, Brown Co. Boston, pp:729-740.
- 6-Gupta, A.K., M.P. Agrwal, R. Avasthi, D.P. Bhadoria and N. Rohatgi, 2003. Meteronidazole-induced neurotoxicity. *Journal of the Association of Physicians of India*, 51: 617-618.

- 7-Rogulja, P.V., W. Kovac and H. Schmid, 1973. Meteronidazole-Encephalopathie der Ratte. Acta Neuropathologica (Berlin), 25:35-45.
- 8-Tabak, F., R. Ozaras, Y. Erzin, A.F. Celik, G. Ozbay and H. Senturk, 2003. Ornidazole-induced liver damage: Report of three cases and review of the literature. Liver international, 23: 351-418.
- 9-Dowling, P.M. Antimicrobial therapy. In: Bertone, J.J. and Horspool, L.J. (2005). Equine clinical pharmacology. 2end ed., Saunders, China.pp:49.
- 10-Ahmed, A., M. Chaudhary, A. Soni, A. Payasi and V.K. Dwivedi, 2010. Comparative toxicity profile study of mebatic vs. Ofloxacin, ornidazole and meteronidazole drugs in rat model. Asian Journal of Biochemistry, pp:1-11.
- 11-Tan, C.H., Chen,Y.F., Chen, C.C.,Chao, C.C., Liou, H.H. and Hsieh, S.T. (2011). Paniful neuropathy due to skin denervation after meteronidazole- induced neurotoxicity. J. Neural NeurosurgPsychiatry. 82:462-466.
- 12-Cheong, H.C., T.G. Jeong, Y.B. Cho, B.J. Yang T.H. Kim, H.C. Kim and E.Y. Cho, 2011., Metronidazole-induced encephalopathy in a patient with liver cirrhosis. Korean Journal of Hepatology, 17: 157-160.
- 13-Yamamoto, T., K. Abe, H. Anjiki, T. Ishii andY. Kuyama, 2012. Metronidazole-InducedNeurotoxicity Developed in Liver

Cirrhosis Journal of Clin. Medical Research, 4: 295-298.

14- Bergan T (1985) Antibacterial activity and pharmacokinetics of nitroimidazole. A

review. Scand J Infect Dis Suppl 46: 64-71.

15- Groman R (2000) Metronidazole. Compend Cont Educ 22: 1104-1107.

16- Plumb DC (2002) Veterinary drug handbook. (4th edn), Iowa State University Press,

United States.

17- Finch RG, Snyder IS (1986) Antiprotozoan drugs. In: Modern pharmacology. (2nd edn),

Little, Brown Co, United States.

18- Gupta AK, Agarwal MP, Avasthi R, Bhadoria DP, Rohatgi N (2003) Metronidazole-induced neurotoxicity. J Assoc Physicians India 51: 617-618.

19 Oda S (2012) Histopathological and biochemical alterations of metronidazole-induced

toxicity in male rats. Glob Vet 9: 303-310.

20- Ahmad A, Chaudhary M, Soni A, Payasi A, Dwivedi VK (2010) Comparative toxicity

profile study of mebetic vs. ofloxacin, ornidazole and metronidazole drugs in rat model.

Asian J Biochem 5:78-88.

21- Chukwu VO, Akudike CJ, Ezejindu DN, Augustine IC (2015) The protective effects



of turmeric on liver enzymes of metronidazole treated adult male
Wistar rats. IJASR
1: 255-258

**Development of speaking skills through task-based
language teaching to Libyan students: A case study of
Mosab Ben Omer Secondary School (Assaba area)**

تطوير مهارة التحدث من خلال تدريس اللغة القائم على المهمة للطلاب الليبيين

دراسة حالة لثانوية مصعب بن عمر بمنطقة الاصابة

أ.وليد الضاوي المشرقي

أ.امحمد مسعود العزومي

كلية الاداب الاصابة، جامعة غريان

Abstract:

Speaking skills are crucial for effective communication in a foreign language, presenting a challenge for English as a Foreign Language (EFL) learners. This study explores the impact of task-based language teaching (TBLT) on the development of speaking skills among Libyan students at Mosab Ben Omer Secondary School in the Assaba area. The study aims to investigate how TBLT influences students' speaking abilities and examines their perceptions of TBLT in the classroom. Thirty selected female students and one female teacher participated in the study. Data collection methods included classroom observations and a teacher interview. The findings indicate that the use of TBLT has a positive effect on students' speaking skills. Classroom observations revealed significant differences in students' responses, highlighting factors that positively influenced their speaking abilities. The teacher's interview revealed a lack of knowledge about TBLT and reliance on the Grammar Translation Method, resulting in limited active learning. The teacher played an authoritative role in the learning process, relying on L1 translation.

Keywords: Task-Based Language Teaching (TBLT), Speaking Skills, Communication, Libyan Students

الملخص:

تعتبر مهارة التحدث أمرًا حاسمًا للتواصل الفعال في اللغة الأجنبية، وهو أمر يشكل تحديًا بالنسبة لمتعلمي اللغة الإنجليزية لغةً أجنبيةً. تستكشف هذه الدراسة تأثير طريقة التدريس القائمة على المهمة في تطوير مهارة التحدث لدى الطلاب الليبيين في ثانوية مصعب بن عمر في منطقة الأصابعة. تهدف الدراسة إلى استكشاف كيفية تأثير طريقة التدريس القائمة على المهمة على قدرات التحدث للطلاب واستكشاف إدراكهم لهذه الطريقة في الفصل الدراسي. شارك في الدراسة ثلاثون طالبة ومعلمة واحدة. تضمنت جمع البيانات الملاحظات في الفصل الدراسي ومقابلة مع المعلمة. تشير النتائج إلى أن استخدام طريقة التدريس القائمة على المهمة له تأثير إيجابي على مهارة التحدث لدى الطلاب. كشفت الملاحظات في الفصل الدراسي عن اختلافات كبيرة في استجابة الطلاب، مما يبرز العوامل التي أثرت بشكل إيجابي على قدراتهم في التحدث. أظهرت مقابلة المعلمة عدم وجود معرفة بطريقة التدريس القائمة على المهمة والاعتماد على طريقة الترجمة النحوية، مما أدى إلى تقليل التعلم النشط. لعبت المعلمة دورًا مستبدًا في عملية التعلم، واستخدمت الترجمة إلى اللغة الأولى.

1.1. Background of the study

English education in Libya has traditionally focused on rote memorization of grammar rules and verbatim translation between English and Arabic (Aboderin, 2014; Mohamed, 2017). This Grammar Translation Method (GTM) emphasizes accuracy over communication and does not facilitate the development of oral proficiency skills (Richards & Rodgers, 2001). Many Libyan secondary schools also lack adequate resources, infrastructure, and time allotted for English instruction (Mohamed, 2017; Orafi & Borg, 2009). Classes are typically large with 40-50 students, limiting opportunities for individual practice (Al-Sadeq, 2018).

Younger Libyan English teachers typically complete a two-year postgraduate program with limited exposure to communicative language teaching practices (Mohamed, 2017). As a result, most resort to didactic, teacher-centered styles that dominate class time through long lectures (Orafi & Borg, 2009). This leaves students passive with few meaningful chances to develop their speaking abilities (Al-Sadeq, 2018).

Task-based language teaching (TBLT) provides an alternative model that emphasizes communication over accuracy through collaborative task completion (Richards & Rodgers, 2001; Willis & Willis, 2007). Tasks require students to use language pragmatically to achieve real-world goals, increasing engagement and reducing language anxiety (Brandl, 2008; Ellis, 2003). Research indicates TBLT can enhance oral skills, fluency, and communicative competence when implemented effectively (Doughty & Long, 2003).

At Mosab Ben Omer Secondary School specifically, field observations suggested teachers relied heavily on lecture-style lessons with minimal time allotted for student-student interaction (Field notes, 11/2020). As a result, many students demonstrated low confidence and lack of practice speaking English (Field notes, 11/2020). This study aims to determine if adopting TBLT principles could help address such issues.

1.2.Statement of the problem

Many of students at Mosab Ben Omer struggle to speak clearly and smoothly. Task-Based Language Teaching is one of the recently advised methods. The students at TBLT get the opportunity to practice their English through various activities that are based on real-world tasks and in a relaxed environment.

1.3.Research Questions

1- What is the effect of using task-based language teaching in improving students' speaking skill?

2-What are the students' reactions to using task-based teaching to improve their speaking abilities?

1.4. Objectives of the Study

The current study's goal is to look into how task-based learning affects the speaking abilities of Libyan students. The second goal is to investigate how students feel about the implementation of task-based learning in the classroom.

1.5. Significance of Research

By employing task-based instruction as a planning unit, this research can enhance alternative instruction for teaching speaking. On the other hand, it will assist the English instructor in selecting the best method for the teaching and learning process. The importance of this study lies in its attempt to enlighten and persuade writers and learners that English is a crucial language.

1.6. Limitation of study

1. Students in their third year of science at a secondary school in Mosab Ben Omer's first term (Assaba area)
2. Only Task-Based Language Teaching was used in the study.
3. The effectiveness of using TBLT was the only focus of the study.

1.7. Sample of Study

There are 30 first-year students, Assaba Faculty of Arts. one English teacher working in the same department. the sample size of Learners, which appears to be adequate for the study and for determining the outcomes that follow.

2. Literature Review

2.1. Definition

- Speaking is defined as "the act of talking, saying something about something, mentioning something, conversing with someone, addressing someone verbally, and expressing oneself in a particular language" (Louma, 2004, p. 20).

- A task is defined as "an activity that requires students to draw a conclusion from material provided through some process of thought and that permits teachers to manage and govern that process" (Prabhu, 1987, p. 24).
- Task-based language teaching is defined as "A classroom activity known as a communicative task requires students to comprehend, manipulate, produce, or engage in the target language while their emphasis is primarily on meaning rather than form" (Richards & Rodgers, 2001, p. 224).

2.2. Importance of Speaking Skills in Second Language Acquisition

Speaking skills play a crucial role in second language acquisition as they enable learners to engage in effective communication in a foreign language (Canale & Swain, 1980). Developing speaking proficiency is particularly challenging for English as a Foreign Language (EFL) learners, including Libyan students, due to limited exposure to authentic language use and opportunities for practice (Alshammari & Almutairi, 2021). Therefore, employing effective teaching methodologies becomes essential in promoting speaking skills.

2.3. Task-based Language Teaching (TBLT) and Speaking Skills Development

Task-based language teaching (TBLT) is an instructional approach that focuses on meaningful communication through the completion of tasks (Willis & Willis, 2007). TBLT emphasizes the use of authentic language in real-life situations, providing learners with opportunities to practice and develop their speaking skills (Ellis, 2003). Research has shown that TBLT can enhance speaking abilities by promoting fluency, accuracy, and communicative competence (Doughty & Long, 2003).

2.4. TBLT in Libyan EFL Context

Implementing TBLT in the Libyan EFL context has gained attention as a potential solution to address the challenges faced by students in developing speaking skills (Alshammari & Almutairi, 2021). However, limited research has been conducted specifically on the effectiveness of TBLT in Libyan schools. Therefore, this study aims to fill this gap by investigating the impact of TBLT on the development of speaking skills among Libyan students at Mosab Ben Omer Secondary School in the Assaba area.

3.Methodology:

3.1.Participants:

The study included a total of thirty female students and one female teacher from Mosab Ben Omer Secondary School in the Assaba area, Libya. The participants were selected randomly to ensure a representative sample for the study.

3.2 Data Analysis:

The data collected from the classroom observations and teacher interview were analyzed using qualitative analysis techniques. The observations were transcribed, and relevant themes and patterns related to students' speaking skills and their responses to TBLT were identified. The teacher interview was also transcribed, and key themes related to the teacher's knowledge, instructional methods, and perceptions of TBLT were extracted.

3.3. Description of data collection

3.3.1.Classroom Observation

An observation was used to conduct the current work. It is intended to gather information for a thorough investigation and from a great source of insight. It is directed to both second year EFL students and EFL teachers at English Language department 1st Year The observation is a frequent instrument

used by academics to collect data; it is also the simplest because it doesn't take much effort or time to complete. It is a compilation of many different issues.

3.3.2. Interview

It will complement and strengthen the findings of the observations made through interviewing teachers and students. In this interview, we'll discover how to apply TBLT in conversation, storytelling, and public speaking. Teacher and students will be the subjects of written interviews by researchers.

3.3.3. Treatment

The researchers theoretically and practically trained the teacher on how to teach a speaking lesson by TBLT.

3.3.3. Data Collection procedure:

The researchers will learn about speaking with TBLT from start to finish through observation, covering the subject matter and teaching strategies used, as well as how the students react. The researchers will record teaching and learning activities in the classroom while they are being observed by the class and make notes about them.

The outcomes of the observations will be enhanced and strengthened by the use of teacher interviews. In this interview, we'll discover how to apply TBLT in conversation, storytelling, and public speaking. Teachers and students will be the subjects of written interviews by researchers.

3.4 Data Collection

Both classroom observations and a teacher interview were used to get the data. Two classroom observations every week for a total of eight observations were made during a 4-week period. Each observation took place during a 45-minute English class. On the surroundings, activities, and behaviors of the

teacher and students in the classroom, thorough field notes were recorded.

A 30 minute semi-structured interview was done with the participant instructor after completing all observations. The interview provided information about the teacher's teaching strategies, TBLT expertise, and viewpoint on improving students' speaking abilities. For analysis, the audio from the interview was captured and transcribed.

This method of data collecting made it possible to gain rich qualitative information about the research questions the study looked at. The combination of observational and interview data allowed for a thorough understanding of how TBLT affected students' development of speaking abilities.

4.Results and Discussion:

The findings of the study indicated that the utilization of task-based language teaching (TBLT) had a positive impact on the development of students' speaking skills. The classroom observations revealed notable differences in the students' responses, highlighting factors that positively influenced their speaking abilities. These outcomes suggest that TBLT provides students with meaningful opportunities to practice and enhance their speaking skills in real-world contexts.

However, the teacher interview revealed a lack of familiarity with TBLT and a reliance on traditional teaching methods, particularly the Grammar Translation Method. This reliance on traditional methods limited the students' active learning and hindered their speaking development. The teacher played an authoritative role in the learning process and often resorted to L1 translation.

The discussion section of the study further explores the implications of these findings. It underscores the importance of

integrating task-based approaches into language teaching to enhance students' speaking skills. The discussion also emphasizes the need for teacher training and professional development to promote the effective implementation of TBLT.

Overall, the study suggests that task-based language teaching can be an effective approach for developing speaking skills among Libyan students. However, addressing teachers' understanding and implementation of TBLT is crucial to maximize its potential benefits.

4.1.Results and Analysis:

The data collected through observations and the teacher interview are analyzed thematically. The results indicate that TBLT has a positive impact on students' speaking skills. The observations reveal variations in students' responses, suggesting that specific factors influence their speaking abilities. The teacher's interview reveals a lack of knowledge about TBLT, resulting in the use of the Grammar Translation Method and limited active learning. The teacher plays an authoritative role, relying on L1 translation.

4.2.Discussion:

The findings demonstrate the effectiveness of TBLT in developing speaking skills among Libyan students. The variations in students' responses highlight the importance of considering individual factors that enhance speaking abilities. The teacher's lack of knowledge about TBLT and reliance on traditional methods hindered the implementation of effective language teaching strategies. The discussion emphasizes the need for teacher training and support to promote student-centered and communicative language teaching approaches.

4.3.Conclusion:

This study highlights the positive impact of TBLT on Libyan students' speaking skills. It provides insights into the factors influencing speaking abilities and reveals the challenges faced by teachers in implementing TBLT. The study recommends professional development programs for teachers to enhance their knowledge and skills in implementing student-centered approaches. It also suggests

incorporating TBLT principles in the curriculum to promote effective language teaching and learning. By adopting TBLT, Libyan schools can foster an environment that encourages active participation and meaningful communication among students.

Table 1 below provides summaries for the classroom environment:

1	Is there enough space for all students to sit down?	No
2	Can the seats be moved?	No
3	Is the design of the classroom set up to support a task-based approach to language instruction?	No
4	Is there sufficient space to move around between the desks?	No
5	Is the class size appropriate to use a task-based approach to language teaching?	No
6	Is there group or peer work in the speaking class?	No

The data from the speaking classroom observation, as shown in table 1, demonstrates that the environment in the classroom is unsuitable for implementing the task-based language teaching approach. The most of the issues in the speaking class room were connected to having enough space for sitting and moving around, convenient for performing peer/group work, and an appropriate class size that was not conducive to using the TBLT approach. In general, the classroom environment proved inappropriate for using TBLT to teach and learn speaking skills in EFL classes.

The data from the speaking classroom observation, as shown in table 2

The information was gathered through watching a certain general English teacher as well as students taking general English classes. The purpose of the observation sheets was to track how the teacher and pupils interacted. It also looked at the teaching strategies employed by the instructors for one of the speaking exercises they assigned to each class.

The researchers concentrated on five different aspects of the class (activities, students' responses to speaking activities,

interaction patterns offered by the teacher, and the purpose of each activity) in order to gather the necessary data. These five aspects helped the researcher gain a better understanding of the situations presented in the class and how students responded to them.

The researchers observed each activity that the teacher and the students engaged in throughout the class sessions and made notes and comments about it. Both the teacher and the students had observation sheets. As previously noted, the observation sheet's main goal was to ascertain how the teacher and the students interacted. It also looked at the teachers' instructional strategies for one of the speaking exercises they utilized in each class. The sheets were used in place of (Tanner and Green ,2007). Each worksheet featured themes pertaining to the methods that the teachers should employ to deliver and model the speaking activities. The themes on the learners sheet connected to how the speaking exercise was received by the students. These papers gave the observation a clear direction, but they can only be utilized for specific elements of a lesson, such those that have to do with speaking exercises and classroom management. See appendix 1 table 2 for further details regarding the observation sheets.

In this particular study, the researchers' position was that of an observer. The researcher did not contribute in any way to the class's progress at any point throughout the sessions that were being monitored. The researcher did not participate in any way. Non-participant observation entails watching people interact without getting involved. This approach involves engaging with the relevant community or social system without being directly involved in the phenomena being studied. The researcher's investigation into the teachers' and students' perceptions of speaking ability was prompted by his or her experience in the classroom.

Summaries of what learners and teachers observed are provided in table 2 below:

1	Teacher uses Arabic in his explanation	Usually
2	Teacher delivers spoken communications that are suited for the situation and the learners.	Yes
3	Teacher adds something useful to conversations and discussions.	No
4	Teacher chooses the best media to communicate the context or the message.	No
5	Teacher clarifies the point using his body language by making motions.	Yes
6	Teacher checks the students' comprehension by posing concept-related questions as necessary.	Sometimes
7	Teacher acknowledges and reacts to comments from students.	Yes
8	Teacher keeps an eye on the students as they practice speaking.	yes
9	Is the content appropriate for the students' level?	Yes
10	Do the students give the teacher the same response?	usually
11	Do the learners seek further clarification from their teachers?	yes
12	Compared to their original language, do learners take longer to use?	no
13	Do the students speak slowly when participating in speaking exercises?	Yes
14	Do the students approach the task with a positive attitude?	yes
15	Do the students collaborate in pairs?	yes
16	Do the students work independently?	yes

The table above demonstrates how widely Arabic is used throughout all sites. In class, where the teacher lacked extensive experience and had not completed any teaching training programs, the group work was not truly present.

The table above demonstrates that the experienced and trained teacher had better influence over the classroom environment. This table demonstrates that experienced and trained teachers are more aware of how to handle speaking activities than are less experienced or unskilled teachers.

Lack of vocabulary is a shortcoming among students when communicating. personal problems satisfaction of teachers with students' levels. interruption from the mother tongue. a limited vocabulary and an incorrect pronunciation interruption from the mother tongue. not understanding the activity's objectives or directions. Despite the researcher's training, teachers are still unsure of how to use TBLT effectively.

Summaries of the interview showed that the teacher didn't take any courses in order to develop his style of teaching. He also doesn't know what TBLT is, and he doesn't encourage his students to speak English.

4.1. Discussions related to the Findings of First Question of the Study

What is the effect of using task-based language teaching in improving students' speaking skill?

The data and analysis of classroom observations show, in light of the study's findings, that there are substantial differences in the responses of the students in terms of the factors that have a positive impact on their speaking abilities. Additionally, the instructor was engaged. Although he still needs to improve on this method.

The interview summaries revealed that the teacher didn't enroll in any courses to refine his pedagogical approach. Additionally, he doesn't push his kids to use English and has no idea what TBLT is. The processes the instructor utilized in his instruction, such as employing L1, where pupils are passive learners and the teacher is a head in the learning process, made it clear that he used the Grammar Translation Method.

4.2. Discussions related to the Findings of the Second question of the study

What are the students' reactions to using task-based teaching to improve their speaking abilities?

The use of task-based teaching to improve student speaking abilities can be a powerful tool for language learning in the classroom.

Task-based teaching (TBT) has been widely studied as an effective way to improve student learning outcomes. The benefits of TBT are supported by research conducted by RM Harden et al. in 2000. According to their findings, TBT improves engagement, encourages active learning, and promotes self-directed learning (Harden et al., 2000).

Students were more active, there was less shyness, and students and teachers interacted. Moreover, TBLT allows students to work even in pairs.

Based on the findings of the research paper, it can be concluded that using task-based language teaching (TBLT) has a positive effect on students' speaking skills. The classroom observations revealed that there were substantial differences in the responses of students in terms of the factors that positively impacted their speaking abilities.

Moreover, the interview summaries indicated that the teacher did not have knowledge of TBLT and used the Grammar Translation Method, which relies on passive learning, L1 translation and the teacher being the head in the learning process. This suggests that the teacher may need to undergo training to improve their pedagogical approach and incorporate TBLT methods to better facilitate student learning.

Despite this, the use of TBLT was found to have a positive impact on students' learning outcomes. Students were more active, less shy, and there was increased interaction between them and their teacher. Additionally, the TBLT approach

allowed students to work in pairs, which could further enhance their speaking abilities through peer-to-peer interaction and feedback.

Overall, the findings suggest that incorporating TBLT into language teaching can be an effective approach to improving students' speaking skills and promoting active learning in the classroom.

5. Conclusion

TBLT is a widely used approach in improving students' speaking skills. It focuses on the learners' ability to use the target language for communication through performing language tasks. This approach has been found to be effective in various contexts and age groups. In this research, we argued that TBLT is an effective way of teaching speaking because it encourages learners to be more active and less shy. Also, TBLT facilitates interaction between students and teachers, and allows learners to work in pairs or small groups.

6. Suggestions and Recommendations

The process of teaching a foreign language goes beyond merely changing knowledge; it also involves setting up situations in which students can engage and communicate in the target language. To talk and communicate in a foreign language is to learn that language, in other words. Therefore, based on the results of the current study, we recommend that:

- 1- Teachers have to use the TBLT method more frequently, particularly in the oral production class. For instance, how to create activities and how to sequence tasks.
- 2- Due to time constraints, instructors and students might extend oral activities to practice outside of the classroom so that tasks are more naturally occurring.
- 3- A successful learning experience should be monitored and EFL teachers should receive training on how to imply TBLT in language sessions.

Reference

- Aboderin, I. (2014). Investigating communicative language teaching practices in Libyan EFL classrooms. *English Language Teaching*, 7(5), 18-26. <https://doi.org/10.5539/elt.v7n5p18>
- Al-Sadeq, M. M. (2018). Problems and constraints of Libyan EFL education. *Arab World English Journal*, 9(1), 102-115. <https://dx.doi.org/10.24093/awej/vol9no1.8>
- Alshammari, M., & Almutairi, A. (2021). Speaking skills development in EFL classrooms: A systematic review. *Journal of Language Teaching and Research*, 12(1), 82-99.
- Brandl, K. (2008). *Communicative language teaching in action: Putting principles to work*. Pearson Prentice Hall.
- Canale, M., & Swain, M. (1980). Theoretical bases of communicative approaches to second language teaching and testing. *Applied Linguistics*, 1(1), 1-47.
- Doughty, C., & Long, M. H. (2003). Optimal psycholinguistic environments for distance foreign language learning. *Language Learning & Technology*, 7(3), 50-80. <https://doi.org/10.1016/j.system.2008.11.004>
- Ellis, R. (2003). *Task-based language teaching and learning*. Oxford University Press.
- Louma, S. (2004). *Assessing speaking*. Cambridge University Press.

- Mohamed, A. O. (2017). Challenges in teaching English as a foreign language in Libyan secondary schools: A case study. *Arab World English Journal*, 8(1), 216-230. <https://dx.doi.org/10.24093/awej/vol8no1.15>
- Orafi, S. M., & Borg, S. (2009). Intentions and realities in implementing communicative curriculum reform in a Libyan secondary school. *System*, 37(2), 243-253.
- Prabhu, N. S. (1987). *Second language pedagogy*. Oxford University Press.
- Richards, J. C., & Rodgers, T. S. (2001). *Approaches and methods in language teaching*. Cambridge University Press.
- Willis, D., & Willis, J. (2007). *Doing task-based teaching*. Oxford University Press.

APPENDIX I: Observation

Skill : Speaking

Topic :

Date observation:

Table 1

1	Is there enough space for all students to sit down?
2	Can the seats be moved?
3	Is the design of the classroom set up to support a task-based approach to language instruction?
4	Is there sufficient space to move around between the desks?
5	Is the class size appropriate to use a task-based approach to language teaching?
6	Is there group or peer work in the speaking class?

Table 2

1	Teacher delivers spoken communications that are suited for the situation and the learners.
2	Teacher adds something useful to conversations and discussions.
3	Teacher chooses the best media to communicate the context or the message.
4	Teacher clarifies the point using his body language by making motions.
5	Teacher checks the students' comprehension by posing concept-related questions as necessary.
6	Teacher acknowledges and reacts to comments from students.
7	Teacher keeps an eye on the students as they practice speaking.
8	Is the content appropriate for the students' level?
9	Do the students give the teacher the same response?
10	Do the learners seek further clarification from their teachers?
11	Compared to their original language, do learners take longer to use?
12	Do the students speak slowly when participating in speaking exercises?
13	Do the students approach the task with a positive attitude?
14	Do the students collaborate in pairs?
15	Do the students work independently?

APPENDIX II: Interview

1. How do you teach English language speaking?
2. Are you familiar with TPLT?
3. How will you help students' learning abilities?
4. What challenges do you encounter when instructing speaking?

Economic freedom and public investment nexus: empirical evidence from Libya during the period 1962-2007

رشيد مفتاح سالم

Rasheed Muftah Salem

Department of Economics, Faculty of Economics and Political Science,
University of Tripoli

المستخلص

تسعى هذه الدراسة لاختبار الترابط ما بين الحرية الاقتصادية والإستثمار العام وذلك عن طريق الإجابة عن السؤال ماذا كانت الحرية الاقتصادية والإستثمار العام يشكلان علاقة مكملة لبعضهم البعض. وتأخذ هذه الدراسة الإنفاق الإستهلاكي النهائي العام كمقياس تقريبي للحرية الاقتصادية لأن الإنفاق الإستهلاكي النهائي العام يعكس مدى رضا الأفراد. اختبار السببية لجرانجر بواسطة معامل تصحيح الخطأ تم تطبيقه للإقتصاد الليبي خلال الفترة من عام 1962 إلى عام 2007، وقد أوجدت الدراسة بأن لا توجد علاقة سببية بالمدى القصير بين الحرية الاقتصادية والإستثمار العام عند مستوى معنوية 5% وتوجد علاقة سببية بين الإستثمار العام والحرية الاقتصادية عند مستوى معنوية 5%. بالإضافة لذلك، لا يوجد علاقة سببية بالمدى القصير بين الإنفاق الإستهلاكي الحكومي والإستثمار العام أو بين الإستثمار العام والإنفاق الإستهلاكي الحكومي. هذا وحيث تقترح الدراسة بأن الحرية الاقتصادية تقاد بواسطة الإستثمار العام وأن الحكومة ربما يكون لها دور حيوي بصياغة وعمل سياسات الإستثمار. وبأن الإستثمار العام يعمل على مزاحمة الإستثمار الخاص. وربما يعطي هذا مؤشرا أيضا بأن الحكومة تجد بإستقطاعات العام أقل ملاحظة عما يكون عليه الإنفاق الجاري والتي المجازفة بها تكون هدف سهل أثناء الإنخفاض المالي إستجابة للصعوبات الاقتصادية.

Abstract

This study attempts to test the economic freedom and public investment nexus which allows answering the question of whether or not economic freedom and public investment are formulating a complementary relationship. The study conducts private final consumption expenditure as a measure and/or a proxy of economic freedom because it reflects the satisfaction of households. The Granger causality test based on VECM model is applied for Libya's economy from 1962 to 2007. The main finding is that there is no evidence of short-run causality runs from economic freedom to public investment (insignificant at 5%) and that there is an evidence of short-run causality runs from public investment to economic freedom (significant at 5%). In addition, there is no evidence of short-run causality runs from government final consumption expenditure to public investment or from public investment to final government consumption expenditure. This results may suggest that economic freedom is driven by public investment, that government has a crucial role in formulating and making investment policy and that public investment crowds out private investment and that may give an indicator that government finds that cuts in public investment is less immediately noticeable than cuts in current expenditure, which risks leaving them a soft target during a period of fiscal retrenchment in response to economic difficulty.

Key Words:

Economic Freedom, Public Investment, VECM Test.

1. Introduction

Due to the fact that researchers in general have not studied so far the issue of economic freedom and public investment nexus in the context of Libya. In other words, a previous view exhibits that economic freedom and public investment nexus is not yet investigated. Thus, the objective of this study is to contribute to the general body of economic literature on the economic freedom and public investment nexus for Libya in order to specify policy recommendations. In addition to this, it is the intention of this study to fill the gap in the literature. To do this, the study utilizes the use of

the Granger causality test based on VECM model on Libya's annual time series data over the period 1962- 2007. Therefore, this study is concerned with this issue. The main obstacle encounters this study is how to select an appropriate index of economic freedom with unavailable previous studies with regard to Libya. However, a smaller group of researchers has paid attention to the economic measures of economic freedom. Gwartney and Lawson (2003)¹ mentioned that government expenditure relative to household's expenditure leads to falling economic freedom, and pointed out that government expenditure as a portion of total consumption is a measure of economic freedom. Doucouliagos and Ulubasoglu (2006)² mentioned that share of trade in gross domestic product, portion of government spending in gross domestic product, and black market premium can be viewed as indicators of economic freedom. Gerald, et al. (2005)³ describes economic freedom as: the absence of government duress on the production , distribution or consumption of commodities and services beyond the extent need for citizens to preserve and sustain liberty itself. Therefore, this study suggests conducting private final consumption expenditure as a measure and/or a proxy for economic freedom for several reasons. First of all, private final consumption spending includes the market value of all commodities and services, durable products (such as cars, washing machines, and home computers), purchased by households. It excludes purchases of dwelling but includes imputed rent for owner-occupied dwellings. In other words, private final consumption spending is the spending by households on commodities and services that they use to directly satisfy the needs or deficiencies of households. Subsequently, it reflects the satisfaction of households.

Secondly, government finds that cuts in public investment is less immediately noticeable than cuts in current expenditure, which risks leaving them a soft target during a period of fiscal retrenchment. For example, a decision to delay building a new school or hospital might

¹.(Gwartney and Lawson, Economic Freedom of the World 2003 Annual Report,2003). <https://www.fraserinstitute.org>.

²(Doucouliagos and Ulubasoglu, 2006, p.63)

³(Gerald, et al., The Path to Development. 2005). <https://fee.org>.

be expected to provoke less anger than a decision to cut the pay of public sector workers (Tom, et al. 2001)¹. Finally, cuts in private consumption expenditure may reflect the political instability which leads to private consumption expenditure decreasing due to the uncertainty about the future. Thus, the satisfaction of households can be viewed as an appropriate index for economic freedom.

To shed light on this issue, this study aims to empirically investigate the economic freedom and public investment nexus by conducting the VEC Granger causality approach to test any potential cointegration relationship among the public investment, government final consumption expenditure and economic freedom.

2. Data and methodology

The study uses the VEC Granger causality to examine the economic freedom and public investment nexus. The VEC Granger causality consists of three variables, public investment (*IG*), government final consumption expenditure (*GC*), and economic freedom (*PC*). Data on these variables are collected from Central Bank of Libya, Economic Research Center of Benghazi, and World Bank for the period of 1962-2007. The period is formed according to the availability of data. The disaggregation of consumption expenditure into government and private components not only allows the question of whether or not economic freedom and public investment are complementary, but, In addition to this, sheds light on the test for any potential co-integration relationship among the variables. Thus, to avoid the potential problem of estimating spurious relationships, the time series properties of the variable under investigation are tested for unit roots.

3. Unit roots test results

To avoid the potential problem of estimating spurious relationships, it is necessary to test the time series properties of the variable under investigation.

¹(Tom, et al, Twenty-Five Years of Falling Investment? Trends in Capital Spending on Public Services). <https://www.ifs.org.uk>.

Each time series in our sample of *lnIG*, *lnGC*, and *lnPC* are first tested for their order of integration by using Augmented Dicky-Fuller (ADF) test.

We use an Augmented Dicky-Fuller test to help determine whether the process has a unit root. They actually consider three different equations that can be used to test the existence of a unit root.

$$Dy_t = c_0 + \gamma y_{t-1} + c_2 t + \varepsilon_t \quad (1)$$

$$Dy_t = c_0 + \gamma y_{t-1} + \varepsilon_t \quad (2)$$

$$Dy_t = \gamma y_{t-1} + \varepsilon_t \quad (3)$$

The difference between the three equations concerns the existence of intercept and time trend. The first includes both intercept and linear time trend. If we inappropriately omit time trend, the power of the test can go to zero.

The following hypothesis were formulated and tested to examine whether the process has a unit root. We use a 5% level significance.

H_0 : There is a unit root, which means that the series is non stationary.

H_1 : There is a unit root, which means that the series is stationary.

lnGDP, *lnIP*, and *lnIG* were tested for their orders of integration by using Augmented Dicky-Fuller (ADF) tests (table 1). Refer to equations (1) , (2) and (3) for the testing equations. The tests showed that *lnIG*, *lnGC*, and *lnPC* are integrated of order one.

Table (1) Augmented Dicky-Fuller (ADF) test results for unit root.

Variable	Level	P-value	First difference	P-value
<i>lnIG</i>	Trend and intercept	0.3210	Trend and intercept	0.0068*
	Intercept	0.2307	Intercept	0.0016*
	None	0.9506	None	0.0005*
<i>lnGC</i>	Trend and intercept	0.3946	Trend and intercept	0.0000*
	Intercept	0.0037*	Intercept	0.0000*
	None	0.9996	None	0.0078*
<i>lnPC</i>	Trend and intercept	0.9460	Trend and intercept	0.0010*
	Intercept	0.1771	Intercept	0.0008*
	None	0.9997	None	0.0007*

Note: *indicates that variable is integrated of order one because p-value is less than 0.05.

In general, the ADF unit root test suggests that the time series of all variables in (1) to (3) are integrated process of order $\sim (1)$. Since each of these variables is integrated in an order $\sim (1)$, we proceed to the next stage, which determines whether these variables are co-integrated.

4. Test results for co-integration

Since the time series of $lnIG$, $lnGC$, and $lnPC$ were found to be integrated of the same order (i.e., order one), a co-integration test could be conducted to determine whether a long-run relation exists among the variables. A Johansen co-integration test is performed, assuming a co-integrating relationship as specified by equation (4).

$$lnlnIG_t + a_1lnGC_t + b_1lnPC_t + A = \varepsilon_{1t} \quad (4)$$

The Johansen co-integration test can be expressed as follows

H_0 : There is no co-integrating relation ($r=0$).

H_1 : There is no co-integrating relation ($r \geq 1$).

where

(r) denotes the number of co-integrating vectors.

Table (2) reports the results of the Johansen test. The test outcome indicates that the maximum Eigen-values and Trace statistics strongly reject the null hypothesis of no co-integration in favour at least one co-integrating relationship, and that quadratic trend assumption (intercept and trend) is selected.

Table (2) Determination the number of co-integrating relations by model $lnIG$, $lnGC$, and $lnPC$.

Date: 02/09/23 Time: 16:17

Sample (adjusted): 1965 2007

Included observations: 43 after adjustments

Trend assumption: Quadratic deterministic trend

Series: LNIG LNGC LNPC

Exogenous series: D81 D69 D87 D77

Warning: Critical values assume no exogenous series

Lags interval (in first differences): 1 to 2

Unrestricted Cointegration Rank Test (Trace)

Hypothesized No. of CE(s)	Eigenvalue	Trace Statistic	0.05 Critical Value	Prob.**
None *	0.471242	38.90372	35.01090	0.0182
At most 1	0.212375	11.50304	18.39771	0.3474
At most 2	0.028369	1.237514	3.841466	0.2659

Trace test indicates 1 co-integrating eqn(s) at the 0.05 level

* denotes rejection of the hypothesis at the 0.05 level

**MacKinnon-Haug-Michelis (1999) p-values

5. Granger causality test results

The existence of a co-integrating relationship among the variables suggests that there must be Granger causality in at least one direction as revealed in table (3).

Table (3) Granger causality test based on VECM model

VEC Granger Causality/Block Exogeneity Wald Tests

Date: 02/09/23 Time: 16:49

Sample: 1962 2007

Included observations: 43

Dependent variable: D(LNIG)

Excluded	Chi-sq	df	Prob.
D(LNGC)	1.082495	2	0.5820
D(LNPC)	4.819806	2	0.0898
All	4.914563	4	0.2962

Dependent variable: D(LNGC)

Excluded	Chi-sq	df	Prob.
----------	--------	----	-------

D(LNIG)	3.746774	2	0.1536
D(LNPC)	1.217421	2	0.5441
All	6.381959	4	0.1724
Dependent variable: D(LNPC)			
Excluded	Chi-sq	df	Prob.
D(LNIG)	8.974726	2	0.0113
D(LNGC)	0.550832	2	0.7593
All	9.464762	4	0.0505

As can be seen from table (3), there is no evidence of short-run causality from economic freedom to public investment (insignificance at 5 %) and there is evidence of short-run causality from public investment to economic freedom (significance at 5%). In other words, the study does not find unidirectional causality among the two variables; that is not cause each other. These results show that a strong inference can be made about the impact of public investment on economic freedom. This result may suggest that economic freedom is driven by public investment, that government has a crucial role in formulating and making investment policy and that public investment crowds out private investment. Therefore, one of the policy recommendation is that the policy makers should take into consideration that the increasing role of public sector leads to failing economic freedom and that private sector should exert an important role in the economy. In addition, there is no evidence of short-run causality runs from government final consumption expenditure to public investment and from public investment to final government consumption expenditure. Therefore, this result may give an indicator that government finds that cuts in public investment is less immediately noticeable than cuts in current expenditure, which risks leaving them a soft target during a period of fiscal retrenchment. Consequently, the policy recommendation for this is that the

policymakers should keep in mind that the revenue shortfalls unless the government has other instruments to supplement the loss of revenues.

6. Conclusion remarks

This study has investigated the economic freedom and public investment nexus in the context of Libya's economy. The question whether or not economic freedom and public investment are complementary to each other is tested. The main conclusions of this study can be summarized as follow:

1. The ADF unit root test suggests that each variable each variable is integrated process of order one, table1.
2. There evidence of long-run relationship among public investment (*IG*), government final consumption expenditure (*GC*), and economic freedom (*PC*).
3. There is no evidence of short-run causality runs from economic freedom to public investment (insignificance at 5%).
4. There is evidence of short-run causality runs from public investment to economic freedom (significance at 5%).
5. This result may suggest that economic freedom is driven by public investment, that government has a crucial role in formulating and making investment policy and that public investment crowds out private investment.
6. Therefore, one of the policy recommendation is that the policy makers should take into consideration that the increasing role of public sector leads to failing economic freedom and that private sector should exert an important role in the economy.
7. In addition, there is no evidence of short-run causality runs from government final consumption expenditure to public investment and from public investment to final government consumption expenditure.
8. Therefore, this result may give an indicator that government finds that cuts in public investment is less immediately noticeable than cuts in current expenditure, which risks leaving them a soft target during a period of fiscal retrenchment.

9. Consequently, the policy recommendation for this is that the policymakers should keep in mind that the revenue shortfalls unless the government has other instruments to supplement the loss of revenues.

References:

- Central Bank of Libya, Tripoli, Various Issues.
Economic Research Center, Benghazi, Data Base, 2018.
Gwartney, J and Lawson, R (2003). Economic Freedom of the World 2003 Annual Report, <https://www.fraserinstitute.or>.
Gerald, P. et al. (2005). The Path to Development. <https://www.fee.org>.
Doucouliagos, C. and Ulubasoglu, M. (2006). Economic Freedom and Economic Growth: Does Specification Make a Difference? European Journal of Political Economy, Vol. 22, pp.60-81.
Tom. C,et al. (2001). Twenty-Five Years of Falling Investment? Trends in Capital Spending on Public Services. <https://www.ifs.org.uk>.
World Bank. World Development Indicators, Washington, 2022. <http://data.worldbank.org>.

Seismic Interpretation of Uper Beda Formation

Sagut Oil Field - Sirt Basin.

التفسيرات السيزمية لطبقة البيضاء العليا بحقل الزقوط

حوض سرت / ليبيا

By

Omar Emhemed Omar

Higher Institute of Science and Technology / Kikla

Abstract .

Interpreting the available seismic data for the Zaqout oil field using the geoframe system gave results in the time map. There is a large discrepancy between the east and northeast of the region.

Using the average velocity map, we obtain a depth map that has a great similarity to the time map.

the result was continuity of formation throughout the entire study area .

The upper beda Formation which increases in depth to the east as a result of the formation being affected by some geological structures as well.

In the northeast, the depth increases significantly as a result of the formation being affected by a group of faults, influenced by the large fault in the northeast of the study area due to the location of the area between the Beda platform and the Marada trough .

المخلص:

إن تفسير البيانات الزلزالية المتوفرة لحقل زقوت النفطي باستخدام نظام الإطار الجغرافي أعطى النتائج في الخريطة الزمنية. هناك تناقض كبير بين شرق وشمال شرق المنطقة.

وباستخدام خريطة السرعة المتوسطة نحصل على خريطة عمق لها تشابه كبير مع خريطة الزمن.

وكانت النتيجة استمرارية التكوين في كامل منطقة الدراسة.

تكوين البيدا العلوي والذي يزداد عمقه شرقاً نتيجة تأثير التكوين ببعض التركيبات الجيولوجية أيضاً.

وفي الشمال الشرقي يزداد العمق بشكل ملحوظ نتيجة تأثير التكوين بمجموعة من الصدوع متأثرة بالصدع الكبير في شمال شرق منطقة الدراسة بسبب موقع المنطقة الواقعة بين منصة البيضاء ومنصة المرادة ..

1. Introduction:

Libya, situated on the Mediterranean foreland of the African Shield, extends over a platform of cratonic basins that can be divided into two geologic regions, each of which includes a number of sedimentary basins (figure. 1 and 2).

The northern part of the country is situated on a tectonically active subsiding margin (Gumati, et al., 1991), and includes from west to east the Sabratah Basin, Benghazi Basin, Sirt Basin and Cyrenaica Platform (figure. 1).

The southern part of Libya, which lies within a stable cratonic area, includes the Ghadamis and Murzuq Basins to the west, separated by the Tibisti crystalline basement massif from Al Kufra Basin in the east. As a result of their position at the edge of the African Plate, these basins were affected by successive phases of continental collision and plate divergence (Pickford, 1992). Major hydrocarbon discoveries have been made in the Paleozoic sequence of the Ghadamis and Murzuq

Basins, and in the Mesozoic and Cenozoic sequence of the Sirt and Sabratah Basins.

The tectonic features of the Sirt Basin were formed by large-scale subsidence and block faulting in response to Latest Jurassic/Early Cretaceous rifting (Roberts, 1970; Goudarzi, 1980, Guirad and Mourin, 1992, Guiraud, 1998), which controlled the sedimentary deposition pattern during Late Cretaceous and Early Tertiary (Gumati and Kanes, 1985). It is a unique area to study the Cretaceous and Tertiary tectonic processes of north central Africa in relation to changes in the plate motions and the intraplate stresses.

The Mesozoic-Tertiary tectonic evolution of the African Plate is directly linked to the opening history of the Atlantic Ocean and the dynamics of Africa-Eurasia convergence (Guiraud et al., 1992). Other studies have shown that tectonic processes taking place at the plate boundaries influence the state of stress in large parts of the adjoining plates and, through this, affect the evolution of the sedimentary basins located on these plates (Cloetingh, 1988; Ziegler, 1988; Janssen, 1996). As a consequence, part of the continent and its adjacent ocean may share a regional stress field (Cloetingh and Wortel, 1986) that can lead to reactivation of the sedimentary basins located far from the active plate boundary (Ziegler, 1988, 1990; Ziegler et al., 1995).

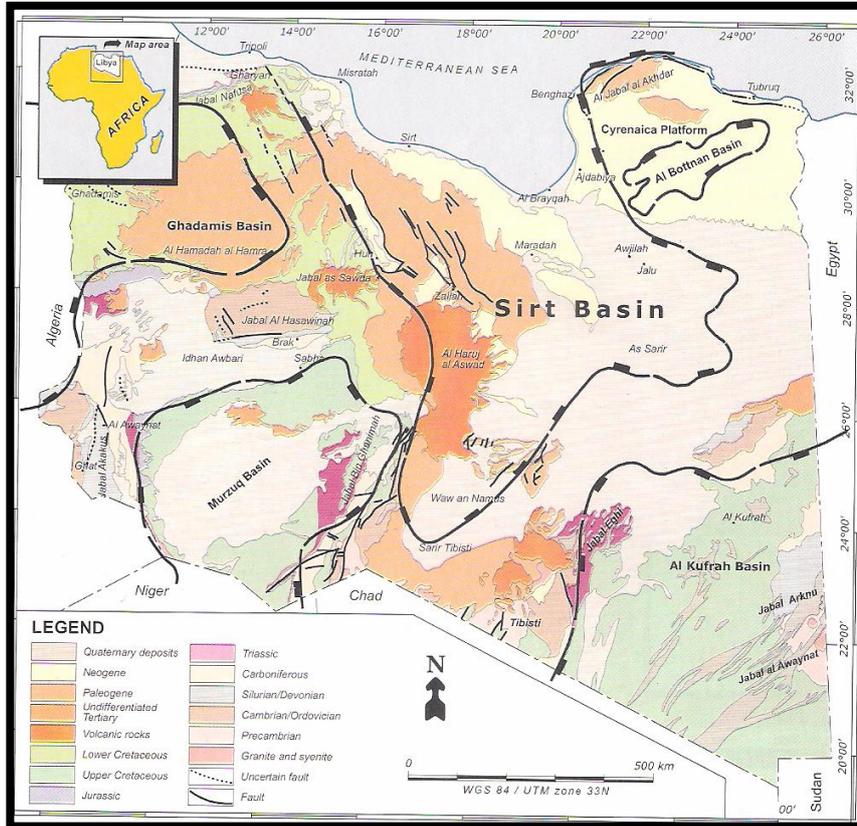


Figure 1. Geologic map of Libya. Modified after Industrial Research Centre 1977.

The Sirt Basin (Fig. 1) in north central Libya is one of the youngest sedimentary basins of the African Craton, with an onshore area of approximately 375,000 km² and an estimated sedimentary volume of 1.3 million km³. It contains more than 100 oil and gas fields, including several giants. The basin comprises a broad NW trending embayment. It is bounded to the south by the Tibisti Massif and to the west by Al Gargaf Uplift and the Ghadamis and Murzuq Basins. To the east, it is bounded by the Cyrenaica Platform and Al Bottnan Basin, and to the north by the Gulf of Sirt.

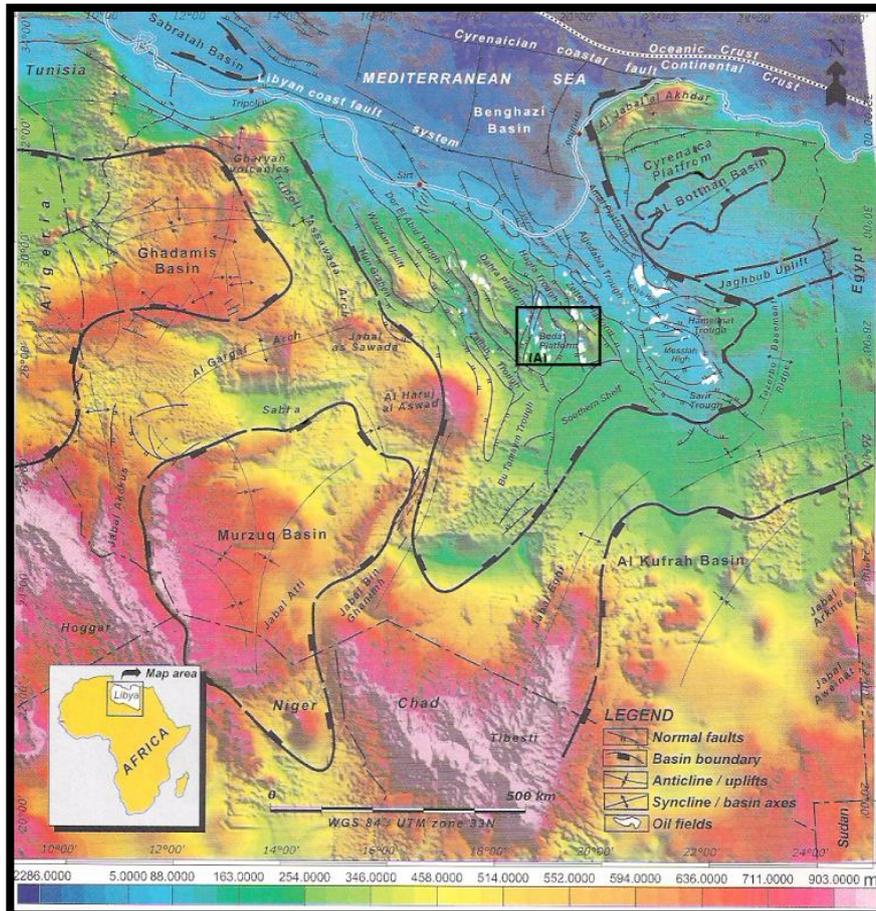


Figure 2. Map showing the digital topography of Libya, the tectonic framework, And the location of the Libyan sedimentary basins. inset map shows the location of Libya in Africa, box (A) indicates the location of study area. Tectonic framework is modified after Mouzughi and Taleb (1981), with results of present study included. Digital topography and bathymetry are from GLOBE, NOAANational data center.

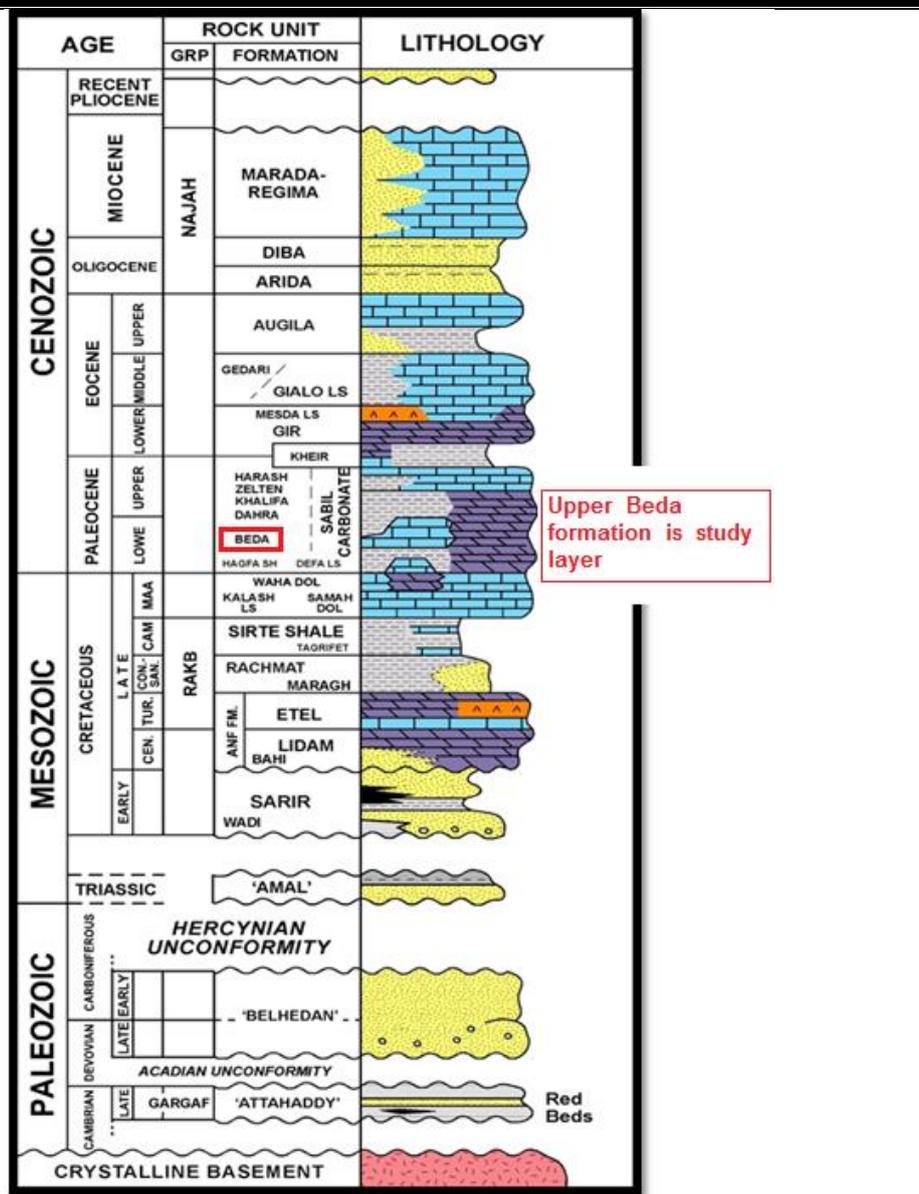


Figure.3. Stratigraphic section (Zaggut oil field. 2007) located at the Beda Platform to the Marada trough on the east (Waha oil company) .

2. Objective of Study.

The main subject is seismic interpretation of Upper beda Formation of zaggut oil field, sirt basin, Libya.

and studying the effect of the of Marada trough and Beda platform on the change in layer depth within the study area. this formation are Upper Beda formation (Lower Paleocene) reservoir.

The area under investigation, known as Zaggut field , is located in the Sirt Basin Is one of the fields of the Waha Oil Company .

The study area is Located between the Longitude 19.2000 and 19.4000. And latitude 28.16 and 28.35.

The area comprises almost 235 square kilometers, as shown in (figure. 4).

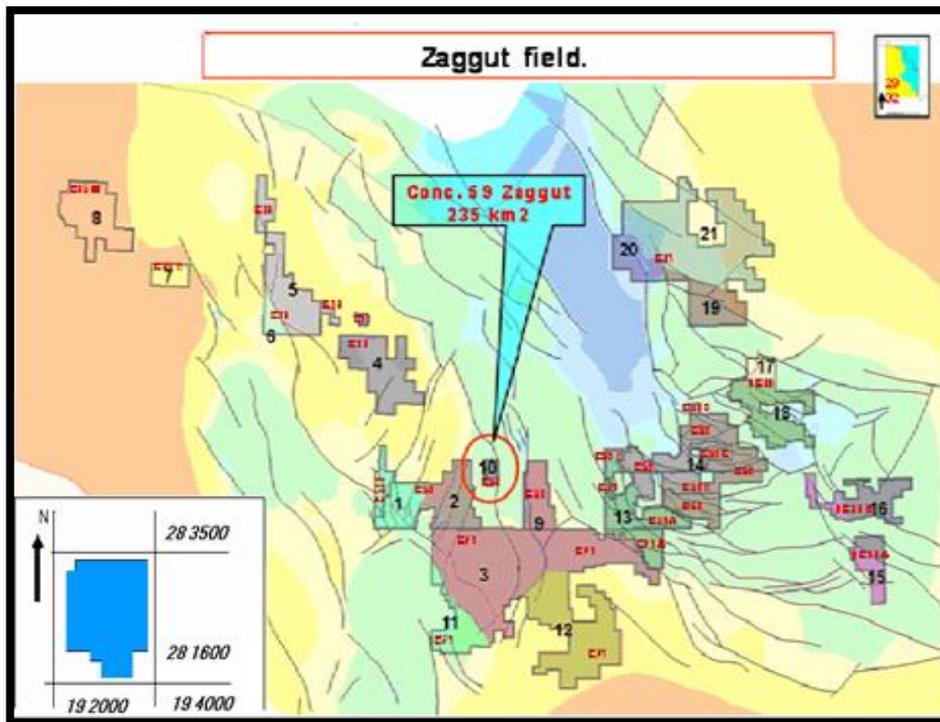


Figure 4: location of the study area.

3. Methodology.

The study consists of many stages which using the data made available by Libyan Waha Oil Petroleum (WOP) figure 5.

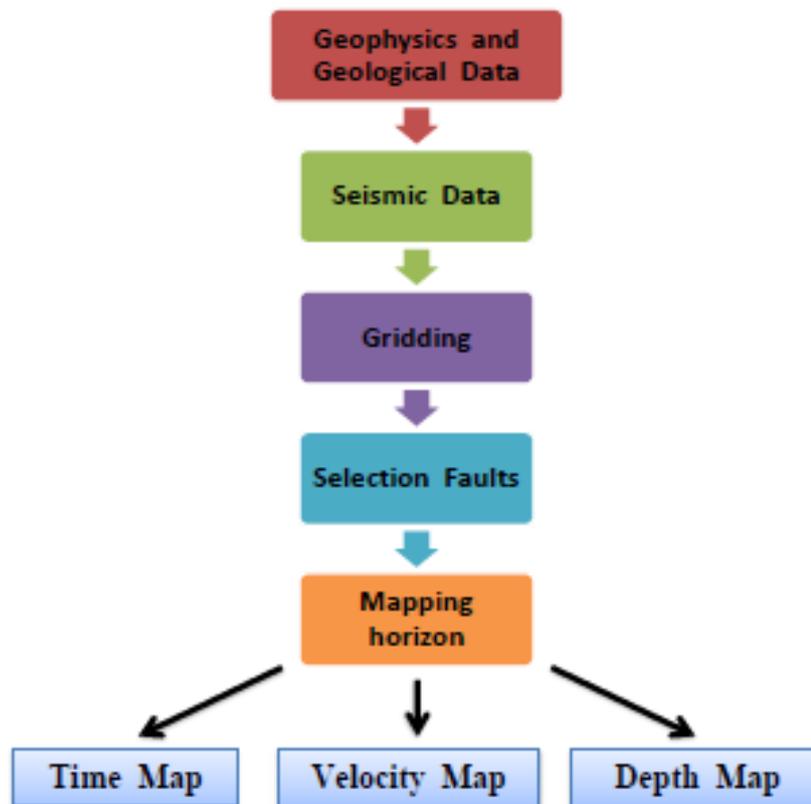


Figure 5. Methodology of this study

4. Seismic data .

Seismic data provided by the Waha oil company, The data used for this study includes seismic data and well data, seismic data includes 3D seismic with different grid density from 1×1 to 5×5 to 10×10 .

The software which used in the study is GEOFRAME SOFTWARE.

This software can be help select any lines or any boreholes and any logs from any boreholes, this software have many options help to complete this study.

The lines cover most of the study area (figure.6.) shown the base map of study area, and (figure.7.) shown the spread lines on base map of study area.

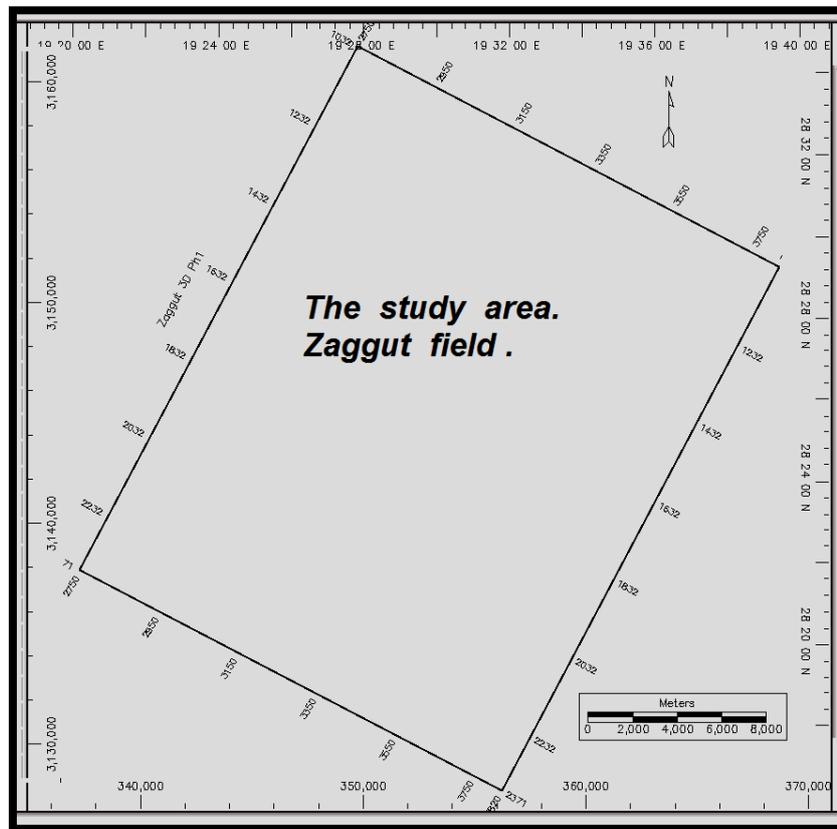


Figure.6. shown the base map of study area.

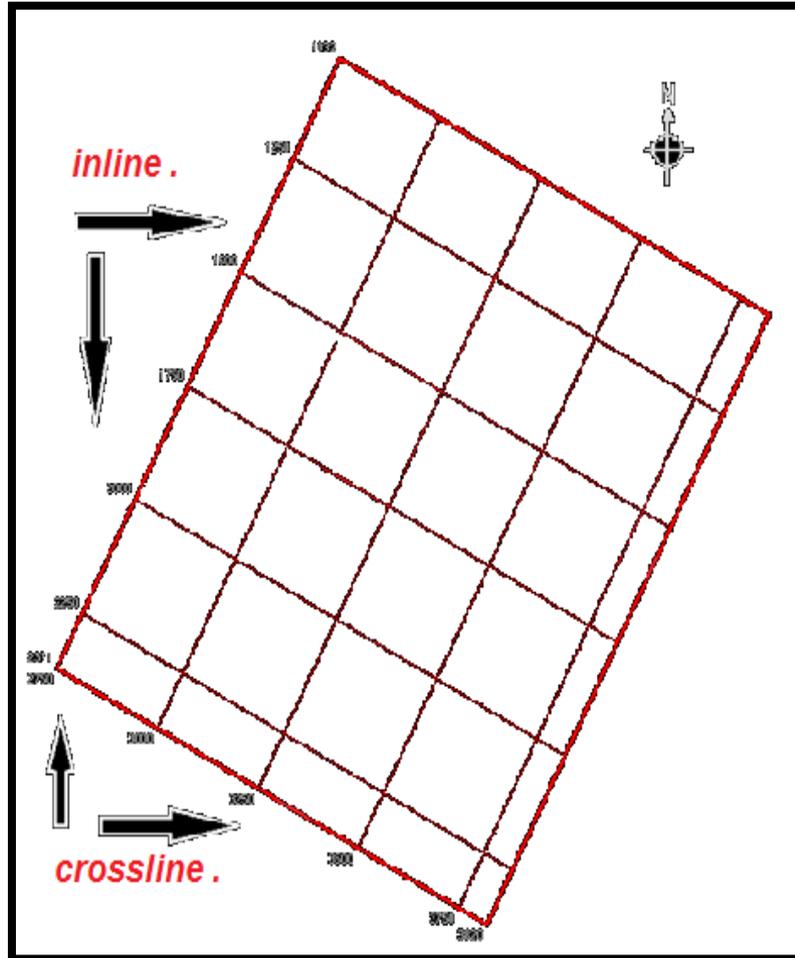


Figure.7. shown the spread lines on base map .

The (figure .7.) shown spread lines on base map cross lines and inlines.

The total of cross lines about 1070 lines and total of inline 1339 lines, these lines covered every area of study , so that we can identify any line of work it.

The increment of lines depends on the feathers subsurface and continuity of it.

5. Selection of Faults .

The selection of faults needs to be followed up in all seismic sections inlines and crosslines.

There is a group of faults concentrated in the east and northeast of the study area and have the same direction (Figure 8) shows spread faults which effected on Upper Beda formation .

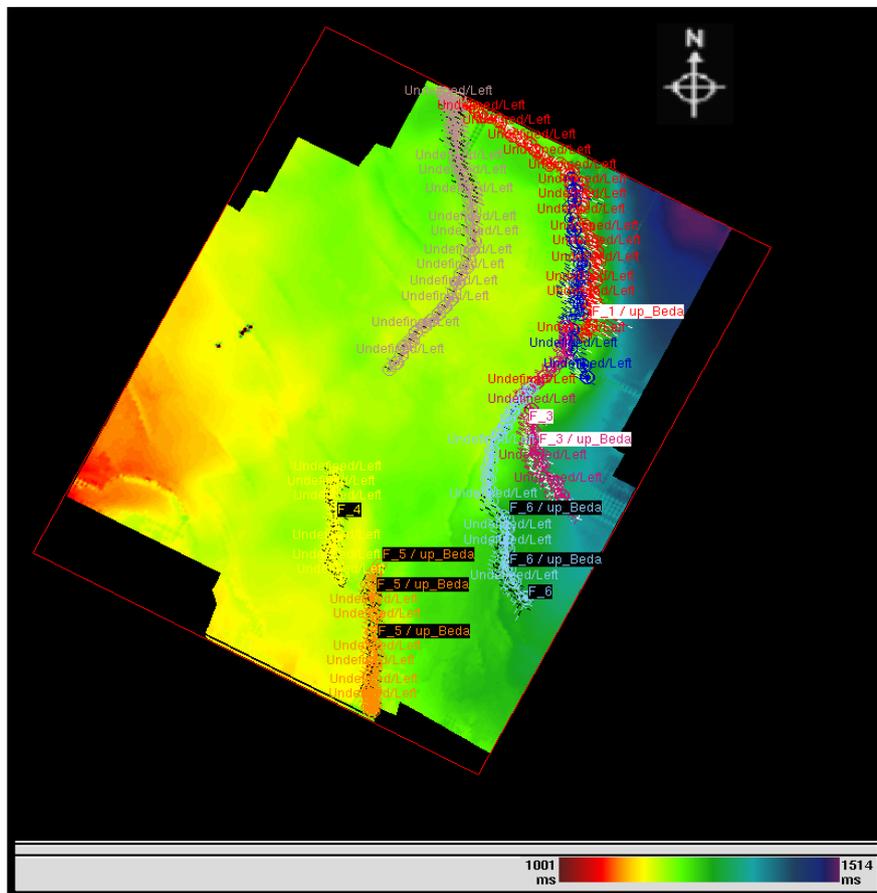


Figure 8. spread faults which effected on Upper beda formation .

6. Mapping horizon.

Horizons interpretation can be seen on seismic section and only give geological pictures in two dimension and or infer through parallel and intersecting seismic section

therefore gridding horizons followed by TWT maps have been generated in order to interpret geological features in 3 dimensions Geoframe interpretation software was used to perform this task ,

Upper Beda formation time maps have been generated (Figure 9) shows gridded of Upper Beda formation, from map we note increase in time to the east and clearly very affected by the faults, increase in the value of time about 500 ms to the east and northeast.

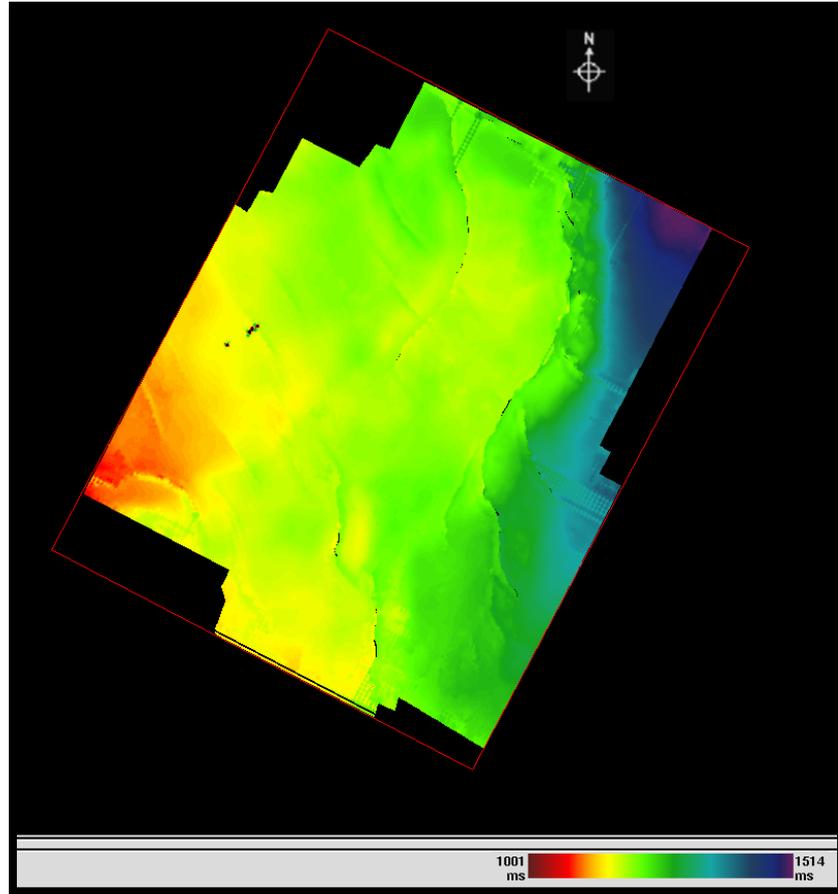


figure 9, gridded of Upper beda formation .

6.1. Time to depth conversion .

to convert time to depth in this study we used average velocity .

This conversion includes seismic section, faults boundaries, and time maps.

Wells that are available will help to use average velocity to convert time to depth .

In this study used the average velocity because the available data from the wells are very few and because the study area is not complicated by geological structures. The general formula of average velocity as ;

$$V_{Average} = \frac{Z_1 + Z_2 + Z_3 + \dots}{t_1 + t_2 + t_3 + \dots}$$

6.2. Velocity mapping .

The average velocity layer include SRD (Seismic Reference Data) SRD - Upper beda formation .

converting time to depth were used to examine the model conversion . time grids

(modelling surface) were converted to depth using the velocity model in addition calibration of depth was applied to make depth correction : fault boundaries were converted from time to depth and then depth maps were constructed with their fault boundaries i.e Construction of the velocity model was made in order to convert time horizon to depth subsurface with more accuracy one

average velocity map were generated from interpreted horizon .

Boreholes which used to calculate average velocity for each horizons about thirteen boreholes these boreholes spread on all study area , very difficult to get map of spread velocity the reason Waha oil company like to save same information .

Next figure shows average velocity of horizon . SRD (Seismic Reference Data) to Up – beda formation average velocity map.

The average velocity of upper beda formation Figure 10, Constant in most of the study area from east to west, and the south, except the north-east has a big change, this change from 9300 f/sec to 12700 f/sec big variation.

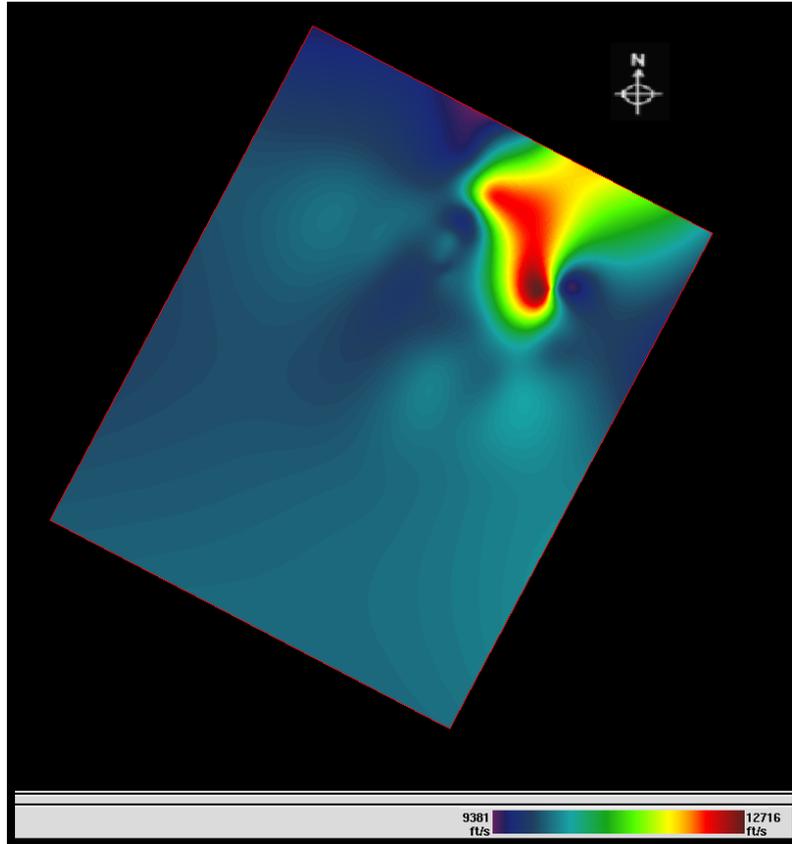


Figure 10, average velocity of Upper beda formation .

6.3. Depth mapping .

The obtained depth map Figure 11. indicates great similarity with the time map

The continuity of the formation appears throughout the study area, and there is a variation in depth of the Upper Beda Formation from the southwest to the northeast by about 3,600 feet.

About 5,000 feet in the southwest and increasing toward the northeast, reaching 8,600 feet

This change results from the region being affected by a group of faults affected by the Beda platform and Marada trough .

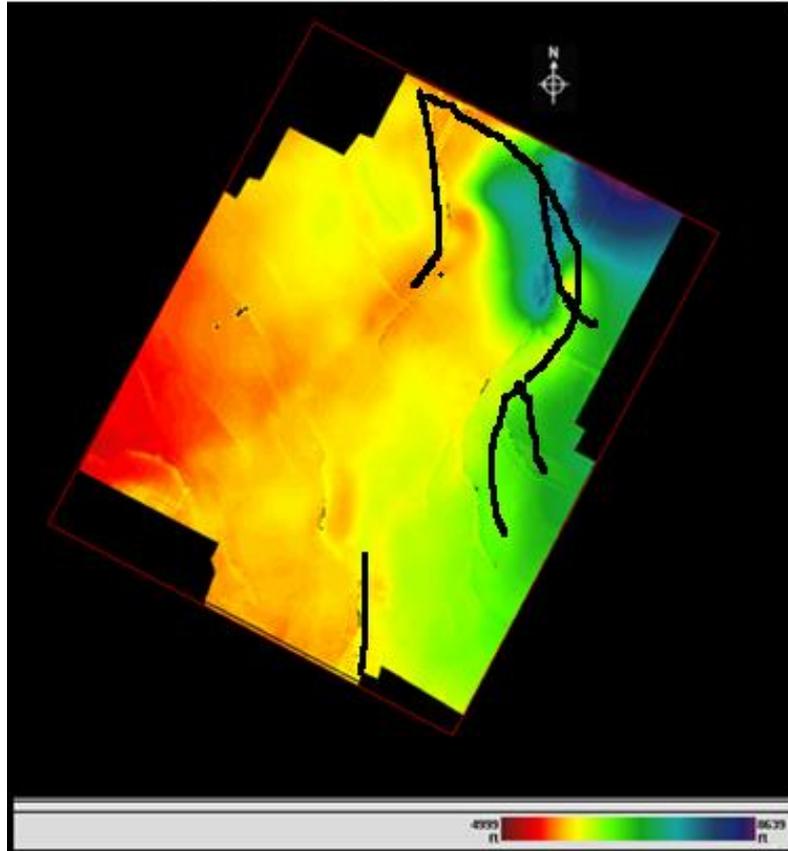


Figure 11 shown depth map of Upper beda formation Black lines indicate the faults.

7. Results .

The results of seismic interpretations from the depth map are shown Upper Beda formation is increasing of depth to the east and northeast, in the east 7500 feet but in far northeast is 8600 feet .

The depth map of the target layer in this study has given the result of the study to determine the direction of increasing the depth of layer and increase the depth to the east .

The results were obtained from interpretations of seismic data in the study area has made clear exposure of a group of faults affected by the major fault north-east of the study area for the occurrence of the area between the Beda platform and Marada trough the intended and continuity of effect faults from the north and north-east of the study area to the south of the study area.

REFERENCES.

- Cloetingh, S., and Wortel, R., 1986. Regional stress field of the Indian plate, *Geophys. Res .Lett.*, 12, 77-80 .
- Cloetingh, S., 1988. Intraplate stresses: A new element in Basin Analysis. In : New Perspectives in the basin analysis . (eds K. L. Kleinspehn and C. Paola) Springer – Veriag , New York, 205-230 .
- Gumati, Y.D., and Kanesh, W.H., 1985. Early Tertiary subsidence and sedimentary Facies, north sirt basin, Libya. *Bull. Am. Assoc. petrol. Geol.*, 69, 39-52
- Goudarzi, G.H., 1980. Structure – Libya. In: *The geology of Libya.* (eds M.J Salem And M.T. Busrewil). Acadmic Press, London, III , 879-892 .
- Guiraud, R. and Maurin, J.C., 1992 . Early Cretaceous rifts of Western and Central Africa : an overview . *Tectonophysics* , 213, 153-168 .
- Guiraud , R., 1998. Mesozoic rifting and basin inversion along the northern African Tethyan margin: an overview . In *Petroleum geology of North Africa.* (eds S.D., Macgregor , J.T.R., Moody, and D.D., Clark – lowes) *Geol.*

- Soc. London, Spec. Publ., 132, 217-229 .
- Gumati, Y. D., and Nairn, A. E., 1991 Tectonic subsidence the Sirt basin, Libya. J. Petr. Geol., 14, 93-102 .
- Guiraud, R. and Maurin, J.C., 1992 . Early Cretaceous rifts of Western and Central Africa : an overview . Tectonophysics , 213, 153-168 .
- Jansen, J.R., 1996. Introductory digital image processing: A remote sensing Perspective. 2nd edition. Prentice – hall, 141 – 152.
- Omar E. Msc 2014 Seismic and Gravity Studies of Zaggut Oil Field Sirt Basin.
- Pickford, S., 1992. Libya – A hydrocarbon exploration evaluation. NOC, Libya (Unpublished) .
- Ziegler, P.A., 1988. Evolution of the Arctic – North Atlantic and the western Tethys. Am. Assoc. Petrol. Geol., Mem. 43, 198pp.
- Ziegler, P.A., 1990. Geological Atlas of Western and Central Europe.: 2nd Edition., Shell International and Geological. I Society Soc. Of Landon, 239pp
- Ziegler, P.A., Cloetingh, S. and Van Wees, J.D., 1995. Dynamic of intra – plate Compressional deformation: the Alpine foreland and other examples. Tectonophysics, 252, 7-59 .
- Roberts, A. S., 1997. Remote Sensing: models and methods for image processing. 2nd edition. Academic Ppress, 2nd edation, 522pp .

Code-Switching from Libyan to Saudi Dialects**Dr: Burnia Hussain Ahmed****Dr: Hana Abdusslam Almadani****ملخص البحث:**

لقد درست هذه الدراسة ظاهرة التبدل اللغوي لدى المشاركين الليبيين إلى اللهجة السعودية، وحاولت التركيز على السمات اللغوية الأكثر شيوعاً التي تم تبديلها. كما تهدف أيضاً إلى تسليط الضوء على بعض الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة، بالإضافة إلى موقف كلتا المجموعتين تجاه لهجات بعضهما البعض. تم جمع البيانات من خلال طريقتين: استبيان مفتوح المحاور ومحادثات غير رسمية مسجلة على شريط مع ستة مشاركين. تظهر النتائج أن السمات الأكثر شيوعاً التي يتم تبديلها هي بعض المصطلحات المعجمية، وخاصة أسماء الأشياء، وأنماط قواعدية مثل صيغة المضارع من الفعل والظروف. كما كشفت أنه توجد العديد من الأسباب التي تجعل الليبيين يميلون إلى التبدل اللغوي بينما لا يفعل السعوديون ذلك. أحد هذه الأسباب هو التعرض للإعلام السعودي وتشابه اللهجة السعودية مع اللغة العربية الفصحى الحديثة.

Abstract

This study investigated the code switching of Libyan participants to Saudi dialect and tried to focus on the most frequent linguistic features that were shifted. It also aims shed light on some of the reasons behind such a phenomenon as well as on the attitude of both groups towards each other's dialects. The data were collected through two methods an open-ended questionnaire and tape-recorded informal conversations with six participants. Results show that the most frequent features being code switched are some lexical terms, especially the names of objects, and grammatical patterns such as the present form of the verb and the adverbs. It also revealed that there are many reasons why

Libyans tend to code switch while Saudis do not. One of these reasons is the exposure to Saudi media and the similarity of the Saudi dialect to Modern Standard Arabic.

1- Introduction

Arabic language has many varieties (dialects). Arabic itself is a Semitic language that original in the Arabian Peninsula. The Arabian Peninsula consists of many countries including Qatar, Kuwait and Saudi Arabia. Therefore, the language varieties spoken in those countries share many features with Standard Arabic, whereas the language variety spoken in North Africa countries is incomprehensible to the Arabic speakers from the Gulf or Levant. This may in part be because of the use of foreign language loan words in those countries, especially in Libya, Tunisia and Morocco. The Libyan dialect has been influenced by many historical events such as the Italian colonization, as well as the Turkish and Berber invasions. As a result, Libyan speakers tend to replace or substitute some Libyan words with words of the target dialects while communicating with others in order to be understood. The process of shifting from one dialect to another is called code-switching(CS).

The term code-switching has been defined by many researchers. Clyne (1972) defined it as the change by a speaker from one language or language variety to another one. The definitions indicate that the phenomenon of code switching should happen whenever two or more languages or language varieties alternate. Most researchers emphasized that CS occur between two languages whereas others emphasized that the same issue occur even between two or more codes, such as dialects. Peterson (1988) mentioned that CS is used "to refer to any abrupt and momentous shifting from one code to another, within a speech context" (p.479). We will be using this definition for the purpose of this study as we are studying the shifting from one dialect to another.

In the current study, we focused on CS that occurs between Libyan and Saudi speakers in different contexts. Being a Libyan Arabic dialects speaker, we noticed that while speaking with our Saudi friends we tend to shift from our own dialect to their dialect with the belief that they do not understand our dialect, and our Libyan friends

do the same. The aim of this study is to shed light on the reasons behind this pattern and to observe what aspects of language are switched. To achieve such goals, We used mixed methods to collect our data; these will be explained in more detail in following section.

2- Brief literature review

The previous studies focused on this topic and tried to answer why some interactors tend to code switch. They studied it from different perspectives in order to reach reliable and valid results. For example, some studies focused on the communicative and the social values of this topic. Timm (1975) suggested that CS depends on the topic of the conversation i.e. wherever there is any cultural element associated to that language in the conversation, CS is likely to occur. On the other hand, Gumperz and Hernandez-Chavez (1972) claimed that some extra linguistic features such as age, ethnic identity and the degree of solidarity play a big role in code switching.

Most researchers who tried to shed the light on code-switching in Arabic have focused on CS between two languages (mostly between Arabic and English), and little attention has been paid to the study of CS between different vernacular varieties of MSA. Abd-el-Jawad (1987) focused on this part with reference to the social prestige associated with a particular form. Some linguistics claimed that when Arabic speakers of different dialects are conversing with each other they use Classical Arabic (CA). The traditional language of the Qur'an, and MSA, the language of written literature and journalism (Katzner,2002,p.158-9). Similarly, Bateson (1967,p.82) claimed that Arabic speakers resort to either English or French if they know these languages and if they cannot use the MSA or CA when conversing with people from widely separated regions. Our study deals with two varieties of MSA: Libyan and Saudi Arabic.

3- Research justification

The topic code-switching between languages has been studied a lot from sociolinguistic perspective. However, code-switching between dialects was not that area of study as we mentioned before, especially between Arabic dialects. As Libyan speakers, we have noticed that when we talk to our Saudi friends we tend to coverage a lot but they do not. We are really interested to find out why such phenomenon of

CS occur just from one side and why they do not do the same and try to code switch to the Libyan dialect. We think this study will add to the body of research that already exists about code switching by introducing some factors that cause such thing to happen.

This study is from the researchers' experience when they were abroad and were exposed to different varieties of languages and mostly the Saudi dialects as their friends were Saudi. That is why the focus was only on the Saudi and Libyan context.

4- Research aims

This study aims at investigating any social factors that lie behind the phenomenon of code switching of Libyan speakers from Libyan Arabic to Saudi Arabic; both languages are considered varieties of the Modern Standard Arabic (MSA). The study also aims to investigate the most frequently code switched linguistic features.

5- Research scope/limitations

In this study we will focus on the social factors that make the Libyan group tend to shift from their dialects to the Saudi dialect whereas the Saudi group do not. We will mainly focus on the linguistic features that are frequently code switched by the participants, such as the lexical features, in order to specify which aspects of speech are converging. We will not be able to cover all the converged linguistics features such as the phonological patterns due to the word limit.

6- Research questions

In this section, we put the questions that we are aiming to find the answers to and to draw concrete conclusion.

- 1- What are the factors that make the Libyan group coverage to the Saudi dialect whereas the Saudi group do not?
- 2- What is the attitude of both groups (Libyan speakers and Saudi speakers) towards each other's dialects?
- 3- What are the most frequent linguistic features that the Libyan group tend to code switch?

7- Anticipated results/problems/issues

We expect number of reasons why only the Libyan ladies code switch whereas the Saudi ladies do not. The first one is the high exposure to the Saudi media, where the Arab world is obsessed with Saudi soap operas as well as comedy programs which has a great

impact on the way people imitate the celebrity of those programs. The second reason is because the Saudi dialects shares a lot of the Modern Standard Arabic more than the Libyan Dialect which is mixed with other languages and spoken at a faster pace than the Saudi dialects is. In term of the anticipated problems, we think time is the most problematic issue as the participants will be busy doing their assignments and finding an appropriate time to meet will be an issue. In addition, playing the role of the researchers and participant will be some extent hard, as some kind of subjectivity will appear so the researchers own data will be counted with the data of the participants to avoid any bias and to reach valid and reliable conclusions.

8- Ethical considerations

There will be many ethical considerations to keep in mind such as the participants' privacy. The concern is when any personal matters will be mentioned by the participants while recordings, so these sensitive parts will be deleted and will not be transcribed. The informants' names will be replaced by symbols for the sake of confidentiality. Consent forms will be given to the participants to ensure their agreement to take part in this study.

9- Methodology

In this section we will talk about the criteria of participant selection as well as the method deployed in this study in order to elicit data about the topic under discussion. It also contains a section on how the data are analyzed.

10- Participants Sample

Milroy and Gordon argue that "Sociolinguistic studies are often characterised by much smaller samples of participants than other research projects" (2006,p.28). The sample in this study consisted of five informants including the researchers themselves. The participants were chosen based upon fulfilling some criteria that the researchers established in order for them to be eligible for the study. The choice must also include as many relevant social variables as possible(Llamas, 2007,p.14). Therefore, the participants were of the same education level: they were all MA students in the same university. They were all middle class. Furthermore, they were all female; researchers are females too and all of the participants are from

conservative cultures so the variables of gender might be an issue; therefore, within the framework of this study and for the sake of comparability, it was better to choose only female informants. All participants are between 26 and 32 years old. Two of them and the researchers are originally from Libya and the other two are from Saudi Arabia.

11- Data Collection

In this study, two kinds of data collection methods are used to ensure the validity and reliability of the results and in order to gather more information about this topic. As it was mentioned earlier that the first aim of this study is to what is the most frequent linguistic features is being code-switched in the interaction of both groups, the audio-recorded method was used to elicit the naturally occurring data. The total hours of the meetings was around one hour of three meetings with different time duration that is nearly twenty minutes for each conversation. They took place in the Media Centre on the university campus, this is where students meet to study and they are allowed to talk as it is a group study zone; it was a friendly convenient place for the participants. The conversations between the participants were on different unplanned, naturally arising topics. These topics included everyday life issue, religion, politics and fashion. The participants were informed that their conversations would be recorded, that their names would not be mentioned and that any sensitive or personal information would be deleted; they all agreed to these criteria.

In addition, the second aim of the study is to investigate any social variables behind CS as well as the participants' attitudes towards each other's dialects. Giles and Powesland (1975) suggested that a person's attitude towards a particular regional dialects can lead to the shift from one dialect to another to match the other's grammar, vocabulary or accent. In order to elicit more information on this, the participants were asked to complete an open-ended questionnaire. In some ways a closed ended questionnaire with a Likert scale is easier and quicker in eliciting data (Oppeheim, 1992, p.114). However, it restrains the participants from giving fully expressive answers; using an open-ended questionnaire enables participants to answer in their own words and raise any concerns which were previously not considered by the

researcher (Bryman, 2004, p.145). The questionnaire used in this study consisted of four parts; the first part is about the participants' demographic information, the second part is about the participants' perception of their own dialects, the third part is about other people's attitudes towards their dialect, whether they were criticised, laughed at or complimented about the use of the dialects, and the final part is about their attitude towards the other group's dialect, they were asked to provide reasons for their answers. The "why?" question in each section helped reveal information about the social factors behind their attitudes and may explain their trends in CS.

12- Data Analysis

The data is analysed according to the Communication Accommodation Theory (CAT). Howard Giles (1991) posited this theory and suggested that in order to be acceptable and accommodate others when interacting people should adjust their speech, vocal patterns and gestures. The analysis focused on the reasons behind such shifts. By analysing participants' responses to the questionnaire and labelling their answers according to their description and perception of the other dialect, the results may reveal more about the reasons behind the phenomenon of CS. Following Sacks and Shergloff's (1977) Conversation Analysis Theory, the focus is on recurrent patterns as Li Wei, Milroy and Ching have suggested (1992, p. 151). The conversation analysis theory explains how and why people tend to code switch and it is based on the analytical approach concerned with the systematic analysis of ongoing interaction (Li Wei, 2005, p.381). In this study, and after listening carefully to the conversations, the conversations were transcribed according to Leipzig glossing rules (Max Planck Institute, 2008). The focus was only on the parts where CS took place, so the analysis was not based on the turn-by-turn nature of the interaction (Li Wei, 2005) as the CS occurs only from the Libyan group; this will be discussed in more detail in the results section. The focus was on the most frequent linguistic features and we attempted to build a model to explain the occurrence of the dominant patterns.

13- Results and Discussion

From the analysis of the methods used to collect data starting with the questionnaire as the responses of the participants were carefully examined and the answers were labelled according to the evaluative adjectives and phrases they gave either positive or negative to describe the other dialect.

- 1- The Saudi participants: They used many adjectives and phrases to express their attitude towards the Libyan dialect such as hard to understand, feminine, fast, not easy and mixed with other languages. These words were given the label 'incomprehensible', which describes their overall attitude.
- 2- Libyan participants: They used words such as easy, understandable, comprehensible and standard. These words were given label 'competence' (Carrie, 2014).

The results show that the overall attitude of both groups towards each other's dialects was to some extent different. The attitude of the Saudi participants towards the Libyan dialects was neutral as they find it difficult to understand although they enjoy listening to its attractive tone. They said that the difficulty stems from the interference of some words that were borrowed from other languages such as Italian and Turkish. For example,

LS: əʔti:-ni ʃi:ʃu lʊmæə

Give me bottle water

Give me bottle of water

In this imperative sentence of three words, the Libyan speaker used two Turkish words; therefore, it is difficult for a Saudi speaker to understand unless they guess the meaning from the context. However, they evaluate the pronunciation and the tone of the Libyan dialects positively as they said it sounds attractive with the musical tone that makes it catchy and unique. As a Libyan, We find this tone attractive when women speak; however, if the same tone is used by men, it is not acceptable in the Libyan culture, but because the Saudi participants do not have interaction with Libyan males they are not aware of such a distinction.

When they were asked about why they find the Libyan dialect incomprehensible, they said that Libyans tend to speak quickly and

use many loanwords, and they had low exposure to this dialect as they had never travelled to or had contact with Libyan people before the current contact with their university friends; therefore, they need time to understand and use the Libyan dialect.

On the other hand, the Libyan students show a highly positive attitude towards the Saudi dialect. They used positive evaluative words in their answers, which were put under the competent label (Carrie, 2014). They believed that the clarity of the Saudi dialect is due to many reasons, primarily its prevalence in the media. According to one of the participants, *"I think one of the main factors that makes the Saudi accent easy to comprehend is the media. Saudi Arabia has famous drama productions among the Arab countries, and I am one of the people who adore watching drama TV shows and Saudi entertainment programs. This influence of media facilitates my interaction with Saudi friends and I find it easy to shift my dialect to theirs"*. Therefore, the high exposure to the media is effective in making the Saudi dialect clear and comprehensible.

The second factor they mentioned is that they travel to Saudi yearly to do their holy prayers (Hajj and Umrah) in Makkah, so they interact with the Saudi people in the streets and shops. This interaction has resulted in them acquiring the Saudi dialect.

The third factor is that the Saudi dialect shares several elements with MSA, which is used in the written material and giving formal speeches in Libya, because Saudi Arabia is the only Arabic country that has not been colonized by another country so their dialect remains purer than other countries'. The fact of the closeness of the Saudi dialect to MSA is noticeable in analysing the conversation between the two groups. Due to the above mentioned variables and after analysing the three conversations, the results show that only the Libyan participants code switch and the Saudi do not.

The CS occurs at the three levels of the language: lexical (where the shift appears to substitute some terms and names of objects), grammatical (where there was a shift in the Libyan grammar especially the verbs and adverbs to Saudi grammar) and phonological (where there was a shift from some of the Libyan patterns to suit the Saudi pronunciation and the slower pace of the Saudi speech. Due to

the word limit, this study focused only on the lexical and grammatical levels. The phonological aspect needs more space to be clarified, so further studies should be undertaken to cover this topic.

As the three conversations were about different topics chosen by the participants, we noticed that the topic played a vital role in the CS: when the topic is one of a cultural or social, CS is likely to occur. However, in the religious topics the shift is rare. The reason for this might be that both dialects have a rich repertoire of religious terms that Muslims are not allowed to change in any religious context and they should be pronounced as in the Qur'an and by The Prophet Mohammed e.g.:

SS: ægdər ækʊl il.ləhim mɪn æɪ məkæn henə. ʔɪnd-nə fəɪwə

We can eat meat from any shop here because we have permission.

LS: bəs hæðə hərəm, ɪsmʊ' lɑ:h məfru:ð u:ðkər gəb'h. əl'həlæɫ, bəɪn wə əl'hərəmʊ, bəm

but that is prohibited in Islam the name of Allah should be mentioned before it is slaughtered; "Halal is obvious, Haram is obvious"¹

Such religious words should be used in the same way in all instances, whereas the words can be used differently in other contexts of everyday interaction. For example, the word **bəm** (بين) in Libyan dialect is **wɑ:ðih** (واضح).

On the other hand, there are many lexical words that the Libyan participants changed to the Saudi dialect to be understood. These were mostly the names of objects of everyday use e.g.

LS: jəddɪ mħurget **beləhi:d'** gəsɪ **ɪlmekwə** leanni kunt naweia nalbes **gu:nnəh** ah **tənnu:rəh**

My hand was burnt by the **iron**, as I wanted to wear a **skirt**.

The use of the alternative Saudi words **ɪlmekə** and **tənnu:rəh** instead of the Libyan **beləhdi:d'** and **gu:nnəh** was to facilitate the conversation flow as the word **gu:nnəh** is of Turkish origin and will not be understood by Saudis.

In addition, CS occurs at the grammatical level. This mostly involves the present form of the verb because in Libyan Arabic there is an addition of the prefix (n) in front of each present verb and this is not used in MSA or the Saudi dialect e.g.: nehki (talking).

LS: ana ahki an Libyan

Similarly the use of some adverbs was not clear to the Saudis so the Libyans had to use the Saudi word as in **kəʔi:r** instead of **həlbə**.

LS: ana aheb Elissa **kəʔi:r**

I like Elissa very much

Interestingly, there are several words in the Libyan dialect that are considered taboo in the Saudi dialect, so the Libyan participants have to change those words to avoid any kind of embarrassment while interacting with their Saudi friends. The extracts of this part of the conversation were deleted as they are not acceptable in the Saudi culture but it is worth mentioning.

In my opinion, there is a strong relationship between the person's attitude and the ability to code switch. In other words, when a person likes the dialect, he/she is likely to use it. This can be noticed from the participants' answers as the Saudi mentioned that their attitude towards the Libyan dialect has changed after seven months of interaction with their Libyan friends as they got to know some Libyan words and they said they might use them in future.

14- Conclusion

This study aimed to highlighted aspects of CS between two groups (Saudi and Libyan). The results show that only the Libyan participants code switch for the sake of enhancing the communication and bridging the gap between dialects; this puts them at ease and is influenced by other factors. However, they do not shift to MSA or CA as suggested by Katzner (2002). Saudis do not change their dialects as they find the Libyan dialect difficult; this is due to many factors such as the interference of Italian and Turkish loanwords and the low exposure to it which render it incomprehensible to them. Moreover, results show that the topic of conversation plays a significant role in directing the participants to code switch; cultural or social topics saw more switching than religious topics because both dialects share the same religious terms and there was no need to switch; furthermore Islam forbids changing any concept related to the Qur'an. We think this study will add to the field of research and provide readers with insight to the attitudes of both groups towards each other's dialects and how the matter of attitude is linked to the use of certain dialects. However, further studies should be conducted to cover some of the

shortcomings that arose in this study due to word and time limitation. Examples of these shortcomings are that it would have been better to use a mixed questionnaire of open-ended and Likert scale style questions to elicit and analyses data more easily. Moreover, there should be than three conversations in order to reveal more details on the linguistic aspects being switched.

References:

- Abd-El-jawad, H.R. (1987). Cross-dialectal variation in Arabic: Competing prestigious forms. *Language in Society*, 16(03), 359-367.
- Bateson, M.C. (1967). *Arabic language handbook*. (The language handbook, Series 3) Washington D.C. Center for Applied Linguistics.
- Bryman, A. (2004) *Social research method* (2nd ed). Oxford University Press.
- Carrie, E. (2014). *A Social-Psychological Study of Foreign Learners' Attitudes and Behaviours towards Model Varieties of English Speech* (Unpublished doctoral dissertation). University of St Andrews, United Kingdom.
- Clyne, M. (1987). Constraints on code-switching: How universal are they? *Linguistics* 25(4), 739-64.
- Giles, H, Coupland, J., & Coupland, N. (1991). Accommodation theory: Communication, context, and consequence. In H. Giles, J. Coupland, & N. Coupland(Eds.) *Context of Accommodation*. New York, NY: Cambridge University Press.
- Giles H. & Powesland, P.F. (1975). *Speech style and social evaluation*. London and New York: Academic Press.
- Gumperz, J.J., & Hernandez-Chavez, E. (1972). Bilingualism, bidialectalism, and classroom interaction. *Functions of language in the classroom*, 84-108.
- Katzner, K. (2002). *The language of the world*. London, Routledge.
- Li Wei (2005a). Starting from the right place: Introduction to the special issue on conversational code-switching. *Journal of pragmatics* 37, 275-279.

- Li Wei. (2005b). "How can you tell?": Towards a common sense explanation of conversational code-switching. *Journal of Pragmatic* 37(3),375-389.
- Li Wei, MILROY L., & Ching, P.S. (1992). A two-step sociolinguistic analysis of code-switching and language choice. *International Journal of Applied Linguistics*2(1), 63-86.
- Llamas, C. (2007). Field methods. In C. Llamas, L. Mullany, & P. Stockwell(Eds). *The Routledge companion to sociolinguistics*. New York: Routledge.
- Max Planck Institute for Evolutionary Anthropology. (2008). *Leipzig Glossing Rules*. Available online at <http://www.eva.mpg.de/linua/resources/glossing-rules.php> [Accessed May 2015]
- Milroy, L. & Gordon, M. (2006) *Sociolinguistics: Method and interpretation*. Oxford: Blackwell Publishing.
- Oppenheim, A.N. (1992). *Questionnaire design, interviewing and attitude measurement*. London: Pinter Publishers Ltd.
- Petersen, J. (1988). Word-internal code switching constraints in a bilingual child's grammar.
- Sacks, H., Schegloff, E. & Jefferson G. (1977). The simplest systematic for turn taking in conversation. *Language*50, 696-735.
- Timm, L.A. (1975). Spanish-English Code-switching: El porque y how-Not-To. *Romance Philology* 28(4), 473-82.